



سيرة الملك

سَيَفْ بن ذى يزَن



المجلد الأول

39



هذا الكتاب

الملك سيف وسجل الوجدان الشعبى العربى

تبدأ "مكتبة الدراسات الشعبية" منهجاً جديداً فى خدمة الثقافة الشعبية؛ حيث تضيف خدمة كانت ولا تزال ضرورية، أعنى نشر بعض النصوص النادرة من السير الشعبية مثل سيف بن ذى يزن وعنترة والهلالية وذات الهمة وحمزة البهلوان وفيروز شاه والزير سالم وغيرها.

وسيرة الملك سيف تعتبر من أشهر السير الشعبية . وربما كانت هى والهلالية وعنترة أشهر السير على الإطلاق. وإذا كانت الهلالية قد تفوقت علي جميع السير فى مصر، لدرجة أن هناك بين العامة فى الصعيد من لا يزال يحفظها عن ظهر قلب، فما ذلك إلا بحكم تغلغل الأسرة الهلالية فى صعيد مصر منذ العصر الفاطمى. يليها فى الشهرة سيرة الملك سيف بن ذى يزن.

وإذ يسعدنا أن نقدم سيرة الملك سيف لقراء "مكتبة الدراسات الشعبية"، بمجلداتها الأربعة التي تحتوى النص الكامل، نؤكد أننا سنظل كما كنا نعنى بالدراسات النظرية كمجال خصيب يقدم تفسيراته وتحليلاته للإبداع الشعبى بوجه عام. ومبدئياً سيكون لنا فى كل عام واحدة من هذه السير ننشر نصها الكامل فى عدة أجزاء، إضافة إلى خطتنا فى نشر الدراسات النظرية.

وقد اتخذنا هذا القرار نظراً لندرة هذه السير، فالمؤسف حقاً أن معظم هذه السير لم يطبع سوى طبعة واحدة فى أواسط هذا القرن، وهى فى العادة طبعات بدائية على ورق أصفر، تحتاج قراءتها لعناء



سلاماته والملوك تفزع من هيبته لأنه قوى الأركان شديد البطش والسلطان ولم يوجد له مثال من ملوك الزمان وهومن بنى حمير الذين أخبارهم بين جميع الخلق شائعة وأفعالهم عند الملوك متسامعة وكان اسمه الملك ذويزن وهو ساكن بأرض اليمن وكان له وزير عاقل عارف بالأمور ليس جاهلاً واضع البيان فصيح اللسان ذو أدب وكمال كان عزيزا عند هذا الملك على كل حال مرفوع الرتبة مقبول الكلمة وهو فى عين الرضا وهو المشير على جميع الجيوش مع حسن الدقة والفطانة وجميع الجيوش له مطيعون ولقوله سامعون وليس له نظير لافى مشرق الأرض ولا فى مغربها وكان اسمه يثرب وكان قرأ الكتب القديمة والملاحم العظيمة فوجد فى التوراة والإنجيل وفى صحف إبراهيم الخليل وفى مزامير داود عليهما السلام اسم سيدنا محمد ﷺ وهو من قريش من بنى هاشم ووجد صفته وأنه يظهر الإسلام والايمان ويبطل الأديان التى لأهل الكفر والطغيان فى جميع الأرض ذات الطول والعرض **(قال الراوى)** فلما قرأ هذه الكتب وعرف ما فيها من الباطل والحق ترك الباطل واتبع الحق وصدق بسيدنا محمد ﷺ رسول الحق وسائر الأنبياء والرسل فعلم أنهم على الحق عليهم الصلاة والسلام واتبع اليقين وصار من عباد الله الصالحين وكتم إسلامه عن قومه أجمعين ولم يعلم أحد بإسلامه وما هو عليه من اتباع النبيين **(قال الراوى)** ثم أن الملك ذا يزن لما أن تداولت عليه الأيام والشهور والأعوام وأقبل عليه العيد خرج إلى ظاهر المدينة هو وسائر العالم وجميع عساكره وجنده وكره ولم يبق فى البلد أحد من الرجال إلا النساء والأطفال فنظر الملك ذو يزن إلى كثرة عساكره عرضاً وطولاً فوجدهم عالماً لا يحصى بعدّ الرمل والحصى فأمر بعرضهم عليه وأمر بعدهم وإحصائهم فعدوهم وأحصوهم فى دفاترهم وأخبرو الملك بذلك وقال أيها الملك الهمام والأسد الضرغام إن عدد عساكرك وجندك أربعمائة ألف فارس قناعس وأربعمائه ألف عمالقة

غطارس واربعمائة ألف مدرع ولابس وأربعمائة ألف بالعمد والبلط والقوس كأنهم أسود عوابس فلما سمع الملك ذو يزن الكلام أخذه الفرح والابتسام وفرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال وحق الأصنام واللات والعزى ما أحد ملك مثل هذه العسكر الجرار من الملوك الكبار من مشرق الأرض إلى مغربها ثم أنه التفت إلى الوزير يثرب وقال له يا يثرب أنا أعرفك أنك عاقل ذو رأى وتدبير وبالأمور خبير ياهل ترى تعرف فى جميع ملوك الأرض صغيراً أو كبيراً ملكاً أكبر أو أعظم وأكثر عساكر منى أو أحد اعز جاها منى أو أحد فى القدر يماثلنى فقال له الوزير يثرب أعلم أيها الملك الهمام والأسد الضر غام وملك الأحكام بين الأنام وصاحب الرأى السديد والمجد السعيد فى القريب والبعيد أن فى بلاد المشرق ملكا يقال له بعلبك صاحب همة وبأس وقوة ومراس وله بطش شديد فى الأحرار والعبيد وعنده عساكر ورجال وفرسان وأبطال كأنها أسود الدجال لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت وهم عالم لا يحصى بعد الرمل والحصى ثم إن ذلك الملك جعل له قبة خارج مدينته وتحتها كنز له قد ملاه من سائر الجواهر والمعادن والفضة والذهب ومن أرضه يخرج التبر وتلك القبة مبنية من الفضة والذهب وفيها من الأوانى والصحون مائة ألف وفيها من المصابيح البلور مائة وعشرون توقد من داخلها ومن ظاهرها وهلال تلك القبة قطعة من الجواهر قدر عشرين قيراطا ومن حول تلك القبة بستان فيه من جميع الفواكه ألوان تنبت بقدرة الرحيم الرحمن وعلى تلك الأشجار طيور تسبح الله بكل لسان وإلى جانب تلك القبة قصر ينفى الهموم ويزيل الغموم من كل محزون وأسكن فيه حريمه لأن ذلك الملك إذا جامع حريمه يهيج فيسمع بهيجه من مسيرة فرسخ من يمين وشمال وخلف وأمام **(قال الراوى)** فلما سمع الملك ذو يزن من وزيره يثرب هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلاماً وقال وحق اللات والعزى لابد من المسير إلى هذا الملك الكبير وأسقيه طعناً أحر

من الجمر وأمر من الصبر وأنا أعلى ملوك بنى حمير الشهير والحاكم فيهم على الكبير والصغير ولابد من أن أسير إليه وأقتله وأعجل من الدنيا مرتحله حتى يقول الناس كان بأرض المشرق ملك يقال له بعلبك وأدور الكون شرقا وغربا ولا ألقى على أحد حتى لا يكون أحد يدعى فى جميع الأرض طولها وعرضها ثم أنه أقام إلى عصارى النهار بعد ما قرب القربان وانفض الديوان وبعدها ركب وسار الى داخل السراية وجلس وفرق ووهب وخلع الخلع على أربابها ونادى على سائر الخدام وأنفق عليهم شيئا كثيرا ثم أنه مكث على ملكه فى هناء وسرور مدة من الأيام ثم إنه فى بعض الأيام تفكر كلام وزيره يثرب وما أبداه من المرام فالتفت إليه وقال أيها الوزير أمرتك أن تجهّز الركبة إلى بلاد بعلبك وها هى خزائنى بين يديك فقال له الوزير يثرب سمعا وطاعة ومهما امرتنا به نفعله فى تلك الساعة ولا يخالف قولك يا كنزنا نحن إلى الغز حاضرون ولأمرك طائعون وإلى المسير مبادرون وإلى المشرق متجردون ثم ان الوزير مازال يجهز حكم ما أمره الملك حتى تم ماقال ثم أنه بعد ذلك أتى الملك ذايزن وقال له اعلم أيها الملك السعيد والمولى الرشيد أن الركبة قد تمت والجيوش قد تكاملت وبرزت إلى خارج المدينة ولم تحتج إلا إذن الملك بالمسير وسرعة الجد والتشمير إلى ما يريد فعند ذلك قام الملك ذويزن وركب الفيل وخرج إلى خارج المدينة ودار حول الأوردى وتحققه فوجدهم عالماً عظيماً ففرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال غداة غد يكون المسير إلى المشرق وانصرف وبات الناس على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فركب الملك وأمر الحجاب أن ينادوا فى العسكر بالرحيل فنادوا بالرحيل فعلاً على الأفيال ركابها وسارت العساكر فى البرارى والقفار مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أقبلوا على بيت الله الحرام وإذا بالوزير يثرب ترجل ونزل نحو بيت الله الحرام وسجد وقال فى سجوده لا ينبغى السجود إلا للملك المعبود الذى أوجد الخلق من العدم

إلى الوجود ثم إن الملك ذايزن لما نظر الوزير يثرب فعل ذلك الفعل اغتمّ لذلك غماً شديداً و صبر على الوزير حتى فرغ من سجوده وقال له ياوزير لم فعلت ذلك الفعل وبطول ما غمرت ما عملت مثل هذا الفعل ولا نظرتك فعلت هذا الأمر أخبرنى ماذا يكون السبب فقال له الوزير يثرب إعلم أيها الملك أننا قد أتينا بيت الله الحرام ومنزل ملائكته الكرام والأنبياء والرسل العظام عليهم الصلاة والسلام هذا بيت الله الذى خلق السموات السبع وملاها بملائكته وبسط الأرضين السبع وأثقلها بالجبال الشامخات الراسيات هذا بيت الذى خلق الشمس والقمر والحجر والمُدر والفلك الأكبر والليل الأعكر والصبح الأصفر والبحر الأزفر وخلق الدنيا طولاً وعرضاً وجعل لكل شئ سبباً **(قال الراوى)** فلما سمع من الوزير هذا الكلام قال ياوزير هذا الذى خلقنا ونحن نعبد هذه الأوثان اللات والعزى فقال له الوزير أيها الملك الهمام إن اللات والعزى شىء خلقه الذى هذا بيته فقال الملك ومن عمّر هذا البيت فى هذه الأرض الخراب ولم يكن حوله شئ من القوى والبلاد والخدم والسكان والعباد فقال له الوزير إعلم أيها الملك العظيم الشأن إن الله تبارك وتعالى أمر آدم عليه السلام أن يسير إلى الكعبة ويعمّر البيت الحرام فأخذ حجارة من الجبال التى حوله وقد أعطاه جبريل قوة مَن العزيز الجبار فأسس الأساس ووضع جبريل عليه السلام القواعد وأظهر لآدم البناء فصار آدم يبنى وجبريل يعلمّه حتى أسس الأساس ثم قال له جبريل عليه السلام يا آدم هذا الأساس كما أمر رب الناس بعمارة هذا البيت وأمر آدم أن يحج إليه فى كل عام والملائكة معه إلى أن خلق الله سبحانه وتعالى نوحا عليه السلام وأرسل إلى قومه ودعاهم إلى الإيمان فعصوه فدعا عليهم فأجاب الله دعاءه فأمر أن يتخذ سفينة فعمل كما أمره مولاه أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ففعل ذلك ثم أنزل الله الماء من السماء وأنبع من الأرض فصار طوفاناً ورفع الله هذا البيت إلى السماء وجعل الحجر

الأسود فى جبل أبى قبيس حتى علا الطوفان على رؤوس الجبال فطافت السفينة بمكان هذا البيت ونجا نوح ومن معه وأغرق الله قومه ولما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار الأرض أمر السماء أن ترفع ماءها والأرض أن تشرب ماءها وانكشفت الجبال والمدن وأمر الله تعالى نوحاً عليه السلام ما أمره به **(قال الراوى)** فلما سمع ذو يزن هذا الكلام قال يا يثرب ماذا تأمرنى أن أفعل فى هذا البيت فقال له الوزير يثرب إنزل وطُف به فأمر الملك بنزول العسكر ثم دخل هو والوزير وهو يُعلّمه كيف يطوف فهذا ما كان من أمر الملك والوزير **(وأما)** ما كان من أمر العساكر فإنهم لما أمرهم الملك بالنزول نزلوا ونصبوا الخيام والوطاقات والأعلام وانشرحت صدورهم وذبحوا الأغنام وروجوا الطعام هذا والملك يجرى ويطوف حول البيت الحرام وينظر إلى البيت ويتحققه وأطال النظر إليه فأعجبه عجباً شديداً فمال قلبه إلى هدمه وقال فى نفسه لابد لى من أخذه وأفتخر به على جميع ملوك الأرض والبقاع وأصير ملكاً وسلطاناً فريداً لايعلو أحد علىّ أبداً من مشرق الأرض إلى مغربها وأصير ملك الدنيا وأن الملك ذا يزن لما فرغ من ذلك الكلام الذى خطر بباله قال الوزير يثرب امض بنا إلى الصيوان فأجابه الوزير إلى ذلك الأمر والشأن وساروا إلى أن وصلوا إلى الصيوان ودخلوا فيه وجلس الملك على سرير ملكه ومحل عزه وأمر الوزير بالجلوس فجلس وحكم ما أمره وكان هذا الصيوان من الخز والديباج وكان على أربعمائة عمود من خشب العود والساج والأبنوس وعلى كل عمود عسكرة من الذهب الأحمر وفى كل عسكرة قطعة من الجوهر نورها يأخذ بالبصر تضئ أثناء الليل وأطراف النهار ومن داخله مصابيح الجوهر وملوك التابعة يتوارثونه واحداً بعد واحد حتى انتهى إلى الأسكندر ذى القرنين **(قال الراوى)** ولما أن استقر بالملك الجلوس التفت إلى الوزير يثرب وقال له أيها الوزير قصدى أن أهدم هذا البيت وأنقل حجارته إلى بلدى وأبنيه هناك وأفتخر به على سائر ملوك الأرض فى

طولها والعرض **(قال الراوى)** فلما سمع الوزير يثرب هذا الكلام قال أيها الملك الكبير والأمير المشير وصاحب العلم أن الشهير أن البيت السعيد له رب يحميه من جميع المضرّات ولا أحد يقدم على هدمه ولا يصل إليه بأذيات إن هذا بيته الأعلى وقد جعله فى وسط الدنيا فلا تطع نفسك تندم حيث.لا ينفعك الندم فقال الملك وحق اللات والعزى لابد لى من هدمه فقال الوزير يا ملك الزمان هذا بناء الأنبياء والملائكة المقربين بأمر رب العالمين **(قال الراوى)** فعندما امتزج الملك من هذا الكلام بالغضب ومن شدة غيظه أمر بإحضار طائفة من المهندسين والبنائين فحضروا بين يديه وكان عدتهم عشرة آلاف ما بين مهندسين وبنائين وقطاعين وغير ذلك فلما حضروا بين يديه قال لهم اعلموا أن هذا النهار قد مضى وفات وفى غداة غد عليكم بنقض هذا المكان باكر النهار وانقضوه حجراً بعد حجر بحساب وكل من كسر حجراً كسرت رأسه وخمدت حسه فقالوا له سمعاً وطاعة وانصرفوا إلي حال سبيلهم يتحدثون فى أمر هذا الملك الهمام وهدم البيت الحرام فهذا ما كان من أمر هؤلاء **(وأما)** ما كان من الملك ذى يزى فإنه جلس فى الصيوان إلى آخر النهار وهو يتحدث مع أصحابه وجنده وأحبابه إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانصرف كل من كان حاضراً فى ذلك المقام وطلب العين حظها من المنام إلى أن أصبح الليل بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأفاق الملك ذو يزن من منامه فوجد نفسه متورماً وهو قدر الفيل العظيم فصاح عند ذلك صيحة دوى منها ذلك المكان مما وجده من ذلك الأمر والشأن فدخل عليه أرباب دولته فوجدوه على مثل ذلك الحال فأخذهم الانذهال فقال لهم الملك علىّ بالوزير يثرب يا رجال فنابوا قليلا وعادوا ومعهم الوزير فلما حضر بين يديه قال له ما الخبر أيها الملك السعيد فقال الملك الحقنى يا وزيرى وانظر إلى حالى أنى أصبحت وجدت نفسى فى هذا الحال فقال له الوزير ياملك الدنيا هذا سهم رماك به رب

هذا البيت وإن لم تصرّف نيتك عن هدم هذا البيت الحرام وتؤمن برب زمزم والمقام وإلا تهلك وتشرب كأس الحمام فقال له الملك يثرب أشهد علىّ أنت والحاضرون أنى صرفت نيتى عن هدم هذا البيت وآمنت بربه وما زالوا على مثل ذلك القول حتى ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه ودام الديموم وظهرت النجوم بقدرة الله الحى القيوم فعبر الملك للمنام جل من لا ينام ومازال فى نومه إلى الصباح فلما أفاق رأى نفسه صحيحاً سليماً كأن لم يكن به ألم ونظر إلى البيت فاستحسنه وأعجبه أشد من المرة الأولى فقال فى نفسه هذه كانت علة على قلبى وكانت قد اعترتنى وزالت عنى ولا بدلى من هدم هذا البيت والسلام **(قال الراوى)** ثم أن الملك ذايزن أرسل فاحضر المهندسين أرباب الصنائع فلما حضروا عنده قال لهم فى غداة غد اهدموا هذا البيت وانقضوا حجارته فأجابوه إلى ذلك وانصرفوا إلى حال سبيلهم أما الملك فإنه لما ولى وأقبل الليل بالاعتكار نام فى فراشه إلى الصباح فلما أفاق من منامه وجد نفسه مُتَوَرِّماً ورما ثقيلاً أعظم مما كان أول مرة وما كأنه إلا قطعة لحم من غير يدين ولا رجلين وكأنه بلا عينين وجسده مثل جسد الفار المسلوخ ومشرح تشريح وهو مما لحقه يزعق ويصيح وفى صياحه يقول على بالوزير يثرب المليح فدخل عليه يثرب وحضر بين يديه فقال له الملك انظر ما أنا فيه وما حل بى من هذا الأمر القبيح فقال الوزير يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان أنت آمنت برب هذا البيت أول مرة ورجعت عن نيتك ثانى مرة فارجع واصرف نيتك عن هدمه وآمن بربه وإبراهيم الخليل نبيه فأجابه إلى ذلك المقال وقال يا وزير ما بقيت أتعرض لهذا البيت بحال من الأحوال ثم أنه صرف نيته عن هدم هذا البيت وبات تلك الليلة وأصبح فوجد نفسه سليماً وما به شىء يضره من الآلام فلما رأى نفسه أشد من المرتين الأولتين ولم يتكلم فحضر الوزير يثرب عنده فلما حضر أطلق الله لسانه وتكلم وقال أيها الوزير ما بقيت أفعل شيئاً من هذه

الفعال ولا أطمع نفسى بالمحال فقال له الوزير أنت المطهر وهو الرب القادر القاهر الجليل وتؤمن بنبيه إبراهيم الخليل قلبا ولسانا بيقين وإلا تكن من الهالكين وتلحق بالقوم الكافرين ويتبرأ منك رب العالمين وتصير من الخاسرين وإن أنت آمنت برب هذا البيت الجليل وصدقت برسالة إبراهيم الخليل عليه السلام وعلى نبينا أزكى السلام وأتم التسليم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين أبعدك الله عن القوم الكافرين ونجوت من القوم الخاسرين وتصير من الفائزين ومصيرك إلى جنات النعيم وعند خازنها مقيم وعن العذاب بعيد بيقين وتبقى من الشهداء والصالحين سعيداً تحت ظل عرش رب العالمين فإن سمعت هذا الخطاب وعملت بهذا الجواب بعدت عن الكفار وحشرت مع الأبرار وتصير فى أمان الستار **(قال الراوى)** فلما سمع الملك ذو يزن من الوزير يثرب هذا الكلام قال أيها الوزير العاقل اللبيب يامن هو أعز حبيب أشهد أنى قائل على يديك كما يقول الفائزون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبرهيم خليل الله وكان إسلامه صحيحاً من غير شك ولا ريب وآمن بعالم الشهادة والغيب قلباً ولساناً لما قد ر أى من قدرة الكريم المنان الرحيم الرحمن وانصرف عنه ما كان يجده من الأسقام وأمر العسار بالإسلام أن يؤمنوا برب الأنام فاسلموا جميعاً قلباً ولساناً وصاروا كلهم إيماناً ولم يتأخر أحد منهم عن عبادة الرحمن وهذه هدايا من الحنان المنان **(قال الراوى)** وبعد ذلك أظهر الوزير يثرب إيمانه للملك وقد صار عنده أعز من إخوانه وزادت مرتبته أكثر من الأول ثم إن الملك ذايزن تعد ذلك النهار وهو فرحان مسرور إلى أن ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وطلبت العين حظها من المنام وانصرف كل واحد منهم إلى مضربه والخيام فنام الملك فى فراشه وغرق فى منامه فرأى فى ليلة هاتف يقول له ياذويزن بقى عليك حلاوة إسلامك وهو أن تكسو البيت الشريف فأنت فى بركته وبركة الطائفين به

من مشارق الأرض إلىَ مغاربها فلما أفاق من منامه ولذيذ أحلامه طلب الوزير يثرب إليه فلما حضر بين يديه قص القصة التى جرت عليه فقال له الوزير يا ملك الزمان إفعل ما أمرت به فأجابه إلى ذلك وأمر بكسوة البيت خسفاً وولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونام الملك فأتاه الهاتف وقال له اكس البيت غير هذا فلما أفاق أمر بإحضار الوزير فلما حضر قص عليه الرؤيا فقال له الوزير يا ملك الزمان أنت ملك الأرض فى طولها وعرضها وهذا لا يليق به ولا يليق بمقامك فأمر الملك بالحرير وأمر الصناع أن يشتغلوا فى الكسوة وكساه وأتم أمره ثم نام تلك الليلة فأتاه الهاتف ثالث مرة وقال له إكس البيت غير ذلك فلما أفاق من منامه أمر بإحضار الوزير وقص عليه ما رأى فقال له الوزير يا ملك الزمان إفعل ما أمرت به فأمر بزر كشة الكسوة بالخز والفضة والذهب ففعلوا ما أمر به الملك ورتب هذا على الملوك من بعده وصار صحيح البدن من جميع الأسقام وشفاه الله مما كان به من الآلام يا سادة يا كرام ثم أن الملك اقام بعد ذلك أياما قلائل وأمر العساكر بالرحيل وسرعة الجرى الطويل من هذا المكان وأن يأخذوا أهبتهم للسفر فباتوا تلك الليلة يجهزوا أشغالهم إلى الصباح فرتب الفرسان والأبطال والشجعان وساروا مقدار سبع فراسخ وفى الفرسخ الثامن أشرفوا على واد أخضر نضر أشجاره باسقة وأطياره ناطقة ومياهه متدفقة وعلى حافتيه غزلان متسابقة وفيه من كل شيء أفنان مثل القطاو والسمان والفاخت والكيروان والبلبل والكركى والهزاز والشاهين الحبشية والنعام البرية والغربان النوحية والحمائم الأهلية تترنم على العيدان وتسبح على منابر الأغصان بغرائب الألحان لمن له العز والبقاء وعظيم الشان ما بين ناطق وسابح وباكى ونائح ومحبوس وسارح وذلك الوادى كان روضة من رياض الجنان والنهر كأنه الكوثر أو هو كما قال فيه الشاعر حيث يقول:

* * *

واد ترنم طيره بغصون — يشتاقه الولهان فى الأسحار
فكأنه الفردوس فى نفحاته — ظل وفاكهة وماء جارى

* * *

(قال الراوى) ثم أن الملك ذا يزن أمر بالنزول فى تلك الأرض فنزلت العساكر والفرسان وباتوا فيها تلك الليلة ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح دخل الوزير يثرب علي الملك ذى يزن وقبل الأرض بين يديه وقال له أيها الملك السعيد نعمت صباحاً وزادك الله فلاحاً ونجاحاً أنى أعلمك أنى استحسنت هذه الأرض لأنها أرض طيبة زكية الرائحة فأحببت أن أبنى فيها مدينة وأعلم أيها الملك الهمام والأسد الضرغام أنى رأيت فى الكتب القديمة والتواريخ والملاحم العظيمة أن الله تبارك وتعالى يبعث فى آخر الزمان نبياً هاشمياً قرشياً اسمه محمد ﷺ وهو أول الأنبياء وخاتم المرسلين ويهاجر من مكة إلى هذه الأرض الطيبة الزكية ويكون بها مسكنه وقبره وأنى أريد من حضرة سعادة الملك أن يعطينى إذناً أن أبنى مدينة وأسميها باسمى وأن هذا النبى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر الآيات البينات والمعجزات الباهرات **(قال الراوى)** فلما سمع الملك ذلك الكلام قال له أيها الوزير إفعل ما بدا لك نجح الله أعمالك وفعل ما تريد وما تختار فقد أذنت لهم بالبناء والعمارة وكان ذلك إلهاماً من الملك الجبار فقبل الوزير يده ودعا له بدوام العزة والنعم وإبعاد البؤس والنقم وخرج من عنده وفى عاجل الحال اجتهد الوزير فى عمارتها وشق جدارها وأسس أساسها ورفع أسوارها وعمد دورها وقصورها وأجرى أنهارها فلما تمت عمارتها أسكن فيها رجالاً من قومه بنسائهم وأولادهم ثم أن الوزير يثرب كتب لهم كتابا وأعطاه لهم وقال احتفظوا عليه وأوصاهم أن يقيموهم وأولادهم جيلا بعد جيل وأن كل من أتى إليهم مهاجراً من مكة

والبيت الحرام يعطوا له هذا الكتاب باحتشام فقالوا أيها الوزير المعظم والسيد المعلم كل من أتى مهاجراً نعطيه له فقال لا ولكن اعلموا أن كل من نطقت له الأحرف فهو صاحب المدينة وهذه الأماكن العظيمة ثم أنه سماها باسمه وجعلوا عليه قبة وصاروا يتهارونه ويزورونه ويشاهدونه ولا زالوا يتوارثونه جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل حتى بعث الله النبى الجميل صاحب التنزيل وهو محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم وأصحابهم أجمعين فلما ظهر النبى ﷺ وبعث الرسالة وأنكر على قومه أخرج من مكة مهاجراً بعد أن ظهرت منه المعجزات الباهرات والايات البينات وأقبل إلى هذه المدينة فلما دخلها وحل فيها أخرج إليه أهل الباهرات والآيات البينات وأقبل إلى هذه المدينة فلما دخلها وحل فيها أخرج إليه أهل المدينة الكتاب وأعطوه له فأخذ صاحب البردة والقضيب وفتحه فنطقت له الأحرف ففداه أهل المدينة بأموالهم وأنفسهم وعيالهم وهم أنصار الرسول ﷺ فهذا ما كان من أمر الكتاب وما فيه من الجواب وأما ما كان من أمر الملك ذى يزن فإنه لما تم ماتم وانقضت هذه الأحوال أمر الرجال بالارتحال وأن يأخذوا الأهبة بعد ثلاثة أيام فلما أن كان اليوم الرابع رحلت العساكر والأبطال والفرسان والرجال والملك ذو يزن فى أوائلهم كأن الأسد الغضبان إلى جانبه الوزير يثرب وهو طالب ديار بعلبك وتلك الوديان فعندما رجع إلى طبع العريان وتفكر ما به من هذا الأمر والشأن فأعرب وأطرب وأنشد وقال صلوا على النبى المفضل:

لقد رمت هدم البيت والركن والحجر ... فردنى الجبار بالقهر والقدر
عزمت مراراً مرة بعد مرة ... على هدمه بغيا وقد مسنى الضرر
وقد جاءنى من بعد ذلك هاتك ... وقد كنت أسلمت على رغم من
وقال اكس هذا البيت اذا بكسوة ... كفر فجللته خزا وديباجاً اشتهر
وأقررت أن الله لا رب غيره ... وأن خليل الله بالحق قد أمر

(قال الراوى) ولما فرغ الملك ذو يزن من ذلك الشعر والنظام سار يقطع البرارى والآكام مدة من الأيام حتى وصل إلى ديار الملك بعلبك وذلك المكان فأمر العساكر بالنزول فى تلك الوديان وأمرهم أن يحتاطوا بالبلد من كل جانب ومكان فعندما نزلت الرجال والفرسان وفعلوا ما أمر به الملك من ذلك الأمر والشأن ونصبت الخيام والسرادقات والأعلام **(قال الراوى)** فتواترت الأخبار إلى الملك بعلبك بأن الملك ذا يزن نزل على البلد بجميع عساكره وأبطاله فلما سمع الملك ذلك الكلام أخذه الوجد والهيام وأمر أن يكتب كتاب إلى الملك ذى يزن وأن يقال فيه الذى نلتمسه من الملك السعيد أن يخبرنا من أين وإلى أين وما الذى يريد منا وما سبب قدومه علينا ثم أمر باحضار حاجب من حجابه وأمره أن يأخذ معه خمسين فارساً ويأخذ الكتاب ويحضر من عند هذا الملك الجواب فأجاب الحاجب إلى ذلك فى الحال وأخذ من رجاله خمسين من الأبطال وسار إلى أن وصل إلى الملك ذى يزن واستأذن فى الدخول عليه فلما وصل إليه قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم ثم ناوله الكتاب فأخذه منه وناوله للوزير يثرب وأمره أن يقرأه عليه فأخذه منه وقراه على الملك فلما فهم معناه أنعم على الحاجب وأكرمه غاية الاكرام وأحسن مثواه وأمر له برد الجواب بما تقدم فى ذلك السيرة من ذلك الأمر والشأن ومما ذكر له الوزير من ذلك البيان فأخذ الحاجب الكتاب والجواب وسار إلى أن وصل إلى الملك بعلبك وناوله الكتاب فأخذه وقراه وفهم رموزه ومعناه فهز رأسه عجباً وتمايل على سرير ملكه طرباً **(وقال الراوى)** ثم إنه بعد ذلك أمر بإخراج الضيافات والإقامات وإحضار ما يكفى قدر هذا العسكر سبع مرات وأقاموا على هذه الحالات ثلاثة أيام متواليات ولما كان فى اليوم الرابع خرج الملك بعلبك من بلده وركب على جواده وركبت من حوله نوابه وحجابه وعساكره وأجناده وسار طالب الملك ذى يزن فى سرادقه فلما علم الملك ذو يزن بذلك الأمر

والحال خرج إلى لقائه فى جماعة الأبطال وسار حتى التقى بالملك بعلبك وسلم عليه فرحب به الملك بعلبك وقبله بين عينيه وساروا إلى أن وصلوا إلى سرادق الملك ذى يزن ونزلوا فيه وجلسوا يتحدثون مع بعضهم البعض فأمر الملك ذو يزن باحضار الطعام وأن يذبحوا الفصلان والأغنام وبعد ساعة أحضر الخدام الطعام قدام الملوك الكرام فأكلوا حتى اكتفوا وبعدها أفرغوا بواطى المدام فلما دارت فى رؤوسهم نشوات المدام أخذوا يتحدثون فيما جرى من تلك الأحكام فقال الملك بعلبك أيها الملك الهمام أخبرنى ما السبب الذى أحضرك إلى هذه الأرض وتلك الأحكام قال الملك ذو يزن اعلم أيها الملك السعيد أنى نظرت فى بعض الأيام إلى كثرة العساكر والرجال والجنود وكثرة المال الذى ليس له حدود فقلت للوزير يثرب أن فى بلاد الشام ملكا يشبهك ويناظرك وأشد بأسامنك وأقوى مراساً عنك فاحببت أن أنظر إلى ما قال فاما أن أصدقه فى هذه الأحوال أو أ كذبه فى هذا المقال وقد سألتنى فأخبرتك بالحال وهذا ما عندى أيها الملك المفضال **(قال الراوى)** فلما سمع الملك بعلبك ذلك الكلام تعجب وأخذه الضحك والابتسام وقال أيها الملك الكبير الحاكم على جميع الأقطار فى غداة غد ترى ماذكرته ثم إتهم قضوا ذلك النهار فى هناء وسرور إلى أن مالت الشمس إلى الإصفرار وركب الملك بعلبك إلى البلد وثانى يوم خرج من البلد وعرض على الملك ذى يزن عالماً لا يحصى كعدد الرمال والحصى وهم جنود مختلفة الأشكال فرسان وأبطال فلما نظرهم الملك ذو يزين أخذه الانذهال وتعجب من كثرة الرجال وبعد ذلك دخل الملك بعلبك إلى بلده ومكان عزّه هو وجميع عسكره وجنده ولما أن كان ثالث الأيام أرسل إلى الملك بعلبك يطلب ذايزن إلى حضرته ليفرجه على عزه ومملكته فبعث إليه من حجابه عشرة مع وزيره الأعظم فركبوا وساروا إلى الملك ذى يزن فلما حضروا إليه قبلوا الأرض بين يديه وتقدم الوزير وقال أيها الملك العظيم أخبرك أن الملك

بعلبك يدعوك إليه لتشرفه أنت وفرسانك ومن يلوذبك من أحبابك وقرانك فأجابه الملك إلى ذلك فى الحال وخلع على الوزير والحجاب وسار وهم فى خدمته ماشين جنب الركاب إلى أن دخل البلد وساروا إلى أن دخلوا على الملك بعلبك واستأذنوا فى الدخول فأذن لهم فدخلوا إلى بستان عظيم الشأن وكان فى ذلك البستان قصر عالى الشأن شديد الأركان حسن البنيان وهو فى الهواء شاهق قد أمن من العوائق وتحيرت فى صفاته الخلائق وطوله نحو تسعين ذراعاً وعرضه كذلك قد بنى بحجارة المرمر وهو مرصع بالدر والزمرد الأخضر ولذلك القصر أربعة عشر باباً من النحاس الأصفر الأندلسى لها لمعان يأخذ بالبصر وسقوف القصر تبرق من لمعان الفضة والذهب وهو أعجب من كل عجب كما قال فيه الشاعر المنتخب:

* * *

خلعت عليه تحية وسلام   خلعت عليه جمالها الأيام
قصر سقوف المزن دون سقوفه   فيه لأعلام الهدى أعلام
قد شيدت أركانه وتزخرفت   حيطانه وغدا لها أحكام
الدار والياقوت أضحى من على   أبوابه شرفا فليس يضام
وللتاج تاج الملك صيغ بجوهر   من أفخر الياقوت فيه نظام
فيه العجائب من صنوف غرائب   قد حيرت من نعتها الأفهام
يحويه هذا الليث والملك الذى   ذلت له الأزمان والأعوام

* * *

(قال الراوى) فلما رأى الملك بعلبك الملك ذايزن قام إليه وسلم عليه ورحب به وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه إلى جانبه على كرسى من العاج مصفح بالذهب الوهاج وبعد ذلك أمر الملك الخدام بإحضار الطعام فأحضروه فى أوان من الجوهر والذهب الأحمر مختلفة الألوان مالها مثال

فى ذلك الزمان فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وبعد ذلك أخذ الملك بعلبك بيد الملك ذى يزن وعرض عليه خزائن الأموال فنظر ذويزن إلى شيء كثير يذهل الإنسان ويغيب الأذهان فقال له أيها الملك السعيد إنى نظرت إلى عسكرك ورجالك وأموالك وذخائرك فبقى عليك حاجة أخرى وهى شجاعتك فإما أن تقهرنى أو أقهرك وكل من قهر صاحبه استولى على ملكه فقال له الملك بعلبك قد أجبتك إلى ذلك الحال وإلى ما ذكرت من المقال وكان بعلبك شديد البأس قوى المراسا جبار لا يصطلى له بنار وما عليه فى الحرب غبار ثم إنهم اتفقوا على تلك الآثار إلى أن ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وطلبت العين حظها من المنام فانصرف كل واحد إلى مكانه إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فنصبوا الميدان وركبت الفرسان لينظروا ما يجرى بين هذين الملكين من الضرب والطعان فكان أول من نزل الميدان الملك بعلبك فصال وجال وطلب الحرب والقتال وبيده سيف كأنه شعلة نار فبرز إليه الملك ذويزن وزعق فيه وقال له دونك والقتال وكان فى يده قنطارية كأنه صارى مركب أو منجنيق وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأظهر همته فى حربه وعجائبه وقد اصطدما كأنهما جبلان لأن بعلبك كان عريضاً طويلاً فى تقاطيع الفيل ومازال الإثنان فى حرب وقتال وطعن بالرمح العسال إلى أن أعول النهار على الإرتحال وأقبل الليل بالانسدال فافترق كل واحد منهم على سلامة ورجع كل واحد منهم إلى أصحابه وباتوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد اعتدلت الصفوف وترتبت المئات والألوف فعندما برز الملك بعلبك إلى الميدان وقد جال وصال ولعب على ظهر الجواد فحمل عليه الملف ذويزن قد تطاعنا وتضاربا ولا زالا فى عراك واشتباك إلى أن أمضى أكثر النهار وقد أذهلوا العقول وعادت النواظر الصحاح من نظرهما حُول وقد رأى الفرسان من قتالها الهول المهول لأن الفرسان كانت من حولهم تزول

وتختلف معهم باختلاف المزاريق والحرب الوثيق ومازالا كذلك إلى آخر النهار وقد افترقا على سلامة وما نال أحد من خصمه أملا ورجع على نفسه بالملامة ولما أن كان فى اليوم الثالث تبادروا وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وقى يد كل واحد منهما عامودمن البولاد جرى بينهما ما يشيب الاولاد ومازالوا على ذلك الحال إلى أن تضاحى النهار وقد كلَّ الملك بعلبك وملَّ وبعد عزه وملكه قد ذلَّ فعندما طلب الهرب والفرار فى البرارى والقفار وهو لا يصدق بالنجاة من شرب كاس الفناء فسار أول يوم والثانى إلى نصف النهار إلى أن حمى الحر هجر البر فبينما هو سائر إذ سار من بين يديه غبار وقد علا وطار وبعد ساعة انكشف وبان من تحته أسد عظيم وهو يمشى ويتبختر ويطير من عينيه الشرار له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب شدون عبوس ضغم افطس أغم تنظر البرق عن عينيه كأنه القضاء المبرم بشدق كأنه القليب وهو كما قال فيه الشاعر الأديب:

* * *

وليث عبوس يصدع القلب وثبة ... وترتعد الأبدان من عظم صرخته
بشدق تراه كالقليب ومحجر ... كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنياب أمثال الكلاليب إذبدت ... يروع قلب الناظرين برؤيته
إذا مارأته الخيل هجمت شواردا ... إلى القاع تخشى من عظائم سطوته

* * *

(قال الراوى) فلما رأى الأسد بعلبك وهو مقبل عليه فأقبل إليه وقد اجتمع حتى صار كثلثيه وامتد حتى بان إبطه وهدر وزاد عتوه وتجبره وهجم على بعلبك وضربه بيديه فرض عظامه فى بعضها البعض وخلط طوله فى العرض فمات لوقته وساعته فهذا ما كان من أمر الملك بعليك وما جرى له **(وأما)** ما كان من الملك ذى يزن فإنه بعد هروب الملك بعلبك من قدامه احتوى على جميع ماله وملكت يداه من نواله وملكته وخزائنه وقتل جنوده وعساكره وأقام فى المدينة أياما قلائل وبعد ذلك أقام نائبا من تحت يده

شديد. وأذكر أننى بذلت جهداً خارقاً ذات يوم بعيد من أجل استكمال السير لدرجة أننى كنت أسافر إلى بعض المكتبات العتيقة فى بعض الأقاليم للبحث عن جزء ناقص من الظاهر بيبرس أو عنترة. وحينما اكتملت كلها وأردت مراجعتها بعين جديدة - بعد أن كنت قد حفظت معظمها فى طفولتى فى القرية - اتضح لى أن قراءتها سيقضى علي البقية الباقية من ضوء البصر، مما أشعرنى بضرورة تقديمها فى طبعات حديثة بإمكانيات - طباعية متقدمة تفتح شهية القارىء.

وإننا إذ نقرر نشر هذه السير فى سلسلة "الدراسات الشعبية" نشعر أننا نرد بعض ما فى أعناقنا من دين لهذه المدرسة الإبداعية التي تربينا فى معيّتها. فمن حسن حظ جيلنا من أبناء القرى أن هذه السير كانت زاداً فنيّاً متوفراً فى معظم البيوت قبل انتشار الراديو، كانت تقريباً هي مصدر التسلية الوحيد. وكانت فى نفس الوقت مصدراً للثقافة والحكمة.

ولقد عاشت هذه السير طوال الأزمنة الماضية وحتي الآن لأنها تحمل فى مكوناتها إمكانيات البقاء. إنها ليست مجرد وقائع وأحداث شائعة مثيرة تنجح فى تفريغ طاقة الشر عند بعض الناس. إنما هى منظومة من القيم الأخلاقية العظيمة، تزرع فى نفوس الأجيال قيم البطولة والنبل والفروسية، وتكرس لارتباطهم بالوطن، وبالقوم . فهى إذن تعتبر سجلاً للوجدان الثقافى الشعبى مصاغاً فى أجمل صورة.

نتعشم أن نكون قد أفدنا، والله ولى التوفيق

خيرى شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهو وكيلنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم المعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبحانه وتعالى فى كل وقت وحين أشكره شكر عبد خائف خاضع مسكين واستغفره من كل ذنب ظاهر أو كمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من العذاب المهين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين المخصوص بالشفاعة العظمى فى يوم الدين الذى أنزل الله تعالى عليه فى كتابه العزيز من كلامه القديم إن وليى الله الذى أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

(أما بعد) فهذه قصة الأمير سيف بن ذى يزن مبتدأ الكفرة أهل الشرك والمحن فى سائر الأمصار والزمن ومخمد الأسحار والفتن وهى قصة غريبة الوجود والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود الذى جعل سر الأولين عبرة للقوم الآخرين وأخبار الأمم الماضين اعتبارا للباقين وفضل دين الإسلام على كل ملة ودين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على الأنبياء والمرسلين ونسأل الله الإعانة والتمكين والتيسير فى هذا الأمر للطالبين ورضى الله عن سائر أوليائه الصالحين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(قال الراوى) أبو معالى راوى سيرة أبى الامصارى وسائق النيل من أرض **الحبشة إلى هذه الديار** وبالله التوفيق إنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من الملوك السابقة ذو عز وتمكين وهبة عند أهل القرى والمدن وسكان تلك الأرض والزمن لأن جميع الخلق تخشى من

يحكم على الرجال أخذ عشرين حملا من المال ثم أمر الرجال بالرحيل وسرعة الحد والتحويل فرحبت جميع العساكر وسارت تتبع بعضها البعض الأبطال والشجعان المعودين بالضرب والطعان طالبين أرض خضرة وعيون جارية منحدرة فتعجب الملك ذو يزن من تلك الأرض النقية البيضاء للكافورية وفيها وادمن الأودية الحسان قد زخرف بزخاريف الجان وفضله على جميع الأودية الملك الديان وهو ذو روح وريحان وروضة وبستان وأدواح وغيطان وفنون وأفنان وجمال حسان كأنهن متن حسام يمان مجرد من غمده أو ثعبان سلخ من جلده يفيض ماؤه فيضانا وسواقيه دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة تسبح من له العزة والبقاء يتضاحك الزهر من جنباته وتعبق نفحات المسك من حدافته وقد اجتمع فيه من الطيور البلبل والشحرور والزرزور والقمرى والحمام والكركى والهزار والصقور والشواهين والجوارح والفواهد وطيور البحر والنسور العادية ووحش البرية والغربان النوحية والحمائم الأهلية وتلك الأطيار تسبح على منابر الأفنان الملك الديان وذلك الوادى كأنه روضة من الجنان وهو كما قال الشاعر :

* * *

وروضة ببديع الزهور معجبة ... كأنها من جنان الخلد قد سرقت
مكسوة باخضرار زائد بهج ... كأنها من حرير سندس نسجت
لها روائح فاقت كل رائحة ... كأنها بشذى المسك قد عبقت
والماء كالدر يجرى فى جوانبها ... على شوائه الغزلان قد رتعت
جل الذى أخرج الأشياء من عدم ... اجرى المياه من الصوان إذا نبعت

* * *

(قال الراوى) فلما نظر الملك ذويزن إلى تلك الأرض وحسنها أعجبته غاية العجب ومال على سرجه واهتز من الطرب وقال سبحان من فى علم

غيبه قد احتجب ثم أنه التفت إلى الوزير يثرب وقال أيها الوزير إنى أراك عاقلاً وبأمور الدهر خبيراً وإنى قد عولت أن ابنى فى هذه الأرض مدينة تكون ملكا لى ولقومى ووطنا من بعدى فقال له الوزير أيها الملك السعيد افعل ما تريد فنحن لك من جملة العبيد فعند ذلك أمر الملك العساكر بالنزول فى هذه المكان فنزلت العساكر والفرسان وأمر من وقته وساعته باحضار جميع الصناع والمهندسين وأمرهم ببناء مدينة تكون مشيدة حصينة فأجابوه بالسمع والطاعة وأخذوا حدودها وشقوا جدارها وحفروا أساسها وحفروا فيها الآبار وأجروا فيها الأنهار وغرسوا فيها الأشجار وأقاموا فى شغلهم مدة من الزمان حتى صارت مدينة عظيمة الشأن فلما كملت فرح الملك ذو يزن فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وأرسل من وقته وساعته فأحضر جميع أهله وأقاربه وعشيرته وفرسانه وقبيلته وأمر أن ينقلوا أهليهم وعيالهم ففعلوا ما أمرهم ورحلوا من بلادهم وسكنوا فيها وقر قرارهم وسماها المدينة الحمراء وقعدوا فى هناء وسرور وأكل وشرب خمور (قال الراوى) وفى بعض الأيام أحضر الملك ذويزن الوزير يثرب إليه واقعده بين يديه وقال أيها الوزير والقلب الكبير لا يبقى لى مقاوم إلاذل ولا مخاصم فى جميع الأرض فى طولها وعرضها وعن قريب تصير الحبشة لى وتحت حكمى وملوكها فى قبضتى يعطوننى جميع الخراج وأكون أنا صاحب التاج وأعيش باقى عمرى فى العز والفخر واحظى بالمنى والنصر فقال له الوزير يثرب إفعل ما بد ا لك يا ملك الزمان فنحن لك من جملة الخدام والغلمان ولكن دستور يا ملك الزمان لك اضرب تخت رمل وأرى لذلك أشكال وأنظر ما يجرى لك من الأحوال وأشير إليه بالشعر والنظام والمقال لأنى قد وجدت فى الكتب القديمة والملاحم العظيمة أنه لابد لملك من ملوك التبابعة الكرام أن يكون على يده انفاذ دعوة نوح عليه السلام وربما أن يكون أنت أيها الملك الهمام والأسد الضرغام **(قال الراوى)** فلما سمع الملك ذلك الكلام

أخذه الوجد والغرام وفرح وأخذه الابتسام وقال افعل أيها الوزير ما بدا لك زين الله أعمالك فأنت وزير دولتى ومدير مملكتى فعند ذلك فتح الوزير الملاحم ونظر فيها وضرب تخت رمل على اسم الملك وحسب ودقق وولد شكال ونظر فى بيت الداخل والخارة هل هذا هو الملك الهمام الذى على يده انفاذ دعوة نوح عليه السلام أو غيره من الأنام فرأى أنه ليس هذا ولكن من صلبه واسمه من اسمه ويظهر دين الإسلام ويأمر الناس بعبادة الملك العلام ويكون جميع الحبشة والسودان غلمانا وخداما لأولاد سام بن نوح عليه السلام ثم أن الوزير صار يخبر الملك بماجرى وهو ينشد ويقول:

* * *

أيا ملكا فى هذه الأرض قد نما   ملوك الورى أرض وأنت لهم سما
وأنت كما البدر المنير الذى علا   عليهم وقد صاروا زمانك أنجما
ملكت جميع الأرض شرقاً ومغرباً   وربك قد أعطاك ملكا معظما
علوت على أعلى الثريا بهمة   تعيد جلاميد الصخور إلى الحما
حميت من الأعداء أرضك كلها   وفى الجود كالبحر المحيط إذا ظما
وجللت بيت الله خزا مزركشا   يُسر عين الناظرين مرقما
وساعدتنى حتى بنيت مدينتى   يهاجر فيما سيد الأرض والسما
ويظهر دين الحق شرقا ومغربا   فيافوز ذاك العصر من كان مسلما
بنى كريم سيد الرسل كلهم   به الأنبيا رب البرية ختما
على دينه من مات يحظى بجنة   يخلد فيها دائماً متنعما
على ملة الإسلام ربى توفنى   على دين طه الهاشمى مكرما
وإنى ثد أصبحت لا شك مسلما   فيا ربنا اغفر لى الذى قد تقدما
ومن يثرب سرنا إلى بعلبك ذى الـ   ـجيوش فقتلنا وقد ضربنا مهازما
وجئنا مع الجيش العظيم بسرعة   نزلنا إلى روض وقد حزت مغنما
غرسنا بها الأشجار طابت ثمارها   وصار لنا ظل ظليل مخيما

بنينا بها حمر الجيوش مدينة   وصار لنا دار ومأوى ومعلما
أراد مليك العصر ذو يزن بأن   يدوس جيوشاً للجيوش ويهجما
فقلت له صبرا قليلا ولا تخف   عدوا ولا زلت على الناس قادما
لكى أننى أضرب لك الرمل عاجلا   وأكشف من كتب الملاحم ملحما
فإن مليكا يملك الأرض كلها   يكن حميريا تبعياً ومسلما
بدعوة نوح داعيا كل أسرة   لأولاد سام تابعين وخدما
يقاتل أبطال الجيوش بعزمه   وينقذهم من ظلمة الكفر والعما
فقابت تحت الرمل بعد ملاحم   فلم أرع هذا المليك المعظما
ولكنه من نسله يأتى عاجلا   ومن اسمه يشتق اسما له سما
فبالله لا تبغى ولاتك تعتدى   وقابل بمن يأتيك خصما مخصما
وإن كنت تبغى الشر فاتركه واتتحى   صوابا فإنى أصح لك معلما
فأنت مهاب عند جمع ملوكهم   ويهدوا إليك الخير والما ومقدما
فعش آمنا فى لذة ومسرة   إلى حين يقضى العمر الفرح فاغنما
فيأتيك مولود ويملك أرضهم   ويبقى على جميع البرية حاكما
على يده لاشك انفاذ دعوة   لنوح نبى الله حكما تقدما
وفى عصره تخريب بلدتكم   وأسوارها ترمى جميعاً وتهدما
وتعمر فى أيامه مصر كلها   ويجرى بها النيل المبارك خادما
وإقليمها يبقى مدى الدهر عامرا   ويسكنها عرب تصاحب أعجما
ومن بعدها تفتى الخلائق كلها   ويبقى قضاء الله فى الحلق حاكما
ولابد من موت وبعث وموقف   وجنات فردوس ونار جهنما
وهذا الذى قد بان فى الرحل والكتب   فألقيته شعرا كدر تنظما
فيا ربنا فاغفر لعبدك يثرب   واشهد اللهم أنى صرت مسلما
وصل على جميع النبيين كلهم   وخاتمهم طه الشفيع المعظما

* * *

(قال الراوى) وهو أبو المعالى فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام أخذه الوجد والهيام من القصيدة العجيبة وأمر أن تكتب بالذهب لما فيها من الأمور الغريبة وشكره على ذلك وأثنى عليه من الشر والباس وسمع من الوزير نصيحته واتبع رأيه ومشورته وعلم أن الدنيا دول ولابد أن ينقضى الأجل ويفنى كما فنيت الخلائق وعلم أن ذلك حكم الملك الخالق وقنع الملك ذى يزن بالذى هو فيه وجعل حظه من الدنيا يكفيه ولكنه فرح بالمولود الذى يأتيه ويكون انفاذ دعوة نوح على يديه ويجعل جميع الحبشة والسودان عبيداً وخدامين بين يديه فرجع إلى طبع العرب الكرام وخلع على وزيره الخلع السنية وعلى جميع أرباب دولته وأهل مملكته وعشيرته **(قال الراوى)** فوصلت أخباره إلى ملك الحبشة والسودان الحاكم على هذه البلاد والأوطان وكان يقال له الملك سيف أرعد لأن له صوتا كأنه الرعد إذا أرعد لانه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً لا يصطلى له بنار ولا عيدى له على جار وكان إذا تكلم ترتعد له القلوب من هيبته وكان ملك ملوك الحبشة والسودان وعنده كثير من الخدم والغلمان وكانوا تحت طاعته ويسمعون لمقالته ويركبون لركوبه وينزلون لنزوله ويرسلون الجزية والخراج والأموال وتخافه جميع الفرسان والأبطال ويدارونه بالاموال والجوارى وهم مثل البدور ومدينته تسمى مدينة الدور ونصفها فى البر ونصفها فى البحر من عظمها وكبرها وكان عدد عساكره ستمائة ألف فارس من مدرع ولا بس فى الحديد غاطس وكان عنده حكيمان شيطانان ملعونان وكان أحدهما اسمه سقر ديون النحيس والآخر سقرديس وكان له وزير يقال له بحر قفقان الريف قد قرأ كتب المتقدمين وعلم علم الأمم الماضين فوجد فى الكتب العظيمة والملاحم القديمة أنه يظهر فى آخر الزمان نبى قرشى يختم الله به الرسل والأنبياء الأول فأسلم ذلك الوزير وكتم إسلامه ولم يبين لأحد ما هو فيه من إيمانه من جميع الحبشة والسودان والأهل والجيران وكانوا فى

ذلك الزمان يعبدون الكواكب من دون الغالى وبالخصوص زحل من دون الله عز وجل **(قال الراوى)** وفى يوم من الأيام جمع الملك سيف أرعد أرباب دولته ورؤوس مملكته وهما الحكيمان والوزير بحر قفقان الريف وقال لهم انظروا إلى هؤلاء العرب عدماء العقل والأدب الذين نزلوا فى أرضنا ولم يستأذنونا فى ملكنا وإن عولت أن اعزوهم وأخرب ديارهم وأقتل كبارهم وصغارهم وأنهب أموالهم وعيالهم فقال له الحكيم سقرديس أنا أريد أن أنصحك نصيحة وذلك أنك لاتهترش بهم لا فى قتال ولاصدام ولاحرب ولا نزال ولاخصام فإنى أخاف إن اهترشت بهم أن تنفذ فينا دعوة نوح عليه السلام فقال له الملك سيف أرعد ما تكون دعوة نوح يا حكيم الزمان بيِّن لنا هذا الأمر والشأن فقال له سقرديس اعلم يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان والحاكم على جميع الحبشة والسودان أنه كان فى قديم الزمان نبى يقال له نوح عليه السلام فأمر قومه أن يتبعوه فى قوله وأمره ونهيه فخالفوه فدعا عليهم فنزل من السماء مطر ونبع من الأرض ماء وقطر فأغرقهم جميعا كل من كان خالف من قومه ونجا هو ومن تبعه ففى يوم من الأيام نام فى القيلولة وأولاده سام وحام جلوس عنده فهب الهواء على نوح فانكشفت عورته لأجل بيان سره وقصته فتقدم سام وغطى أبيه فلما نظر حام عورة أبيه لم يستره وضحك عليه فانتبه نوح من منامه وما كان فيه من لذيذ أحلامه فوجد الولدين يتشاجران ويتخاصمان وكان حام جالسا عند رجليه وولده سام جالساً عند رأسه وكانوا فى ذلك الزمان لم يعرفوا لبس السراويل فلما انتبه نوح من منامه وجد حاما مبتسماً ووجد ساماً غاضباً فقال لهما مالكما تتخاصمان وما الذى أنتما فيه تتشاجران فذكر له ولده سام وما وقع من أخيه حام وكيف ضحك على كشف عورته ولم يستره **(قال الراوى)** فنظر نوح إلى ولده حام وهو مغضب ودعا عليه وهو مجاب الدعوة وقال له سود الله وجهك ونسلك وجعل نسلم وذريتك خداماً وعبيداً

لذرية أخيك سام بن أمك وأبيك وإننا نخاف أيها الملك الحاكم علينا أن هذه الدعوة تنفذ فينا على يد هذا الملك الوارد علينا فعند ذلك بهت الملك قدر ساعة زمانية فبينما هو كذلك وإذا بجماعة تجلدوا ودخلوا عليه وسلموا وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان إننا سائرون إلى مدينتك قاصدون فوجدنا فى طريقنا مدينة مكينة حصينة فى الأرض الحمراء لم ننظرها قبل هذا الزمان وذلك الوقت والأوان وهى ذات أشجار باسقة وعيون نابعة وغزلان رائعة وغربان نائحة وطيور صادحة مشيدة الأركان عالية البنيان محصنة الأسوار نضرة للنظار ذات أبراج ترى النار من مسيرة نهار فلما أقبلنا إليها وقدمنا عليها طلب منا ملكها العشر والغفارة فاعطيناه ما طلب من التجارة **(قال الراوى)** فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وغضب غضباً شديداً ماعليه من مزيد وشخر ونخر وكفر وتجبر وسب الشمس والقمر والتفت إلى الحكيم سقرديس وهو فى حالة الذل والتعكيس وقال له يانفيس أنت سمعت ما دار بيننا من الكلام وما أبدوه هؤلاء من المرام وأنى كنت معولا أن أغزو هذا الملك الكبير فنهيتى أتت عن هذا الأمر الخطير فقال الحكيم سقرديس اعلم ياملك الزمان. وفريد العصر والاوان أنه لو أن فيه قوة لحرب الملوك ما أتى إلى أرضنا وسلك هذا السلوك وبنى هذه المدينة فى بلادنا ونازعنا فى ملكنا ولكن يا ملك الزمان نحن نخادعه ونأخذه بالحيلة والتدبير ويهون علينا حل العسير فقال له الملك الهمام والسيد القمقام ما الحيلة والتدبير فى هذا الأمر الخطير فقال له الحكيم أيها الملك الهمام الحيل فى ذلك أن ترسل إليه هدية سنية من جملتها جارية أحسن ما يكون عندك من جواريك ومن أعز خدمك ومحاظيك وتعطيها حقاً صغيراً فيه مثقال من السم الخارق وتوصيها أنها إذا اختلت بهذا الملك العظيم الشأن الثابت الجنان تسقيه ذلك السم فى المدام أو

تضعه فى الطعام فيموت لوقته وساعته ونرتاح بعد ذلك من رؤيته فإذا مات رحل قومه من غير حرب والقتال ولا طعن ولا نزال وتكون هذه الجارية هدية فى الظاهر ودسيسة فى الباطن لفقد عمر هذا الملك الخائن وترتاح من الحرب ولاقتال وضرب السيف وطعن الرمح العسال فوحق زحل فى علاه والنجم وما سواه هذا ماعندى الرأى السديد والكلام المفيد **(قال الراوى)** فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لايُعاب ثم أمر باحضار الخزندار لديه فحضر فى الحال بين يديه وأمرهم أن يحضروا وهدية عظيمة لها قدر وقيمة عند الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار فقالوا له سمعاً وطاعة فأحضروا له ما طلب فى الوقت والساعة من ريش النعام العظيم الشان والخز والديباج وأوان وخيول وجمال وتحف غوال وغير ذلك شيء كثير وبعد ذلك طلب الملك السراية فطلع وجلس على سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وأمر بإحضار الحوارى إليه فحضروا فى الحال بين يديه من حبش وسودان ومحاظ وسرار وغلمان وخدم وحشم فأخذ من كل شيء ما استحسنه ونظر بينهم إلى جارية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقدٍّ واعتدال وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات حيث يقول الصلاة والسلام على طه الرسول:

* * *

بدر إذا بدرت من حول مغربها ... بوادر النوق سار الخلق بالمحن
تمت ملاحتها والشمس تخدمها ... إذا بدت فى مغانى الحى والدمن
كأن سيف أبيها من لواحظها ... يغرى القلوب بلا فرض ولا سنن
كأنما الحسن أخاها وصاحبها ... كما تصاحب روح الحى فى البدن
لو نادت الميت يوما فى مقابره ... لقام يسعى ولباها من الكفن

* * *

(قال الراوى) فلما نظر الملك سيف أرعد إلى تلك الجارية وما فيها من الحسن والجمال أخذه الفرح والابتهام وقال فى نفسه إنه بلغ الآمال ثم أمر باحضارها إليه فحضرت وقبلت الأرض بين يديه فقال لها الملك سيف أرعد مرادى أن أرسلك إلى ملك العرب مع هذه الهدية فإذا اختلى بك فى مكان فاقعدى معه على هذا البيان واجلسى أنت ونأياه وخادعيه بالمجال وزخارف الأقوال وإذا طلب الشراب فاسقيه من هذا المثقال السم الخارق العادل فإذا شربه يموت فى الوقت والحال من غير حرب ولا قتال فقالت له الجارية يا ملك الزمان أنا أفعل مع هذا الملك جميع ما تريد من الأمر والشأن وأعمل معه شيئاً أقبح من هذه الفعال وأريك ما أعمل من الأعمال وإذا مات رحل عسكره من غير ضرب نصال ويرتاح قلبك وخاطرك ويطيب عيشك وتهدأ سرائرك فعند ذلك انشرح الملك من كلامها وتبسم فى وجهها وأعطاها الحُق الذى فيه السم وقال لها خبئيه ولاأحد من الناس تظهريه فأخذته وخبأته معها بين ذوائب شعرها فعند ذلك استحسن الملك رأيها ووضع يده بين ذوائب شعرها فلم يعرف له موضعا ففرح بذلك الحال وقال لها أنت صاحبة مكر ومحال وبك ابلغ الآمال ثم أنه شكرها وأثنى عليها فلما جهز الهدية والجوار الحسان الأبكار ومن جملتهم هذه الجارية وكان أصلها من بلاد العجم ومن تلك الأرض والاكم من بلد يقال لها قمر وكان لما جاء بها جلابها فاستسمى الملك سيف ارعد على بلدها فقال له قمر والجلاب وسماها تحفة النار سماها الملك سيف ارعد قمرية وكانت اللعينة صاحبة مكر واحتيال ومناصب وتحسن الكذب وتزخرف الضلال فلما حضرت الهدية وجهزها ألبس الملك هذه الجارية أفخر الملابس وزينها فصارت مثل العرايس وأرسلها مع الهدية وارسل يقول جميع هذه الهدية إلى الملك التبع الحميرى ذى يزن لأنك بقيت صاحب الأرض والدمن **(قال الراوى)** هذا ما كان من أمر الملك سيف أرعد **(وأما)** ما كان من أمر الوزير بحر قفقان الريف

أبو ريفه واختها الطريفة فإن أصله ونسله من أرض الحجاز وكان قد وقع فى بلاد الحجاز قحط عظيم وغلاء جسيم فطلع ابوه من أرض الحجاز هو وابنه بحر قفقان الريف معه وساروا طالبين المدن والبلاد يقطعون الأرض والمهاد حتى وصلوا إلى أرض الحبشة والسودان وتلك الأراضى والبلدان فطاب لهم العيش فأقام بحر قفقان الريف عندهم وتخلق بأخلاقهم حتى أتقن لسانهم فصار له عندهم مقام عظيم ومكان كريم وبعد ذلك تزوج من أرضهم من بنات الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار فأخرج الله منه الذرية بنتين فسمى الأولى ريفة والثانية فاريكة على اسم امه. ذلك أن الوزير بحر قفقان الريف قد كان الملك أبو سيف ارعد ملك ملوك الحبشة والسودان والحاكم على من هناك من البلدان وكان يحبه محبة عظيمة وجعله وزيره وصاحب رأيه ومشيره وقدمه على جميع الوزراء والحكماء وعلى تلك الأرض والحمى وعلى جميع العساكر الأكابر منهم والأصاغر ولم يعمل شيئاً إلا بمشورته وتدبيره ومعرفته وكان يستشيره فى جميع الأمور من صغير وكبير لأنه بعواقب الأمور خبير وكان ذلك الوزير يحب مطالعة الكتب فعرف أن الله عز وجل واحد أحد فرد صمد لا شريك له ولا ولد فعبده حق عبادته ليغفر له ما تقدم من خطيئته وقد ترك الحبشة فى عبادتهم لنجم وزحل من دون الله عز وجل وكان هذا الوزير رأى أن الله يبعث فى آخر الزمان نبياً يظهر البيان ويبطل عبادة زحل والنيران وتتساقط لظهور ه الأصنام والأوثان وأنه من خلاصة عدنان واسمه محمد ﷺ وعلى آله الكرام ويكون ظهوره ما بين زمزم والمقام فآمن به الوزير وكتم إيمانه عن قومه وعن جميع أهله وأقاربه وعن الملك الأكبر وعن الحكماء الأصغر منهم والأكبر كما كان الوزير يثرب عند الملك ذى يزن وكان لسانه عربياً وكان فصيح اللسان ثابت الجنان نصيحاً عاقلاً لبيباً شفيقاً وكان قلبه رقيقاً وكان يميل إلى أبناء العرب ويحبهم ويطلب قربهم خصوصا إذا كانوا مؤمنين برب

العالمين **(قال الراوى)** فلما رأى ذلك اليوم ما فعل الملك سيف أرعد بمشورة اللعين والنحس وهو الحكيم سقر ديس طاش عقله وغاب رشده وأخذته الحمية والغيرة الإسلامية وأراد أن يبطل عمل الملك والحكيم بأن يفعل كل كيد عظيم فسار إلى المنزل فى بقية ذلك اليوم واختلى بنفسه وكتب من شرح عقله وتدبيره وفكره كتاباً إلى الملك ذى يزن يخبره بالجارية قمرية والسم الذى معها والهدية ويعلمه بما أرسل إليه الملك سيف أرعد ويعلمه أنها هدية فى الظاهر ومكيدة فى الباطن فخذ لنفسك الحذر ثم الحذر لأنها قاتلة لك لا محالة وأنها مكارة محتالة وحلف فى الكتاب أنى لك من الناصحين واخبرك أنى مؤمن برب العالمين وبرسالة محمد ﷺ خاتم النبيين والأنبياء والمرسلين ثم السلام على الوزير يثرب الجديد صاحب الرأى السديد وضمن له الكتاب بهذه الأبيات يقول:

سلامى على الملك الحميرى   مليك الورى ساد فى الاعصر   فذويزن مولاى أنت الذى
قتلت العدا بظبا الابتر   مليلك مطيع لقوله الاله   وما هو فى الحكم بالمفترى
وآمن بالله من صغره   ومن حين آمن لم يكفر   وأفنى الطغاة بقتل ذريع
وجامد فى البيض والاسمر   وجاء إلى مكة سائراً   وقد فاز بالغفر فى المحشر
كسابيت رب الورى حلة   من الخز والذهب الأحمر   ومنى سلام المسك ختم
على السيد الأمجد الأفخر   كذلك وزير له مؤمن   يسمى بيثرب لم ينكر
بنى بالحجاز مدينة عز   على اسم النبى الذى يظهر   نبى بهاجر من مكة
إليها وفيها له منبر   ويظهر دين الإله العظيم لذا   خبر الكتب فى الأسطر
وأنى على دينه مسلم   وجد من العرب لم ينكر   وجاء أبى من بلاد الحجاز
وكنت صغيرا ولم أخبر   بتوحيد ربى ولا   أعود لشرك ولم أكفر
سمعت بكم حينما جئتم   بلاد السيف أرعدا لا كبر   وحمواء عمر تموا سادتى
على اسم لجدكم الحميرى   مدينة صارت لكم مسكنا   لحفظك من كل مايخطر
وأرسل سيف لكم رسوله   هدايا يحار بها منظرى   وجارية معها حقة
بمثقال سم لكم مقبر   فحاذر أيا ملك أنها   تريد بكم سوء ما تمكر
سقرديس علَّمها خبثه   وإياك تأمن لها تغدر   وإنى وربى لكم ناصح
وأرسلت كتبى لكم تخبر   وإياك تأمن لها تغدر   وفى كيدهن بحار الذرى
وأنى أنا الريف عبد لكم   فكيد النساء قاهر لا ينبرى   فيارب صلى على من غدا
شفيعا من النار اذ تسعر   وإنى به مؤمن مثلكم   ليشفع لى يوم أن أحشر

(قال الراوى) ولما أن أتم الوزير هذا الكتاب ونظم هذا الخطاب الذى هو أحلى من السكر الجلاب ختمه وطواه ودعا بعبد له قد رباه وكان اسمه نصوح وفى جميع المصالح يروح وكان الوزير يعتمد عليه فى جميع مهماته وقضاء مصالحه فى جميع أوقاته فلما حضر إليه قبل يديه فقال له الوزير يا عبد الخير فقال له العبد لبيك يا مولاى يا من برؤيته يزول الهم والضير فقال له هذا كتابى خذه وسر به فى البرارى والقفار واقطع ما بين يديك من المهامة والاوعار إلى أن تصل حمراء الحبش وتقطع تلك الأرض والدمن وتسلم هذا إلى الملك ذى يزن الذى هو مقيم فى تلك الأراضى والمدن وهى أطراف بلادنا فإذا وصلت إليه فحيه بأحسن تحية وأعطه هذا الكتاب وأعجل فى سيرك وهرول فى مشيك وصل إليه قبل أن يصل إليه رسل الملك بالهدية فإذا وصلت إليه فأعطه الكتاب قبل وصولهم إليه بتلك الجارية وإياك أن تظهر نفسك لأحد من رسل الملك سيف أرعدلا أبيض ولا أسود واحذر أن يراك أحد فأجابه العبد بالسمع والطاعة وأخذ الكتاب وسار من تلك الساعة وهو فرحان فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وسار يقطع البرارى والتلال والأودية الخوال وهو يجد فى السير وهو فى دهش إلى أن وصل إلى حمراء الحبش فوافق دخول رسول الملك سيف أرعد قبل دخول العبد لأنهم كانوا سابقين وفى السير متتابعين فوقف الرسل على الباب الذى من داخله الملك ذى يزن فلما نظرهم الحاجب وأخبر الملك ذا يزن بالأمر والشأن وقال يا ملك الزمان إن على الباب جماعة من الحبشة والسودان ويدعون أنهم رسل الملك سيف ارعد صاحب تلك الأرض والأوطان وأن معهم هدية إليك ويريدون الحضور بين يديك **(قال الراوى)** فلما سمع الملك من الحاجب ذلك المقال أمر بدخولهم فى الوقت والحال فعندها خرج الحاجب من عند الملك وأذن لهم بالدخول فلما حضروا إليه قبلوا الأرض بين يديه وخضعوا وترجموا وأحسنوا ما به تكلموا ووقفوا قدامه فسألهم عن حالهم فأخبروه

بأمرهم وما أتوا فيـه من أحوالهم فأمر باحضار الهدية فأحضروها بين يديه فلما نـظر تلك الهدية أعـجبتـه خصـوصاً الجارية قـمرية فلمـا نظرها تلك النظرة أعقبته ألف حسرة لكن فرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وأحبها محـبة عظيـمـة لأجل ما فـيـها مـن الحسن والجـمـال والقـدر والاعتـدال واستـحسن مـا عليهـا من الثـياب الفخـار وأحبـها عن جـميع مـا عنده من الجـوارى لأنهـا غنيـة عن الملبـوس وهى تخجل الأقـمـار والشـمـوس فأمـر الحاجب أن يدخل الرسل فى دار الضيـافة وأمر بإكرامهم فـأخذهم الحاجب وأدخلهم فى دار الضيـافـة وعظم قـدرهم وأكرمـهم غـاية الاكـرام وأدخلوا الهدية فـى خزائن الملك الهـمام **(قال الراوى)** وقـد كانت هذه الهـدية من طرائف بلاد الحبـش؛ ومن ذخائرها وبعد ذلك أراد الملـك أن يقوم من الديوان ويصعد إلى القصر فى أعلى المكان لأجل هذه الجـارية قمرية ويدخل عليها في هذه السـاعـة الهنيـة لأنه لمـا نظرها اشـتغل باله وغـاب لبـه وبلبـاله واشتغل بهـا ولم يجد له صبرا على بعـده عنها وقد ملكت حشـاه وصميم قلبه وجـواه فلما قـام من الديوان قام مـعه الوزير يثرب وقـال له إلى أين تريد أيهـا الملك السعـيد لأنه علـم أن الملك أحب الجارية حبـاً شـديداً فخـاف عليه من الشر والتنكيد فقال له الملك ذو يزن أنا طالع إلى الجارية وأحظى بها وأفـوز بوصلها وأطفـىء ما بقلبى من أجلهـا فقـال له الوزير يثرب مـهلاً على نفسك يا ملك الزمان أو ما عندك أحـسن منها إنسان فربما تكون هذه الجارية مكيـدة ودسيسـة من عند أستاذهـا بتدبير أحـد الوزراء أو الحـكماء وتكون هدية فى الظاهـر ومكيدة فى البـاطن فـالمـهملة لك طبـة عليك وعلينا واعلم أننـا دخلنا بلاد هؤلاء الحـبشـة والسـودان وبنينا هذه المـدينة بهذا البنيان وأقمنا فيها من غير إذن ولا دستور وشيدناها بالأحجار والصخور وغرسنا فـيهـا الأشجار وأجـرينا النهور وهؤلاء قـوم كـفـار يعـبـدون الشمس والأقـمار خـصوصـاً زحل من دون الله عـز وجل لالهم دين ولا يعـتمـدون على

يقين ولا يخافون رب العالـمين ولم نعلم ما فى بطونهم ولا أخذنا منهم ولا أعطيناهم والصبـر لك أول نافع لك ولنا يا مـلك الزمان وإلا نـروح كمـا راح الملك من بلقـيس أيها الملك النفـيس وإنى وحق دين الإسلام خـائف عليك أيها الملك الهمام من مكر الحبـشة والسودان اللئام وأنهم يكرهون العرب ويخافـون من حروبنا والضـرب خوفا عـلى أنفسهم من الهـلاك والعطب من أجل دعوة نبى الله نوح لأنه دعا على ولده حـام وذريته بالسواد لأجل ضحكه عليه من دون العبـاد لما كشف الريح سوأة أبيه وضـحك هو أيضا عليه وأنا أخـشى أن يكون مع هذه الجـارية سم من الخـارق فتـضـعه فى الطعـام أو كأس المـدام فتمـوت لوقتك وساعـتك ولا تنفعنا ولا تنفع نفـسك وهذا ما عندى من الرأى المفـيد أيها الملـك السعيد واعـلم يا ملك الزمان أن هؤلاء الحبـشة والسـوادن لابد أن تنفذفيـهم دعوة نوح عليـه السلام لأنه مـجاب الدعوة بين الأنام ولاشك فى ذلك وأنهم يخافـون على مجرى النيل من نزوله إلى الأرض الوطيئة خـوفاً أن ينزل إلى مصرفهم جاعلونه على قـدر أرضيهم وإذا فاض يجعلون له تصاريف ينصرف فيها الرابـع الخراب وأنهم لا يعملون عملا شرع فيه من الكلام ما يريد الصـحيح والأمر الرجيح ومازال الوزير يثرب يتـحدث مع الـملك فى مجـرى النيل ووادى الأمـصـار والحبـش وغيـرهم من الملوك الكبار ويلهـيه ويمنعه عـما إلا بإذن الكيمـاء وهذا هو أن يفعله من المرام **(قال الراوى)** فبـينما هم فى مثل ذلـك الحال وإذا بالحاجب قـد أقبل وهو يقـول يا ملك الزمان إن على البـاب عـبد من عـبيـد السودان وهو يقـول قاصد ورسول من عند الوزير بحر قفقان الريف ووزير الملك سيف أرعد ومعه كتـاب من عند أستـاذه وهو يريد الحضـور إليك والوقوف بين يديك فـقال له الملك على به فـرجع الحاجب إلى العـبد وأذن له بالدخـول فلما دخل عـليه قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والبقاء وإزالة البؤس والشقاء وأعطاه الكتـاب فأخـذه الملك وأعطاه إلى الوزير فـأخذه يثـرب وفضـه وقرأه وفـهم

رموزه ومعناه والتفت إلى الملك فى الحال وقال له أن هذا الكتاب من عند الوزير بحر قفقان الريف المفضال وزير ملك الحبشة الاندال سيف أرعد الحاكم على هذه الأراضى والجبال وإن فى الكتاب ما نحن نتحدث فيه من المقال وهو أيها الملك الهمام إن فى الكتاب بعد مزيد السلام عليك وتقبيل أياديك المرام والدعاء لك بطول الدوام وإزالة البؤس والأسقام اعلم أن الواصل لك هدية فى الظاهر ومكيدة فى الباطن ومن جُملة الهدية جارية كأنها حورية وهى مالها شغل غير الاذية ومعها حق صغير وفيه من السم الخارق مثقال وقد أرسلها اليكم الملك سيف أرعد ابن الاندال لقتلك ويستريح من حربك والقتال والطعن والنزال خوفا من دعوة سيدنا نوح عليه السلام وذها بها بين الأنام فاحذر يا ملك الزمان على نفسك من هذه الجارية ولا تأمن لها طرفة عين وأنا أعلمتك بالقبن وأنى أحلف لك بالله العظيم أنى مؤمن برب العالمين رب موسى والخليل إبراهيم ومصدق برسالة الرحمن الرحيم وإنى لك من الناصحين وقد أنذر تك وحذرتك بالمبين والسلام عليك من رب العالمين.

(قال الراوى) فلما سمع الملك ذو يزن هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وتعجب من ذلك الأمر غاية العجب وبان فى وجهه الغضب وقال للوزير يثرب ما أحسنك من وزير بعواقب الدهر خبير وليس لك فى الملك نظير ولكن يا وزير ما التدبير فى هذا الأمر الخطير فقال له الوزير يثرب اقم على حيلك واصعد إلى قصرك وادع الجارية إليك تحضر بين يديك وأمرها أن تطلع الحق الذى فيه السم هددها بالقتل فى الحال وأنك تسقيها كأس العطب والوبال فعند ذلك قام الملك من حينه وسيفه مشهور فى يمينه وصعد إلى قصره ودخل على الجارية قمرية فوجدها كالشمس المضيئة فلما نظرته نهضت قائمة على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وخضعت وترحمت وأحسنت ما به تكلما ودعت للملك بدوام العز والنعم وإزالة البؤس

والنقم وهى مع ذلك كأنها غزال عطشان أوغصن بان أوقضيب خيزران كل ذلك والملك لا يلتفت إليها ولا يمكن عليها وهو شاهر الحسام وهو يهددها ويخوفها من القتل والحمام وقال لها من أين أنت ومن أين أقبلت فقالت له هدية يا ملك الزمان ويا من برؤيته يزول الهم والغم والأحزان من عند سيدى الملك سيف أرعد الحاكم على هذه البلدان أرسلنى اليلك يا نور الأعيان فقال لها الملك نعم ظهر الحق وبان أنت هدية فى الظاهر وأذية فى الباطن يا ابنة الخوان أما معك حق فيه من السم مثقال أين هو ياشيطانة يا ابنة الاندال وقد أرسله معك لتقتلينى فى الحال **(قال الراوى)** فعند ذلك تبسمت فى وجهه وفى الحال خدعته ولاطفته بمكرها والمحال وحلاوة لسانها والمقال وقالت الله الله ياملك الزمان فى ملك من يكون ملكا عظيم الشأن وقدمت يدها إلى ظهرها وأخرجت الحق من ذوائب شعرها وناولته له بمكرها وقالت فى نفسها ان قصر الفهد فيما بدا أن ما صاد اليوم صاد غدا فبذلك يأمننى ويصدقنى ويقع حبى فى قلبه ويتمكن من خاطره ولبه واقتله بغير ذلك شر قتله وأمثل به أقبح مثله **(قال الراوى)** فلما أخذ الملك الحق منها أحبها حبا شديداً ما عليه مزيد أكثر مما كان يحبها أولا ولما أن شغف الملك بها لم يلم نفسه من حبها وشهوته غلبت مروءته فقام من وقته وساعته وواقعها فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأخذ حربة المنجنيق بيده اليسار وضربها ضربة جبار فأخرب سور مدينتها بقدرة العزيز القهار فحملت من ذلك الملك فى ذلك الوقت والحال بقدرة العزيز المتعال لأجل ظهور الولد المفضال الذى ليس له نظير لافى حرب ولاقتال ولا أحد يقامه فى المجال ويجرى النيل السعيد فى الأرض وتلك البلاد بقدرة الملك الجبار لكن سنذكر كل شيء فى مكانه بعون الله وسلطانه

(قال الراوى) وسنرجع إلى سياق كلامنا الأول بأن الملك المفضل لما

علم الملك ذويزن أن الجارية حملت منه أحبها حباً شديداً وعن فراقها ما يقدر يحيد أوقد حكمها فى قصره وفى جميع أموره ونهيه وأمره وعلى جميع جواريه ونسائه ومحاظيه وأقاربه وذويه وأعطاها الحكم على جميع ما تملكه يده من المال والفضة والذهب وكل شيء غال فأقامت هذه الجارية على هذا الحال عند هذا الملك المفضال مدة أيام وليال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما صار لهم من الكلام والخطاب **أما ما** كان من العبد الذى جاء بالكتاب فأحسن إليه الملك إحسانا وافيا وأعطاه در جوابه ورده إلى سيده وشكره على نصيحته هذا ما كان من أمر هؤلاء **وأما ما** كان أمر الملك سيف أرعد ملك الحبشة والسودان والحاكم على تلك البلدان فإنه صار يراسل الجارية قمرية فى الخفية ويقول لها أنا أرسلتك تقتليه أو أرسلتك تصحبيه فأرسلت تقول له يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان الحاكم على جميع السودان من تأنّى نال جميع ماتمنى واصبر أيها الملك الهمام حتى أبلغ فيه فرصة ولو فى المنام وعما قليل أقتله وعلى الأرض أجندله لانى وجدته يا ملك شديد الحرص على نفسه ولا يركن إلى فى أمر من الأمور خوفا أن أسكنه رمسه وأخمد له عزيز حسه ولكن لابد أن أقتله شر قتلة وامثل به أقبح مثلة **(قال الراوى)** فمكثت الجارية عل بمثل ذلك الحال لابد أن أقتله قتلة وامثل به أقبح مثلة **(قال الراوى)** فمكثت الجارية على مثل هذا الحال مدة أيام وليال فظهر عليها الحمل فى مدة ستة أشهر كوامل ثم بعد ذلك حصل للملك مرض شديد بإذن الملك المتعال وتمرض ولم يعلم بحقيقة الحال إلا الله تعالى إن كانت الجارية قمرية عملت له شيئا من مكرها أو من عند الله تعالى فانقطع عن نزول الديوان ولزم الوساد والمكان فلما زاد عليه الحال أرسل للوزير وأحضر جماعة من الرجال وهم حجابه ونوابه وجميع المقدمين على الجيوش والأبطال وجميع خواص مملكته وخلق كثير من أهل دولته وأهله وأقاربه وقال لهم هل تعلمون لأى

شيء جمعتكم يا رجال قالوا له لا نعلم أيها الملك المفضال شفاك الله تعالى من هذا الحال فقال لهم إنى جمعتكم لأوصيكم وصية طيبة وما دمتم عليها أنتم بخير ونجوتم من الهم والضير قالوا ما هذه الوصية أيها الملك السعيد لازلت طول الزمان سعيد فقال الإيمان بالله تعالى الرب الجليل وتصديق الرسالة لإبراهيم الخليل وتصديق محمد ﷺ الذى يظهر فى آخر الزمان وبه تزول عنا الأحزان وببركته ندخل الجنان باذن الحنان المنان الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شأن واعلموا يا قوم أن هذه الجارية حاملة منى وهى الحاكمة عليكم من بعدى إلى أن تضع حملها وتربيه حتى يبلغ الولد ما يتمناه ويشتهيه فان كان ذكراً كان هو الحاكم فيه والمشار إليه عليكم وإن كان أنثى كان الذى يتزوجها هو الحاكم عليكم وإن من عادة الملوك لا يزوجون إلا من أهل المملكة ولا يزوجون الغريب وهذا هو شأنهم فى عصرهم وأوانهم وخصوصاً إذا كان أقرب الناس إلى الملكة.

(قال الرواى) فلما سمع الرجال من الملك ذلك المقال وشرطه عليهم بذلك الحال أخذتهم الحيرة والانذهال وقالوا يا ملك الزمان نحن خدامك وبين يديك وغلمانك فجميع ماقلت لنا نحن له سامعون ومهما أمرتنا فإنا له طائعون ولمن استخلفته علينا يا ملك الزمان ونحن أتباع الملكة التى أمرتنا بطاعتها على ذلك الأمر والشأن فأدع لنا بخير وإزالة الهم والضير هذا ما كان من أمرهم وانصرفوا إلى حال سبيلهم **(وأما)** ما كان من أمر الملك ذى يزن فإنه أقام بعد ذلك أياما قلائل وانقضى نحبه ولحق بربه ومات وكأنه ما كان فتصارخ عليه أهل الديوان والبنات والنسوان ثم إنهم بعد ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه صلاة الموتى ومضوا به إلى الزاوية التى بناها فى المدينة وقرأوا عليه صحف إبراهيم الخليل عليه السلام ثم كتبوا على قبره هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات.

* * *

يا عين غطى بالدموع محاجرى ... واروى نبات منازلى ومحاجرى
وابكى الدماء على وفاة مليكنا ... زين الملوك ونور ذاك الناظر
التبعى الحميرى والشهم الذى ... أغنى الجيوش ومن أتى من زائر
ولهازم اللذات قد جاء بغتة ... وأتى له مثل الرسول الزائر
قدمات من أهل المكارم سيد ... سكن اللحود باذن رب قادر
ومضوا به ليلا وساروا بركبه ... مهلا على السفر الطويل القاهر
قد فارق الخلان مع أوطانه ... أجابه تبكى بدمع ماطر
ونساؤه تندبه مع حرقة ... لما أتاهم نعيه فى الحاضر
فعليه من رب رحيم رحمة ... وعظيم مغفرة الاله الغافر
واحله وسط الجنان بفضله ... وبغفوه وبحلمه المتبادر
وصلاة ربى والسلام على النبى ... المصطفى الهادى لكل عشائر

* * *

(قال الراوى) ولما أن توفى ذو يزن وفاته سبحان من يدوم عزه وبقاؤه تولت الجارية الخبيثة قمرية الخائنة الردية على المملكة وحكمت وأمرت وولت وعزلت مدة من الزمان وهى على ذلك الأمر والشان إلى أن كملت أشهرها وجاءت وقت ولادتها فجاءها الطلق بإذن خالق الخلق فوضعت غلاما ذكرا كأنه البدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشر على خده شامة خضراء كما كانت على خد أبيه لأن ملوك التبابعة تعرف بها من قديم الزمان فلما وضعته قمرية ورأته على هذا الحسن والجمال أخذتها الغيرة الشديدة وقالت فى نفسها إن قعد هذا الغلام وعاش أخذ منى المملكة ويحتوى على ما تحت يدى من المال والشجعان والأبطال ولكن يا قمرية اصبرى لعل زحل يساعدك بالخير على موت هذا الغلام وصارت كل وقت تدعو لزحل وتطلب منه موت هذا الغلام ولم تشبعه من الرضاعة ولا تهنيه بها ومرادها أن

ينشف مصرانه ويموت وكان أمر الله بخلاف ذلك فصار الغلام كل يوم فى زيادة وكمال وحسن وجمال ولم تعلم الملعونة أن الله خلاف الظنون وهو يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير الذى خلق آدم من طين وخلق أولاده من ماء مهين فصبرت قمرية على هذا الحال وهى فى كل يوم حيرة وانذهال وقد زادت غيرة وحسدا وغيظا وكمدا وصبرت عليه حتى كمل له أربعون يوما فاجتمع الوزراء وأرباب الدولة وأرباب الديوان وقالوا لها يا ملكة الزمان أرينا ملكنا حتى نراه ونخدمه وترعاه فأجابتهم إلى ذلك المقال وقد غابت وعادت ومعها الغلام فى الحال وطرحته على كرسى الملكة بين الرجال الكرام ووقف العبيد والخدام فعندها نظره الوزراء فقاموا على الأقدام وكذلك الحجاب والنواب وجميع أرباب الدولة كل ذلك يجرى وقمرية واقفة من وراء الستار تنظر ما يفعل هؤلاء فازدادت حسداً وحقداً وغيظاً وكمداً وكادت من كثرة الغيظ أن تنفطر فقالت فى نفسها لابد من قتل هذا الولد ابن الزنا وأوموارد الهلاك والفنا وأنا أفضل على كرسى المملكة وحدى ولا أتركه ينازعنى فى ملكى ولا أخلى هذا الولد يحكم من بعدى فلا كان ولا استكان ولا عمرت به أوطال **(قال الراوى)** وبعد ذلك وقفت تسمع ما يجرى بينهم من الأمر والشان وإذا بالوزراء وأرباب الدولة تسمعهم قمرية يقولون جئت أيها الملك السعيد إلى مملكة والدك يا سيد ونحن لك من جملة العبيد كل ذلك يجرى وقمرية تسمع وقلبها كاد أن ينقطع وبعد ذلك أخذته ودخلت به القصر وهى فى هموم ما لها حصر وكادت تنفطر من البكاء والقهر فوضعته على الأرض وقامت على أقدامها وأخذت قطعة سلاح بيدها وهى مشط من نصف سيف وقد منع الله من قلبها الفزع والخوف ورفعت يدها اليمين بالسلاح وأمسكت رأسه بيدها الشمال وأرادت أن تضربه على رقبته لترميها من جثته وإذا يدها قد يبست بأمر الله تعالى لأمر يريده الله وهو طول عمره وبقائه والداية دخلت عليها وصارت قدامها وهى تعالج يدها

لنقتل ولدها فقالت لها الداية ايش تريدين أن تفعلى من الفعال وما الذى خطر ببالك من الأعمال فقالت قمرية يا دايتى اكتمى سرك ولا تبديه لأحد من أهلك إن مرادى قتل هذا الولد ابن الزنا وتربية الخنا لأرتاح منه ولا أريد أن اسمه ولا أنظره فانه متى عاش وكبر أخذ منى المملكة ولا يمكن أن أفعل سكونا ولا حركة فعند ذلك قالت لها الداية مهلا عليك يا بنتى لأنك إذا قتلتيه ندمت فان قتلتيه علم أهل المملكة بذلك الحال فيتهادر إليك الرجال فيقتلوك أشر قتله ويقبحوا بك اقبح مثله وتصيرى عبرة للمعتبرين وموعظة للمتبصرين فقالت لها قمرية وعليها الخزى من رب البرية لا بد لى من قتله واستريح منه ومن شكله لأن هذا الولد يطلع صاعقة ونار محرقة فلا تعارضينى أيتها الداية فى هذه الفعال ولابد من قتل هذا الولد بن الاندال وأصيرأنا الحاكمة على المملكة والرجال والوزراء والحجاب والأبطال فقالت لها الداية أيتها الملكة السعيدة جلك زحل موفورة العقل رشيدة أى ذنب فعله هذا الغلام حتى تذيقيه الآلام وتسقيه كأس الحمام فاجعلينى مشورتك لأمر يكون لزحل فيه قضاء ويكون فيه راحتك والرضا فقالت لها قمرية يا داية الخير ويا من برؤيتها يزول عنى الهموم والضير وما المشورة التى تشيرين على بها وما الذى تريدينه من الحاجات حتى أفعله فقالت الداية إن كان لابد من هلاك هذا الغلام أن تسقيه كأس الحمام فأرسليه مع أحد الخدام لأجل أن يرميه فى البرارى والآكام ويكون بعيداً عن هذه الأوطان فإن عاش عاش لأمله وإن مات مات لأجله **(قال الراوى)** فلما سمعت قمرية من الداية هذا الكلام أخذها الفرح والابتسام وأعجبها ذلك الأمر والشان وزالت عنها الهموم والأحزان وقالت لها ياداتى هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب وهذا هو أحسن من الذى كنت عزمت على أن أفعله من الفعال والرأى الذى كنت سأعمله من الأعمال وأنا مطيعة لأمرك وسامعة لقولك افعلى ما بدالك نجّح زحل أعمالك وما زالوا على مثل ذلك الكلام حتى ولى

النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام فأقبلت الداية على قمرية وقالت لها يا ملكة الزمان هاتى عقد جوهر غالى الأثمان ومعه من الدنانير ألفان فأجابتها قمرية إلى ذلك الامر والشأن وغابت وعادت ومعها جميع ما ذكرته الداية فى الحال فأخذته منها وجعلت العقد فى رقبته وألبسته ثوبا من الديباج الحرير العال مرزكشا ليس له مثال وبعد ذلك طلبت الهجان وأمرته أن يحضر لها هجينا يكون عالياً سميناً وجوادين من أنفس الجياد يصلحان للحرب الجلاد فأجابها إلى ذلك المقال وغاب ساعة وعاد ومعه الهجين والجوادان فأخذتها قمرية منه وقالت له امض إلى حالك فما هنا أمر موجب لا شغالك فتركها وانصرف عنها وبعد مضى الهجان وضعت على الهجين ماءً وزاداً وركبت الداية أحد الجوادين وقمرية وابنها الجواد الثانى بلامين وخرجا معا من المدينة وطلبا البرارى والتلال والسهول والجبال مدة أربعة أيام وليال وفى خامس يوم نظرت قمرية وقد أقبلوا على واد فسيح وموج صبيح ونظرت إلى شجرة شوك فنزلوا فى ذلك الوادى هناك وجاءت إلى تلك الشجرة وفرشت تحتها وهى فرحة مستبشرة ووضعت الغلام والكيس الذى فيه الألف دينار تحت رأس ذلك الطفل الصغير وقد رفع الله الشفقة منها والرأفة من قلبها وتركته ومضت إلى حالها وهى فرحة بما نالها من ذلك البيان وقد ذالت عن قلبها الأحزان وقد صفا وراق لها الزمان ومن كثرة ما نالها من الفرح والقبول أنشدت تقول:

* * *

قد اشتفى قلبى من ابن اللئام ردئ أصل فهو نسل حرام ما كان لى قصد سوى قتله
لارتقى من زحل أعلى مقام أبقى بعز دائم ليس لى مشارك فى الملك طول الدوام
نهتنى الداية عن قتله وأمرت برميه فى الآكام فكان رأيا صائبا محكما
يسره لى زحل كالمرام فلا سقا زحل غيثة كيلا يعيش الطفل بين الانام

لانه ان عاش لى ساءنى وإن يمت ما بلغت إلا يرام

* * *

(يا سادة) ولما أن فرغت قمرية من ذلك الشعر والنظام سارت تقطع البرارى والآكام وهى على ذلك الشان إلى أن وصلت إلى بلادها والاوطان فهذا ما جرى لهؤلاء **(وأما)** ما كان من أمر الغلام فان هذا الوادى الذى رمته فيه كان فى الاصل مدينة عظيمة وأقام بها الموت حتى أخربها وأهلك نساءها وأهلها فهى قفر خراب ينعق فيها البوم والغراب وكان حولها بلدان غامرة بالرجال والنسوان والخدم والغلمان فأتى إليها القحط والغلاء وقد أشرفوا على الهلاك والبلاء فسار أهل هؤلاء البلدان إلى أتوا إلى هذه المدينة الخالية من السكان وصاروا يخربونها ويأخذون ما كان فيها إلى أن سارت مثل ذلك الحال وهى كأنها من بعض الجبال الخوال ونبت فيها بإذن الملك المتعال.

(قال الراوى) فلما وضعت قمرية الغلام الصغير تحت تلك الشجرة فى الحر والهجير كان هناك جحر غزالة والدة ولدا وهى آمنة من نوائب الردى وكانت هذه الغزالة خرجت ترعى فى البر فنظرها صياد الوحوش فسار خلفها ولم يزل تابعاً أثرها إلى أن جاءت عند هذه الشجرة قفزت فى البرعلى وجهها فرجع الصياد من خلفها عند هذه الشجرة ووقف ينظرها فوجد أولادها فاخذهم ومن أمهم حرمهم وكان بقضاء الله وقدره حين أخذ الصياد أولاد حال سبيلهم وقد أيقنوا أنه مقتول بظنهم ثم رجع الصياد إلى الصيد ونصب شركة فى البيداء فجاءت تلك الشجرة فاغتاظ الصياد من تلك الغزالة التى مزقت شركه وهو قاعد فى فلاته صعب عليه وكبر لديه ولم يزل يطرد خلفها إلى أن وصل إلى تلك الشجرة فوجد هذا الغلام الصغير فاخذه العجب والافتكار وتعجب من ذلك الأمر الذى قد سار وقال هذا العجيب عجب وأمر غريب غزالة تلد بن آدم وكان هذا الغلام مكث تحت الشجرة ثلاثة أيام وكانت الغزالة لما أخذ الصياد أولادها ورجعت ولم تقف لهم على خبر ولا وقعت لهم على جرة أثر ووجدت هذا الغلام وهو مرمى

مكانهم فى تلك البرارى والآكام وهو يصيح من الجوع فى تلك الفيافى والربوع فحننها الله تعالى اليه فشقت عليه وألقت ثديها فى فمه فأخذه ومصه فاعتادت عليه ولم تزل كذلك إلى أن جاء الصياد ونظر إلي ذلك الايراد فمال اليه وأخذه من يديه وأخذ الكيس الذى فيه ألف دينار وقد أخذه الفرح والاستبشار وبعد ذلك مضى إلى داره وأعطاه لزوجته وقال لها خذى الذى رزقنا به فى هذا اليوم وقد ذهب عنا التعب واللوم فقالت له زوجته يا رجل وما الذى نعمل به تاكله أو نشربه فقال لها إن هذا هدية من عند الله فانى وجدته فى جحر غزالة وهى ترضعه وتحن عليه وتشبعه **(قال الراوى)** فلما سمعت المرأة ذلك الكلام أخذها الوجد والغرام وتعجبت من ذلك المرام وقالت إن هذا لعجب عجيب غزالة تلد ابن آدم إن هذا شىء غريب فقال لها الصياد أما أنا أقول فان هذا الغلام من أولاد الملك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار وإننى رأيت تحت رأسه كيسافيه الف دينار وللامارة عليه دلائل وآثار لأنه رآه حسن الصورة ففرحت به المرأة لما رأت فيه من الحسن والجمال ثم إن الصياد قال لزوجته يا امرأة احفظى هذا العقد والمال نصرفه علينا فهو يغنينا وكان هذا الصياد قاطناً فى هذه المدينة وكانت حصينة مكينة وكان يقال لها مدينة الدور وكان ملكها يقال له الملك أفراح وهو فارس جحجاح وليث فى الحرب والكفاح وكان جبارا لا يصطلى له أحد نارا ولا يعدى له جار ويعبد زحل دون الواحد القهار وهو مع ذلك تحت يدملك الحبشة والسودان والملك سيف أرعد الحاكم على الأرض والفدفد وكانت جميع الناس وجميع ملوك الحبشة والسودان وملوكها الحاكمين على تلك البلدان كلها تحت حكم الملك أفراح وما كان عند الملك سيف أرعد أعظم منه مقاماً ولا أعلى منه قدراً ولا أنفذ كلاماً وكان يركب فى عشرة ألف فارس من كل بطل مداعسى وليس ممارسى جبابرة وعتاة لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت **(قال الراوى)** وقد بات الصياد إلى أن جاء الله

بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقال لزوجته ان هذا الغلام من أولاد أحد الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأقطار فأنا آخذه وأعطيه للملك أفراح فيه يكمل سرورنا والرجال فقالت له المرأة افعل ما تريد فانى عن أمرك ما أحيد فعند ذلك قام وأخذ الغلام وقد ذهب عنه جميع الآلام وذهب إلى قصر الملك أفراح وهو فى فرح وانشراح إلى أن وقف تحت القصر وهو فى ذلك المكان وصاح يا ملك الزمان فلما سمع الملك أفراح صياح الصياد قال على بهذا المنادى الذى تحت قصرى وباسمى ينادى فتجاوروا اليه وتجاذبوه من يديه وأثوابه إلى الملك فوقف وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال له الملك أفراح أنت المنادى بالصيحة فقال له الصياد نعم أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد فقال له الملك وما حاجتك التى تصبح بها وما الذى تريده من الحاجات حتى أبلغك إياها فقال الصياد اعلم يا سيدى أننى رجل صياد أصيد الوحوش والغزلان من البرارى والقيعان والبارحة خرجت على عادتى وما أنا عليه من قديم مدتى ونصبت الشرك فى ذلك البر الأقفر فأتت غزالة وهى تمشى وتبختر فوقعت فى الشرك فمزقته وطلبت البروقد خرقته وأخذت قطعة منه فى رجلها وهربت فى البر على وجهها فتتبعت أثرها وإذا بها اختبأت منى فى شجرة أم غيلان فى تلك البرارى والصحارى فأتيت إلى هذه الشجرة وانا حيران فوجدت هذا الغلام تحت الشجرة وتحت رأسه كيس من المال فيه ألف دينار فى رقبته عقد من الجواهر الكبار فقلت لزوجتى أظن ان هذا الغلام ابن ملك همام فلا يصلح إلا أن يكون هدية للملك أفراح ومن به تزول عنا الهموم والاتراح وقد سألتنى فاخبرتك وبقصتى اعلمتك **(قال الراوى)** فلما سمع الملك أفراح هذا الكلام أخذه الفرح والإبتسامة ومد يديه فاخذ الغلام ووضعه على حجرة فنظر إلى وجهه فتبسم الغلام لما نظره فلما رآه الملك أفراح مبتسماً تبسم هو وألقى الله محبة هذا الغلام فى قلب هذا الملك الكبير وقد نظر الملك إلى

الشامة التى على خده اليمن فصار يتعجب من هذا الجبين فبينما الملك على ذلك الحال وإذا بالديوان قد اهتز بالرجال وضجت الشجعان والأبطال فسأل الملك عن الخير وما الذي جرى من الاثر على هؤلاء الرجال والبشر فقال له بعض الحجاب اعلم أيها الملك النفيس أنه قد وصل إليك الحكيم سقرديون أخوا الحكيم سقرديس فى موكبه الخاص والعام ومعهم خلق كثير من الغلمان والخدام وقد أتى إليك أثرا وإليك مبادرا فلما سمع الملك من الحاجب هذا الكلام قام واقفاً على الأقدام وركب من وقته وساعته فى جميع أهله وقرابته وحجابه ونوابه وجميع من عنده من الرجال الكبار وتلقوا الحكيم سقرديون من بعيد عن الديار وتلقاه وأكرم مثواه وحياه بعد ما ترجل إليه هو وسائر الفرسان وجميع الأهل والأخوان **(قال الراوى)** وكان الحكيم الذى أقبل من ذلك البر والفدفد حكيم مملكة الملك سيف أرعدو هذا الحكيم سحار مكار لا يصطلى له بنار يقال له سقرديون النحيس أخو النحيس أخوا الحكيم سقرديوس لأنه هو وأخيه من حكماء ملوك الحبشة والسودان والمشار إليهما فى ذلك الزمان قال تلقاه الملك أفراح فى تلك البرارى والبطاح وركبوا أو ساروا فى البر إلى أن وصلوا إلى الديار ودخلوا الديوان وأجلس الملك أفراح على سرير مملكته وحمل عزه وسطوته والحكيم سقرديون إلى جانبه والغلمان واقفون فى الخدمة قدامه فلما جلسوا واستقر بهم القرار قال الملك أفراح يا حكيم الزمان انظر إلى هذا الغلام الذى رأيناه فى البرارى والآكام وقد جاء به الصياد من ذلك البر والوهاد وقال وجده فى جحر غزالة وهى ترضعه من ثديها **(قال الراوى)** فلما سمع الحكيم سقرديون من الملك أفراح هذا المقال أخذه الوجد والانذهال ونظر إلى وجه الغلام فنظر الشامة على خده اليمين تنير وهو كأنه البدر المنير فلما نظره ألقى الله البغضاء فى قلبه ومنع الرحمة وقال يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان اهل رأيت أو سمعت أن غزالة تلد ابن آدم ونتركه

فى البر والآكام ولكن هذا محال من الصياد الخوان لأجل العطاء والاحسان واعلم يا ملك الزمان إن صدقت حذرى ولم يخطىء زجرى كما يعلم زحل أن هذا الغلام ولد زنا وأمه زانية بأحد الملوك الكبار وقد خافت من الفضيحة والعار فألقته فى جحر غزالة فى تلك البرارى والقفار ولا شك أن هذا الغلام ولد زنا فلا تربيه فى بلادنا لأنه من غير جنسنا حيث أنه أبيض اللون ونحن سود ان فهذا شىء لا أخليك تفعله يا ملك الزمان والصواب أنك تقتله وعلى الأرض تجندله وهذا ما عندى من الرأى السديد والأمر المفيد لأنى أخاف أيها الملك الهمام من تربية هذا الغلام فيكون على يديه إنقاذ دعوة نوح عليه السلام فيبدل وجودنا إلى إعدام ويسقينا كؤوس الحمام لانه مستجاب الدعوة بين الأنام وهذا ما عندى من الرأى والسلام **(قال الراوى) وهو أبو المعالى راوى سيرة الامصار وسائق النيل من أرض الحبشة والسودان إلى هذه الديار** وهو أن نبى الله نوح عليه السلام كان له ثلاثة أولاد ذكور شداد: سام وحام ويافث فأما يافث فكان غائبا فى بعض الاشغال يقضى ما يحتاج إليه من الأحوال وكان نوح عليه السلام نائما فى القيلولة فى يوم من بعض الايام فسبحان من لا تراه العيون ولا يغفل ولا ينام وكان سام قاعدا عند رأسه وحام تحت رجليه لامر يعلمه الله مقدر عليه فهب الهواء فانكشفت عورة نوح فضحك عليه ابنه حام فتشاجر سام مع أخيه حام على ضحكه والابتسام من كشف عورة أبيه فانتبه ولده سام بما وقع من اللبيان فغضب نوح على حام حتى كانه من شدة الغضب لا يعرف له كلام ودعا عليه بالسودان من دون الناس والعباد وأن تكون ذريته عبيد وخدام لأولاد أخيه سام على طول السنين والأعوام والشهور والأيام **(قال الراوى)** فقال الحكيم سقرديون اللعين المفتون اعلم يا ملك الزمان أنى أخاف من ذلك الأمر والشان وتعدم السعادة والتوفيق ويدركنا الشقا والتعويق وتنفذ دعوة نوح فينا يا ملك أفراح ويكون إنفاذها على يد هذا الغلام الذى وجده

الصياد فى ذلك البر والوعاد اعلم ايها الملك السعيد والحاكم على تلك البلاد والبيد أنى وجدت فى الكتب العظيمة والملاحم القديمة أن يظهر من نسل حام سودان يسمون العبيد ويظهر من نسل سام ولد يقال له السيد اللبيد ويظهر من نسله ولد يقال التبع جار الغزال ويظهر الأهوال ويظهر من نسلهم ولد يقال له سيف ذو يزن ويكون أبوه من بلاد اليمن وتصويره بحمراء الحبش وتلك الأرض والد من فيعظم ما تقاسى منه الحبشة والسودان والسحر والرهبان ويظهر له شأن وأى شأن ويحكم على الإنس والجان بسر سيف آصف ابن برخيا وزير نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام وإن آصف ابن برخيا بنى له قصراً فى أرض خراب وزخرفة بسائر الالوان وخدم فيه الجان وبنى فيه ووضع من تحتها سريراً من العاج مصفحا بالذهب الوهاج ولما دنا أجله وقرب من الدنيا مرتحله قد علا سريره وكان قد علق سيفه فوق رأسه وكان قد أوصى خدمه هذا القصر أنه لا يملك هذا السيف المكين ويملكه حقا بيقين الذى ما يوجد مثله فى سائر الارض والدمن ولا فى الاقطار ولا يوجد شكله عند ملوك اليمن إلا رجل يقال له الملك سيف ذويزن يذكر حسبه ونسبه ويملكه بقوة ساعدة وزنده وأنا خائف يا ملك من هذا الحال وبادر لما قلته لك من المقال فلما سمع الملك كلامه أبدى الابتسام وقال يا حكيم الزمان وما أصل سواد الحبشة والسودان **(قال الراوى)** وكان السبب فى سواد الحبشة والسودان من قديم الزمان سبب عجيب وأمر مطرب غريب تريد أن تذكره على الترتيب حتى أن المستمع يلذ ويطيب بعد الصلاة والسلام على النبى الحبيب صاحب على الترتيب والقضيب الذى كل من صلى عليه لا يخيب وهو يصلى على حبيب الحبيب وهو أنه لما توفى نبى الله نوح عليه السلام وقع الخلاف بين الأخوات من شأن الخلافة لما نوح مات فصارت الخلافة إلى سام فاغتاظ أخوه حام فخرج هائما على وجهه فى تلك البرارى والآكام سائحاً فى البلاد إلى أن

وصل إلى هذه الأرض والمهاد التى نحن فى حديثها وكان فيها ملك جبار لا يصطلى له بنار يقال له كركار وكان له بنت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال ولم يكن له من الذرية غيرها فجعل زواجها لنفسها وبنى لها قصراً خارج مدينته يذهل الإنسان عند نظرته عالى البنيان مشيد الأركان وفيه خدام وغلمان وصار فى كل يوم يأتى اليها ويصبح عليها فيوم من ذات الأيام هى جالسه فى قصرها ومحل عزها وتنظر إلى الطرقات وتتفرج على البر والفلوات وإذا بحام قد قابل من تلك التلال والبرارى وهو تابع إلى ذلك القصر فنظرته بنت الملك كركار نظرة أعقبها ألف وخمسمائة حسرة فقالت هنيئا لمن تكون مناها وينام وحضنها لأنه كان جميل الوجه والمنظر لأنهم بطول عمرهم لم يروا من بنى آدم أسود فى ذلك الزمان بل كانوا كلهم بيض فلما نظرت إليه أعجبها غاية العجب وأخذها الوجد والطرب فصاحت على الخدام ائتونى بهذا الغلام الأسود الذى كأنه حجر جامد فأجابها الخدام إلى ذلك المرام وغابوا ساعة من الزمان وعادوا ومعهم حام وأحضروه بين يديها وأوقفوها ثم أنها أرسلت خلف أبيها ليحضر عندها فلما أتى أبوها إليها نظرها فى شباك القصر المطل على الديوان وهى تشاهد ذلك الرجل الاسود الذى لم يأت مثله فى سلف الزمان ثم إنها التفتت خلفها فرأت والدها قادماً عليها فقامت إلى ملتقاه وقبلت يداه وجلست بجانبه وقد صارت تتحدث هى وإياه فقالت له يا ملك الزمان تمنيت عليك أن تزوجنى هذا الرجل الاسود الذى هو جالس فى وسط الخدام فنظر إليه الملك كركار فأعجبه وقد ذهل وحار وفرح بذلك واستبشر وأجابها إلى ما طلبت على الأثر وبعد ذلك أحضر كبار دولته وأهل مملكته وعقدله عليها على شريعته ودخل بها حمام من ليلته وتملى بحسنها وأزال بكارتها فاراد الجليل جل جلاله انفاذ دعوة نوح عليه السلام فى السودان فراحت البنت حامل بإذن مسير المحامل وكانت البنت اسمها قمر شاهق وهى فى

الجمال ليس لها سابق لشدة بياضها وثقل أردافها ومكث أبوها بعد ذلك مدة سبعة أشهر وقد بلغ سياق الموت الذى ما للإنسان منه مفر ولافوت فجمع وزراءه وأرباب دولته وأبطاله وأهل مملكته وقال لهم ياقوم إنى لم يكن لى وارث غير ابنتى وزوجها عوض عنها على مملكتى وهى المتكلمة عليكم وأمرها نافذ فيكم وزوجها عوض عنها علي مملكتى من بعد موتى فكونوا لقوله سامعين ولأمره طائعين ولايختلف منكم أحد لا أبيض ولا أسود فقال أرباب الدولة السمع والطاعة وانصرفوا إلى حال سبيلهم وتوجهوا إلى شغلهم ثم إن الملك كركار أقام أيام قلائل ومات جل من لا يموت وهو علام الغيوب فكفنوه وواروه بالتراب ثم بعد موته كأنه ما كان وساوى من له سنين وأعوام فجمعت الملكة قمر شاهق وأرباب الدولة والحجاب والوزراء والأصحاب وقالت لهم اعلموا ياقوم أنى جمعتكم لاقول لكم ما قاله أبى من المقال وأفعل كما أمرنى من الفعال واعلموا أنى وليت عليكم زوجى فتكونوا لقوله سامعين ولأمره طائعين فقالوا لها افعلى ما بدا لك فما أحد يخالف مقالك ثم أنهم أخذو الملك حام وأجلسوه على كرسى المملكة ووقف فى خدمته أرباب دولته وأهل مملكته وانتهى إليه السرور والفرح وزالت عنه الهموم والترح فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأماما كان من أمر الملكة قمر شاهق فإنها كانت حاملا فلما كملت أشهر هاولدت ولداً أسوداً كأنه حجر جلمد ثم بعد ذالك حملت ووضعت بنتاً سوداء مثل الليل إذا اعتكر بإذن خالق البشر ففرحت بها قمر شاهق وقعدت مدة أيام وولدت ولدا ذكراً كالليل إذا اعتكر فلما أن كبروا وانتشوا وطلبوا الزواج تزوج الولد ببنت من البيض والبنت كذلك من أهل المدينة فجاء أولادهم سود بإذن الواحد المعبود فتداولت عليهم الشهور والأيام والأعوام فصارت جميع أهل المدينة سوداً فتزوج منهم جيرانهم من جميع البلاد وسكان تلك الأرض والوادى وتزوج البعض منهم بالبعض حتى صارت جميع

البلاد سودان بإذن الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شأن عن شان وهو مكون الآكوان وسنرجع إلى سياق الحديث بإذن الحى المغيث **(ياسادة)** وأن الحكيم سقر ديون لما سأله الملك أفراح عن سواد الحبشة والسودان وما يكون سبب أصولهم من قديم الزمان أخبره مثل ما قدمنا فى ذلك الديوان ثم أنه قال اعلم أيها الملك الهمام أنى خائف من نفاذ دعوة نوح عليه السلام أنا اقول لك اقتل هذا الغلام لأنه ولدزنا ابن لئام واقتله ولاتبقه وأنت تقول ما يهون على قتله وتخالفنى فى المقال وتعارضنى فيما أريد عمله من الأعمال كل ذلك يجرى والصياد يسمع وبعد ذلك التفت الملك إلى الصياد وقال له أيها الصياد هل وجدت عند ذلك الغلام شيئاً فى البرارى والوهاد فقال له الصياد نعم أيها الملك المفضال وجدت عنده هذا الكيس المال وفى رقبته العقد الجوهر الذى لا يوجد له مثال فقال الملك أفراح ياصياد هل تعرف قيمة هذا العقد الغال فقال الصياد لا وإنما هذا العقد لا يصلح إلا للملوك العظام أيها البطل الهمام فقال الملك افراح خذ ياشيخ هذه الكيس المال وانفقه على أهل بيتك والعيال وامض إلى حال سبيلك وإلى اهلك وديارك وأما هذا العقد فهو لهذا الغلام وهذا ما عندى والسلام **(وقال الراوى)** فبينما هم فى ذلك الأمر والشان وإذا بالزغاريت تسمع فى القصر من أعلى المكان فسأل الملك عن سبب ذلك الحال وإذا بالحاجب الأعظم داخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال البشارة يا ملك أفراح قد جاءك السرور والأفراح وزالت عنك الهموم والاتراح فقال الملك لأى شىء هذا الخبر وما الذى جرى وندر فقال الحاجب يا ملك الزمان إن الملكة دهشانة وضعت فلما سمع الملك ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وقام ودخل على زوجته من وقته وساعته فإذا هى ولدت بنتاً ذات حسن وجمال كأنها بدر التمام على خدها خال مثل الذى على خد الغلام ففرح بها الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وجاء بها إلى الملعون سقرديون وضعها جنب

ذلك الغلام والناس قعود وقيام وقال ما أحسن هاتين الشامتين وما أظرفهما على الخدين فعند ذلك لطم الحكيم على رأسه ومزق جميع ثيابه ولباسه ورمى عمامته إلى الأرض واختبط ببعضه البعض ونتف لحيته تعتعت أضر اسه وهو يصيح بأعلى صوته ويقول يالزحل وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه إنى خائف من هاتين الشامتين واجتماعهما مع بعضهما فقال الملك أفراح ما شأنك أيها الحكيم القمقار وما جرى عليك من الأخبار فقال هذا كله من فعلك ومن مخالفتك ولا تسمع منى نصيحة ولا تفعل إلا كل قبيحة وإذا أقول لك أقتل هذا الغلام ولا تبقه فأنا لا أريده ولا اشتهيه فقال الملك وما السبب فى ذلك الشأن يا حكيم الزمان فقال له اعلم يا ملك متى اقترنت هاتان الشامتان على هذين الخدين نفذت دعوة نوح عليه السلام وصارت السودان عبيداً وخدم لأولاد ابنه سام فبشر بلاد الحبشة بالخراب والدمار وينقلع منها الآثار وأنت إن لم تقتل هذا الغلام تسقيه كأس الحمام فاقتل بنتك والسلام وتستريح من التعب والملام **(قال الراوى)** فلما سمع الملك أفراح ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقد أخذ الوجد والهيام وصرح فيه وقال أيها الحكيم التعيس يا ملعون أنت من ذرية إبليس وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه إن ابنتى مايهون على قتلها ولا أسقيها كأس فنائها وأما هذا الغلام فما وجب عليه شيء حتى أسقيه كأس الحمام ولكن أنا أفرق بينهما فى المنازل والأوطان وأجعل كل واحد فى مكان ولا أجعلهما من بعضهما يتقاربان وقام الملك أفراح وأخذ بنته معه والغلام ودخل على زوجته فى القصر وأفرض لابنته مراضح ودادات يخدمونها ليلاً وعشياً وابكاراً وقد أفرد للغلام أيضاً مراضع ودادات يخدمونه صباحاً ومساء وقد سماه وحش الفلا لأنه وجده الصياد فى البر والخلا وقعدوا على ذلك المرام مدة أيام وفي يوم من ذات الأيام إذا بحاضنة وحش الفلا تملأ ما يغرب منه من الزيرة وهى تسمع قائلا يقول يا جارية هاتى وحش الفلا يتربى

عندى مدة من الزمان والأيام حتى يكبر ويصير له من العمر ثلاثة أعوام **(قال الراوى)** فما ردت الجارية عليها من جواب وما أبدت من خطاب فنادتها ثانى مرة وقالت لها ذلك المقال وثالث مرة قالت لها إذا لم تضعيه فى هذا المكان يا ابنة الشيطان حتى آخذه طوعاً آخذه كرها فعند ذلك خافت الجارية على نفسها من الألم وعلى الغلام فوضعته عند المزيرة وغابت ساعة وعادت فما رأت له خبر ولا وقعت له على جلية أثر فعادت على أثرها وهى فى هموم وأتراح إلى أن دخلت على الملك أفراح وأخبرته بذلك الخبر وما الذى جرى من الأمر المنكر فاغتم لذلك الأمر وتحير وأخذته الوساوس والفكر وقد أخبر الحكيم سقرديون ذلك الحال وما الذى جرى من الأعمال فقال الملعون الحمد لله على ذلك الفعل والعمل فقد ارتحنا منه ومن رؤيته ولولا أنى طلبت من زحل ذلك الحال ما بلغنا منه الآمال وفرح بذلك الفرج الشديد الذى ما عليه من مزيد **(قال الراوى)** وقد تداولت الأيام والشهور والأعوام وبان الحق اليقين بعد ثلاث سنين واتفق أن الملك أفراح لما نزل من القصر إلى الديوان ووصل إلى المزيرة التى فى ذلك المكان إذا به يسمع من يقول يا ملك أفراح أبشر بالسرور والأفراح أنا أخذت الغلام وحش الفلا وربيته عندنا فى البر والخلا ولولا أننى شرطت على نفسى ثلاث سنين ما كنت جئت به ولكن خذه من يدى واحترس عليه غاية الاحتراس من أحد يؤذيه أو يتعرض له بشىء يضره وكل من ضره بضرر أهلكته وجعلت من الدنيا مرتحله وأسكنه رمسه وأعدمه أهله وناسه ولم أخل أحداً يعرف له خبر ولا يقع له على أثر وأعلم يا ملك أفراح أن هذا الغلام ملك بن ملك همام وقد صار ابنى بالرضاعة وأنا إليه فى غاية الطاعة ثم أن الملك أفراح أخذ الغلام ودخل به على زوجته وأخبرها بما جرى وماشاهد ورأى وكانت قد سمتها شامة وقال لها يا أم شامة خذى هذا الغلام وحش الفلا لأنه قد عاد إلينا مقبلا فلما نظرته قامت من مكانها وأخذت الغلام بملء احضانها

وقبلته بين عينيه وامتزجت بفرح شديد ما عليه من مزيد **(قال الراوى)** يا سادة يا كرام وكان السبب فى أخذ وحش الفلا من هذا المكان وعودته إليه بإمكان سبباً عجيباً وأمرا مطربا غريبا وذلك أن قمرية لما رمته تحت الشجرة فى البر والقفار والسهول والاوعار وتركته وعادت إلى الديار ولم تخف من العزيز الجبار وجازت عليه ملكة من الجان وكان معها بنت اسمها عاقصة ومر كأنها الشمس المضيئة وكان زوجها ملكا من الملوك الكبار يحكم على قطاع وديار يقال له الملك الأبيض وكان مسكنه بجبل المر ومنبع النيل وقد عاش العمر الطويل ومارزق فى زمانه غير هذه الصبية التى كأنها الشمس المضيئة وسماها عاقصة وهى فى ثياب الحرير غائصة وكانت أمها قد أخذتها وسارت لبعض الأشغال إلى أن جاءت إلى تلك البرارى الخوال فنزلت فى ذلك: البر والآكام لتأخذ لها راحة وتأكل شيئا من الطعام كل ذلك بتقدير الملك العلام فنزلت وجلست تحت شجرة الشوك وأرادت أن تنام هناك وإذا بها تسمع صوت ذلك الطفل الصغير فى ذلك البر وقت الهجير فأتت إليه وحنت عليه وارضعته من لبنها فشرب حتى اكتفى وبعد ذلك تركته مكانه وأخذت بنتها وعادت إلى زوجها واخبرته بخبر ذلك الغلام الصغير وأنها وجدته فى البر الأقفر وأرضعته وعادت على الأثر فلما سمع الملك الأبيض من زوجته ذلك الكلام أخذه الوجد والغرام ولامها على تلك الفعال وما عملته من الأعمال وقال لها ويلك أما تخشين المذلة والعار والذل والشنار كيف تفوتين ذلك الطفل الصغير فى ذلك البر وقت الهجير وهو لليوم صار ابنك وقد رضعتيه من لبنك ثم أنه غضب عليها وجرد الحسام فى وجهها فلما رأت أم عاقصة ذلك الحال اخذتها الحيرة والانذهال وطلبت الجو الأعلى وسارت فى البرارى والتلال وهى تقطع السهول والقيعان إلى أن وصلت إلى ذلك المكان الذى كان فيه ذلك الغلام وقد اخذها الوجد والهيام فما رأت له خبرا ولا عرفت له أثرا وكان فى

ذلك النهار أخذه الصياد وطلب الديار وأخذه الملك افراح وجرى ما جرى مما سبق له الايضاح فصارت تدور عليه فى البلاد والبرارى والوهاد وتسلك البر والبطاح إلى أن سمعت أنه عند الملك افراح فسارت إلى السراية وجرى ما جرى من الحكاية وأخذته وعادت طالبة جبال القمر ومنبع النيل وهى سائرة فى إبرام ونقص إلى أن وصلت إلى زوجها الملك الأبيض واخبرته بما جرى وتقرر ففرح بذلك واستبشر فصارت ترضعه كل يوم من لبنها وتربيه هو وابنتها وتداولت عليه الشهور والأيام مدة ثلاثة أعوام فأخذته وعادت به إلى الملك أفراح كما ذكرنا وقالت ما قالت وأخذه منها كما نعتنا ورجعنا إلى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على فخر ربيعة ومضر **(قال الراوى)** فلما أخذه الملك أفراح زالت عنه الهموم والأتراح وقال لزوجته نحن نفرد له محلا برأسه وتجعل له محلاً لأنسه ونرتب له خدما ما يخدمونه ليلا ونهارا وعشيا وإبكارا فأجابته زوجته إلى ذلك فافرد له محلا برأسه ووكل له غلمانا وخدما من عند نفسه وصار يراعيه ويربيه حتى صار له من العمر سبع سنين فاشتاق إلى ركوب الخيل فأمر الملك أن يأتوه بمهر صغير فغابوا وعادوا ومعهم ذلك المهر فلم يرض بركوبه فأتوا له بجواد أدهم الليل إذا أظلم يطوى الأرض بالخبب تربيه ملوك العرب فلما رآه أعجبه غاية العجب فركبه واعتدل فوق ظهره فطلب رمحا طويلا وسيفا صقيلا فأتوا له بكل ما طلب وقد أخذهم من ذلك الأمر العجب وبعد ذلك نزل إلى الميدان وترامى مع الصبيان فصار يضرب هذا ويرمى هذا من على الحصان ويغلب هذا فى الميدان مدة من الزمان إلى أن اشتد ذراعه واشتد باعه فصار ينزل كل يوم إلى الميدان ويبادر الأقران ويقهر الشجعان وينكش الفرسان وكل من خرج إليه يندم ويتمنى أن يرجع وبنفسه يسلم وكل من بادر إليه قهره وكل من شرب هشمه وبهره لأنه كان من الأولاد الرجال أجلاد وفرسان أطواد إلى أن صار فارسا من الفرسان شجاعا من الشجعان وأنه لما اشتهر فى الفروسية

وفاق أهل زمانه فى المحاسن البهية كان إذا خرج إلى بعض أشغاله يفتت كبد كل من رآه حتى نظمت فيه الأشعار وتهتكت فى محبته العبيد والأحرار وقد أجاد فيه بعض الشعر حيث يقول:

* * *

عانقته فسكرت من طيب الشذى   غصنا بالنسيم قد اغتذى
نشوان ما شرب المدام وإنما   أمشى بخمر رضابه متنبذا
أضحى الجمال بأسره فى أسره   فلأجل ذاك على القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطرى   ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا
إن عشت عشت على هواه وإن أمت   وجدا به وصبابة ياحبذا

* * *

(قال الراوى) فلما بلغ من العمر أربع عشرة سنة بلغ مبالغ الرجال واستدار ودب عزاره الأخضر وله شامات على خده كأنها أقراص عنبر كما أشار إليه الشاعر حيث يقول.

* * *

أضحى ليوسف فى الجمال خليف   فارتاع كل العاشقين إذا بدا
عرِّج معى وانظر إليه لكى ترى   فى خده علم الخلافة أسودا

* * *

(قال الراوى) فلما صار بتلك الحالة واستدار بخده العذار هوى الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص وصار لا يفتر عنه ساعة واحدة فهذا ما كان من وحش الفلا ومنشئه وما جرى له فى تعلمه الفروسية والحرب والكفاح **(أما)** ما كان من الملك أفراح فإنه نزل ذات يوم من الأيام إلى الديوان وجلس على سرير ملكه ومحل عزه والغلمان والخدم وقوف بين يديه وحوله الأمراء والشجعان وأرباب الدولة والفرسان وإذا الحكيم سقر ديون دخل عليه فلما رآه الملك أفراح قام إليه وتلقاه وأكرمه وحياه وأجلسه إلى جانبه وصار كأنه من بعض أقاربه فقال الملك افراح يا حكيم الزمان أما عندك خبر الأمر

الذى قد بان واشتهر فقال الحكيم سقرديون لماذا أيها الهمام الكسور والبطل الغضنفر اخبرنى بذلك الأمر والخبر فقال الملك افراح اعلم يا حكيم الزمان أن الغلام وحش الفلا الذى جاء به الصياد من البرارى والقيعان وقد اخذته الجنة وقد أتت به إلى حيث أخذته ثم قالت أنا أمه وصار ولدى فأنى أرضعته وربيته فى بلدى فاحترس عليه ولا تدع احدا يتعرض له ويؤذيه وكل من تعرض له بأذية فإنى اسقيه كأس المنية واخلى منه هذه الديار والأوطان فلا يعرف له مكان فعند ما سمع الحكيم هذا الخبر كادت مرارته أن تنفطر وقال له اعلم أنه ينبغى أن تبعد هذا الغلام عن البنت يا ابن الكرام ولا تقربهما بعضهما من بعض ولا تقرب تلك البنت من ذلك الرجل فإن فعلت ذلك يغضب عليك زحل وتفنى السودان من السهل والجبل **(قال الراوى)** فلما سمع الملك أفراح ذلك المقال خدعه بالمحال وقال له لك على ذلك أيها الحكمي المفضال وقد تداولت الأيام وصار إذا نزل الملك إلى الديوان يأخذ وحش الفلابيده ويجلسه إلى جانبه بين أصحابه وأقاربه وقد تعود وحش الفلا على ركوب الخيل وخوض النهار والليل وصار كل يوم يخرج إلى بر المدينة وكل من لاعبه يضربه فيبطحه ويخرج ويقتل كل من طلب أذيته صغيراً كان أو كبيراً صعلوكاَ أو أميراً فشكت أهل المدينة من هذا الغلام الصغير ودخلوا على الملك أفراح وهم يشكون وحش الفلا إليه بعدما قبلوا الأرض بين يديه فقال لهم الملك هذا غلام صغير وما هو إلا فقير غلام وفرح الملك به فرحاً شديداً ما عليه من مزيد ولم يزل على ذلك الحال مدة أيام وليال إلى أن كثرت عليه الشكايا من أذيته فى أهل المدينة ولم يستطع أحد أن يقف له فى طريق وكل من تعرض له يعدمه السعة ويحوجه إلى الضيق فلما رأى الحكيم سقرديون تلك الفعال أخذته الحيرة والانذهال فاشتد غضبه وكربه وقسا قلبه أكثر مما كان أول مرة واشتد به الغيظ والخبل ثم أنه التفت إلى الملك أفراح وهو فى هموم واتراح وقال له

أيها الملك الهمام إم لم تخرج من عندنا هذا الغلام وتطرده من بلادنا وتبعده عن أرضنا وإلا وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه أرسل مكاتبة إلى أخى سقرديس بأن يعلم الملك الأكبر سيف ارعد حاكم تلك الأرض والفدفد بأنك ربيت عدواً فى أرضنا وأنشأته فى بلادنا فيرسل إليك عكسراً جرارا كأنه البحر الزخار ويخرجك من ارضنا ويطردك من هذه المدينة فى ذلك واحتقار وينفيك إلى اقصى الاقطار ويبعدك عن هذه الديار بعدان يخرب ديارك ويقطع آثارك ويقول الناس كان فى هذه المدينة ملك يقال له أفراح شتت فى البرارى والبطاح **(قال الرواى)** فلما سمع الملك: أفراح من الحكيم سقرديوس هذا الكلام علم أنه يقدر على ذلك المرام فأجابه إلى ما قال وقال ياحكيم الزمان لا أخالفك فيما قلته من ذلك الأمر والشان **(قال الراوى)** وقد ذكرنا أن الملك أفراح فارس حجاج وليث فى الحرب والكفاح وكان تحت يد الملك سيف وهو حاكم على تلك البلاد وكان من جملة من تحت يده فارس شديد وقزم عنيد وشيطان فى صورة إنسان يقال له عطمطم خراق الشجر وله جنان اجر أمن تيار البحر وكان له حصن بعيد عن المدينة من جملة حصن الملك أفراح فى ذلك البر والبطاح وبين هذا الحصن والمدينة مسيرة ثلاثة أيام للفارس فى البر والآكام وكان سبب تسميته خراق الشجر هو أنه فارس عظيم وبطل جسيم وكان عنده فى ذلك الحصن بستان عظيم الشان فيه من الفواكه ألوان وفيه أشجار وأنهار وكان فى ذلك البستان عشر شجار غلاظ كبار وكان إذا ركب على ظهر جواده يأخذ قنطاريته بيده ويضرب بها الشجرة من تلك الأشجار فيخرقها وقد شاعت فروسيته فى سائر البلاد وقصدته الفرسان والأجناد وقد صار عند الملك أفراح أعز من الأولاد وأنه لما سمع من الحكيم ماذكرنا من المقال أرسل خلف عطمطم فى الحال رسولاً من عنده يأمره الحضور بين يديه لأن الأمر لازم فصار الرسول ومازال يسجد المسير فى البر الاقفر إلى أن

وصل إلى حصن خراق الشجر فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه فقال له عطمطم من أين إلى أين أها الفارس الجحجاح فقال له الرسول من عند الملك أفراح ليث الحرب والكفا وبلغه ما حمل من الرسالة فأجابه عطمطم بالسمع والطاعة وقام وركب فى تلك الساعة وهو كأنه طود من الأطواد أو من بقايا قوم عاد وأخذوا من قومه جماعة من الشجعان وصار بهم يقطع البرارى والقيعان وهو سائر فى البرارى والبطاح إلى أن وصل إلى ملك أفراح فقبل الأرض بين يديه فقام له الملك أفراح إكراماً له وأجلسه إلى جانبه وأكرمه غاية الاكرام وزاد له فى الإحسان والانعام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع التفت عطمطم خراق الشجرة إلى الملك أفرح الفارس الغضنفر وقال يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان لأى شىء أحضر فى هذا الأوان هل لك عدو بغى عليك أو ملك من الملك تعدى عليك حتى أسير إليه سيف أرعد **(قال الراوى)** فلما سمع الملك أفراح ذلك المقال أخذه الوجد والانذهال وقال له اعلم يا ولدى أن هذا الغلام عزيز عندى وهو أعز من ولدى ومن أهلى وملكى فخذه معك إلى حصانك واحتفظ عليه مقدورك وجهدك وأوصيك به فعامله بمقتضى الوصية لأنى اعرف أن أخلاقك مرضية وأكرمه غاية الإكرام وجد عليه بالإحسان والإنعام وعلمه طرفاً من شجاعتك وقوتك وفروسيتك وكان هذا الكلام عند غياب الحكيم سقرديون أخى الحكيم سقرديس الملعون فعند ذلك أجابه خراق الشجر بالسمع والطاعة وأخذ الغلام من الملك أفراح وصار يقطع البرارى والبطاح وزال سائر هو ومن معه من الفرسان مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرف على حصنه فتلقاه قومه لما سمعوا بخبره وسلموا عليه ودخل إلى الحصن ومعه وحش الفلا وقد تعجب من حسنه جميع ذلك الملا فقال قومه وما هذا الغلام أيها البطل الهمام فقال لهم هذا اخذته ولدى وأريد أن أعلمه الفروسية بما قدرت عليه من جلدى وصار عطمطم كل يوم يركب ظهر الحصان وينزل به إلى الميدان

ويعلمه الحرب والطعان وهو كأنه الأسد الغضبان وصار يعلمه أبواب الطعن والضرب والفروسية والشجاعة وقوى البراعة والصد والرد والأخذ والعطامدة من الزمان إلى أن كمل وحش الفلا من العمر خمس عشرة سنة وقد صار متعلما من خراق الشجر أبواب الحرب كله الذى فوق ظهور الخيل والذى على وجه الأرض **(قال الراوى)** فذات يوم من الأيام قال له خراق الشجر الفارس القصور يا وحش الفلا فقال لبيك يا أبى فقال يا ولدى أنك ملكت الشجاعة والقوة والبراعة وتعلمت أبواب الحرب ومواقع الطعن والضرب لكن قد بقى باب واحد فقال وحش الفلا وما هذا الباب يا ابن الأما جد قال له قم معى يا ولدى وانظر العجب فقام وصار إلى أن أتيا إلى شجرة نقل يمشى فى ظلها ساعة وعلوها ينقطع منه السحب خلقه الملك الوهاب ولها ورق مثل ورق الموز ولها زهر مثل رائحة المسك الازفر وهى عالية عن جميع ما حولها من الشجر وعندها تسع شجرات يقارنونها فى النظر وفى كل شجرة منها طاقة محروقة فقال وحش الفلا يا مولاى وما هذه الخروق فى هذه الأشجار وحق زحل إن هذه شىء يحير الأفكار فقال له اعلم يا أعز من أولادى إنى اركب على ظهر جوادى وأحمل على الشجرة وأطعنها بهذه القنطارية فأخرقها وأميل عليها فأمزقها وبهذا سميت خراق الشجرة وأنا اسمى الأصلى عطمطم البطل القشم فقال له وحق الفلا يا أبت أنت الذى خرقت هذه الشجرات وفعلت بها هذه الفعال قال نعم وحق زحل الذى فى السموات فقال وحش الفلاقم يا أبى أخرق شجرة وفرجنى ما تفعل بها من الصفات المنكرة فقال له حبا وكرامة فعند ذلك قام كأنه أسد قسور وركب صهوة جواده واعتد بعدة جلاده وأخذ قنطاريته بيده ووقف بعيدا فى الخلاء والتفت إلى وحش الفلا وقال يا ولدى إنى أظن أن سعدى قد رحل وسعدك قد أقبل فقال وحش الفلا أعطنى هذه القنطارية وانظر ما أصنع بها فى البرية فأعطاها له فأخذها وحش الفلا وحمل على الشجرة التى قدر

شبر كامل فمد يده وجذب القنطارية فأخرجها من غير علاج مع جرى الجواد فى هذا البر والوهاد وبعد ذلك رجع وحش الفلا من وقته وساعته وطعنت الشجرة ثانيا من خلفها ومد يده إلى جهة السنان فأخرجها مع جرى الحصان فى ذلك البر وهذه القيعان وقد صار وحش الفلا يطعن الشجرة من مكان ويخرج القنطارية من مكان آخر حتى جعل فيها أربعين خرقا ولم يتعب من ذلك الأمر ولم يأخذه رعب فقال له خراق الشجر يا ولدى اطعن هذه الشجرة وأومأ له إلى شجرة من المكبار فى تلك البرارى والقفار وكانت هذه الشجرة مقدار عشر أشجار فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال أجابه إلى ذلك الحال واستراح ساعة من الزمان فى ذلك المكان وقام وركب ظهر الحصان وأخذ القنطارية بيده وهو فرحان ونادى وقال يازحل أنا وحش الفلا وطعن تلك الشجرة بحيلة والقوة فنفذت وجاءت فى صور الحصن وخرجت منه إلى الفلاو هي كأنها حجر منجنيق وقد وقع من حجر السور المثير من طعنه ذلك الفارس النحرير **(قال الراوى)** فلما نظر خراق الشجر تلك الفعال أخذته الحيرة والإنذهال وتعجب من هذه الأعمال فرمى تاجه من على رأسه وقلع نعليه من رجليه ولطم على رأسه حتى تقعقعت جملة أضراسه ولطم بيديه على خديه حتى برز الدم عن عينيه وامتلأ بغضب شديد ما عليه من مزيد وشخر ونخر وسب الشمس والقمر وقا يا زحل هذا ولد زنا وتربية خنا وقد ربى من شدة ما نزل عليه من الغيظ والخبال وقال هل ما أدراك لعلك تكون أنت الذى على يدك إنقاذ دعوة نوح عليه السلام واعلم يا غلام أن هذه الأرض ما هى أرضك ولا أرض أبيك ولا جدودك من قبلك يا غلام بل هى أرضنا وبلادنا من قديم الأيام مدة جدنا حام وأما أنت فأخرج من أرضنا يا ابن اللئام وفى أى وقت وجدناك أو أدركناك فيه قتلناك فلا كنت ولا كان منك ما كان ولا عمرت بمثلك أوطان يا قرنان يا ابن ألف قرنان **(قال الراوى)** فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام أخذه الوجد والهيام وغب من هذا الشان

وترك الحصان وخرج هاربا وللنجاة طالبا وهو ماش على الأقدام يقطع البرارى والاكام وسار فى ذلك البر الأقفر ودمعه على خديه يتحدر وسار وهو ينشد هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات::

* * *

ونفسك فزبها إن ناب ضيم ... وخل الأرض تنعى من بناها
فإنك واجد أرضا بأرض ... ونفسك لم تجد نفسا سواها
مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت فى أرض سواها

* * *

(قال الرارى) وسار يومين بعد ذلك فى البر ارى والقفار وهو يقطع السهول والأوعار بالليل والنهار وهو يأكل من نبات الأرض ويشرب من غدار انها وينوح على نفسه بعد العز والدلال وقد صار فى هذا الحال وعلى ما جرى له من العبد ابن الانذال وما زال على ذلك وهو لا يعلم أين هو سائر فى هذه المفاوز والمحاجر فلما كان فى اليوم الثالث عند الصباح أشرف على غر فى ذلك البر والبطاح فقصد إليه ومال نحوه فسمع فيه صوت إنسان قاعدا فى ذلك المكان وما عنده إنسان لا إنس ولا جان فتعجب وحش الفلا من ذلك الشان وقال فى نفسه ادخل إلى ذلك الغار عند ذلك الرجل الجبار عسى أن تجد عنده شيئا من الزاد تسد به رمق الفؤاد ثم إنه تقدم إلى ذلك الغار وهو وحيد فى ذلك البر والقفار فرأى من داخله رجلاً أعجمياً شنيع المنظر يطير من عينيه الشرر فتقدم وحش الفلا إليه وأومأ بالسلام عليه فلما رآه ذلك العجمى وهو وحيد وما هو من أرض العبيد قال له من أين وإلى أين فقال وحش الفلا يا مولاى أنا رجل غريب عن الأوطان وقد رمانى الزمان بالحرمان فى ذلك البر والمكان وقد صرت فى هذا بعد العز والدلال وقد تحكم فى أولاد الأماجد أولاد اللئام وأخس الأعابد ولى يومان ليل ونهار وأنا

سائر فى البرارى والقفار لا أعرف أى طريق أسير فى تلك البر العفير إلى أن أتيت ذلك المكان ودخلت عليك فى الغار ولولاك كنت هلكت فى تلك البرارى والقفار ثم إن الفلا بكى وأنَّ واشتكى وأنشد يقول:

* * *

جن الظلام ودمعى زائد المدد ... والوجد من قوة النيران فى كبدى
اسألوا الليالى عنى وهى تخبركم ... أنى حملت جبال الغم والكمد
أبات أرعى نجوم الليل من ولهى ... والدمع منهمل العبرات كالبرد
وقد بقيت وحيداً ليس لى أحد ... من مثل صب بلا أهل ولا بلد

* * *

(قال الراوى) فلما سمع العجمى ذلك الكلام تعجب من ذلك النظام وتبسم فى وجهه وقد زالت عنه الآلام وقال له ياولدى قضيت الحاجة وحق النار ذات الشرار وأنا لى مدة أنتظرك فى ذلك الغار فى الليل وانهار فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال أخذه الإنذهال وقال يا مولاى ولأى شىء ذلك الحال فقال له العجمى اعلم يا ولدى أنى يقال لى عبد لهب وقد قرأت شيئا كثيرا من الكتب فرأيت فى ذلك الغار كنزا وهو فى ذلك المكان من قديم الزمان وعليه الخدام من الجان وفيه سوط من الجلد مطلسم وعليه الخدم فى ذلك البر والآكام ولا أحد يأخذ ذلك السطو من دون الملا الاغلام يقال له وحش الفلا غريب يأتى من ذلك البر والخلا.

(قال الراوى) فلما سمع ذلك السوط وحش الفلا ذلك المقال أخذه الانذهال وتعجب من هذه الأحوال وقال له يا مولاى وما منفعة ذاك السوط فقال له ذلك العجمى اعلم يا ولدى أننى أفهم علوم أقلام وآعرف ما يتأتى من الأحكام فرأيت فى بعض الكتب التى عندى وهى عن أبى وجدى صفة وكنز فى ذلك الغار وهو فى البرارى والقفاز وفيه صوت مطلسم شغل الحكماء الكبار وهو أمضى من السيف البتار وإن ضرب به شخص قتله

لوقته وساعته وما رأيت أحدا يناله من بين ذلك الملأ والاغلال ويقال له وحش الفلا ولى فى ذلك الغار يا ابن الاخيار مدة من الزمان وأنا منتظرك إلى ذلك الأوان والآن اتضح الحق وبان وأنت أعز من أهلى والأخوان فانزل يا ولدى إلى ذلك الغار اثتنى بالسوط يا أشطر الشطار وأنا أبطل لك جميع المهالك التى فى ذلك الغار بأسماء لا أحد يعرفها لا الكبار، ولا صغار فأجابه وحش الفلا إلى ما أراد من الآثار ونزل فى ذلك الكنز الذى فى ذلك الغار وعبد لهب العجمى وهو يهميهم ويدمدم ويقرأ ويعزم ساعة من النهار من بعدما قال له إن السوط معلق على سرير من العاج مصفح بالذهب والهاج **(قال الراوى)** ولما أن نزل وحش الفلافى ذلك المكان خاف على نفسه من شرب كأس الحمام لكنه حمل نفسه على الهلاك والهوان لاجل ما هو فيه من الذل والاحزان وصار إلى أن وصل إلى ذلك السرير وإذا عليه حكيم كبير فمد يديه وأخذ السطو من على رأسه وعاد راجعا إلى وراءه وهو لا يصدق بالنجاة إلى أن وصل إلى باب الكنز ونادى على العجمى قضيت الحاجة يا سيدى وحق زحل فى علاه فناداه عبد لهب وقد أراد أن يخدعه بالمال والكذب ناولنى إياه فأنت عندى اليوم أعز من روحى وولدى فقال له وحش الفلا أطلعنى إلى الخلا وخذه منى فى البر والبيداء فأنا لك من جملة العبيد ولكنه قال فى نفسه لابد أن أقتل ذلك العجمى الغدار عابد اللهب والنار وآخذ أنا ذلك السوط الذى ما حاز ملك من الملوك الكبار ثم أنه بعد ذلك مدّ إليه العجمى يده وجذبه وإلى فوق أصعده وقال له يا ولدى أنت أعز من قلبى وروحى التى بين جنبى وأين ذلك السوط يا ابن الأخيار أرنى إياه بحق النار فخاف وحش الفلا على نفسه من الهلاك والبوار وأن يغدر به فى الغار ويقتله وعلى الأرض يجند له ويسكنه رمسه ويعدمه أهله وحسه وقال له يامولاى لا تأخذ ذلك السوط إلا بعد طلوعنا من ذلك الغار فى ذلك البر والقفار ثم إنه شاغله إلى أن ملك منه فرصة وضربه بذلك السوط الذى هو

أمضى من السيف البتار وإذا برأسه عن جسده قد طار وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار **(قال الراوى)** فلما رأى وحش الفلا ذلك الحال فرح بذلك السوط الذى ما حاذه أحد من الرجال وقد دخل عليه السرور والأفراح فى تلك البرارى والبطاح وزالت عنه الهموم والاتراح وقد سار بعد ذلك من هذا المكان يقطع البرارى والقيعان مدة يومين وفى اليوم الثالث عند إشراق النهار وهو سائر فى البر حتى أشرف على مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان مبنية بالصخور والأحجار عالية الأسوار تحير فى صفتها النظار مكينة الجدار وأبواب هذه المدينة كلها مغلقة وهى فى الهواء شاهقة مفوقة واهلها الجميع كلهم محصورون على الأسوار وهم النساء والرجال والصغار وهم يبكون بدموع غزار على ما جرى لهم من الآثار وهم لابسو السواد والحداد وحالهم كمثل الذى فقد الأهل والأولاد وهم فى هموم وأتراح وبماء ونواح ونظر فى مقابل هذه المدينة كومين على كل كوم خيمة منصوبة خيمة تدل على أن من داخلها عروسا والثانية تدل على أن فيها جريا وبوسا **(قال الراوى)** فلما نظر وحش الفلا إلى ذلك الشأن أخذته الحيرة والهيمان وقصد خيمة العروس لينظر ما فيها من الناس ويزيل عن قلبه الهم واليأس ومازال قاصدا إلى تلك الخيمة إلى أن وصل إليها فرأى من داخلها أجمل عروس وهى مزينة بسائر الملبوس وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل كما قال الشاعر جميل هذه الأبيات:

* * *

أشرقت فى الدجى فلاح النهار ... وأنارت من فوقها الأشجار
من سناها الشموس تشرق ... والأنجم تزهو وتزهو الأقمار
تجسد الكائنات بين يديها ... حين تبدو وتهتك الاستار
وإذا أومضت بروق جمالها ... هطلت من دموعها الأمطار،

* * *

(قال الراوى) فنظر إليها وحش الفلا فوجدها تبكى بدموع غزار تنحدر على خدودها وهى تبكى على الأهل والجيران وفرقة الأصحاب والخلان وتذم الزمان الذى رماها بالحرمان بعد الامن والأمان وأنها بنت ملك وسلطان وتزوج بها عفريت من الجان وهى تنشد وتقول:

* * *

بليت بما لم يكن فى الحساب ... ومن بعد عزى ذقت العذاب
سأصبر رغما على جور دهر ... فكم خبث الأمر خبحينا وطاب
عسى الصفو يهدى إلى نسل حام ... ينالون عزا بقدر مهاب
عسى بطشه الدهر فى نسل سام ... يصيرون فى الناس مثل الكلاب
شكوت إلى الدهر ما حل صبرى ... وقد كان صبرى يهين الصعاب

* * *

(قال الراوى) وبعد ما فرغت البنت من ذلك الشعر والنظام بكت بدموع سجام وقد نظرت قدامها إل يحش الفلا وهو غلام أمرد كأنه حسام مجرد وأيضا نظر إليها وحش الفلانظرة أعقبته ألف حسرة وقد رأى لها خلال أخضر على خدها مثل الذى على خده لكن صعب عليه مانالها من بكائها وعويلها وقد سلبت قلبه ولكت خاطره ولبه وغيبت ذهنه وهيجت شوقه وحزنه فاشار إليها ينشد ويقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات.

* * *

بديع الحسن ما هذا التجنى ... من أغراك بالاعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى ... وحزت من الملاحة كل فن
وأجريت الغرام بكل قلب ... ووكلت السهاد بكل جفن
وأعلم أن شان الغصن يحنى ... فياغصن الأراك أراك تحنى
وعهدى بالظبأ غدت أسارى ... وأسرى قد يد الظبى الاغن
أعجبت ما أخذت عنك ربى ... فتنت أو أنت لم تشعر بأنى
فلا تسمح بوصلك لى فإنى ... أغار عليك ياذا الظبى منى
ولست بقائل ما دمت حيا ... فتب قلبى إلى كم ذا التمنى

* * *

(قال الراوى)- فلما سمعت الصبية ذلك الشعر والنظام زاد بها الوجد والغرام إلى وحش الفلا لما نظرت فيه من حسن القوام فزاد بها أيضا العشق والهيام فقالت له يأها الشاب المليح الذى وجهه بدر يخجل المصابيح بحق الذى أنشأك وخلقك وسواك من أين أنت ومن أين أتيت فقال لها أنا يا ست الملاح ومن سفك دم الماشق ما عليها جناح فقالت له اعلم ياسيدى أنى اسمى شامة بنت الملك أفراح صاحب هذه الأرض والبطاح وحاكم هذه المدينة التى تراها قدامنا والذين على الأسوار أقاربنا وأهلنا **(قال الراوى)** فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام ذاد به العشق والغرام وغاب عن الوجود وبقى فى صفة مفقود لما سمع أنها بنت الملك أفراح صاحب الرايات والبنود وهو الذى رباه وهو صغير مولود **(قال الراوى)** وكان السبت فى ذلك سبباً عجيباً وأمراً مطرباً غريباً يتحير فيه أرباب الفنون وكان ذلك كله من الحكيم سقرديون لما خالف الملك أفراح قوله ومارضى يطاوع هواه وميله ويقتل وحش الفلا ويرميه فى البطاح فاغتاظ من الملك أفراح فصار يدبر فى مكره ودهائه وخبثه وغدره وأراد أن يرسل لأخيه النحيس الملعون سقرديس حكيم الملك سيف أرعد حاكم ذلك الأرض والفدفد ويخبره بأن هذا الأمر الذى قد تحدد من الأمور الكبار ويفعل ما يجب ويختار فخرج من المدينة وقد سار يقطع البرارى والقفار فبينما هو سائر إذا اعترضه فى طريقه صاحب من أصحاب وهو كاهن خبيث سحار مكار يقال له عبد نار فوجده متغيراً مغتاظاً فسأله عن حاله وما الذى جرى له فقال الحكيم سقرديون يا كاهن الزمان أن الملك أفراح ربى غلاما أبيض اللون كأنه مصباح ليس هو من جنسنا ولا يشبه لوننا فلما كبر وانتشى ودرج ومشى خرج ناراً محرقة وصاعقة مبرقعة فخفت أن يكون على يديه انقاذ دعوة نوح فقلت له أخرج الغلام من أرضنا ولا تتركه فى بلادنا وإلا أقتله وعلى الأرض أجند له فخالفنى فى مقالى وعارضنى فى أحوالى وأحضر نائب من نوابه

وهو من تحت يده على بلاده وهو شجاع وقرم مناع كأنه البحر إذا زخر وله جنان أجرأ من تيار البحر يقال له عطمطم خراق الشجر وقال له خذ هذا الغلام يا بن حام وعلمه الفروسية والشجاعة والقوة والبراعة وأنا مرادى يا حكيم الزمان أخبر ملك الحبشة والسودان بهذا الأمر والشان فقال له الكاهن ومامر ادك أن تفعل من الأفعال وما الذى تريده من الأعمال فقال له مرادى أن أفرق بين الملك أفراح وبين ابنته وأريد تزايد همه وحسرته فإن الغلام على خده شامة والبنت على خدها شامة أيضاً واقترنت هاتان الشامتان فابشر فى بلاد الحبشة بالخراب ويزعق فيها البوم والغراب **(قال الراوى)** فلما سمع الكاهن ذلك الكلام وأخذ الفرح والابتسام وقال له أزال عن قلبك الآلام والأسقام وانظر متى العجب يا ابن الكرام فأنا أفرق بينهما فى هذا الأوان فى مدة يسيرة من الزمان ثم إن ذلك الكاهن قام من وقته وساعته بعد مازال عن قلب الحكيم سقرديون عظيم حسرته وكان أكبر ساحر شيطان فى صورة إنسان ودخل بيت رصده ومحل خبثة وعدده وعزم وهمهم ودمدم بأسماء لا تعرف وإذا الأرض قد انشقت واهتزت وراتجت وخرج منها مارد عظيم شنيع الخلقة هائل المنظر يطير من عينه الشرر فقال له الساحر أقسمت عليك بالذى جعلك أكبر المردة الكبار منهم من الصغار أن تخرج من وقتك وساعتك وتبذل مجهودك وهمتك وتمضى إلى مدينة الملك أفراح وتبدل سرورهم بالهموم والأتراح وأزعق عليهم زعقة منكرة حتى يخرجوا إليك ويجتمعوا عليك صغيرهم وكبيرهم بالهموم وأميرهم ومشيرهم ويقفوا بين يديك ويسألونك عن حالك وأى شيء جئت فيه من أعمالك ويقولون لك أخبرنا ما أنت طالبه منا وما الذى أقدمك علينا فقل لهم أنا أريد منكم أن تخرجوا إلى بنت ملككم وهى بنت الملك أفراح صاحب تلك الأرض والبطاح وأن يلبسها أعظم الملبوس وأن يزينها بأفخر الزينة يخرجها خارج المدينة فى خيمة عظيمة وفى غد أجىء وآخذها من

عندكم وأنصرف إلى سبيلى من أرضكم وإن تفعلوا ذلك أقلع آثاركم وأخرب دياركم وأخرب مدينتكم وأشتتكم فى البر عن بكرة أبيكم **(قال الراوى)** فلما سمع المارد ذلك المقال أجابه إلى ما طلب فى الحال وقال سوف تنظر ما يسرك قال وكان فى ذلك الزمان وذلك العصر والآن الانس يصحبون الجن والجن يصحبون الإنس ويتحدثون معهم ولا يفزعون منهم ولا يمنعون بعضم عن بعض ويظهرون على وجه الأرض إلى زمن سيد الملاح وأسلو الملك الفتاح سيد الأنام ورسول الملك العلام الذى ظهر من بين زمزم والمقام وأبطل عبادة الأوثان والأصنام ببركة دين الإسلام وأبطل السحر والكهانة ببركة الشفيع فى العصاة يوم القيامة محمد ﷺ **(قال الراوى)** فعند ذلك خرج المارد من بين يديه إلى الخلا وطلب الجو الأعلى وذلك المارد يقال له المختطف ثم أنه علا فى هبوب الرياح ونزل على مدينة الملك أفراح وحام حولها وطاف فى جوانبها وصرخ عليهم صرخة منكرة اهتزت لها الجبال وخاف من تلك الزعقة النساء والرجال وشابت لهولها الأطفال وزعزت لها الجبال الآكام وكادت أسوار المدينة تسقط وتنهدم من شدة صرخته وعظيم زعقته وأظهر لهم بروقه وصعوقه فوقع فى قلوبهم الخوف والفزع وارتجت له المدينة بأهلها وفزع فرسانها وأبطالها ونساؤها ورجالها وخافوا الخوف الشديد الذى ما عليه من مزيد فخرجوا من المدينة إلى البر والبيد وأقبلوا على ذلك المارد الشيطان فى تلك البرارى والقيعان وقالوا له أيها المارد المريد والشيطان العنيد والعارض الشديد ما شأنك وما تريد فقال لهم إنى أريد منكم أن تزينوا شامة بنت الملك أفراح بأفخر الزينة والملبوس وتخلوها تجلوها مثل العروس وتخرجوها فى خيمة عظيمة كبيرة خارج المدينة حتى أعود إليها غدا وآخذها واتزوج بها وأروح إلى حال سبيلى عنكم وارحل من دياركم وإن لم تفعلوا ذلك اهلكتكم عن آخركم وخربت مدينتكم على رؤوسكم **(قال الراوى)** فلما سمع أهل

المدينة ذلك الكلام المتلح زال عنهم السرور والافراح ودخلت عليهم الهموم والاتراح ودخلوا في الحال على الملك أفراح وهم يصيحون بالويل والثبور وعظيم ثم الأمور وقالوا له أما سمعت يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان ما قاله ذلك المارد الشيطان فقال لهم سمعت يا قوم ما قد جرى فى ذلك اليوم ثم أنه بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وحزن حزناً عظيماً على ابنته شامة وتندم على ما جرى له غاية الندامة فقالوا له يا ملك الزمان وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه إ لم تعط ابنتك شامة لهذا المارد وتخرجها إليه فى البر والقيعان أخذها منك غصباً وإن زاد الأمر علينا أخذناها منك وسلمناها إليه يأخذها ويروح عنا ويرحل عن بلدنا وقد اتفق أهل البلد على هذا الكلام **(قال الراوى)** فعند ذلك قام الملك أفراح علي قدميه وهو لا يعرف ما بين يديه من شدة الغيظ الذى نزل عليه وسار من وقته وساعته إلى القصر وطلب زوجته وهى أم شامة فأتت وهى باكية حزينة وأخبرها بما جرى من المارد وأهل المدينة وحكى لها ما جرى له من أوله إلى آخره وأطلعها على باطنة وظاهره فعند ذلك لطمت أم شامة على وجهها وشقت ثيابها وتباكى عليها جواريها وحزن النساء والرجال والبنات والاطفال على ما جرى من ذلك الحال وحزن أهل المملكة أجمعين حتى غشى عليهم من شدة حزنهم لأن أباها وأمها ما كان معهم غير هائم إنهم بعد ذلك اشتغلوا بزينة الملكة شامة بنت الملك أفراح باطيب الزينة والملبوس والبسوها أحب الملبوس رغما عن أنفهم مما جرى ونزل عليهم وباتوا تلك الليلة وهم فى هموم واتراح وبكاء وأنواح وهم قاعدون عندها يتودعون منها حتى أصبح وأضاء بنوره ولاح فأمر الملك أفراح أن ينصبوا خيمة لإبنته التى هى أعز من زوجه وجثته على تل عال وخيمة على تل ثان ففعلوا ما أمرهم به وقد تودع منها أبوها وأمها وأهل مدينتها ومازالوا معها حتى أدخلوها الخيمة وتركوها فى ذلك بالحسرة والندامة وعادوا

راجعين وعليها باكين وأما أمها فرجعت هى ومن معها من النساء وهى فى هموم وأسى إلى الخيمة الثانية وهى فى حزن وعديد وبكاء شديد ما عليه من مزيد وأما الملكة شامة فإنها جلست فى الخيمة حتى يأتى العون في أخذها وصار أهل المدينة فوق الأسوار الكبار منهم والصغار وهم منتظرون ما يحل بالملكة شامة ويجرى لها مع الجنى المختطف من الآثار وكيف يضع بها فى ذلك البر والقفار ويقولون يا هل ترى يقتلها أو يأخذها وأما الملكة شامة فقدت فى هذه الخيمة وهى حزينة على ما نزل بها من البلاء وتستغيث بمن بسط الأرضين ورفع السماء وعلم آدم الأسماء فبينما هى كذلك إذا أقبل عليها وحش الفلا فوجدها وهى تبكى وتنشد الأشعار كما ذكرنا فاستخبرها هلى حالها فأخبرته بما جرى لها كما وصفنا وتعرفوا ببعضهما سلام الاحباب إذا كانوا غياب ثم قال لها وحش الفلا خبرينى ثانيا بالخبر وأطلعينى على جلية الاثر فأخبرته الملكة شامة بما وقع من الحكيم الملعون سقرديون والساحر المفتون والمارد الجبار وما جرى لها من الأخبار **(قال الراوى)** فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال أخذته الحيرة والانذهال وقال لها يا قرة العين والروح التى بين الجنبين يا حبيبة قلبى لا تخافى ولاترعى فإن قصدى أن آتى ذلك العفريت الشيطان وأريك؛ ما أفعل به من الأمر والشان وأكون له ندا من كل سوء وودا وإن أتى إلى ذلك المارد المريد من ذلك البر والبيد قلعت عينه وأخذت روحه من بين جنبيه كل ذلك يجرى وأهل المدينة تنظر وترى ويتعجبون من الأمر الذى طرأ ويظنون أن وحش الفلا هو المارد ويأخذها ويرجع عائد فبينما هما يتحدثان ومع بعضهما فى ذلك الكلام وإذا بالغبار غبر وعلا وتكدر والجو أظلم والقتام خيم من شدة خفقان أجنحة هذا المارد وبعد ساعة انجلى هذا الغبار وبان للنظار وظهر من تحته ذلك المارد الجبار وقد أقبل البر والقفار وحط يده على هذه الخيمة وقلعها من الأرض ورمى بها إلى خلفه ثم نظر المارد إلى

وحش الفلا وهو قاعد بجانب الملكة شامة فى الخلا فزاد به الغيظ ونزل عليه البلاء والتفت إليه وزغق عليه وقال له يا ولد الزنا وتربية الأم الحناما الذى حملت علي جلوسك عند عرسى وزوجتى وأنسى وأماجئت آخذها عندى ياقطاعة الانس لا كنت ولا عمرك كان ولا عمرت بملك وأوطان يا قرنان يا ابن ألف قرنان ثم إن المارد صاح عليه صيحة مزعجة آتدك لها الجبال والأودية والتلال فارتعدت فرائص وحش الفلا وأحس أن الأرض غارت من دون الملا من شدة هذه الصيحة وعظم هذه الزعقة وتفككت مفاصله ولكنه جلد نفسه وقرى قلبه وشد عزمه ونظر إلى هذا المارد فرأى خلقته شنيعة وذاته قبيحة مريعة وله رجلان كالسوارى ويدان كالمدارى وفم كالزقاق ومناخير كالأبواق وقدمان كأنهما تل من تراب وأذنان كل واحدة كالباب فلما نظره وحش الفلا على هذه الصفة وهذه الخلقة المخوفة مع ما سمع منه من غليظ الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقوى قلبه وقام على رجليه ومشى على قدميه وقد سحب السوط المطلسم الذى أخذه من العجمى عابد النار ووجده فى الغار لأنه أمضى من السيف البتار وأيضا سيوف الانس لا تقتطع فى الجن إلا إذا كان مطلسما من قديم الزمان فإنه هو الذى يقطع فى الأعوان. **(قال الراوى)** فمد المارد يده إليه ليأخذه ويقبض عليه فضربه وحش الفلابالسوط المطلسم ضربة جبار مع أنه من الصغار لكن له حنان أجرأ من الليث الهدار فوقعت الضربة على يده اليسار فنزلت إلى الأرض فى البر والقفار كأنه نشرها (بنشار) أوقسمها ببيكار فعندها صاح المارد آه آه قتلتنى يا قطاعة الأنس ويا ردى الجنس ويا ولد الزنا وتربية الخنا وأخذ يده المقطوعة من الأرض وجلعها تحت إبطه ولزقها محل القطع خوفا أن يخرج الدخان لأن الجن لا يسيل له دم لأنهم مخلوقون من النيران بإذن الرحيم الرحمن الذى خلق الإنس والجان ثم إن المارد المختطف نشر أجنحته وطار من وقته وساعته فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما جرى لهم من

الأخبار **وأما ما** كان من أهل المدينة الذين على الأسوار فإنهم لما نظروا إلى ذلك الحال أخذتهم الحيرة والانذهال وتعجبوا من هذه الأحوال وفرحوا فرحاً شديدًا ما عليه من مزيد وصاحت أهل المدينة بالفرح والسرو وإزالة البؤس والشرور والهموم والاتراح ودخلت عليهم المسرات والأفراح وفرحت النساء والبنات زالت منهم الهموم والسرات وفتحت الأبواب وخرجت النساء والشباب والبنات والأطفال والفرسان والرجال وخرج الملك أفراح وقد زادت به الأفراح وهو ملهوف الفؤاد هو وجميع دولته وأهل مملكته وعسكره ورعيّته ومعهم تخاليق الزعفران وقد صار المغنون من أبواب المدينة حتى وصلوا إلى خيمة الملكة شامة ونشروا على رأس وحش الفلا النشور ودخل على الفرح والسرور وكان ذلك يوما مشهوراً وفرح أبوها بذلك وأخذها بالأحضان وقبلها بين الأعيان ثم إنه التفت إلى وحش الفلا وهو من الفرح قد امتلا وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال له لاشلت يداك ولا شمتت بك أعداك وفرح بهما فرحاً شديداً ما عليه من مزيد ثم أنه بعد ذلك أخذهما من ذلك البر وسار ودخل المدينة وطلع القصر وامر بالزينة فى المدينة فزينوها بأفخر الثياب وفرحت الرجال والشباب **(قال الراوى)** فهذا ما كان من امر هؤلاء **وأما ما** كان من الحكيم سقرديون فإنه قد حضر من عند الكاهن وكان قد رجع من عند المارد المختطف فوجد المدينة مزينة بأحسن زينة وسمع الناس ضجة ورنة وسمع أهل المدينة يتحدثون بها فعل وحش الفلا مع المارد فى البر والخلا فاغتاظ الحكيم سقرديون ونزل عليه الغم والهوان واغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد ولطم على وجهه ونتف لحيته وأخذه الغضب والضجر وكادت مرارته أن تنفطر ودخل بيته وهو باك ودموعه على خدية تنحدر وقد لحقه الذل والخبل إذا لم يبلغ ما يريد من الأمل هذا ما جرى للملعون المفتون الحكيم سقرديون **وأما ما** كان من الملك أفراح فإنه أفاد لوحش الفلا حجرة برسمه وخلع عليه خلعة سنية تساوى ألفا

ومية وطلعت الملكة شامة وهى مسرورة بخلاصها من ذل الجنى الجبار على يد الفارس الكرار والبطل المغوار وقد أملت أن تكون له من جملة الجوارى وقد أمر المنادى أن ينادى فى المدينة يجمع الصغار والكبار والنساء والرجال الفرسان والأبطال وأن يحضروا وليمة الملك أفراح أن يكونوا مجتمعين عند الصباح ويأكلوا من سماط الملك الخاص والعام مدة ثلاثة أيام ويأخذوا كفاية بيوتهم وما يليق من أكلهم وشربهم فحضروا وأكلوا كفايتهم ثلاثة أيام ودعوا للملك بالعز والإنعام وازالة البؤس والاسقام وهم فى هناء وسرور والكاسات عليهم تدور وهم فى ضحك ولعب وانشراح وهناء وسرور وأفراح حتى انقضت الولائم وقد رتعت فيها جميع العالم **(قال الراوى)** فهذا ما كان أمر الملك أفراح وما جرى له من الإيضاح وأما ما كان من ابنته شامة التى كأنها مصباح فإنها تولّع قلبها بذلك الغلام لما خلصها من البراري والآكام وهو كأنه البدر التمام فقامت تلك الليلة قائمة على الأقدام مما حل بها من العشق والغرام وتمشت بعد أن نام جميع الأنام وهجم الليل والظلام حتى أقبلت إلى حجرة وحش الفلا وكان أيضا وحش الفلا قد أحبها لما رأى من حسنها وجمالها وقد ها واعتدالها وقد تمكن حبها من قلبه وأحدث فى عقله ولبه وهو لا يجد عنها اصطبار ا مما حل به من الأمر الكبار وهو غائب العقل مختار قلبه متفكر فيما يفعل من الأفعال وكيف يخاطب أبوها بذلك السؤال ولماذا عليه الحال أنشد وقال الصلاة على باهى الجمال:

* * *

بما يعبنك من غنج ومن كحل   وما بقدّك من ميس ومن ميل

;وما بثغرك من خمر ومن شهد   ومن رضاك شفا من سائر العلل

إن الذى حل بالاحشاء من وهج   أحلى من الأمن عند الخائف الوجل

* * *

(قال الراوى) وكانت شامة واقفة تسمع ذلك الشعر والنظام وما قاله من الكلام فدخلت وسلمت عليه وجلست بجانبه فلما رآها فرح بها وصارت تحدثه ساعة من الزمان وقد زاد بالاثنين العشق والهيمان ثم التفت إليه وقالت له يا وحش الفلا بحق زحل فى علاه إن كنت تحبنى كما ذكرت فى شعرك وحبى تمكن من قلبك أصبح اطلع الديوان واخطبنى من أبى يازين الفرسان بحضرة أرباب دولته ورؤوس مملكته لأنك أنت أقرب إلى وأحسن من الغريب لدى وإن لك على الجميل والإحسان لأنك قد خلصتنى من الجان بعدا لهم والأحزان ونجيتنى من الهلاك وسوء الارتباك وإنى صرت عتيقة سيفك وأمينة خوفك فقال لها وحش الفلا يا حبيبة القلب ويامنية الصب لك على السمع والطاعة وسوف أفعل ما ذكرتيه من المقال فعند ذلك ودعته ورجعت إلى حجرتها وقد زاد بها غرامها ثم أنهم باتوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاءة بنوره ولاح فقام وحش الفلا من المنام وهو زائد الوجع والغرام وتوجه إلى الديوان وسلم على الفرسان فلما نظره الملك أفراح رحب به وأجلسه بجانبه وقد صار عنده أعز من أهله وأقاربه ولم يزل جالساً حتى انفض الديوان ومنعه الحياء من التكلم بين الشجعان فى أمر الخطبة والزواج وما اتفقوا عليه من ذلك المنهاج ومضى كل واحد إلى منزله عتد أولاده وأقاربه فلما كان فى الليلة الثانية جلس وحش الفلا فى حجرته وقد زادت همومه وحسرته فما يشعر إلا الملكة شامة داخلة إليه فسلمت عليه وقالت له لأى شيء ماخطبتنى من أبى بين أهلى وأقاربى فى هذه اليوم ومنعت العتب واللوم فقال لها يا حبيبة قلبى وروحى التى بين جنبى استحييت منه فقالت له هل عندك الحياء يا سيدى وحش الفلا فقال لها نعم ولكن فى غداة غد أفعل ذلك وكان سبب للمها لك ثم أنهما قعدا يتحدثان ساعة من الزمان وودعته ومضت إلي حال سبيلها ودخلت حجرتها وأما وحش الفلا فإنه قعد حتى أصبح الصباح فقام

ودخل على الملك أفراح فوجد الديوان تكامل بارباب الدولة فلما رآه الملك حياه وأكرم مثواه وجلس إلى جانبه وصار يتحدث هو ورباه إلى أن انفض الديوان وانصرفت الفرسان وقام وحش الفلا ودخل حجرته على حسب ما جرت عادته وهو متفكر فى ذلك الحال وما الذى يقوله من المقال **(قال الراوى)** فبينما هو كذلك وإذا بشامة داخلة عليه فسلمت وجلست بجانبة وقالت له إلى متى هذا الحياء ياسيدى وحش الفلا قوقلبك وابذل مجهودك واخطبنى وإلا وكل أحداً يتوكل عنك ثم إنهما قعدا يتحدثان ساعة ومضت إلى حال سبيلها فلما كان عند الصباح دخل وحش الفلا على الملك أفراح فوجد الديوان متكاملا بالفرسان وأرباب الدولة مجتمعة فى ذلك المكان وسقرديون حاضر في ذلك المجلس فوقف وحش الفلا وثبت جنانه وتقوى فناداه الملك وأمره بالجلوس فقا ل لبيك يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان ثم إنه زمزم وترجم وتأخر وتقدم وأحسن ما به يتكلم ودعا للملك بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والغمّ فقال الملك وما حاجتك يا غلام حتى أهم وأقضيها لك قوام يا ابن السادات الكرام فقال وحش الفلا جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا فلا تردنى خائبا فى الست المصونة والجوهرة المكنونة الست شامة **(قال الراوى)** فلما سمع الحكيم سقرديون ذلك صار الضياء في وجهه ظلام ولطم بيده على رأسه حتى تتعتعت أضراسه ونتف لحيته وشق لباسه فقال له الملك ما بالك أيها الحكيم والسيد الكريم تفعل هذه الفعال وما الذى جرى عليك من الاحوال فقال له الحكيم هذا الذى كنت أخاف منه فإنه لابد منه وأنه متى اقترنت الشامتان بعضهما ببعض أبشر بخراب الأرض والديار الحبشة والسودان فالعلاك والخسران والذهاب من هذه الديار والأوطان ويصيروا عبيداً وغلمان فقال له الملك ما الذى يتقوله يا حكيم الزمان وهو بالأمس خلصها من المارد الشيطان وهى فى البرارى والقيعان ومنا فى أشد الأحزان فأبدل خوفنا بأمان فقال له قل له

إنها مسلمة الأمر لحكيمها فاخطبها منه فهو ينعم لك بها ويزوجك إياها عن قريب وأنت أولى من الغريب فأجابه الملك إلى ذلك الأمر والمقال والتفت إلى والحش الفلا فى الحال وقال يا ولدى أنت أعز من خطب وأجل من فيك رغب ولكن أنا أعلمك وأقول لم على شيء فيه صلاح لك ولها هي مسلمة أمرها إلى حكيمها **(قال الراوى)** فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام أيقن يبلوغ المرام والتفت إلى الحكيم وقال يا حكيم الزمان إنى جئتك خاطبا راغبا فى ابنة الملك أفراح فلا تردنى خائبا فقال الحكيم بمكره وخداعه وخبثه ومحاله بخ بخ فارس الزمان إن شامة لك من جملة الجوار وأنت لها يا فارس الأقطار ولا تتزوج بغيرك أبدا وزحل ينصرك على الاعداء ولكن أنت تعلم أن البنات لهن مهور خصوصا أولاد الملوك وبنات الملوك مهورهن غال وكثير أيها الفارس النحرير فقال وحش الفلا يا حكيم الزمان اطلب منى ما شئت بين هؤلاء الفرسان وكل ما طلبت من المهر يأتى إليك ويحضر بين يديك فقال له لانطلب منك مالا ولا نوال ولا نوقا ولا جمال وإنما الذى نطلب فى مهرها أن تأتى به إلى عندى هى رأس عبد يسمى سعدون الزنجى فقال وحش الفلا وأين مكانه الذى هو ساكن فيه وأوطانه قال هو فى قلعة تسمى قلعة الثريا وهى فى ذلك البر والآكام وبيننا وبينها مدة ثلاثة أيام وإن لم تأت لنا برأس سعدون لم يصر لك عندنا زواج فقال وحش الفلا فى حجرته وهو متفكر فى قضيته **(قا ل الراوى)** هذه السيرة العجيبة وما حوت من الأمور الغريبة إن هذا الفارس الذى قال الملعون الحكيم سقرديون الذى يسمى سعدون فارس شديد وبطل صنديد وقوى عنيد وقد شاعت فروسيته فى بلاد الحبشة والسودان وخافته جميع ملوك تلك البلدان وكان تحت يده ثمانون عبد شداد لايخافون من الموت ولا يرهبون من الفوت وكان سعدون هذا فى نفسه جباراً لايطاق يلقى عسكرا بمفرده ولو كانوا يملؤن الآفاق وكان يقطع الطرق على القوافل وينهبها ويقتل نساؤها ورجالها

وجميع المسافرين والتجار يخافون صولته ويخشون سطوته فوصل خبره إلى السلطان حاكم بلاد الحبشة والسودان الملك أكبر سيف أرعد فصعب عليه ولديه فجهز له خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وأرسلهم مع حاجب من حجابه فخرج إليه سعدون وهو كأنه المجنون وعبيده حواليه والعسكر تنظر إليه على الخمسة الآف فارس فكسرهم وفى البر شتتهم ووصلوا إلى الملك الأكبر وأخبر بالخبر فتعجب من ذلك العبد الجبار وما فعل من الآثار فجهزله عسكراً جراراً كأنه البحر الزخارهم ثلاثون ألف فارس من كل مدرع ولابس فى الحديد غاطس وسيرهم إلى سعدون الزنجى فلما وصلوا إليه وقدموا عليه ونظر إلى كثرتهم دخل هو وأبطاله إلى قلعته وقفلها عليه فلم يقدروا عليه لأن قلعته كانت على سن جبل عالى وهى مليحة البنيان مشيدة الأركان ولها ممشى موصلة إلى الطرق لا تسع إلا فارساً واحدا وهذه القلعة مسلطة على هذه المشى فلا أحد يقدر على أن يجوز عليها ولا يصل إليها فلذلك اطمأن قلبه وأمن من الهلاك علي نفسه بالعصيان على الملوك وعلى كل غنى وصعلوك وصار له رعب فى قلوب الناس من الحبشة وغيرهم من الأجناس لأنه قوى الاساس صعب المراس وما أراد الحكيم من وحش الفلا بذلك إلا هلاكه وسوء ارتباكه.

(قال الراوى) ثم أن وحش الفلا دخل إلى حجرته وقعد متفكرا فيما جرى من الكلام إلى أن ولى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وإذا بشامة أتت إليه ودخلت عليه وقالت إيش هذا الضمان الذى ضمنته على وإنما أراد هذا الملعون أن يسكنك رمسك ويعدمك أهلك وجنسك وقتلك وهلاكك فقم نخرج أنا وأنت من هذه الأرض والبلدان إلى أرض غيرها بعيدة عن الأوطان ونعيش تحت يد ملك من ملوك الزمان فى هناء وأمان إلى أن نموت ولانعيش فى هذا المكان الذل والهوان فقال لها معاذ الله أن آخذك سفاحاً وما آخذك إلا نكاحاً فلما سمعت شامة ذلك الكلام وتركته وقامت واقفة

على الأقدام ومضت وهى مغتاظة مما حل بها من الاسقام وأما وحش الفلا فإنه ما ذاق طعاماً ولا شراباً فى ليلته والمدام ولاذاق أطعم المنام مما حل به من الشوق والغرام وخاف أن يراه الملك أفراح بعين النقص والهوان فقام من وقته وساعته بذلك المكان وشد جواده ولبس عدة حربه وجلاده وخرج فى ظلام الليل يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار وقد زاد به الغرام والعشق والهيام وهو سائر في البر والآكام وهو مع ذلك ينشد ويقول:

* * *

أرجو وآمل أن الشمل يجتمع ... ما كان لى فى حياتى بعدكم طمع
أقسمت ما فى فؤادى غيرحبكم ... والله ربى على الأسرار مطلع

* * *

(قال الراوى) وصار بعد ذلك يقطع البرارى والبطاح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأقبل على وادى فسيح ومروج وفيح فظهر عليه من ذلك البر والوهاد ومن ناحية تلك البلاد فارس شديد وعلى جسده الزرد النضيد وهو لابس الحديد معتقل برمح مديد وهو كأنه قلة من القلل أوقطعة فصلت من جبل وهو راكب على جواد أصفر فى لون الذهب الأحمر شديد الغضب تربية ملوك العرب مضيق اللثام مقبل من ذاك الآكام وهو يتمايل على ظهر الجواد كأنه من الآساد فلما رأى وحش الفلا صاح فيه وقال إلى أين ولد الزنا وتربية الأمة الحناخذ ما أتاك وأبشر بهلاكك وفناك فقد جاء الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر يا نذل يا غدار ومثلك يسير وحده فى البرارى والقفار ثم إن ذلك الفارس مد الرمح إليه وزعق وانطبق عليه فلما رأى وحش الفلا ذلك وما قاله ذلك الفارس من المقال أخذته الحيرة والانذهال وصاح فى جواده فخرج من تحته كأنه البراق إذا برق أو الريح إذا خفق وانطبق على ذلك الفارس الجبار فى تلك البرارى والقفاز وتطاعنا بالاسمر الختار وتضاربا بالسيف البتار وانطبقا الاثنان كأنهما بحران متلاطمان وتقاتلا قتالاً

شديداً وطلع عليهما الغبار وما زالا على ذلك العيار إلى أن أنتصف النهار فغضب وحش الفلا من طول المقام فى ذلك البر والآكام وذلك الفارس يعبقه عن بلوغ المرام فحمل عليه كأنه أسد الآكام وزعق فيه زعقة عظيمة اهتزت لها الجبال والأودية والتلال فادهشة وحيره وضربه بعقب الرمح فى صدره فقلعه عن مركبه فنزل وحش الفلا عن ظهر الجواد فى ذلك البر والمهاد وتقدم إلى ذلك ليذبحه ويقتله وعلى الأرض يجندله فصاح عليه ذلك الفارس أمسك يدك أيها الفارس الصنديد والبطل الشديد فإنك تندم حيث لا ينفعك الندم ويفوتك الخير والنعم وتمسى فى البؤس والنقم فقال وحش الفلا لأى شيء يا قرنان يا ابن ألف قرنان وتحير من ذلك الأمر والشان فقاله الفارس الجحجاح يا فارس الأرض والبطاح أبشر بالسرور والأفراح وإزالة الهموم والاتراح أنا الملكة شامة بنت الملك أفراح:

(قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام غاب عن الوجود وبقى فى صفة مفقود وقال لها ولأى شيء فعلت هذه الفعال فقالت حتى أجريك فى القتال وأرى معك وفى صحبتك لاتعاون أنا وإياك على قضاء حاجتك وبلوغ أمنيك فقال لها لا يكون ذلك ابدا ولواسقيت شراب الردى لئلا يقال لولا شامة بنت الملك أفراح ما قدر وحش الفلا على سعدون الزنجى فقالت له إن لا تأخذنى معك لها لا يكون ذلك ولو شربت كأس المهالك **(قال الراوى)** فرفعت شامة رأسها إلى السماء وقالت يامن رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد أوقع وحش الفلا فى شامة ولا يخلصه منها إلا أنا ثم أنها تركته وسارت فى البر والآكام وقد زاد بها العشق والغرام فانشدت هذه الأبيات صلوا على كثير المعجزات:

* * *

إلى متى هذا الصدود والجفا ... فيما جرى من أدمعى ما قد كفى أنا
إن كنت بالهجران تقصد عامدا ... يشتفى الحاسد ها هو اشتفى

* * *

(قال الراوى) هذا ما كان من وحش الفلا فإنه سار طالب القلعة باقى هذا اليوم والثانى والثالث حتى أشرف على القلعة عند اختلاط الظلام ومازال سائراً حتى أتى باباً فوجده مقفولا فوقف حيران فى ذلك الليل المهول لايدرى ما يصنع وإذا هو يحس خيل تصهل فى ظلام الليل مقبلة من البرارى والقيعان وهى سود فى لون القطران وعليها فرسان كأنهم العقبان فاختبأ وحش الفلا فى جانب من ذلك البر وقد ستره الظلام بقدرة الملك العلام إلى أن وصلوا وهربوا منه فوجد عشرين من العبيد وهم أبطال صناديد ناهبين قافلة من تلك الأراضى والبيد وجميع مايها من الأموال ورجالهم مربوطين على خيولهم بالحبال وهم يصيحون فى البرارى والتلال فلما وصلوا إلى باب القلعة اختلط بهم وحش الفلا فعند ذلك دقوا باب القلعة ففتح لهم فدخلوا جميعهم ودخل وحش الفلا معهم إلى أن توسطوا القلعة فتركوا الجمال ونزلوا ما عليها من الاحمال ونزلوا الرجال عن ظهر الخيل والبغال والكل مشدودون بالحبال فلما حطوهم طلع العبيد القصر مثل الشياطين فوقف وحش الفلا ينتظرهم فلم ينزل أحد لا أبيض لا أسود فقال فى نفسه إذا كانوا هم لم ينزلوا إلى هذا المكان فأنا أطلع إليهم وأبذل فيهم الحسام اليمان فتقدم إلى الموضع الذى طلع فيه السودان فإذا هو درج أولان فطلع أول درجة فزاغت من تحت قدمه فنزل يهوى فى مهوى بعيد بمكابس فيها بكر وأحبال طوال وإذا بخنجرتين من اليمين وخنجرتين من الشمال فغرزا فى خواصره حتى كاد أن يقطعا جنبيه وكل ما داس إلى أسفل تغرق الخناجر فى وسطه حتى كاد أن يهلك ويعدم نفسه فحط يديه على الخناجر وخفف رجليه عن المكابس التى تحته وصار يتحرك ليخلص فلم يقدر على ذلك فأيقن أنه هالك فشكا حاله إلى من يعلم سؤاله وبكى واشتكى وصار يستغيث بهذه الأبيات وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول:

يا خائفاً من دهره كن آمناً ... وكل الأمور إلى الذى مد الثرى

إن القدر كائن ياسيدى ... فلك الأمان من الذى ما قدرا

* * *

(قال الراوى) فبينما هو كذلك وقد أيقن بشرب كأس المهالك وإذا بالشخص أقبل من صدر الحصن وناداه لابأس عليك يا بطل الزمان وقرة الأعيان ثم أن ذلك الشخص تقدم وخلصه مما هو فيه وقلع الخناجر من خاصرتيه فناداه وحش الفلا أخبرى أيها الفارس الجحجاح من أنت يا أسد البطاح يا من أزلت عنى الهموم والاتراح وأبدلت خوفى بالسرور والافراح فناداه ذلك الشخص وبسره وبلح أنا الملكة شامة بنت الملك أفراح فقال لها ياقرة عينى قد استجاب الله دعاك حتى خلصتينى من الأشراك فقالت نعم فقال لها وكيف جئتينى إلى هذا المكان وسرتى فى البرارى والقيعان ياسيدة النسوان فقالت له تبعت أثرك خوفا عليك من هذه المهالك لأن: ما أعرف لهذه القلعة مسالك فاختلطت بالعبيد كما فعلت يا سيدى ووقفت أنا أبصر ما تفعل وما الذى تدبره من العمل فوجدتك قد وقعت فى هذا الفخ المنصوب فجئت وخلصتك من المكروب وأنا الآن بصحبتك فإذا أردت الصعود على أى درجة فجسها قبل أن تصعد عليها فأجابها وحش الفلا إلى سؤالها لأنه رأى رأيها صواب وأمرها لايعاب فجعل وحش الفلا السيف فى يده وذنابه إلى أعلى ورأسه إلى أسفل وصار يجس به الدرج ويدق عليها وكل درجة أقبل إليها يبصرها ويجسها فإن كانت ثابتة يدوس عليها وإن كانت غير ذلك يتأخر عنها حتى وصل إلى رأس السلم فوجد البسطة تلعب من أعلاها وأسفلها فالتفت إلى شامه وهى إلى جانبه لا تقدر أن تفارقه وقال لها فخ أعلى وفخ أسفل وما الذى ينجينا من الوحل وأنى أظن أنه قد فرغ الاجل ولم ننل من بعضنا بعض أمل فقالت له ما تقدر أن تضع يدك فى

الحائط من هنا وتنفلت فتصير فى الدهليز فأجابها وفعل ما أمرته فصار فى أعلا المكان ثم أنها انقلبت فصارت عند وتبدل خوفهم بأمان فوجدوا دهليزاً واسع المكان هو رخام كله من قديم الزمان فرأ وأبواب القصر وهو عظيم يزيل الهموم والحضر وله مصراعان مصراع مقفول والثانى مفتوح والنور طالع منهما فوقف وحش الفلا خلف المصراع المقفول ونظر بعينه فرأى ثمانين عبدا صفين متقابلين أربعين يميناً وأربعين يساراً وهم كأنهم العمار وفى صدر الايولن عبد قاعد كأنه شيطان أو عفريت من عفاريت سيدنا سليمان وهو كأنه طودمن الاطواد أو من بقايا قوم عاد بدماغ قدر القبة المبنية ووجه قدر الصانية بعينين كأنهما شعلتان وشفتين كأنهما دلوان وزنود مثل زنود الفيل وهو عريض طويل **(قال الراوى)** وهذا العبد هو سعدون الزنجى ثم أنه التفت إلى من حوله من العبيد وقال لهم بكلام مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف يا بعد السوء إيش فعلتم بالاسارى الهوان وما الذى أنزلتم بهم من الذل والخسران فقالوا له أنهم فى أسفل الحصن أيها البطل الهمام والاسد الضرغان فقال لهم ربما يكون رباط أحدهم ضعيف فقطعة ويخلص أصحابه فيمسكوا سلم القلعة فيحرموا أحدا منكم أن ينزل لأن أذنى ظنت وعينى رفت فلابد أن يقوم أحد منكم فينظر خبر الاسارى فلما سمع العبيد من مقدمهم ذلك المقال وثب منهم عبد كأنه جمل حل من عقاله إلى ذلك الخال وقال يا سيدى أنا أكشف لك الحبر وآتيك بجلية الأثر وحط يده على سيفه وطلب دهليز القصر ليزيل عن المقدم الهموم والحصر فنظره وحش الفلا وهو قائم على قدميه وقادم عليه فارتكن إلى جانب الحائط وصبر عليه حتى صار عنده وبين يديه فضر به فوق كتفه الأيمن فخرج السيف من تحت إبطه الايسر اسرع من لمح البصر فسحبته شامة إلى جانب الحائط فأبطأ خبره على سعدون فبقى كأنه مجنون فقال للعبيد إنى أرى صاحبكم ما ظهر وأظن أنه مات واندثر

فاطلعه يلمع من عاتقه فجرته شامة إلى جانب رفيقه فلما أبطأ على سعدون قال ما هذا خبر خير وما أظن إلا للبعيد صياد يصطادهم ثم أنه صلح على عبد ثالث وقال له قم وانظر رفقاءك وأتينى بخبر أصحابك واخوانك فخرج العبد حتى صار عند وحش الفلا فضربه وقتله وعلى الأرض وجندله فجرته شامة عند رفقائه فلما أبطأ خبرهم عليه صلح سعدون على العبيد وقال قوموا وابصروا خبرا اخوانكم فقالوا له أنت جعلتنا أغنام للجزار قم أنت بنفسك وانظر هذه الأخبار **(قال الراوى)** فعندها قام سعدون وهو كأنه الأسد الغضبان والجمل الشارد عن الأوطان وقام جميع العبيد وحطوا أيديهم على سيوفهم وسحبوها وقد أوقدوا الشموع وأمسكوها فقال وحش الفلا فى نفسه لم يبق لى فى هذا الوقت عن هذا العبد الجبار والذين معه الاشرار وما ينجينى من الهلاك والبوار الا السيف البتار ثم أنه وقف فى وسط الدهليز وإذا المتقدم نظر وحش الفلا وهو واقف فى الظلماء والسيف فى يده يلمع كأنه النجم حين يطلع والعبيد حوله مقتولة وعلى الأرض مجدولة فأخذته الرجفة وصار يرتعد مثل السعفة فقال رفقاؤه ما لديك وما الذى جرى عليك نراك قد وتوقفت عن الخروج فقال لهم هذا الصياد الذى اصطاد إخواننا خارج هذا المكان.

وما أظن إلا أنه عامر هذه الأوطان وقد ظهر لنا إخوان وهو واقف مثل النمر الحردان فتوقفت جميع العبيد عن الخروج فقال لهم سعدون وهو مما نزل به مغبون إن لنا فى هذا المكان مدة من الزمان ومانرى أحد علينا لا إنس ولا جان ثم أنه قفز وصار قدام العبيد وصرخ وقال يا هذا اظهر نفسك وبين لنا خبرك إن كنت من فرسان هذا الزمان أو من بعض فروخ الجان ما شأنك وما تريده منا وما الذى أقدمك علينا فأجابه وحش الفلا وقال له يا قرنان أنا من الانس لامن الجان وجئت آخذ رأسك وأخمد أنفاسك واهدم اساسك وأعود بالسرور والأفراح وأزيل عن قلبى الهموم والأتراح لأنى جعلت

رأسك مهر زوجتى شامة بنت الملك أفراح **(قال الراوى)** فلما سمع العبد سعدون ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له وما تكون شامة ومن يكون الملك أفراح ولا كنتم ولا كان ولا عمرت بكم أوطان ولكن أنت لى وأنا لك لأنك جئت بسببى والآن أقتلك وفى هذا القصر اجندلك فعندما قال سعدون للعبيد لا أحد منكم يتقدم ويدخل بينى وبينه فيندم حتى ابصر نفسى مع هذا الإنسان وابدل عزه بهوان ثم أنه التفت إلى وحش الفلا وقال فى أى مكان تحب أن تقاتلنى وبأى موضع أردت أن تحاربنى فقال له ندخل إلى ذلك القصر قال نعم ما رأيت فعند ذلك دخل العبد ودخلت العبيد جميعهم ودخل وحش الفلا من ورائهم ووقف فى وسط القصر ثم دخل سعدون فى مخدع من مخادع للقصر وخرج منه وهو مثل أسد من حديدً وكأنه قطعة من الجلاميد وهو يزمزم ويبربر بلغة العبيد فلما رأى وحش الفلا العبد وهو مقبل عليه وقد طلع الزبد على شدقيه وهو من كبر جثته قدملأ ذلك المكان فاستقبله وحش الفلا كأنه الأسد الغضبان وهو ينشد يقول:

* * *

نظرت بعينى ذات حسن وبهجة   فأورثنى ما شمته كل حسرة
وخلصتها من شر كيد عدوها   وقطعت زنديه بفائق همّتى
ورمت بها التزويج ثم خطبتها   فجاء أبوها لى بأرغب حالة
فأفسد ذلك سقرديون بمكره   جزاه إلهى كل شر ونكبة
وقال إذا مارمت ياذا فتاتنا فقلت   بهامة سعدون إئت ياذابسرعة
له كل الذى تطلبونه   سأحضره فى الحال من غير مهلة
وسرت مجدا فى السير وسأتى   برأسك ياسعدون مهر حبيبتى
ولابد لى مما كرهت حقيقة   ولو خضت غمرات المنون بقوتى
سأوردكم يا آل حام مواردا   من الموت يصلاها الجبان بغصة
بوحش الفلا أعدنى وإنى أخوالفلا   مبيد الأعادى واللئام بشدتى

* * *

(قال الراوى) فلما فرغ وحش الفلا من ذلك الشعر والنظام وسمع سعدون ذلك الكلام وإن لم يعرف مما بيديه من المرام أقبل إليه وهجم عليه وحمل الاثنين على بعضهما وهما كأنهما جبلان راسخان أو بحران متلاطمان وزاد الشر بينهما ونما وتكحلا بمراود العى وأشرفا على الهلاك والفنا وتضاربا بالرماح حتى تقصعت وبلاسيوف حتى تلثمت وزاد بهما القلق وكثر عليهما العرق ولم يزالا فى قتال وكفاح حتى زهقت من أبدانهما الأرواح وبقيا أشباحا بلا أرواح فاختلفت بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة سعدون وهو كأنه المجنون مما نزل عليه من الهموم والغبون لأنه رأى من وحش الفلا حر باً بحير النظار ورآه فارسا ثقيل الغبار فلما نظرت شامة إلى الضربة الصائبة وهى غير خاذبة خافت أن تصيبه فتقتله وفى ذلك القصر تجند له وخافت على وحش الفلا من الموت والقهر وهى واقفة خارج القصر لأنه هذا العبد قد طلع فى بلاد الحبشة مثل صاعقة محرقة وداهية ممزقة وهو آفة من الآفات وبلية من البليات وكأن مع شامة خنجر يلط الحصا عن الحجر فامسكته من قبضته وحررت ذبابته على يد سعدون وحدفته وكان الاثنان متداخلين فى بعضهما فدخل الخنجر فى يد سعدون فانحلت عروق يده وانحلت قوته وعزمه فكان وحش الفلا داخلا عليه بالضربة ليسقيه كأس النكبة فلما نظر السيف طار من يده وقد انحل عزمه وجلده رديده بالضربة عنه والتفت وحش الفلا وراءه وقال لشامة لاشلت يداك ولا كان من يشناك ولا شمتت فيك أعداك وبلغك الرب القديم مناك ثم قال له خذ سيفك يا سعدون وقاتل به ولا تقل وحش الفلا أخذنى غدرا فأنا لا اخذك إلا بالحق بين الخلق فقال له يا بطل الزمان وزين الشجعان أنت لما التفت إلى وراءك بعد ما راجعت السيف بين يديك كنت تحدث من الناس يا زين الجلاس فقال له وحش الفلا لا تخاطبنى بهذا المزاح فأنا كنت أخاطب الملكة شامة بنت الملك أفراح فقال له يا فريد

العصر هى معك خارج القصر فقال له نعم فقال له سعدون صيح عليها تدخل فعندها وحش الفلا صاح وقد زاد به السرور والأفراح ادخلى يا ست شامة بنت الملك أفراح فدخلت إليهما حتى صارت عندهما.

(قال الراوى) فلما نظر سعدون اشتغل سره وحار أمره والتفت سعدون إلى وحش الفلا وقد نزل عليه الهموم والبلا فوجد شامة إلى جانبه وهى تحادثه وتلاعبه فقال لها سعدون قد ضاقت الدنيا على أبيك حتى لا يطلب مهرك إلا رأسى فقالت له شامة على قدر ما اشتهى طلب لا تطل المقال والخطب ودونك والقتال والحرب والطعان والضرب فلما سمعه وحش الفلا وهو يكلم شامة بذلك الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وقال له دع عنك هذا الكلام يا ابن اللئام وخذ السيف يا ابن الأنذال ودونك والحرب والقتال والطعن والنزال فقال سعدون معاذ الله يا سيد الأبطال أن أقاتلك بعد هذه الفعال وأنك تكرمت على بالإحسان والانعام فصار قتالك على حرام لأنك قدرت وعفوت ثم أن سعدون أدار يده وراءه وميل رأسه إليه وقال يا فارس الزمان يا ابن الشجعان فى يوم الحرب والطعان اضرب رأسى واهدم أساسى بين أهلى وأجناسى ورح إلى حال سبيلك وعد سالما وادخل على زوجتك بين أهلك وعشيرتك فقال له وحش الفلا إن كان قولك صحيحا فاخرج معى إلى خارج القلعة فى تلك الأرض والبقعة فأجابه سعدون إلى ذلك المقال والتفت إلى العبيد وقال لا أحد منكم يخرج معى إلى القفار لأنظر ما يجرى إلى هذا الغلام الجبار فأجابوه إلى ما أراد من الآثار ونزل وحش الفلا وشامة بنت الملك أفراح ونزل سعدون وهو فى شؤم واتراح وخرج الثلاثة إلى البر والبطاح وأمر سعدون بقفل الباب بينه وبين العبيد الأنجاب وطلعوا على أعلى السور يتبا كون على أستاذهم ويتنحبون على سيدهم **(قال الراوى)** ولما خرجوا إلى البر والقفار والسهول والاوعار التفت سعدون إلى وحش الفلا وهم الثلاثة فى البر والخلا وقال أيها البطل الهمام والأسد الضرغام

ومبيد الاعداء اللئام بالحسام الصمام والارض هل لك فى الصراع فقال له نعم فقال سعدون نتصارع ثلاث مرات فى تلك الجبال والفلوات فكل من غلب صاحبه الثلاث مرات كان هو الحاكم عليه وحكمه إليه إن شاء أن يقتله وإن شاء أن يأسره وإن شاء أن يطلقه ويعفو عنه فأجابه وحش الفلا إلى ذلك المقال وقلعوا ما كان عليهم من آلة الحرب والقتال وصارا فى سراويلهما بعد ما قلعوا ثيابهما ورموا ما كان فى أيديهم من سلاحهما وهجم كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يلاكمه ويضاربه فكأنهما شجرتان ثابتتان وجرى بينهما عجائب وأهوال أكثر مما جرى بينهما من الحرب والقتال وقد نظر سعدون إلى وحش الفلا فوجده نحيف الجثة فطمع فيه لأجل خفته وما هو فيه من رشاقته فهجم عليه وأراد أن يوصل الأذية إليه وحط يده فى جنبه ورفعه عن الأرض على زنده وألقاه وأراد بذلك أن يجعل فناه ويعدمه الحياة و إذا بوحش الفلا نزل واقفا على قدميه كأنه الأسد بين يديه فقال وحش الفلا فى نفسه وقد أيقن أن ذلك الجبار يسكنه فى رمسه كيف الخلاص من هذا الأمر العسير والخطب الكبير وزاد به الغيظ والحنق وسال عليه العرق وبان فى وجهه الغضب من رفع سعدون على زنده فى ذلك البر والهضب قدام شامة حبيبة القلب ثم إن وحش الفلا هجم عليه وتشابط هو وإياه ودخل فيه ومد وحش الفلا يديه إلى خلف أذن سعدون وهو لا يعرف ما بين يديه ومكن أصابعه فى أذنيه وقرص بهمته عليه فنزل إلى الأرض يهوى كأنه صخرة من الأحجار الكبار وهو مرمى كأنه شجرة من الاشجار فقال وحش الفلا فى نفسه ما كل مرة تسلم الجرة هذا شخص عظيم الخلقة أو أنا نحيف الجثة والرشقة فربما يقهرك وعلى الأرض يجندلك ويقتلك أنت ومحبوبتك وأنت مانلت من الدنيا أمنيتك ولكن أذبحه وآخذ رأسه وأعدمه وأهله وناسه وأمضى إلى حال سبيلى وأعود إلى

أهلى وأطلالى **(قال الراوى)** فلما صار سعدون مطروحا على الارض والمهاد وقال وحش الفلا ما خطر بباله من الابراد هجم وحش الفلا عليه وقعد على كفيه وسحب خنجره وأراد أن يعمل هذه الأعمال فقال لا تعمل فتندم بحيث لا ينفعك الندم هذه الأولى بقى عليك مرتان فلما سمع وحش الفلا من سعدون الزنجى ذلك المقال استحيا من هذه الاحوال وقام عليه ووقف على قدميه وقام أيضا سعدون إليه وعادوا إلى المشابكة والملاكمة والمعاركة فقهره وحش الفلا الثانية ثم عادوا ثالث مرة إلى ماهم عليه من القتال والصراع فى ذلك البر والبقاع فأحس وحش الفلا فى نفسه بالتقصير مع هذا البطل النحرير الذى كأنه بعير فاستعان برب الأرض والسماء الذى علم آدم الأسماء ومد إلى سعدون يده فى مراق بطنه وكبش عليه فحكم التقريط على كليتيه فوقع إلى الأرض وأغمى عليه فبرك عليه وحش الفلاوسل خنجره فى ذلك البر والخلا وخطه على منبت شعره فأيقن سعدون بهلاكه وعدمه فقال يا سيدى وحش الفلا أنت فريد الدهر والعصر أتريد أن تذبحنى ذبح البقر فى ذلك البر والهجر فرفع يده عن رقبته وقام عنه من وقته وساعته فعندها قام سعدون وقعد ومد يده وراءه وقال له اضرب رأسى هكذا الرجال يا سيد الفرسان والأبطال **(قال الراوى)** لهذه الاحوال فلما سمع وحش الفلا من سعدون هذا المقال استحى أن يقتله فى ذلك البر والتلال ومن عليه بالاطلاق مما كان فيه من ضيق الخناق ورمى وحش الفلا السيف من يده بعد ما كان عول على قتله كل ذلك بحكم الملك الديان الرحيم الرحمن يكون الا كوان الذى يصير سعدون الزنجى من العبيد والسوادن عبيدا وغلمانا لوحش الفلا فارس الزمان وفريد العصر والأوان على طول الايام والزمان حتى يصير من أهل الإيمان ويبيد أهل الكفر والطيغان مع هذا الفارس المصان ويعبد الملك العلام على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ويصير من أهل الإسلام وسنذكر كل شئ فى مكانه بعون الله

وسلطانه ونرجع إلى سياقة الحديث بإذن الملك المغيث **(قال الراوى)** ثم إن وحش الفلا لما رمى السيف من يده واستحيا أن يقتله لما أن سمع منه مقاله قالت له شامة وصاحت عليه إيش هذه الفعال يا سيد الرجال اضرب رأسه واهدم أساسه واخمد أنفاسه واعدم أهله وناسه وخذها ودعنا نمضى إلى حال سبيلنا ونعود من هاهنا إلى أوطاننا ونجتمع بأهلنا وتتزوجنى ونعيش فى سرور وهنا فقال لها وحش الفلا وقد نزل عليه من كلامها البلايا هذه مثل هذا البطل أقتله وعلى الأرض أجندله لا يكون ذلك أبدا ولو سيقت شراب الردى ثم إنه أقبل على رأس سعدون الزنجى يقبلها وقال له قم يا بطل الزمان لا بأس عليك من هذا الامر والشأن فصار سعدون كأنه مجنون أو بغير حل من عقاله وقد تبلبل خاطره وباله وأخذ وحش الفلا بالأحضان وقبله ما بين الأعيان وقد صفيت بينهما القلوب من الهم والكروب وأراد وحش الفلا أن يعود إلى دياره ويرجع إلى أرضه وأمصاره فحلف عليه سعدون وشدد فى الإيمان والأقسام أنه لا يعود حتى يأكل الطعام ثم أنه صاح على العبيد الذين على الأسوار أن يفتحوا الباب فنزلت العبيد وفتحوا الباب وهم كأنهم أسد الغاب ودخل سعدون الزنجى ووحش الفلا إلى جانبه وقد صار عنده أعز من أهله وأقاربه والملكة شامة معهم وما زالوا إلى أن وصلوا إلى القصر وجلسوا فيه والعبيد تخدم وحش الفلا وقبل أياديه وهو يثنى عليهم ويشكرهم ثم إن سعدون أمر باحضار الطعام فأحضره الغلمان والخدام فأكلوا على قدر كفايتهم ثم أمر بإحضار المدام بعد ما رفعوا الطعام فشربوا ولذوا وطربوا وضحكوا ولعبوا ومازالوا على هذه الأحوال مدة ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع أقبل سعدون الزنجى على وحش الفلا وقال أيها البطل الهمام والسيد المقدام ومبيد الأعداء اللئام خذنى معك وفى صحبتك فأسير فى ركابك وأنا طيب على قيد الحياة والا فاقطع رأسى واسقنى كاس الفنا إن أردت ها هنا أو عندهم هناك

وادخل على عروستك وحبيبة قلبك فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام أخذه الضحك والابتسام وقال له لا بأس عليك أيها المقدام لأنك ما تستحق القتل لانك بطل همام وأنالى أسوة بك على مدى الليالى والأيام والسنين والأعوام لأجل ما أكلنا مع بعضنا الطعام لأنه حرمة وزمام وما ينكره إلا كل لئيم ابن حرام وأنا لك من جملة الغلمان والخدام ولكن يا سعدون أطلق هؤلاء الأسارى الذين عندك لأنهم رجال كرام ورد عليهم ما لهم وجميع ما أخذ منهم ومن رجالهم ونوقهم وجمالهم فأجابه سعدون بالسمع والطاعة ورد عليهم جميع ما أخذ منهم من البضاعة وأطلقهم من وثاقهم ورد عليهم جميع ما كان لهم من مالهم إكراما لهذا الأمير وحش الفلا الفارس التحرير **(قال الراوى)** وبعد ما أطلق سعدون الرجال قال لهم امضوا إلى حال سبيلكم سالمين وكونوا على أنفسكم آمنين لأنكم من أولاد الكرام لهذا الفارس الهمام والسيد المقدام فمضوا فرحين ولوحش الفلا داعين وبعد ما رحل هؤلاء الرجال أمر وحش الفلا سعدون بالارتحال فأجابه إلى ذلك المقال ثم إن سعدون أمر العبيد السودان الأجلاد أن يركبوا الخيل الشداد ويسيروا مع وحش الفلا فى البر والمهاد فأجابه عبيده إلى ما أراد ثم إن العبيد قدموا خيولهم ولبسوا عدتهم واعتقلوا برماحهم وتقلدوا بصفاحهم وخرجوا من باب الحصن إلى البر والهضاب بعدما أخذوا جميع ما كان فيه من المال والثياب وكان عدتهم ثمانين عبداً أنجاب كأنهم أسد الغاب وساروا يقطعون البراري والقيعان والهول والوديان ووحش الفلا أمامهم كأنه الأسد الغضبان وإلى جانبه اليمين المقدم سعدون الزنجى كأنه الليث الجردان وإلى جانبه اليسار الملكة شامة بنت الملك أفراح وقد زاد به السرور والأفراح وزالت عنه الهموم والاتراح وهو فى بسط وانشراح وصاروا يقطعون البرارى والبطاح فتذكر ما جرى له من الايضاح فرجع إلى طبع العرب فاعرب وأطرب وجعل ينشد ويقول صلوا على الرسول:

صفت لى أيامى ونلت مطالبى ... ونلت ما أرجوه بغير شقاق
وأصبح سعدون بحبى صادقا ... وأضحى رفيقى بل أعز رفاقى
أتيت مريدا حربه ونزاله ... وأيقنت أن يزديه حدر قلقى
ودارت علينا الحرب وهى شديدة ... بضرب وطعن وازدياد حناق
وأوقعته بعد الصراع على الثرى ... وكنا تعانقنا أضر عناق
فأسلمنى من نفسه روح ماجد ... ذليلا وفانى أرق تلاق
فزايلت هذا الشر بينى وبينه ... على رغم من يسعى بكل نفاق
وصرت به أسطو يجد على العدا ... وصار حسامى لا يود فراقى

* * *

(قال الراوى) ولما فرغ وحش الفلا من ذلك الشعر والنظام طوبت له العبيد الكرام وشكروه وأثنوا عليه فى ذلك الكلام وساروا يقطعون البرارى والآكام فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما جرى لهم من الايضاح وأما كان من أبى شامة الملك أفراح والحكيم سقرديون الملعون فانهم بعد رواح وحش الفلا إلى سعدون كان كل يوم يخرجون إلى ظاهر المدينة ويسيرون فى البر إلى أن يطلع الحر ويصيروا قريباً من نصف النهار ثم يعودون إلى الديار فخرجوا يوماً من الأيام على ما جرت عادتهم والأحكام فقال الملك أفراح للحكيم سقرديون يا حكيم الزمان يا هل ترى ماذا جرى لوحش الفلا مع العبد سعدون فقال له الحكيم سقرديون من زمان قتله وشرب كأس المنون مات وشرب كأس الوفاة هيهات يا ملك الزمان أن يرجع إلى الاوطان وتنظره بالأعيان فبينما هم يتحدثون فى هذا الأمر والشان وإذا بالغبار قد ثار وسد الأقطار وانكشف بعد ساعة وانجلى وبان للنظار وظهر من تحته رجل شداد متقلد بسيوف حداد وبرماح ذات امتداد وتحتهم خيل جيادوهم يقطعون البر والبقاع يقدمهم فارس يزيد فى الطول عن الجميع بذراع وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو بالحديد مسربل وإلى جانبه فارس

اخر مسربل بالحديد والزرد النضيد وهو غلام أمر كأنه الحسام المجرد ووجهه يلوح من تحت اللثام كأنه البدر التمام وهم سائرون فى ذلك البر والآكام وخلفهم ثمانون عبداً من السودان على خيول كأنهم الغزلان وهم على ظهورها كأنهم العقبان (قال الراوى) وكانت هذه الغبرة غبرة وحش الفلا فارس الملا والمقدم سعدون الزنجى وعبيده السودان لأنا ذكرنا يا سادة يا كرام أنهم ساروا يقطعون البرارى والآكام إلى أن أشرفوا على الملك أفراح والملعون سقرديون فى ذلك المكان فلما انكشف والحال بان ما تحت اللثام نظر الملك أفراح إلى سعدون وهو مقبل من البر وهو أطول من الرجال بذراع فلما عرفه تحير فى أمره والتفت إلى الحكيم سقرديون وقال أيها الحكيم هذه جلبتك ومشورتك فقال له وما جلبتى فقال انظر كيف جاء إلينا سعدون وهو مثل المجنون وإجماله وعن سبب مجيئة ومن أرسله إليه حتى يخطف روحه من بين جنبيه قد قال له أرسلنى الملك أفراح لأقتلك وأنزل بك الهموم والاتراح وآخذ مهر شامة رأسك وأسكنك رمسك وما أظن إلا أنه قتله هناك وسقاه كأس الهلاك وقدم الينا يخرب ديارنا وينهب أطلالنا ويقتل عسكرنا وفرساننا لأنى أعلم هذا العبد جباراً لا يصطلى له بنار ولا يخفر له جوار وكذلك العبيد الذين معه فإنهم لا يخطر لهم الموت على بال وهم أبطال أقبال لا يخافون الموت ولا يرهبون الفوت ثم أنه لوى عنان جواده وطلب الهرب فتبعه سقرديون وجد وراءه فى الطلب وكل من كان معهم من العسكر ولوا منهزمين وللديار طالبين حتى وصلوا إلى المدينة فدخلوها وأمروا بغلق أبوابها وطلبوا الحصار وطلعوا على الاسوار وتحصنوا بالجدار وعند الصخور والأحجار وصاحت الكبار منهم والصغار وأيقنوا بالهلاك والبوار من هذا الفارس الجبار **(قال الراوى)** وبعد ساعة من النهار أقبل سعدون من البر والقفار وإلى جانبه وحش الفلا وكان يتحدث معه فى ذلك البر والخلا وكانت الملكة شامة لما قربوا من المدينة فارقتهم ووصلت إلى

محلها قبل وصولهم إليها بحيث لا ينكر عليها أحد من أهلها لا أبيض ولا أسود فلما رأى الملك أفراح وحش الفلا وسعدون إلى جانبه فرح الملك بذلك واستبشر وزال عنه ما كان يجده من الضرر وصاح على الغلمان افتحوا الباب يا رجال فهذا وحش الفلا مردى الأبطال فعندها تجارت الرجال والشباب إلى فتح الباب وقد فتحوه وهم فرحون وبما نالهم مسرورون فدخل وحش الفلا وسعدون إلى جانبه وعبيده من ورائهما مرة واحدة فخرج أهل المدينة كلهم يتفرجون على سعدون الزنجى وقد خرجت النساء والأطفال والصغار والعيال والبنات والمولدات والرجال والأبطال وخرج أهل المدينة جميعاً يتفرجون على العبيد ومقدمهم سعدون لأن ذكره قد شاع فى بلاد الحبشة والسودان وجميع ما حولها من البلدان فصار سعدون ينظر شمالاً ويميناً والخلق مزدحمون بعضهم على بعض من عظم هيبته وقد أقبلوا من خلف وأمام لعظم خلقته حتى وصل إلى قصر الملك أفراح وهو فى سرور وانشراح وسلم عليهم ورحب بهم الملك وأمرهم بالجلوس وحش الفلا بين ذلك الملا ولم يجلس المقدم سعدون فى ذلك المكان لا هو ولا عبيده السودان فقال له الملك أفراح لأى شىء لم تجلس أيها الجحجاح فقال له كيف أجلس وأنت أرسلت تطلب قتلى وأخذ مهجتى وسلب نعمتى ليس هذا. أضاقت عليك الدنيا فلم تجد مهر بنتك شامة إلا رأسى وهدم أساسى **(قال الراوى)** فعندها قال له الملك أفراح يا بطل الزمان وفريد العصر والأوان أنا ما بك حاجة يا سيد الفرسان وصار يعرفه ويغامزه بالأشارة إلى الحكيم سقرديون أخى الحكيم سقرديس الملعون فقال له الحكيم نحن رضينا بهذا المهر وقد وصلنا من وحش الفلا قال ثم إن الحكيم سقرديون التفت للملك أفراح وقال له اتغمز على يا ملك الزمان فقال يا حكيم أنا أموت وحدى بهذا الغبن بل نموت نحن الاثنان وبعد ذلك التفت الحكيم سقرديون بمكره وفعاله وحيلته ومحاله وقال لسعدون يا ملك

الزمان نحن ما فعلنا ذلك الأمر والشان إلا لأجل أن تأتى إلينا فى هذا المكان وتبقى من حربنا وقد رضينا من وَحش الفلا بهذا المهر يا سيد العصر والأوان ثم أنه أخذه بيده وأجلسه إلى جانبه ومكثوا يتحدثون مع بعضهم ساعة من النهار حتى نضج الطعام فأحضروه الغلمان والخدام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ثم أن الملك أفراح أمر الحجاب أن يجعلوا لهم منازل فى القصر وقد زال عنهم الهموم والحصر فقال له سعدون أيها الملك الهمام نحن ما نزل إلا فى الخيام خارج المدينة فى البر والآكام فأجابه الملك إلى ما طلب من الأحكام وأمر الغلمان بنقل الخيام إلى البر والوديان وقد نصب لسعدون صيوان عظيم الشان يساوى ألف دينار يصلح للملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار وقد نصبوه فى البر والقفار وبعد ذلك قام سعدون وطلب الانصراف فقال وحش الفلا للملك الزمان أنا مرادى أن أنزل مع رفيقى ومحبى وصديقى سعدون إلى الخيام ونقعد فى البر والآكام فقال له الملك شانك وما تريد فنحن عن أمرك ما نحيد ونحن لك من جملة العبيد **(قال الراوى)** فنزل سعدون إلى الخيام هو وهؤلاء العبيد ومعهم وحش الفلا البطل الهمام وقد صاروا كل يوم يسيرون إلى الديوان ويجلسون بين الفرسان ويتحدثون بين الشجعان مدة أيام فذات يوم من الايام التفت سعدون إلى وحش الفلا وقال له متى تطلب زوجتك يا سيدى قال فى غداة أطلبها وعند الصباح أخطبها ثم باتوا تلك الليلة على الايضاح إلى أن جاء الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فجلسوا فى ديوان الملك أفراح وبدأهم وحش الفلا بتحيّة الصباح فرحب بهم الملك وأمرهم بالجلوس فجلسوا بعد ما سلموا إلا وحش الفلا فانه لم يزل واقفا على قدمه ولم يجلس كعادته فناداه الملك أفراح لم لاتجلس يا ولدى فقال له لا أجلس حتى تقضى حاجتى فقال الملك وما حاجتك فقال حاجتى يا ملك الزمان الست شامة سيدة النسوان **(قال الراوى)** فعندها التفت الملك أفراح للحكيم سقرديون

وقال ما الذى ترى يا حكيم فى ذلك الأمر والشان فقال دعنى أكلمه ويكلمنى حتى أرد عليه جوابه ثم إن سقرديون سكت قليلا والتفت إلى وحش الفلا فى الحال وقال يا بطل الابطال نحن طلبنا منك المهر والصداق وما اتفق عليه من الاتفاق فجئت لنا به وقد قبلناه وقد صارت شامة لك وأنت لها من دون الأنام ولكن بقى عليك شىء أيها البطل الهمام **(قال الراوى)** فلما سمع وحش الفلا ذلك الكلام ايقن ببلوغ المرام وقال وما هو يا حكيم الزمان من الأمر والشأن ولا تطلب منى شيئا إلا تعجز عنه ملوك الزمان فقال الحكيم يا ولدى الحلوان فقال وحش الفلا وما الحلوان فقال تأتينا بكتاب تاريخ النيل أيها الملك الجليل فانه حلوان شامة سيدة النسوان وما هو بكثير عليها يا سيد الفرسان فقال وحش الفلا وأين يوجد هذا الكتاب فقال سقرديون لا أعلم أما وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه إن لم تأتنى به فلا لك عندى زواج أبداً فقال وحش الفلا وإيش مرادك بهذا الكتاب وما فائدته فى هذه الارض والهضاب فقال الحكيم أيها البطل الفضيل والسيد الجليل من يبقى عنده هذا الكتاب تصير جميع الحبشة والسودان نعاله وغلمانه وتعطى له الغفارة ملوك هذه البلدان ويصير حا كما على جميع ملوك ذلك الزمان فأجابه وحش الفلا بالسمع والطاعة وحلف وشدد فى الاقسام والإيمان إن لم آت لكم بهذا الكتاب يا حكيم الزمان وإلا فان شامة علىّ حرام على طول السنين والاعوام ثم انفض المجلس على تلك الأحكام وانصرف إلى مكانه وسار سعدون وغلمانه إلى أن نزلوا فى الخيام وجلس إلى جانبه وحش الفلا والعبيد قدامهما قيام فالتفت سعدون لوحش الفلا وقال يا سيدى إيش هذا الضمان الذى ضمنته على نفسك ومالك اليه طريق ولا متسع ولا مضيق ولم تعلم هو فى أى أرض من الاودية والبطاح فقد حرمت عليك شامة بنت الملك أفراح فدعنا ناخذها ونمضى إلى حال سبيلنا ونرحل بها إلى حصننا وادخل بها عندنا

فلو اجتمعت أهل الدنيا ما عرفوا لها مكانا فيه رجالاً وركباناً **(قال الراوى)** فلما سمع وحش الفلا من المقدم سعدون الزنجى ذلك الكلام وصعب عليه ذلك الابرام التفت إليه وقال له ويلك يا سعدون ايش هذا المقال معاذ الله لا آخذها سفاحا وما أخذها إلى نكاحا فلا تعد إلى مثل ذلك القول أبداً ولابد من ذلك الأمر ولوسقيت كأس الردى ثم مكثوا يتحدثون بما دار بينهم من الكلام إلى أن طلبت العين حظها من المنام فقام وحش الفلا وصدع إلى السراية ودخل حجرته التى انفردت له برسمه وأراد أن ينام وإذا بشامة قد دخلت عليه وسلمت وقبلت يديه وهى باكية العين حزينة القلب وهى تقول حرمتنى عليك يا فارس الزمان على طول السنين والأزمان فقال لها لا تخافى يا نور عينى وروحى التى بين جنبى ولا بد أن تقربى عين وأتزوج فقالته كيف تأتى بكتاب النيل وما لك إليه سبيل يا زين الفرسان ولكن الرأى عندى أن تأخذنى وأخرج أنا وأنت وأى مكان نزلنا عليه أقمنا فيه إلى حين تدركنا الوفاة فقال لها لا أفعل ذلك أبداً ولو سقيت كأس الردى فقالت له إن لم تفعل ذلك الأمر تندم حيث لا ينفعك الندم فقال لها نحن قوم عرب إذا وعدنا وفينا وإذا قدرنا عفونا وإذا قلنا نعم لا نقول لا وإذ قلنا لا لا نقول نعم فلما سمعت شامة منه ذلك الكلام صعب عليها وكبر لديها وانحدرت دموعها على خدودها وأشارت تودعه وهى تبكى وتشتكى وأشارت إليه وتقول هذه الأبيات صلوا على كثير المعجزات:

* * *

عدمت رشادى فى الهوى إن سلاكم   فؤادى وقلبى أو أحب سواكم
خدوا معكم جسمى كما قد وهبتكم   حسا مغرماً حاشا يمل هواكم
ونادوا على قبرى إذا مت يافتى   هوانا يلبيكم فؤاد فناكم

* * *

(قال الراوى) فلما سمع وحش الفلا منها ذلك الشعر والنظام زاد به العشق والغرام وجدبه الوجد والهيام فأشار إليها يودعها بهذا الكلام:

* * *

يترجم طرفى عن لسانى فتعلموا   **ويبدى الهوى مثل الذى كنت أكتم**
ولما التقينا والدموع سواجم   **خرست فصارت أدمعى تتكلم**
تشير لى عما تقول بطرفها   **وأومى إليها بالبنان فتفهم**
حواجبنا تقضى الحوائج بيننا   **فنحن سكوت والهوى تتكلم**

* * *

(قال الراوى) ثم إنه ودعها وودعته والاثنان يبكيان ألم الفراق وبعد ذلك خرجت شامة من عنده وهى تبكى على فراقه هذا ووحش الفلا لم يأكل فى تلك الليلة طعاماً ولاشرب مداماً ولا ذاق جفنه مناماً فقام من وقته وساعته واستوى على ظهره جواده واعتد بعدة جلاده وسار فى ظلام الليل وهو يقطع الأرض والبطاح إلى أن جاء الله بالصباح وأضاء الفجر بنوره ولاح فسار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار وهو لايدرى أين يسير فى طريق ولا محل يعرفه فى الفلوات وما زال على ذلك الحال أول يوم والثانى والثالث وهو يأكل من نبات الأرض ويشرب من غدرانها وهو سائر فريد وحيد فصار يتسلى بنشيد الأشعار فى تلك البرارى والقفار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول:

* * *

تحيرت والرحمن لا شك فى أمرى   ووافتنى الأحزان من حيث لا أدرى
سأصبر حتى يعلم الناس أننى   صبرت لفقد الصبر إذ خاننى صبرى
وأعلم أن الصبر داء وحمله   دواء وهل شيء أمر من الصبر
فيادهركم جرعتنى منه كؤوسا ولو   فى فرقة الأحباب ضرب من السكر
أن مابى بالجبال تدكدكت   وبالنار أطفاها وبالريح لم يسر
ومن قال إن الدهر فيه حلاوة   فأولى به أن يطعم التبن كالعير

(قال الراوى) ولما فرغ وحش الفلا من ذلك الشعر والنظام صار يقطع البرارى والآكام مدة ستين يوماً بالتمام وهو يقطع الطرقات فى البرارى المقفرات ولم يجد فى طريقه أحداً من المخلوقات فأشرف على جبل عالٍ وحوله روضة نزهة للناظرين بها أشجار باسقة وأنها دانقة واغصان مورقة وماء متدافقة والطير ناطق يسبح الله الخالق وفى جانب تلك الجبال من اعلاه صومعة فسار حتى وصل إلى تلك الصومعة وهو يقول لعل الله تعالى أن يجعل فى ذلك المكان منفعة ولما وقف على باب تلك الصومعة سمع من داخلها حس إنسان يذكر الرحيم الرحمن وهو يقول يا حنان يامنان ارحم عبدك الفان أنت الباقى وكل من عليها فان فلما سمع وحش الفلا حس ذلك الإنسان اطمأن قلبه لكن ما يعلم إن كان هذا من الإنس أو من الجان فتقدم وحش الفلا إلى باب الصومعة وصاح السلام عليك يا أيها الساكن فى هذا المكان إن كنت من الإنس أو من الجان لأنى ما رأيت غيرك فى هذه الوديان وإذ ذلك الشخص قال له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وأهلاً وسهلاً بملك بلاد اليمن وبغيرها من الامصار والدمن الحاكم على هذه الأقطار وسائق النيل من بلاد الحبشة إلى أراضى الامصار مانع الظلم والفتن حاكم صنعاء وعدن وصحارى الحبش ويتبعها من القرى والمدن الملك سيف بن يزن أنزل ملك عن الحصان واربطه تحت الصومعة فى تلك الصخرة واصعد إلى فى هذا المكان يا ملك الزمان حتى أتأنس معك بالكلام وتريح نفسك من كرب السفر والآلام فإنك تعبت وأنت سائر شهرين بالتمام فلما سمع وحش الفلا ذلك المقال قال يا عمى لمن تقول هذا المقال وأنا اسمى وحش الفلا بين الرجال فقال له صدقت يا ملك الزمان فى هذا المقال واعلم أن هذا الإسم سماك به الملك أفراح وأما اسمك الأصلى فهو سيف من عند الملك الفتاح فاطمأن وحش الفلا ونزل عن حصانه وخلع منه لجامه وتركه يرعى فى تلك الأراضى المتسعة ثم إن وحش الفلا صعد إلى

الصومعة ودخل فوجدها صومعة مزخرفة مبدعة فقام إليه ذلم العابد وقال أهلا وسهلا فتقدم وحش الفلا إلى ذلك العابد وقبل يده ثم تأمله وإذا به أسمر الله طويل القامة بين عينيه شامة فقال وحش الفلا يا سيدى هذا الاسم الذى ما سمعته من غيرك فقال يا ولدى اسمك الحقيقى سيف بن ذى يزن على أهل الكفر والمحن لأنك تقيم العد فى الاحكام وتؤيد الإسلام وعلى يديك تنفذ دعوة نبى الله نوح عليه السلام فأنت يا ولدى من الذى تعبد فقال يا سيدى أنا على قدر فهمى أن المعبود هو الله ولكن لم أجد من فهمنى شيئا حتى كنت اتبعه أنا رأيت هولاء السودان يعبدون زحل فقال له الشيخ يا ولدى لايعبد بحق إلا الله عز وجل الذى خلق الأرض والسماء وأجرى بقدرته البحار وفجر الأنهار وهو الله الواحد القهار فاعتمد يا ملك سيف على عبادة الله ولا تركن إلى سواه فقال له يا سيدى وإيش أقول من القول المبين حتى أكون من الفائزين فقال له يا سيف يا ولدى قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن إبراهيم خليل الله وأن محمدا رسول الله وهو آخر الأنبياء وخاتمهم الذى يبعث فى آخر الزمان من نسل معد بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام أولى الفضل والإحسان فلما سمع الملك هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال له أريد أن تكون واسطة لى وتعلمنى مما علمك الله فقال له أمدد يدك فى يدى فوضع يده فى يده فقال سيف بن ذى يزن أقول على يديك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله وهو أبو الأنبياء وأشهد أن محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين وهو نبى آخر الزمان الذى يبعثه الله من نسل عدنان فقال له الشيخ العابد وكان اسمه الشيخ جياد أحسنت يا ابن الأجواد وراى أى الجهات أنت مسافر حتى أتيت إلى وكان هذا سببا لسعدك على يدى فقال إنى خطبت شامة بنت الملك أفراح فطلب مهرها منى رأس سعدون وبعدها طلب منى حلوانها وهو كتاب النيل وها أنا مسافر كما ترانى ولا أحد دلنى عليه ولا هدانى فقال

له الشيخ جياد وأنت إذا طفت الدنيا من المشرق إلى المغرب لا تعرف طريق هذا الكتاب إلا إذا كانت لك عناية من الملك الوهاب ولكن حيث إنك دخلت فى دين الإسلام يلزمنا مساعدتك يا ابن الملوك الكرام أقم عندى هذه الليلة حتى تبلغ المرتبة الجليلة وتصير لك على المساعدة وسيلة فقال سيف يا عم افعل بى ما تريد فأنا عن رأيك لا أحيد فقام الشيخ وأخذه وأتى به إلى العين وقال له توضأ معى وصار يعلمه حتى توضأ وبعدها أجلسه للذكر والعبادة والتضرع لله صاحب المشيئة والارادة ثم وقف الشيخ وبسط يديه وقال (اللهم ارزقنا أنت خير الرازقين) فنظر سيف وإذا بقرصين وضعا قدامهما فقال الشيخ جهاد يا سيف خذو ا حدوا لكن لا أتكل حتى تقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال سيف والله يا شيخ هذه وسيلة لا نظير لها وسمى وأكل مثل الشيخ وباتا يذكران ويستغفران وعند الصباح قال الشيخ جياد يا ملك سيف يا ولدى توكل على الله وقم وامض إلى حاجتك فالله ينصرك ويساعدك وأما حصانك فاتركه فى هذا المكان فإنه ليس لك به منفعة وأما أنت فاطلع من على هذا الجبل وانزل من جانبه الثانى تجد بحراً جارياً فاجعله على يسارك وسر أنت ذات اليمين فإذا عطشت فاشرب من الماء وإن جعت فكل من الخضرة وسر هكذا ثلاثة أيام حتى تصل إلى أرض بطحاء متسعة وبها واسع لم يعرف له حدود فإذا وصلت إلى ذلك قف على شاطىء البحر إلى وقت الغروب تلقاك دابة من دواب البحر هايشة كبيرة الجنة واعلم يا ولدى أن هذه الدابة خلقها الله تعال يشغلها بالشمس فإذا نظرتها وهى مشرقة من المشرق تدور بوجهها اليها وتروم أن تخطفها فلا تلحقها وعند تزولها للغروب تنقلب إلى جهتها وتروم أن تلتقمها بفمها فلا تلحقها فمن إغاظتها تخبط رأسها فى الأرض حتى تدوخ فيدركها النوم فتنام إلى ميعاد إشراق الشمس ارتفعت فتدور معها وهى ناظرة إليها إلى أن تغرب وهكذا وهى دابة هايشة كبيرة فإذا وصلت

إليها فاطلع على رأسها أو ظهرها أو على أى جهة منها فإنك ولو قعدت فى متنها لا تبالى لكبر بدنها فإنها توصلك إلى البر الثانى وليس لك من يعديك البحر غيرها ويلزمك أن تعدى البحر لأجل قضاء حاجتك فإذا عديت بقيت فى البر الثانتى فإن أمامك من هى قاعدة لك يا ملك فى الانتظار وذلك تدبير الملك الجبار والعزيز الغفار وهو الله الذى لا إله إلا هو الواحد القهار فقال له الملك سيف يا سيدى ومن هى التى قعدت فى الانتظار فقال الشيخ جياد لا تخف هذه ما فيه إضرار وأنا لو لا أن يعلم أن الله عز وجل يغير ويبدل كيف يشاء فى خلقه كنت أعلمك بما تفعله الحكيمة عاقلة وما يجرى من بنتها طامة وهى زوجتك الثانية وكذلك شامة زوجتك البادية وإنما ياولدى ستقاتل فى الكفار فإذا وقعت فى قتال فاذكر اسم الله الملك المتعال لأجل أن ينصرك ببركة اسمه على أهل الضلال فقال سيف وايش أقول يا عم عند وقت المضايق فى المجال فقال له قل الله اكبر اللهُ اكبر ولا تفتر عن قولك الله أكبر واضرب فى الكفار بالحسام البتار واطلب النصر من العزيز الجبار فإنه ينصرك ولا يصيبك فى الحرب ضرر ولا دمار فعند ذلك صدقه الملك سيف فى كلامه وبات عنده الليلة الثانية فبات الشيخ جياد يعلمه قواعد الإسلام وعبادة الملك العلام حتى نهض الله بالظلام وأقبل النهار بالابسام فقال الشيخ يا ولدى توجه على بركة الله تعالى فقال له ياسيدى قصدى منك الدعاء فقال له توكل على الله ولا تفتر عن ذكر الله فإن صاحب الدعاء حاضر وإليك ناظر فعند ذلك ودع سيف الشيخ جياد وتوكل على الملك الجياد وقصد البرارى والوهاد ولم ينزل سائراً ولكن بعد ما أطلق حصانه قدام تلك الصومعة ونزع عنه عدته ووضعها إلى جنب الصومعة فقال له الشيخ اتركه ولا تسأل عنه فهو عنيد وأنا وذلك الحصان يرزقنا الرحيم الرحمن فتعجب سيف بن ذى يزن من اعتقاد ذلك الشيخ وودعه وسار كما ذكر ثلاثة أيام وهو بجانب البحر وفى

اليوم الرابع وصل إلى البطحاء المتسعة التي ذكرها له الأستاذ الشيخ جياد وكان وصله آخر النها ونظر إلى ذلك البحر ولم يجد له برا ثانيا لأنه يبعدا لا يدرك النظر إليه وغايته ولا رأى ساحلا يوصله إليه فقال فى نفسه هل ترى أين الدابة الهايشة التى أخبرنى عنها الشيخ العابد ثم أنه قعد وتوضأ كما علمه الأستاذ وصار يذكر رب العباد ويستغفر حتى تم النهار فما شعر إلا وتلك الهايشة قد أقبلت وهى ومع ذلك لو كان قدامها مدينة بأسوارها لهدمتها ونظرها سيف على ذلك الحال فذكر الله الكريم المتعال وصبر عليها حتى خبطت رأسها فى الأرض مرار ا عديدة لأنها قوية شديدة وبعد أن أدركها النوم نامت فى مكانها كل هذا يجرى وسيف واقف ينظر ويرى فقال إليها وطلع عليها كأنه طلع على جبل عال وقعد بين أرياشها ثم صار يذكر الله عز وجل حتى طلع الصباح فأدارت تلك الهايشة وجهها إلى البر الثانى تروم أن تخطف الشمس كاما هى عادتها فوثب من فوقها حتى نزل على الأرض وتأمل إليها فرآها تخبط رأسها فتركها وقال فى نفسه سبحان من خلقها وخلق غيرها وهو الذى خلق السماء والأرض والملك والملكوت وهو حى لا يموت وأما سيف فإنه سار وطلب البرارى والقفار من الصبح إلى عصر النهار فما شعر إلا وغبرة قدامه طلعت وانكشف عن فارس فى الحديد غاطس وراكب على جواد أصفر مثل الذهب طويل الدنب وذلك الفارس متقلد بحسام كأنه رسول الحمام ومعتقل برمح أسمر كعوب معتدل القوام وذلك الفارس على وجهه لثام وله عينان ترميان من وسط الجنون بسهام وهذا الفارس معجب بنفسه فى متن الجواد كأنه أسد من الآسادو لما أقبل الليل على سيف بن ذى يزن صاح فيه وقال قف يا هذا ولا تنتقل من مكانك واعلم أن هذا اليوم آخر زمانك فلما رآه سيف لم يرد عليه جواباً وأراد أن يلقى طعناته وشرباته ولم يلتفت إلى حملاته وسطواته وكلما يكبس عليه الحصان فير الحصان بيده بلا ضرب ولا طعان وهكذا ساعة كاملة من

الزمان والفارس كلما يضرب سيف بن ذى يزن بسيفه أويطعنه بالسنان لم يؤثر فيه الضرب والطعان وسيف يرد ضرباته باطلة بعدما تكون واصلة فانبهر الفارس من أفعاله وقال له أما تضربنى يا فتى مثل ما ضربتك وتحاربى كما حاربتك فقال سيف له يا فتى أنى أراك ما أنت من أهل القتال ولا لك مقدرة على ضرب ولا نزال ولا فيك جلد للمخاصمة والجد ألا ما أنت إلا جاهل من الجهال وقد اغتررت بالجواد الذى أنت راكبه ورأيتنى ماشياً فى طريقى فقلت من جهلك أنا احمل على ذلك الفارس وأحاربه وأنا نظرتك بعين الاحتقار لأنك صبى جاهل صاغر ما لك على حروبى جلد ولا اصطبار ولو كنت من أرباب الحرب والنصاف ما كنت تركب فى طريق الخلاف فتأتينى وتأمرنى بالوقوف وتحمل علىّ وأنت راكب وأنا ماش على الأقدام وهذا ما هو شأن الفرسان الكرام ولو كان غيرك من أرباب الحرب والقتال وفعل معى هذه الفعال كنت جعلته ملقى طريحا على الأرض والرمال وإن أردت أن تفهم صدقى فى المقال فانا أفعل هكذا فى الأبطال ومسك عنق الجواد بيده اليمين وأرفع الفارس بيده اليسرى وقال هكذا تفعل الرجال الذين لهم خبر بالقتال ثم كما كان فى وسط سرجه فانبهر الفارس وكثر هرجه وقال صدقت يا ملك ملوك اليمن ويا صاحب اقطاع صنعاء وعدن ومبيد أهل الكفر والمحن ومطهر الأرض من الكهانة والفتن أما أنت سيدى الملك سيف بن ذى يزن فقال له نحن ومن الأطفال الجهال ومن أبوك وما اسمه بين الفرسان والأبطال حتى عرفتنى وطلبتنى بالقتال فقال له ما أنا ذكر وأما أنا من الأبطال بل أنثى بكر من البنات الأبكار ربات الخبأ والاستار ولا أتيت فى هذه القفار وفعلت معك هذه الأفعال إلا خوفا ورأفة عليك يا سيد الأبطال لأنى أنا اسمى الملكة طامة وأمى حكيمة كاهنة اسمها الحكيمة عاقلة والسبب فى مجئيى إليك هو أن أمى لما ربتنى قلت لها انظرى من أتزوج أنا من الرجال فضربت الرمل وخرجت الأشكال قالت لى أن زوجك من

بلاد اليمن وهو الملك سيف بن ذى يزن فقلت لها وهذا إيش يجمعنى عليه وهو فى بلاد بعيدة فقالت إنه يخطب بنت الملك أفراح ويطلب منه كتاب تاريخ النيل فى مهرها وحلوانها فيأتى من هذه البلاد وأنا أساعده على أخذه ويقاسى التعب الشديد وأنا الذى أقوم وأنجده أجل أن أزوجكك رياه ودامت أمى على ذلك الحال وهى فى كل ليلة تجتهد لى في القيل والقال إلى أن كان فى لك الأيام قالت لى الملك سيف طلب الزواج وعارضة الحكيم سقرديون وبعدها توجه من قلعة الثرية وصحبته حبيبته فقالت لها اعرفى هذه الصبية حتى تظهر لنا العلامه فقالت أما الصبية فهى زوجته شامة ومن شفقتها عليه خوفا من أن يشرب كاس المنون سارت معه إلى قلعة سعدون وأنقدته من الهلاك بعدما وقع فى الاشراك وبعد ذا اصطلحوا مع سعدون وبعدها قالت لى سيف طلب شامة ثانيا فطلبوا منه كتاب النيل وبعدها قالت لى أمى سيف قادم هلى هذه البلاد ولكن تعوق فى صومعة الشيخ جياد وعلمه الذكر وتوحيد رب العباد وفى هذه الليلة قالت هو راكب على الهاشية تعديه من البحر وفى عداة غد يأتى إلى هذه البلاد وأنا خائفة عليه من الهلاك والنفاد فقلت لها ومن إيش تخافين عليه يا أماه فقالت لى هذه المدينة لها أرصاد فإذا دخل غريب صاحوا عليه يقولون يا أهل مدينة قيمر دخل على مدينتكم غريب فادركوه فإذا خرج أهل البلاد إلى الخلاء يخرج شخص من السوار اسمه الغماز يدلهم على مكان مكان الخصم حتى يتبعوه ويأتوا به من خوفهم على هذا الكتاب تاريخ النيل وأن أهل مدينة قمير جميعا وملكهم الملك قمرون يعبدون الكتاب وتد جعلوه معبودهم واتخذوه عن آبائهم وأجدادهم وإذا أتى الملك سيف بن زى يزن وصلح الأرصاد والغماز عليه ارتبك سيف وبقى فى أيديهم فما يدخل الملك قمرون إلا وهو ألف قطعة من أهل المدينة فضلا عن أهل الدولة والوزراء فقلت لأمى كيف يكون العمل حينئذ وأنت وعدتنى أنك تزوجينى به وعلى

أخذ كتاب النيل تساعديه فاعلمينى كيف الحيل والعمل حتى أقوم أنا وأسعى فيه وأن رأيته فى ضرر فبروحى أفديه فقالت لى أمى اركبى جوادك واعتدى بعدة جلادك واخرجى على هيئة الصيد والقنص وشرقى إلى جهة تلك البطحاء فإذا وجدت إنسانا قادما من هناك وحده وليس معه أحد فاحملى عليه واوهميه أنك تقتليه واضربيه بالسيف فإنه لا يؤثر فيه وضيقى عليه بتمكين حتى يخطفك من على الحصان بيده الشمال ويعلق الجواد بيده اليمين فإذا فعل ذلك فاعلمى أنه هو المطلوب فاعلميه أنه يأخذ الحذر ومن باب المدينة لا يكون له ممر حتى يأتى تحت البرج العاشر وأنا أطلعه على المنجنيق فعسى الله يبلغنا الفرج بعد الضيق فلما سمعت من أمى ذلك المقال صدقتها وركبت جوادى فى الحال وقصدت البرارى الخوال حتى رأيتك على تلك الحال وحملت على حربك والقتال وفعلت هذه الفعال وجرى ما جرى وقد أعملتك يا ملك سيف بكل ما قالت أمى عليك ورأيت كلامها صحيح ما شك ولا تلويح وأنك ياملك إيش تريد أن تفعل حتى أرى ما عمله من العمل وانظر ما دبرت أنت من الحيل فقال الملك سيف أنا لايدخل على هذا الكلام إلا كأنه أضغاث أحلام وما أظنك إلا فارسا بطلا أتيت لى تريد القتال وقد رميت على ضربا مثل فتوق الأعداء ولما رأيت نفسك تحت الغلبة والاذلال أدعيت أنك بنت من ربات الحجال وبعده حبكت لى حكاية طويلة ما أعلم لها باطنا من ظاهر ولا كنت لها حاصراً ولاناظرا وأنا لا أعرف كتاب النيل ولا أتيت فى طلبه ولا أنا هو الذى ذكرته وأنت ضارب لثامك على وجهك وهذا شئ ما أعرفه فقالت له صدقت وبهذا أعلمتنى أمى وقالت لا يصدقك فى كلام إلا إذا رفعت عن وجهك اللثام وها أنا أثبت لك صدقى يا إمام أيها الفتى المقدام ثم إنها بعد ذلك كشفت عن وجهها اللثام فانجلى عن وجهها كانه البدر التمام وهو وجه مدور كآنه ترس من البلور الأنضر وخدود عليهم الورد منشور صنعه الملك الغفور

وعيون كعيون المها أوريم الغزال والخاظ ترمى بسهام ونبال تصيب المقاتل والرجال وعنق كأنه قالب جوهر مركب على صدر مثل لوح المرمر من تحته مزروع جوز نهود تخضع له أعناق الأسود فلما نظر الملك سيف بن ذى يزن إلى ذلك الحال وما أعطيت الملك طامة من الحسن والجمال تاه فكره أوقعتينى فى الهوى والبلبال وزدتينى مما أنا فيه من الأهوال فقالت له لا بأس عليك ولا ترى إلا ما يقر الله به عينيك وأنا عائدة من هنا إلى أمى الحكيمة عاقلة واعلمها بقدومك وأما أنت فلا تصل إلى باب المدينة بل اجعل الباب على يسارك واتركه ثم سر إلى الأبراج فاترك تسعةَ أبراج وقف قوام البراج العاشر فتلقى خشبة طويلة خارجة من فوق البرج معلقا فيها ومعلقا فى الحبل صندوق فادخل فى ذلك الصندوق ونم فيه وأقفل غطاه عليك ودق فى قلب الصندوق برجليك فقال سمعا وطاعة وركبت طامة على جوادها وعادت إلى مدينة قيمر بلدها ودخلت على أمها وأعلمت بقدوم الملك سيف وقالت لها قومى حينئذ واجتهدى فى زواجى فقالت لها على السمع والطاعة **(يا سادة)** وكانت السبب فى ذلك أن ملك هذه المدينة وهو الملك قمرون صاحب مدينة قيمر يعلم جيدا أن كتاب تاريخ النيل هذا هو معبود أهل هذه المدينة وكذلك قمرون يعبده لما يعلم فى اعتقاده وأهل بلده وقد وضعه فى مكان سوف نذكره فى مكانه وأن عنده ثلثمائة وستين حكيما لهم معرفة بالسحر والكهانة والمناقلة والحاكم على الجميع الحكيمة عاقلة وهى أم طامة وأنها جاوزت فى العمر مائة وخمسين عاما لم ترزق بنتا وغلاما وفى اخر عمرها احتظى بها حكيم فى السحر ذكى فهيم واسمه حكيم طبحون ولكنه فى الحكمة شاطر جبار ومجتهد فى الكهانة والاسحار وبعد ما صارت له ضجيعة أراد منها أن تطلعه على ما تحت يدها من الألواح والعمار فقالت له إن هذه أسرار ولا يطلع عليها أحد لامن العبيد ولا من الاحرار فألح عليها فى الكلام وانتهى

الأمر إلى الخصام وبعد ذلك وقع الحرب والصدام وأن الحكيمة عاقلة كانت أقوى منه فى علوم الأقلام ورأته جبار لا يرام فخافت أن يفترسها فصنعت له حربة مسمومة وغافلته حتى تمكنت منه وضربت بتلك الحربة عينه فقتلته وكان يحكم على مائة وثمانين حكيما فأتوا للحكيمة عاقلة وحاربوها فغلبتهم وأطاعوها وصاروا من تحت يدها وهى أيضا لها مائة وثانون فصار الذى تحت يدها ثلثمائة وستين حكميا والجميع من تحت أمرها وكل يوم يحضر واحد منهم ويقعد فى خدمة الملك يوما ويقعد فى غفر الكتاب يوما ومتى خدم هذين اليومين يقعد بقية العام لا يلتزم يغفر ولا بأحكام وهذا كل حكيم عليه في السنة يوم فى الديوان ويوم فى غفر الكتاب وحاكم الجميع عاقلة لأنه الملك قمرون لا يعتمد إلا عليها ولا يفعل شيئا إلا بمشورتها فإن مملكة المغرب وما حولها من الأقطاع والمدن والقرى هى أدرى وأعرف بأحوالها وتحكم على جميع الحكماء المقيمين فيها لوما كانت تلك الأيام عرفت أن هذا الأوان بإذن الملك الديان وأن الملك ذى يزن مات وخلف ولده سيف الفارس النبيل وهو الذى يأخذ كتاب تاريخ النيل ويجرى البحر على يديه بإذن الملك الجليل ولابد له من ذلك وهذا بأمكر مالك الممالك وأنه يتزوج ببنتها ولو أرادت أن تعارضه فإنه يخذلها فإن قدرة الله أقوى من قدرتها وغيرها فأرادت أت تجامله حتى تعز منزلتها من قلبه ويزداد ودها له حتى تزوجه بنتها لما علمت أن لابد له منها ومضى هذا الاتفاق بأمر الملك الخلاق **(قال الراوى)** ولما عادت طامة لإمها وأعلمتها بأن الملك سيف قادم خلفها قالت مرحبا به وأهلا وسهلاً وطلعت وصنعت خشبتين فدام بعضهما مثل السوارى وجعلت واحدة وعلقت بكرة فى وسطها حبل طويل بعيارات ومراقع خشب تمنع الصندوق أن يلمس الصورة ولا أحد يمسكه بل هى نفسها تجذب الأحبال حتى أن الصاريين الخشب يميلان إلى خارج السور حتى يرتفع الصندوق إلى فوق مثل

المنجنيق ينزل من داخل البلد حتى لا يمس السور لا فى الطلوع ولا فى النزول وكان الأمر كذلك وأعلمت طامة سيفا بذلك وأقبل ورأى ذلك الصندوق فقعد فى قلبه وكان فى البرج الحكيمة عاقلة وبنتها طامة وجوادها فجذبت الاحبال فارتفع الصندوق ونزل داخل البلد وكانت الحكيمة لها مكان قد رصدته بكل ما تقدر عليه من الأمور والشان فلما نزل فيه الملك سيف قامت الحكيمة عاقلة إليه وأجلسته وسلمت عليه سلام الأحباب وأكرمته بالكرامة والارتحاب وأمرت باحضار الطعام فأتى به الخدام وجلست الحكيمة عاقلة إلى جانبه و هى تحادثة وتلاعبه وفرحت بذلك طامة وأن لها الخير والسلام فبينما هم كذلك وإذا بالشخص الغماز صار وهو يقول ياقمرون ودخل غريب فى ظلام هذا الليل وهو الذى يأخذ كتاب تاريخ النيل فأدركوه وبأسيافكم قطعوه وأذا رأيتموه لا تبقوه العجل العجل قبل خيبة الأمل فهناك سمعت أهل المدينة والناس والعساكر والحراس وركب الملك قمرون من وقته وساعته وركبت من خلفه أرباب دولته وأهل مملكته وحجابه ونوابه وضج أهل المدينة بالصياح والبكاء والنواح وعلا الضجيج من كل جانب ومكان وصاحت الرجال والنساء ودار التفتيش فى المدينة كلها حارتها وأسواقها من الحانات والبيوت والاماكن وكل المساكن وكل ذلك فى طلب الغريم فلم يجدوا له خبرا ولا اطلعوا له على جلية أثر فتضايق الملك قمرون كأنه المجنون وكادت مرارته أن تنفطر ورجع إلى سرايته وكاد عقله أن يخرج من رأسه ويدعم مهجته كل ذلك والحكيمة قاعدة تباسط الملك سيف ولا عندها من ذلك الشىء خبر فالتفت إليها وقال لها يا حكيمة عاقلة مالى أسمع فى المدينة هرجا وجلية وصياح ناس وكركبه ريش الأسباب التى هى لذلك محبوبة فقالت له يا سيدى إن الغماز حكى عنك أنك دخلت البلد فيأمر الملك قمرون بالتفتيش عليك وصاروا يفتشون ولكن أنا ما أخلى أحدا يعرفك وأريد منك

أن تطاوعنى ولا تخالفنى فيما أفعله لأن فى هذه المدينة ثلثمائة وستين حكيما عند ذلك الملك العظيم وأنا أحكم عليهم لكن كل منهم يريد الافتخار ويطلب رفع منزلته عند الملك حتى يبقى له الذكر دونى وإن عرف طريقك أنك عندى أبقى عند الملك من المنافقين ولا يمكننى أن أتخلى عنك لأن طامة بنتى قد أحبتك محبة زائدة وأنا من أجل خاطر بنتى طامة لابد لى أن أساعدك حتى أعطيك هذا الكتاب وهو كتاب النيل ولا أخلى لأحد عليك سبيل فقال لها أفعلى ما بدالك كل ذلك يجرى والتفتيش دائر فى المدينة فالتفتت الحكيمة عاقلة إلى بنتها وقالت لها يانور عينى أريدك أن تساعدينى فقالت طامة قولى على طلبك وأنا أساعدك فقالت لها قومى إلى خالد العبادى جارنا وقولى له هل عندك سمكة تجعلها لنا طعاما فإن عندنا ضيوفاً كراما الا يأكلون بقرا ولا أغناما فقامت طامة وعادت بالصياد ومعه سمكة كبير وقا يا حكيمة وحق زحل ماعندى غيرها فقالت إنها مليحة ثم أعطت له درهما ومضى الصياد لحاله وأما الحكيمة ففتحت بطن السمكة وساخنتها ولفت الملك سيف فى جلدها إلى إبطه وتركت رقبته ورأسه خالصين ثم ربطته من تحت إبطه وكان عندها طير اسمه الرخ فشقت صدره وركبت رجليه على أكتاف الملك سيف ووضعت يده من داخل صد الطير وربطت الجميع بحبل طويل ودلتهم فى بئر بيتها وقالت لا تبرح حتى أعود وربطت طرف الحبل فى وتد ودقته فى الأرض وطلبت الركوب إلى الديوان وقالت لبنتها طامة أنت تراعي حتى اعود وأغلقت المكان على سيف وطامة معه وركبت على بغلتها وسارت إلى الديوان فلما نظر إليها الملك قمرون قام إليها واقفا على قدميه وقال لها يا حكيمة الزمان فأنا ضافت بى الدنيا وأرى ملكى يزول فقالت له لابأس عليك يا ملك إيش الذى أصابك وما سبب هذا الانزعاج فقال الملك السبب فى ذلك يا حكيمة أن الرصد الغماز اسمعنا وصاح علينا وأعلمنا عن خصم

داخل المدينة وهو ملك نبيل وهو قاصد أن يأخذ كتاب تاريخ النيل فانزعجنا من ذلك وأحضرت الحكماء وقالت لهم انظروا أين الغريم داخل فإن كان دخل البلاد فلأى شىء ما تكملت أرصاد الأبواب وإن كان دخل من غير الأبوب فهل ترى هو مقيم فى أى مكان فقالوا لى ياملك هذه شعلة جسمة فلا يمكن عملها إلا على يد الحكيمة فقلت لهم وهل أنتم ما تعرفون بدونها فقالوا نعرف ولكن ياملك أنت مطيع أمرها فعلمت الحكيمة أن هؤلاء الحكماء ما هم إلا أخصامها وإن اطلعوا على أفعالها كشفوا سترها فقالت فى نفسها إذ لم أهلك جميع الحكماء وإلا أوقعونى وكشفوا سترى.

انتهى الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى وأوله قال الراوى

الجزء الثانى

من سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذى يزن

(قال الراوى) فقالت ياملك الزمان أنت عندك ثلثمائة وستون حكيماً مقيمون فى البلد ولهم أقطاع وديوان فلأى شىء ما يقضون الاشغال ويعلمونك بغريمك ويبلغونك الآمال فقال لها يا حكيمة ها أنت حضرت فقالت له قصدى أن أنظر الشخص فقامت وقام معها الملك إلى الشخص الغماز وإذا به انفطر وعنقه مائل على قفاه كأنه انكسر فقالت له الحكيمة ياملك هذا انفطار الغماز يدل على أن شغله فرغ ومن الآن فصاعداً ما بقى ينفع فقال لها أنا رأيت ذلك وقلت لأرباب دولتى ما تقولين فى انفطار ذلك الغماز فقالوا يا ملك لانعلم لذلك سبيلا فإن هذا شيء يعرفه الحكماء وفى غداة غد أطلبهم فى الديوان فإنهم يكشفون لك عن البرهان والغريم فلما سمعت ذلك أتيت إلى مكانى وها أنت حضرت فقالت يا ملك عد بنا إلى الديوان وأنا أظهر لك البرهان فعاد الملك إلى قصره وجلس وجلست الحكيمة عاقلة بجانبه فقال لها أما سمعت صياح الغماز فى هذه الليلة فقالت سمعته ولكن يا ملك ما خطر بالى وايش قال الحكماء يا ملك فقال لها هم قاعدون فقالت له انتخب من الحكماء ستين حكيماً يضربون تخت رمل بين يديك حتى ترى ماذا يكون من فعلهم وما هم عليه من شغلهم واحبس الباقين حتى يتبين لنا منهم البراهين ففعل الملك ما أمرته الحكيمة وحبس ثلثمائة حكيم واحضر الستين وقال لهم اضربوا تخت الرمل أجمعين فضربوا الرمل أولا وثانيا وثالثا وهم باهتون فقال الملك ايش رأيتم فى رملكم وما الذى بان لكم فقالوا له اعط لنا الأمان فقال لهم لكم الأمان فقالوا له إن الغريم الذى دخل بلادنا كان فى

صندوق من الخشب وطار به حتى رماه فى المدينة وقدا بتلعته سمكة وانقض عليه طير الرخ فصار ثلث جثته فى بطن السمكة الصندوق والثلث الثالث قبض عليه والطير فى أرض ظلماء والسمكة واقفة فى الماء الطير معلق فوقه فلا السمكة تطلقه ولا الطير يتركه وهو باق على ذلك الحال فالتفت الملك إلى الحكيمة عاقلة وقال لها هل سمعت ماقال الحكماء إن الغريم دخل فى صندوق طائر وابتلعه سمكة وطير قابض عليه وهو على قيد الحياة فهذا الكلام ما فهمت معناه **(قال الراوى)** فقالت الحكيمة عاقلة أنا أنهاكم عن أكل المغلّظات فلم تنتهوا وهذا المأكل يغلظ الفعل ويخيم على الذهن ويبلد الطبع فعندها نفر الملك فى الحكماء وقال اذهبوا من وجهى يا كلاب فخرجوا من بين يديه وهم مطرودون ومنه خائفون فأمرته الحكيمة أن يفض الديوان وقالت لا تخف يا ملك الزمان فأما أنا أبلغت مناك وركبت بغلتها ونزلت من الديوان إلى بيتها ودخلت إلى البئر التى فيها الملك سيف وأخرجته منها فلما رآها اطمأن قلبه وقال لها ايش فعلت فى هذا النهار فقالت له أحضرت الحكماء وشاغبتهم وأعميت عنك نواظرهم وغدا أفعل ملعوبا يكون أكبر مما جرى فى هذا اليوم من العجائب فطاب قلب الملك سيف بكلامها وشكرها على اهتمامها وبعدها طلبت الطعام فأكلوا وشربوا على قدر كفايتهم حتى زال النهار وأقبل الليل بالاعتكار وتحدثوا فى كلام ونثر ونظام وبعدها قالت الحكيمة عاقلة ياملك سيف أنا مرادى أسألك ولى الأمان فقال سيف اسألى يا أماه كل ما أردت فأنا ابنك ولم يكن بيننا سر مكتوم فقالت أتيت إلى أرضنا فى طلب حاجتك التى جئت تصيبها وإذا قضيت حاجتك تروح بسلام ولم تبلغنا منك مرام فقال الملك سيف وما الذى تريدينه منى بعد قضاء حاجتى إذا بلغت أمنيتى فقالت أريد أن أزوجك بطامة ابنتى فإنى أوعدتها بك منذ أيام ومنعت عنها الخطاب الذي أتونى وبدلولى كثيرا من الأموال وأنى راغبة فيك وأخبرت

طامة بزواجك وأن تكون لها بعلاو هى تكون لك أهلا وقلت لها لا تتزوجى إلا الملك سيف فقال سيف يا أماه إن كان لى فيها نصيب أولها رزق بين يدى سوف تصل إليه لأنى أقسمت على نفسى أجل الاقسام أنى لا أتزوج بأحد قبل شامة بنت الملك أفراح أما طامة بنتك فهى عندى روح الأرواح ولكن قد عرفت عذرى فقالت الحكيمة يا ولدى هذا شيء لا أحتاج أن تعلمنى به فأنى عرفت به من قديم وكلامك عندى صادق مستقيم وباتوا فى هناء وأمان حتى ظهر الفجر وبان فقالت الحكيمة هاتى ما عندك ياطامة فأحضرت لها غزالا كان عندها فقالت لها بقى عندك شيء فقالت لا يا أماه فقالت لها هاتى أجنحة النسر التى عندك ليتم بها ما أريد فقالت طامة سمعا وطاعة ثم إنها غابت وعادت بأجنحة النسر فاعطتها لها فاخذتها وربطتها فى عصا وجعلتها منشورة كما يكون الطير فى طيرانه ناشرها وجعلتها على ظهر ذلك الغزال فلقى مثل النسر ذات اليمن وذات الشمال وربطت العصا من وسطها فى طرف حبل وجعلت الطرف الثانى فى بكرة وسحبت ذلك الحبل فصعد الغزال إلى أعلى المكان وفوقه تلك الأجنحة كأنه فى همة الطيران ثم جلعت بكرة على مقدم الغزال قبالة رأسه وبكرة خلفه قبالة رجيليه وجاءت بلوح خشب وأمرت الملك سيف أن ينام فوقه وربطت أطراف اللوح فى حبلين وأنفذتهما من الأبكار وأمسكت هى الحبل الأول وبنتها أمسكت الحبل الثانى وتعاونا حتى رفعتا الملك سيف من الجهتين وصار هو واللوح تحت بطن الغزال وقد صار رأسه تحت صدره ورجلاه تحت ذنبه وصار هو والغزال سواء معلقين فى الهواء وشبكت أطراف الحبلين فى كلاليب حديد فى جانب البيت يمينا وشمالا قالت له خليك يا ملك هكذا حآى أروح الديوان وأقضى الاشغال فإن ذلك اليوم فيه تغيير فهم للرمال وركبت بغلتها بعد أن لبست عدتها وسارت إلى الديوان وترجلت ونزلت عن البغلة وشمرت أذيالها وسارت قدام الملك قمرون فى الديوان فوجدت الديوان متكاملاً بالوزراء

والنواب وهم مما أصابهم فى أستاره وكلام وقال وقيل وأوهام فلما رأوا الحكيمة عاقلة أقبلت قاموا لها واقفين على الأقدام فبدأتهم بالسلام فردوا عليها سلامها وهم على حالهم قيام فأمرتهم بالجلوس الخاص منهم والعام وجلست الحكيمة عاقلة فى موضعها وراق المجلس فسلمت على الملك قمرون وقالت له يا ملك الزمان مالى أرى الحكماء كلهم قاعدين فقال الملك كلنا فى انتظارك حتى تحضرى وتشيرى علينا برأى مستقيم من أجل القبض على ذلك الغريم الذى دخل فى مدينتنا بغير علمنا ويروم أن يسرق كتاب تاريخ النيل من عندنا وها أنت قد حضرتى فدبرى ما فيه الصواب فقالت الحكيمة عاقلة ها أنا حضرت فقوموا أيها الحكماء واضربوا تحت الرمل بحضرة كل من كان واظهروا يا حكماء الزمان ما عندكم من البرهان وها أنا أذنت لكم فلا تقولوا كلام غائب مثل الذى صار منكم بالأمس فقالوا سمعا وطاعة وضربوا الرمل وحققوا الأشكال ونظروا الداخل والخارج فتبين لهم الحال وعسر عليهم المقال من عظم ما عاينوا من الأهوال فنظروا فى التخت ساعة زمانية وهم إليه باهتون يريدون أن يحققوا تلك القصة فكانت أمورهم غير مرضية ووقع بهم الخوف والفزع لاجل سطوة ملكهم ونظروا إلى بعضهم وضاقت به الدنيا فلخبطوا التهوت الرملية ولما رأى الحاضرون تلك الفعال زاد بهم الانذهال وأما الملك قمرون فبقى كأنه مجنون وأراد أن يبطش بهم وقال للحكيمة عاقلة إيش رأيت ياحكيمة الزمان فى هؤلاء الحكماء وكيف ضربوا تخت الرمل ولم يقولوا ما رأوا فيه وبعد ذلك لخبطوا فقالت الحكيمة عاقلة اصبر يا ملك الزمان حتى يستحضروا الأوزان ويوضحوا لك الدلائل والبرهان ثم قالت للحكماء إن كان لم يظهر لكم من التخت معانى فاضربوا التخت ثانى وطولوا بالكم فى تختكم وحققوه وبينوا لنا هذا الأمر وأظهروه ولا تخفوه ثم قالت يا ملك الزمان لا تعجل فكل تخت له أشكال وأوزان فسكت الملك

على مضض وزاد به الغيظ والحرد أما الحكماء فأنهم ضربوا تخت الرمل وهم فى اجتهادهم وغابوا قليلا والاشكال بين أياديهم يتكاثر وتتحول وطلع التخت مثل الأول فلخبطوا ولم يزالوا يضربوه ويلخبطوا وكلما لخبطوا الرمل يزاداد الملك الغضب إلى سبع مرات وهم على تلك الحالات فصاح الملك بملأ رأسه إيش رأيتم فى ملككم يا كلاب الحكماء ياقليلين المعرفة والفهم فقالوا له اعلم أيها الملك أن الغريم الذى نحن فى طلبه داخل المدينة ولكن دخلوه طائراً فى صندوق خشب والآن قد أخذه وحش من وحوش البرية وهو طائر به عن الأرض وطالب السموات العالية ذلك الوحش بأربع قوائم مثل الجاموس والبهائم وله جناحان كبيران مفرودان وهو صغير لاخقة دانة غزال أو عنز على هذا المثال وأجنحته منشورات يميناً وشمالاً ولا أوصال من الحبال وحديد ذات اليمين وذات الشمال وهو على خشب مطروح يتحرك وتتردد فيه الروح وهذا الذي رأيناه فى الرمل والأشكال وقد صدقنا فى المقال **(قال الراوى)** فلما سمع الملك منهم ذلك المقال طاش عقله ولحقه الانذهال والتفت لأكابر دولته وقال لهم رأيتم أو سمعتم أن وحشاً من حوض البر يخطف آدميا ويطير به فى السماء وله أربع قوائم طوال مثل الجاموس أو مثل الغزال أو مثل العنز على الحال بأجنحة منشورات طوال ولها اتصال بحديد واحبال فقال الحاضرون يا ملكنا هذا شيء لم نسمعه نحن ولا اباؤنا ولا أجدادنا وما ذلك القول إلا هذيان ولا رآه أحد بالعيان ولا يدخل عقل إنسان فقالت الحكيمة عاقلة أما نهيتكم مرارا عديدة عن أكل المغلظات التى تجلي لكم العمى مثل البصل والبقولات ومثل الثوم والفجل والكرات وكم آمركم بكل الطعام الذى يجلب المسرات مثل العسل المنزوع الرغوة فلم تنتهوا ولم تأكلوا إلا الذى تشتهونه فلم يبق فيكم خير ولا منفعة مادامت محاسنكم مضيعة فإن الذى ذكرتموه من الكلام لايدرك أبدا ولا تحتوى عليه الأفهام فلما سمع الملك قمرون

كلامها قام على قدميه وجذب الحسام بيده وهزه حتى دب الموت فى افرنده وقال للحكماء يا كلاب إيش هذا الكلام الذى يتقولونه وإيش هذا التخت الذى تضربونه وإيش صنعتكم عندى حتى يتمكن الغريم من بلدى مرامه أن يأخذ كتاب تاريخ النيل من تحت يدى وضرب واحد منهم على ورديه فاطاح رأسه من بين كتفيه وضرب الثانى فقسمه نصفين ولقحه على الأرض قطعتين وضرب الثالث فجعله على الأرض ناكث فتجارى الحكماء من يديه وهربوا من الديوان واعتراهم الخوف والهوان ونظر الملك؛ إلى الحكماء وقد طلبوا الهرب فجد خلفهم فى الطلب فلحق منهم ثلاثة فسقاهم شراب العطب وهرب الباقون وما صدقوا أن ينجوا سالمين وعاد الملك من خلفهم وهو فى أشد الغيظ والغضب وضاق فى وجهه كل مذهب وعاد إلى الديوان وقد ضاقت به الأسباب وإذا أحد من الحاضرين كلمه لم يرد عليه جواب والتفت إلى كل من كان حاضر فى الديوان وقال لهم انصرفوا إلى أماكنكم فأنا غنى عنكم وعن رأيكم ومشورتكم فانصرفوا جميعا من بين يديه وبقى قاعدا وحده تمكن الغيظ منه حتى صار لا يعرف ما بين يديه كل ذلك والحكيمة عاقلة قاعدة تنظر كل ما جرى وقد أحكمت الكيد وأظهرت الصبر والجلد وقوت جنانها وانسر بذلك الفعل قلبها وبعد ذلك قامت من الديوان فركبت بغلتها وسارت إلى بيتها فوجدت طامة بنتها واقفة على مقلى النار وهى لها فى الانتظار فلما أقبلت أخذت طامة بنتها وطلعت إلى سطح الدار وفكت الأكار والأحبال وفكت الملك سيف وأنزلته وطمنته بالمقال وهى تضحك على ما فعل قمرون بالحكماء وما قتل منهم ظلما وعدوانا فقال لها الملك سيف وطامة وإيش أبدعت يا أم الكماء من الفعال فقالت لهما أنا فعلت فعلا تذل لهوله الأبطال وتشيب منه رؤس الاطفال لأن حكما ء هذه المدينة جميعا يعلموا بما جرى وإذا ضربوا تختا أطلعوك وعرفوا طريقك ولو كنت تحت أطباق الثرى ولكن يا ولدى ما بهم إلا تمام

الاحتيال والاشتغال حتى نبلغ الآمال بلا حرب ولا قتال وها أنا أفسدت عليهم عملهم وحيرتهم فى أمورهم ورددت عليهم تدبيرهم وقتل منهم ستة أنفار فى هذا النهار بالحسام البتار وسوف أهلك الباقين بمثل هذه البراهين ثم قالت للخدام احضروا الطعام فاحضروه فاكلت هى والملك سيف وطامة وبعدما أكلوا الطعام وطلبوا الراحة للمنام حتى طلع النهار بالابتسام ومضى الليل بالظلام فقامت الحكيمة عاقلة على الأقدام وقالت ياطامة هاتى الغزال الذى كان معك بالأمس فقدمته بين يديها فعند ذلك أخذته الحكيمة بيدها وذبحته فى طبق من النحاس وصفت دمه فى ذلك الطبق وأضافت إليه جانبا من الماء حتى بقى الدم ملء ذلك الطبق بين يديها وأحضرت هاونا من الذهب وكفأته فى وسط ذلك الطبق فصار الدم حواليه ثم وضعت ذلك فى وسط طبق أكبر منه ثم صبت فى ذلك الطبق الكبير لبنا فصار دائرا حول الطبق الصغير الذى فيه الدم الهاون الذهب وأوقفت الملك سيف فى ذلك الهاون الذهب وقالت له قف هكذا حتى أعود من الديوان وركبت بغلتها وطلعت من مكانها إلى الديوان وهى مثل الحيّة الرقطاء ولما وصلت نزلت عن البغلة وصعدت إلى الديوان وابتدأت بالسلام فقاموا لها جميعا على الأقدام ورحب بها الملك قمرون ومن عنده من الالزام فجلست مكانها قدر ساعة من الزمان ثم التفتت إلى الملك قمرون وقالت له يا ملك الزمان ما الذى تجدد من الأمر والشأن وهل علمتم بغريمنا من أى البلدان ودخل فى أى مكان وهل سكت الحكماء أو اجتهدوا فى إظهاره إلى العيان فقال لها الملك قمرون يا حكيمة عاقلة هذا شيء متعلق بك وبالحكماء الذين هم فى تبعك فأنت الكبيرة عليهم وأنت لك الأمر والنهى وها أنت قد حضرت فافعلى ما تريدين أن تفعلى فقالت له ها أنا حضرت وها هم الحكماء وقالت لهم اضربوا تختكم واجتهدوا فى أشغالكم التى تخصكم فقالوا سمعا وطاعة وضربوا تخت الرمل وحققوا فيه ودققوا على

الأفكار واستخرجوا خروجه ودخوله وولده وتأملوا فيه ساعة زمانية وبعد ذلك لخبطوه وعادوا ثانيا فضربوه وأملوا وعادوا فلخبطوه وهكذا ثلاث مرات وقالوا للحكيمة يا أم الحكماء نحن جميعا رعاياك وأنت الحاكمة علينا ولك الأمر والنهي فينا وما أحد منا يعلو عليك وكلنا خاضعون بين يديك فانظرى أنت فى الأشكال وأفرقى بين الرشد والضلال فإننا عن فعلك عاجزون وعن الذى تعرفينه مُقَصِّورن فلا تتركينا للملك يهلكنا فلا أحد غيرك أنت يملكنا فقالت الحكيمة ما أنا عاجزة عن إمساك الغريم وإنما أنا مرادى انظر حالكم كيف رأيتم وتعلمتم وصار لكم أقطاع وديوان عند الملك ولما دعت الحاجة لكم فما نفعْتم ولا قضيتم للملك حاجة فمن هذا يعلم الملك أنكم لستم له ناصحون ولابقضاء أشغاله فالحون فقال لها الملك قمرون يا حكيمة عاقلة. أن كان هؤلاء الحكماء ما لهم خبرة فى تلك القضية هل ترين أن نتركها ويملك هذا الغريم قيادتنا ويأخذ كتابنا الذى نحن عليه عاكفون فأنا لا ألقى على الحكماء بل أقتلهم أجمعين فقالت الحكيمة هدىء يا ملك روعك حتى أبلغك أربك وأجز لك طلبك فإن هذه فتنة وسوف تخلص منها عن قريب ثم قالت للحكماء إيش رأيتم فى تختكم فقال الحكماء يا حكيمة هذا الغريم أذهل عقولنا وأذهب معقولنا فإن الذى نراه فى التخت ما يدخل عقل عاقل والذى يسمعه يصبح ذاهل نحن رأينا أن الغريم هنا فى وسط المدينة مقيم وواقف على جبل من الذهب وذلك الجبل فى بحر من الدم وسور ذلك البحر من النحاس وحول السور نهر جار من اللبن ودائر اللبن سور من النحاس والغريم واقف على ذلك الجبل لابس فى رجليه مداس وواضع يديه الاثنين على رأسه وأنت حكيمة وصاحبة فهم وإدراك فانظرى كيف يكون الخلاص من ذلك الضيق واسعى لنا فى الفكاك فقال الملك قمرون يا أم الحكماء أنت سمعت ما قاله هؤلاء الحكماء الكاذبون الذين على دولتى منافقون ويعدمون أنهم

حكماء صادقون وليس لهم دلائل ولا براهين ونحن فى مدينتنا من أين فيها جبل من ذهب وبحر من الدم وسور من نحاس ونهر من لبن وهذا قول يحير الأفكار ثم قام وجذب حسامه وضرب واحداً فقتله وثانياً وثالثاً فقامت الحكيمة إليه ونفرت فيه وردته عنهم غضبا وقالت له لأى شيء تقتلهم ما فعلوا ذنوبا يستحقون عليها الموت وأنت طالب الغريم وأنا سوف أحضره بين يديك وأما الحكماء فأولادى على كل حال ثم أمرت الحكماء بالانصراف وقالت يا ملك الغريم ما يقدر ينفذ من بين أيدينا ولابد لنا من قبضه وإنما أنا خائفة من كونى صرت كبيرة غائبة الصواب وعن قريب أموت وأسكن التراب ويبقى الملك لا يجد أحداً يقضى أشغاله والذين ربيتهم ما منهم نفع وهذا الخوف الذى قد اعترانى قدامك يا ملك قمرون وبعد هذا يهون عليك دخول الغريم بلدى ويسرق كتاب تاريخ النيل منا أما هو عليك عاورشنا فقالت الحكيمة ياملك الزمان لا تخف من ذلك الحال أنا أقبض لك على الغريم وأسلمه إليك لتشهره بين ملوك الأقاليم فقال لها الملك فى أى وقت يكون فقالت له حتى ينتهى الشهر الذى نحن فيه ويستهل الهلال الجديد وندخل على ذلك الكتاب فنسأله عن تلك الأسباب فهو يرشدنا إلى الطريق الصواب فقال الملك افعلى ما بدالك فأنا لا أخاف مقالك **(قال الراوى)** وإن هذا الكتاب هو معبود أهل مدينة قمرون ولم يعرفوالهم معبوداً سواه واعتقادهم أنه هو الذى يجلب لهم النار ويجرى المياه ويزرعون زرعهم على الأرض والماء تسقيه فمن ذلك يعتقدون أن هذا هو المعبود عندهم وكلما يستهل الهلال يدخلون عليه ويسجدون قدامه دون رب الأرباب الملك التواب الذى أنزل القطر من الغمام والسحاب وخلق آدم من تراب وذلك الكتاب موضوع فى صندوق من الخشب الأبنوس الأسود مصفح عليه بصفائح الذهب الأحمر والصندوق موضوع فى تابوت من الخشب الساج ومصفح بصفائح فضة وموضوع عليه مقام عال من الخشب وعليه ستارة

من الحرير الملون مبنى عليه قبة محكمة من حجر الرخام الأبيض وبابها من الحديد الصينى وأقفالها من الحديد الفولاذ و مفاتيح تلك الأقفال عند الملك قمرون لا يأمن عليه أحد غيره ولا يفتح القبة أحد سواه وكلما يستهل الهلال تحضر أكابر البلد جميعا والوزراء مع الأمراء والنواب والحجاب وكل من كان له طرف فى المملكة فإنه يحضر ذلك اليوم مع الملك فيأتى الملك ويفتح باب القبة ويفتح بعده باب التابوت وبعده يطلع الصندوق ويفتحه وينظر إلى الكتاب ويسجد له دون رب الأرباب فإذا فعل ذلك وراه أرباب دولته سجد يعلمون أنه سجد لذلك الكتاب فيسجد أرباب الدولة جميعاً اتباعاً لسجود الملك وكذلك الأمراء والوزراء يسجدون فتنظر الرعايا سجودهم فيسجدون جميعا تبعا لهم هذا اعتقادهم لأنهم ناس مثل البهائم ولا لهم أئمة تدلهم على الشرائع بل حكماؤهم يتعاطون السحر والكهانة وملوكهم معتكفون على ذلك الكتاب فسبحان مُسبب الأسباب.

(قال الراوى) ولما كان ذلك النهار قالت الحكيمة عاقلة للملك قمرون أنا أكشف الأخبار واريحك من العناء والأضرار وانصرفت الحكيمة إلى بيتها وتلقتها طامة بنتها وسألتها عما فعلت فقالت ما حصل إلا كل الخير إمض إلى الملك سيف وبشريه وعن الهاون نزليه فسارت طامة إلى سيف وأنزلته وأتت إلى أمها فقامت إليه وهى متبسمة وقالت يا ولدى يا ملك سيف أنا تعبت اليوم ولولاى كان الملك قطع رؤوس الحكماء وها هو قد أهلك منهم تسعة وهذا كله بسبب البدعة فقال لها الملك سيف والملك إيش أغراه على قتل الحكماء والأصحاب وإيش له فائدة بذلك الكتاب فحكت له كما ذكرنا وقالت فى آخر كلامها أنه لم يكن لهم معبود غيره يعبدوه إذا كان ميعاد طلوعهم تجتمع الناس أجمعون ويخرجون للقبة والكتاب ساجدين وكل من تأخر عن ذلك فيكون قليل الدين ما عنده اعتقاد

ولا يقين وإذا علم الملك قمرون بأحد من مملكته أنه تأخر الوقوف يوم فتح القبة والنظر إلى الكتاب فإنه ينتقم منه وينزل عليه العذاب ويتوبه عن فعل تلك الأسباب فقال الملك سيف بن ذى يزن ومتى يكون اجتماعهم حتى يدخلوا إلى الكتاب يسجدون فقالت له بكرة يفوت وبعد بكرة الاجتماع أيها القرن المناع **(يا سادة يا كرام)** ثم إن الحكيمة عاقلة تحكى للملك سيف ذلك الكلام وطامة تحضر لهم الطعام فلما أقبلت طامة قعدت بجانب الملك سيف وصارت تتأمل فى صورته وتميز فى حسنه وجماله وما كساه الله تعالى من البهاء والقد والاعتداد ومال قلبها إلى محبته وزاد بها البلبال وقدموا الطعام فأكلوا حتى اكتفوا وبعده الشراب فشربوا وطربوا كل هذا وطامة باهتة فى حسن الملك سيف ابن ذى يزن وزادبها الهيام والشجن فقالت لأمها يا أماه ونحن فى غداة غد نروح إلى القبة ونسجد للكتاب بين الوزراء والحجاب فقالت لها وأنت وانا إيش يلزمنا بتلك الفعال لأن العبادة متعلقة بالرجال هل سمعت أن النساء يحضرون وإلى الكتاب يسجدون فالتفت الملك إلى طامة وقال لها يا أختى أريد أن أروح بصحبة أمك وأتفرج على اجتماع الناس فى تلك الرحاب وما يفعلون فى عبادتهم لذلك الكتاب فقالت له يا نور عينى وإيش ينفعك من هذه الفعال أنا سمعت عنك أنك تعبد الله الكريم المتعال وتقول إن عبادة الكتاب زور ومحال ونفاق وضلال ومن حيث ذلك فاترك عنك هذا الحال فإنك لست من أهل هذه البلاد وأنا أبيض وجميع العالم راكبهم السواد فإذا وقفت بينهم لابد أن يعرفوك وإذا علموا بك قتلوك وأسكنوك التراب وأبقى أنا أطيل عليك البكاء والانتحاب فقالت أنت عندى أحسن من الكتاب ومن كل مالى فى هذه المدينة والأهل والأصحاب فقالت الحكيمة يا ملك سيف اعلم أن الحكماء جميعهم صاروا مخذولين ومن سطوة الملك بقوا خائفين وجلين وما بقى عند الملك لنا معاند ولا مضاد وأنا فى غداه غد أعرف إيش ما أقول له من

المحال أدخل عليه بزخارف الضلال حتى أشغل قلبه عنك فإذا ترك سبيلك وسكت عن طلبك أدبر أنا فى أخذ الكتاب وأبلغك طلبك وأسفرك من ههنا بسلام وتبقى عندك هذه الجميلة أول الجمائل فى هذا المقام وأنا أعلم أن الجميل عند مثلك ما يضيع فإن مرادى أن أزوجك بنتى طامة وأملك حسنها البديع أيها الملك الشجيع فلما سمع الملك سيف من الحكيمة عاقلة هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال لها ياحكيمة الزمان لا عدمتك ولا عدمت طلعتك البهية فإن أحوالك كلها مرضية وإن انصفنى الزمان وارتقيت إلى علو الشان فسوف أقابل فعلك الذى فعلتيه من الجميل بالإحسان فقالت الحكيمة عاقلة يا ولدى عاوز تجازينى فإنى لم يكن على شيء بعيد وإن أردت خدامين فإن أرهاط الجان عندى أطوع لى من بعيد ولكن يا ملك الزمان إذا أردت أن تجازيني بفعل الإحسان والكرامة ولايبقى لى عليك عتب ولا ملامة فإننى أريد منك أن تتزوج بنتى طامة وتبقى لك زوجة مثل شامة فقال الملك سيف يا حكيمة أنك تعلمين أن هذا قسم ونصيب فإن كان لى نصيب فيها فلا مانع وذلك عين بغيتى ولكن أنك تعلمين أنى أنا فى هذه الحاجة مشغول وإذا قضيت حاجتى فسوف يحصل المطلوب والمأمول وترك الحكيمة وهى مشتغلة فى كهانتها وحكمتها والتفت إلى طامة وقال لها ما قلت يا طامة يا حبيبتى أنك تأمرى أمك أن تأخذنى فى صحبتها إلى حمل الكتاب حتى اتفرج على عبادة أهل هذه الأراضى والرحا فإن مرادى أن انظر إلى دولة الملك قمرون واحصى عساكره وماعنده من الفرسان وأمير أبطاله والشجعان قلبى مشغول بهذا الشأن وليس الخبر كالعيان فقالت له طامة وإيش يبليك بهذه البلوى أما تخاف أن يظهر أمرك ونحن قصدنا كتمان سرك فقال الملك سيف يا طامة لا أستريح ولا أقر إلا إذا فعلت ذلك ولو أشرب كاس المهالك فقالت طامة يا أخى ما يهون على أفرط فيك بل أنا فى وسط قلبى أخبيك خليك عندى واقعد هنا فى منزلى

فقال لها سيف يا طامة أنا على كل حال بقيت منك وإليك واعلمى أنه إذا كان نصيب فمصيرك أن تكونى زوجتى فالواجب عليك أن تقضى لى حاجتى فإنه ما بقى لى مستند إلا أنت فى جميع أحوالى وشدتى وأريد أن تتسببى فى رواحى مع أمك أتفرج على محل ذلك الكتاب حتى أبلغ الأمل والآراب فإن لم تفعل أمك معى هذه الفعال أسير أنا بنفسى إلى قضاء تلك الأشغال فسمعت الحكيمة عاقلة المشاجرة فقالت لبنتها إيش الذى يطلبه أعلمينى حتى أبلغه ما يشتهى وأجعل روحى فداه فقالت طامة إنه يريد أن يطلع معك يا أماه الديوان ويكون معك فى أمن وأمان حتى يتفرج على ديوان الملك قمرون وينظر عساكره وأهل دولته ومملكته وفرسانه ويميز بالعيان ويعرف الشجاع منهم والجبان ونهيته أنا عن ذلك فما ينتهى ولايفعل إلا ما يريد ويشتهى فلما سمعت الحكيمة هذا الكلام قالت يا ولدى لأى شيء تبتلى بهذا الأمر الجسيم لأن هذا ملك عظيم صاحب بلاد وأقاليم وإن علم بك ما يسكت عنك وإن قبضك ما يبقى عليك وأنا لا أقدر أن أتخلى عنك بل أقاتل كل من تقدم إليك وأفديك بروحى من كل ما يؤذيك وأنت يا ولدى عندنا غريب وحيد فريد ولكن إن أردت ذلك فأنا لا أمنعك بل أنا على مرادك وأطاوعك ولكن إذا سرت معى فلا تكلم أحدا بخطاب ولا تبتدى بجواب فقال الملك سيف وأنا إيش لى بالناس حتى اكلمهم أو يكلمونى وأنا لا أعرفهم ولا يعرفونى فقامت الحكيمة وقالت له اخلع ثيابك فخلع ثيابه فجاءت بقزازة مملوءة بدهان أحمر وقالت له اطل جسدك بهذا الدهان ففعل ما أمرته فصار أحمر حبشى اللون وألبسته ثياب غلام مثل غلمانها وبعد ذلك أعطته حقيبة من الجلد ملآنة فيها الأسطر بالات واليارزجات وفرشات التخوت وجميع ما تحتاجه من آلة الحكمة والكهانة ولما فرغت من شغلها قالت له ياولدى هذه الحقيبة أحملها على كتفك كأنك غلام من جملة غلمانى وتسير معى ولكن اجتهد فى ستر نفسك فقال لها يا أماه

الأمر بيد الله وركبت الحكيمة فى بغلتها وأخذت الملك سيف بصحبتها وسارت حتى وصلت الديوان وترجلت عن البغلة والملك سيف معها كأنه غلام من غلمانها ودخلت على الملك قمرون وبدأته بالسلام فقام إليها على الأقدام ورد سلامها بالتحية والإكرام وجلست فى مرتبتها وأوقفت الغلمان فى خدمتها ثم التفت لها الملك قمرون وقال لها يا حكيمة الزمان أنا فى هذه الليلة ما ذقت شيئا من طعام ولا التذت جفونى بمنام مما دخل على قلبى من الأوهام وأنا متفكر فى أمر ذلك الغريم وأصبحت فى العذاب الأليم فقالت له الحكيمة يا ملك الزمان اترك عن قلبك الهموم والأحزان لما تركت الأمر إلى فأنا أضرب الخت وأظهر لك خير ذلك الغريم بدلائل وقواعد وفعل مستقيم والتفتت إلى الملك سيف وقالت له هات الحقيبة باغلام حتى أنظر ما يتجدد من هذه القضية والأحكام فتقدم إليها الملك وناولها الحقيبة ففتحتها وأخرجت منها تخت الرمل وأعطتها له ثانيا وقالت له قف قدامى هنا فوقف كما أمرته بين الغلمان كأنه الأسد الغضبان والحكيمة ضربت الرمل وميزت أشكاله وتأملت فى الرمل ساعة وهى تحسب الأشكال بالزور والمحال وتبسمت ثم قالت أيها الملك السعيد الرشيد اعلم أن ذلك الغريم دخل بلادنا وأراد أن يسرق كتابنا ولم يقدر على ذلك لأن الكتاب له كرامات ظاهرة ومن جملتها أن يحفظ نفسه من الغريم ولو كان ملكا جبارا جسيماً ولما دخل ذلك الغريم إلى المدينة وسمع ما جرى بينك وبين الحكماء وعلم أنك ملك عظيم خاف على نفسه وهيبة الكتاب خوفته لئلا يقع فى يدك فتقطع رأسه فما كان منه إلا أن هرب وذهب فى البر والسبب وها أنا اعلمتك يا ملك الزمان فاترك عن قلبك هذه الأحزان وأنا اضمن لك هذا الكتاب أنه لم يتمكن هذا الغريم من أخذه ولا يصل إلى عنده ولو ركب على ظهر السحاب فقال لها الملك قمرون يا حكيمة الزمان إيش هذا الكلام أنا أعلم وكل من فى هذه الديار يعلم وأنت

الحكماء تعلمون تلك الأسباب وله دلائل عند أولى العقول والألباب أن الغريم هذا إن وصل مدينتنا بقى فى هذه الرحاب ما يطلع منها إلا ومعه الكتاب وغريمنا ملك ثقيل وفارس نبيل ضمن ان يأخذ كتاب تاريخ النيل ويشيع له بذلك تذكار ويسوق النيل من هذه البلاد والأقطار ويوصله إلى بلاد الامصار فقالت الحكيمة اصبر أيها الملك السعيد أما الغريم فقد قال فيه القمار رجل واحد فريد وأنا ما بان لى فى هذا التخت أيضا إلا أنه وحيد فريد ولما هرب لم يأخذ شيئا من تلك الأراضى والبيد فقال الملك قمرون أما أنا فهذا القول لا اصدقه أبداً وأن هذا اليوم أول هلال الشهر فقومى معى حتى نفتح القبة والمقام وتقدمى أنت إلى الصندوق الذى فيه الكتاب وتنظريه إن كان موجودا أو مفقودا فقالت الحكيمة عاقلة الأمر إليك قم يا ملك الزمان وسر على هذا الأمر والشان فقام الملك قمرون والحكيمة عاقلة وركبت معهم الوزراء والنواب والحكام والحجاب جميعا قاصدين القبة والمقام ومحل الكتاب والملك سائر وصحبته الحكيمة عاقلة وهو يبارى تلك الجموع بالناقلة والحكيمة عاقلة تقول للملك قمرون إن كان الكتاب يا ملك موجود فقد نلنا المقصود ولا أصابنا عدو ولا حسود وإن كان فُقد فأنا الضامنة لك عوده سريعا فقال هلا الملك يا حكيمة هذا شىء لا يكون فإن الكتاب هذا يأخذه ملك عظيم ويجرى به النيل الجسيم ومنه يروى أرض وأقاليم ويبقى به ملك مستقيم فلا تقولى إنه إذا راح يرجع إن هذا الكلام لا يسمع وحذرنا هذا كله لا ينفع فقالت الحكيمة وعلى موجب ذلك إن كان الكتاب باقيا فلابد أن يروح هذا اليوم ولا أبالى بالعتب واللوم فلاحظت عليه الحكيمة وتقدمت إليه وقالت له يا ولدى أخبرك بشىء تكون منه على حذر فقال لها وما هو فقالت إن الملك فى هذا اليوم يفتح القبة ويدخل إلى الصندوق لينظره وأنت مرصود ولك أن تأخذه ولا أحد يقدر عنك بمنعه وهو مرصود عليك فإن دخلت القبة معنا فإن أهل البلد والملك قمرون جميعا

جهالونك ولا يعرفونك وأما أرصاد الكتاب فإنهم جميعهم يعرفونك ولا ينكرونك إن دخلت القبة وبقيت من داخلها فإن الصندوق بالكتاب مرصود لك وأنا حال ما تخطى من العتبة يدور الصندوق فى وسط القبة على القاعدة ثلاث دورات وينتزع من مكانه ويأتى بين رجليك فإذا جرى ذلك ونظرك الملك والدولة والوزراء فتميل عليك الصفوف ويأخذوا لحمك على حدود السوق مثل القطن المندوف لأنهم مئات وألوف وأنت وحدك يا ولد فريد وحيد ولا لك مساعد وأنا ما أقدر أن أرد عنك وإن مانعت عنك ينسبونى للنفاق فاحذر يا ولدى غاية الحذر ولا تدخل القبة ولا فيها تحضر فقال الملك سيف هذا لاتخشى منه ولا تسألى عنه فقالت وألا يصح فيك المثل حيث قيل:

* * *

يا من غره جهله | وزاد يوفى الدجى نوحه
كأنه خالى أصبح مشبوكه | حواط اشتكى رواحه

* * *

وأنا نصحتك والسلام وتركته وسارت ولكن قلبها عليه مشغول وتعلم أنه ما يسمع كلامها ولو قالت له مهما تقول فسارت حتى لحقت الملك قمرون وبقيت معه راكبة على بغلتها وصارت معه وأكابر دولته خلفه سائرون ومازالوا حتى وصلوا إلى القبة وتقدمت الرجال والشباب وقد فتحوا الباب ودخلت الناس بعد ما دخل الملك والوزراء ومن يلوذبه من الجلاس ودخلت العساكر وأهل المملكة جميعا فدخلوا القبة وفتحوا المقام ونظروا فى الصندوق فوجدوا الكتاب على حاله فخروا له جميعا ساجدين من دون رب العالمين هذا والملك سيف واقف على باب القبة وقصده يدخل وبقى متحيرا بين أمرين خطيرين أحدهما أن الحكيمة عاقلة قالت يا ولدى لا تدخل هذا المكان وعاهدها على ذلك وقد حذرته عنه وحلفته عليه إيمان

والثانى ما بقى يقدر أنه عرف أن هذا محل الكتاب ولا يمكن أن يفوته بل يأخذه ولو جرى ما جرى وأيضا هو مشتاق إلى بلاده ليأخذ شامة زوجته ويقضى مراده وأعجب من هذا أن قصدها إغاظة الملعون المفتون الذى هو أصل هذه الدعوة سقرديون كل هذا وحاسب حساب الحكيمة وقولها له لا تدخل ثم أنه ثبت قلبه وقوى جنانه وخطى من داخل العتبة القبة فوجد الخلق جميعا ساجدين فأملهم وأراد أن يفعل كفعلهم ويسجد لله رب العالمين وقال فى نفسه كل من سجد يسجد لمعبوده وأنا سجودى لله وارد أن يسجد وإذا بالمقام اهتز وارتفع وتعالى إلى فوق ووقع الصندوق الذى فيه الكتاب وأراد فوق القعدة ثلاث دورات وانحدر من مكانه بشهق حتى بقى بين رجلى الملك سيف ونظر الملك قمران إلى ذلك الحال فساءت به الأحوال وكذا كل من كان حاضرا من الأبطال والرجال والوزراء والحجاب والنواب وعلموا جميعا أن هذا الغريم الذى أتى ليأخذ الكتاب وهو الآن قد ظهر وكل من الناس عاينه بالنظر لايبقى ينفعه خوف ولا حذر ونظر الملك قمرون إليه فصاح بأعلى صوته هذا الغريم خذوه وبأسيافكم قطعوه هذا عدونا الذى أتى لمدينتنا يريد أخذ كتابنا ومن أجله قتلت الحكماء فعند ذلك تماوجت الرجال وهاجت الأبطال وأنيخت الأفسال وجذبوا كل حسام فصال وحملوا على الملك سيف بن اليزن فى الحال ليسقوه كأس الوبال ونظر الملك سيف إلى هذه الفعال فعلم أنه خاطر بنفسه فى دخوله تلك القبة والاستعجال ولا بقى ينفع الإهمال وإن سكت شرب كأس الوبال والنكال ولا بقى يُنجيه من هذه الأهوال إلا قدرة الله الملك المتعال والصبر على ملاقاة الأبطال والضرب بالحسام والفصال فعندها رمى الحقيبة للحكيمة عاقلة وكانت إليه ناظرة وناقلة ونظر إلى حاجب من الحجاب قادم عليه وبيده حسام فصرخ فى وجهه وكبب له يده ولكمه فى صدره فخسفه إلى حد ظهره وأخذ منه الحسام وزمجر على الأعادى اللئام كما

يزمجر أسد الآجام ودمدم كما يدمدم الأسد وغضب وحرد وانتقل من حال إلى حال وقد استعان بالله الواحد المتعال وصاح الله أكبر الله أكبر على كل من طغى وتجبر الله أكبر على من كفر واتخذ مع الله إلها آخر ثم أنشد يقول:

* * *

إذا جمع الجيوش على حالا	وقد كذبوا المواضى والنصالا
وازمع رأيهم بغيا وظلما	على قتلى ولم يبدوا مقالا
ولا سيف ولارمح بيدى	ولا مهر اخوض به المحالا
وكنت بوسط أعدائى فريدا	ولم أملك فرارا وانتقالا
اقول لهم تعالوا بارزونى	ودورابى يمينا والشمالا
سأفنيكم بعون الله وحدى	بحد مهنّد يزهو صقالا
أنا سيف بن ذى يزن	عروس الحرب أشبعكم قتالا
فكم من غابة اخليت منها	سباع البر قد هجروا الدحالا
وسيفى لايروم الغمد لكن	إذا ماهزه كفى تلالا
وأمنع صاحباً سيفى ورمحى	وقلبى ليس يكترث الرجالا
فدونكموا القتال وبادرونى	ولا تتذكروا قيلا وقالا
سأجعل لحمكم للوحوش رزقا	وللأطيار مأكولا حلالا
أنا سيف بن ذى يزن اليمانى	اجل الخلق أسلافا وآصالا

* * *

(قال الراوى) وسمع كلامه الملك قمرون فزاد به الجنون وصار يصيح ويقول اقتلوه ولا تبقوه فسمع الملك سيف هذا المقال فأيقن بالهلاك والوبال فصار يضرب ضربا لا يبقى ولا يذر وكان الحسام الذى أخذه من الحاجب حسام فصال فأبادبه الجماجم والأوصال وأجرى الدماء مثل السيل السيال وسطح الأجساد فى تلك القبة وملأها جثثا ورمما وانزل على الاعداء

كأس العذاب وابلاهم بالويل والخراب حتى بلغ الخلا وملأ الأرض بالقتلى وكانوا ركبوا عليه ظهور الخيل ونزلوا عليه نزول السيل وانثلم منه الحسام واشتد عليه الزحام فنظر إلى فارس اقبل عليه وبيده رمح معتدل فصبر عليه لما طعنه وقبض على الرمح وجذبه فأخذه منه وصار يطعن فى الصدور حتى جعل الدماء على الأرض تفور وزعق بصوته وكان له صوت جهورى فقال يا كلاب أنا أخذت كتابكم ولا بدلى من هلاككم وقتل ملككم ولا ابالى بجمعكم وكلما سمع الملك قمرون كلامه يوبخ اقوامه وينادى يا ويلكم فرد رجل ولا له حصان فناكم وحده بالسيف والسنان أين نخواتكم وعزماتكم هذا والملك سيف ما مال على جمع إلا ومزقه ولا موكب إلا وفرقه حتى مضى النهار بضيائه واقبل الليل بظلمائه والناس تأتيه من اليمين والشمال وهو يقبض أرواحهم ويرمى على الأرض اشباحهم فبينما هو ينثنى ويميل ويهلك الأعداء بباعه الطويل جاءت رجله على جمجمة قتيل وكان فى ظلال الليل وقد عام القوى والحيل وأراد أن يقوم فتكبب عليه الحجاب والوزراء والنواب وامسكوه قبضا باليد وشدوه الكتاف واحكموا ربط السواعد والأطراف وقد ساقواه بين أيادى الملك قمرون وقدموه وقالوا له يا ملك الزمان هذا عدونا الذى أتى من بلاد بعيدة إلى بلادنا ليأخذ منه كتابنا وقد ابادنا وأهلك رجالنا وابطالنا فقال لهم لا ترونى وجهه ولا عينى تراه لأنى اريد أسقيه كأس فناه فامضوا به إلى الجُب الذى فى الجبل وهو جب الهلاك حتى لا يبقى من الموت فكاك فإنه يموت من الكمد ولايدرى بموته أحد هذا والملك سيف ساكت لم يرد جوابا ولا يبدى خطابا وقد أيقن بالفناء والذهاب وكان هذا الجب فى وسط جبل ويسمى جب الهلاك والوجل لأن عمقه ثمانون ذراعا وله ستون عاما ما فتحه أحد وعليه غطاء من الرصاص لا يرفعه إلا خمسون رجلا من الرجال الشبان الخواص وقد جعله أبو هذا الملك للمغضوب عليه فإن غضب على أحد من الجبابرة رماه فى قلبه إذا

كان جسيما ذنبه فلما أمر الملك رجاله أن يمضوا بالملك سيف إلى ذلك الجب ويرموه فيه فامتثلوا قوله وقيدوه وربطوه ووكلوا عليه الحرس حتى يطلع النهار وبات الملك قمرون مسرور الفؤاد فلما أصبح الصباح قامت الرجال وانتبهت الأبطال وطلبوا من الملك الإذن فأذن لهم وأخذوا الملك سيف وساروا به كما أمرهم وساروا يقطعون البرارى والقفار والملك سيف يبكى ودموعه على خدوده غزار فعاد. إلى طبع العرب وأنشد يقول:

* * *

مالى أرى الأيام تبدى عداوتى ... وفى كل يوم تبتلينى بنكبة

وتوقعنى فى كيد أعداى راغما ... وهذا من الأيام أسوأ عادة

أيا دهر ما هذا الغرور غدرتنى ... وقد كنت لى تبدى صفاء المودة

رعى الله أياما تبدى سرورها ... وبعد سرورى أحزنتنى وخانت

لقد سرت قصدى أرض قيم لحاجة ... وظنى أن الدهر يسخر حاجتى

لآخذ كتاب النيل من أرض قيمر ... فعادتنى الأيام شر عداوة

وجاء الأعادى بالسيوف وبالقنا ... فقابلتهم جميعا بجهدى وطاقتى

فلما وهى عزمى وقعت على الثرى ... وصرت رهينا فى وثاقى وكريتى

وقد أمروا أن يطرحونى بجبهم ... وقد ضاعفوا قيدى ليرمونى قتلتى

سألت إله العرش ربى وخالقى ... إله تعالى عالم بالشريرة

يخلصنى مما أنا فيه عاجلا ... وينقذنى من بأسهم والمشقة

* * *

(قال الراوى) وقد أخذه الأعداء حتى صعدوا به إلى الجبل أقبلوا به إلى ذلك الجب وأوقفوه بينهم وتعاونوا على الغطاء وهو طبق من رصاص حتى رفعوه فظهر هباب أسود ودخان برائحة منتنة قذرة فصبروا ساعة حتى انقطع وأرادوا أن يطرحوه هذا ما جرى وأما الحكيمة عاقلة فإنها صعب عليها ذلك وقال لها الملك قمرون كيف رأيت يا حكيمة الزمان وقوع الغريم

فى ذلك المكان فقالت الحكيمة إعلم يا ملك أن هذا الغريم له فهم فى السحر والكهانة ويختفى عن العيون ولو مكثنا نفتش عليه ما كنا عرفنا طريقه وأنا يا ملك ما أشرت عليك بفتح القبة إلا لعلمى أن الكتاب يدلنا عليه وأما من غير الكتاب فما كنا نعرفه وأنا لما عرفت هذه الأسباب قلت لك نقوم ونكشف على الكتاب أن كان حاضر أو غاب لعلمى أن الكتاب صاحب كرامة وهو يدلنا على الغريم ويظهر لنا العلامة وأما لو قلت لك إن الكتاب يمسك عدونا فما كان الغريم اتبعنا وهذه كرامة من الكتاب أيها الملك المهاب وقد أهلكنا عدونا وكتابنا بقى عندنا فلما سمع الملك من الحكيمة عاقلة هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لها صدقينى يا بنت الكرام فمثلك من يدبر أمور الأحكام ثم إن الحكيمة أستأذنت الملك فى الرواح فأذن لها فركبت بغلتها وسارت إلى ديارها وخدمها معها فلما صارت وركضت البغلة وهى مطرودة على عجلة حتى وصلت إلى الجب فوجدت الناس رفعوا الطابق فقالت لهم اوقفوه لى ولا تطرحوه فى الجب وإنما هاتوا أحبالا واربطوه حتى يصل إلى الأرض سليما ويقعد يقاسى غذابا أليما من شدة الظلام ومن عدم أكل الطعام ولا يموت الابسبب الجوع والعطش فقالوا لها أصبت يا حكيمة الزمان وأحضروا حبلا طويلا على قدر عمق الجب وربطوا الملك سيفا من تحت ابطيه وقوا الربطه بين كتفيه ودلوه حتى وصل إلى الأرض وقالت الحكيمة سيبوا الحبل فوقه فسيبوه وكان سيف عارفا بالحيلة فتأخر من تحت الحبل حتى وصل إلى الأرض وبعد ذلك أغلقوا الجب كما كان وقعد الملك سيف وحده فى ظلمة ذلك المكان وأيقن أنه عدم كأنه ما كان رأى نفسه على ذلك الحال تنفس الصعداء وأبدى لوعة البرحاء ورفع رأسه إلى سقف الجب وتوسل بعالم الغيب وهو يتضرع ويقول هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات:

* * *

الشدة أودت بالمهج ... يارب فعجل بالفرج
والأنفس أمست فى حرج ... وبفضلك تفريج الحرج
يامن عودت اللطف أعد ... عاداتك باللطف البهج
الفضل أعم ولكن قد ... قلت ادعونى فلبتهج
أدعوك بقلب مجتهد ... ولسان بالشكوى لهج
أصبحت الهى فى قيد ... ووثاق مشدود سمج
ورميت بجب فى ظلم ... من لى ولقلبى المنزعج
ووقفت ببابك مرتجيا ... من هذا الضنك أكون نجى
فأقبل شكواى وخلصنى ... وامنن بالنصر وبالفرج
فأنا مالى من يرحمنى ... إلارب للناس رجى

* * *

(قال الراوى) فلما أتم الملك سيف هذه الاستغاثة حتى نظر إلى أثر نور فى ذلك الجب من غير طاقة تفتح ونظر إلى حائط الجب فرآها سوداء وقد ظهر منها شخص طويل رأسه فى سقف الجب ورجلاه فى الأرض وتنفس فشم نفسه الملك سيف فرآه كرائحة العطر ولكن تخيل سيف فى نفسه إلا أنه صبر على مضض ولم يتكلم وقال فى نفسه على أى حال أنا هالك وإن قتل ذلك الشخص لى أخف من أن أقاسى عذاب الظلمة والجوع والعطش وإذا بالشخص انحنى حتى صار مثل القنطرة وقبل يد الملك سيف وهى مربوطة فى الكتاف وكذلك قبل رجله فى القيد وقال له يا ملك الزمان أنابك مستجير أنقذنى من الهلاك والتدمير أنا فى جيرتك فإنى فى أشد الهلاك والضيق ولا لى من ينقذنى غيرك أيها الملك الكبير فقال له الملك سيف وقد تعجب منه ومن تذلله بين يديه مع أنه مطلق الصراح والملك سيف فى القيد المزيد والكتاف الشديد يا هذا ما أعمى

بصيرتك أما تنظر ما أنا فيه من القيد والكتاف وإقامتى فى ذلك الجب المظلم الذى أشرفت فيه على التلاف فقال له الشخص يا ملك الزمان إطلاقك من هذا المكان ما هو ببعيد وأما أنا فإنى فى ضنك شديد وأنا أخلصك قبل الكلام والمقال وبعد ذلك أعلمك بما أصابنى من الأهوال ثم إن ذلك الشخص تقدم وفك يد الملك سيف ورجليه فقال له الملك سيف أريد السوط الذى كان معى المطلسم فمد يده من حائط الجب وإذا يد الشخص دخلت فى الحائط وأخرجها بالسوط وقال له خذ سوطك هذا ولكن لا تسحبه فإن فعلت ذلك تقتلنى فقال الملك سيف يا هذا من تكون أنت ومن الذى أتى بك إلى ذلك المكان فقال الشخص ما أنا ذكر أنا أنثى وأنا أختك أيها الملك فى الرضاع لأن أمى أرضعتك من ثديها وأنا على كتفها وأنا اسمى عاقصة بنت الملك الأبيض ونحن قوم مؤمنون بالله رب العالمين على دين الخليل إبراهيم أبى الأنبياء والمرسلين ونحن ساكنون فى جبال القمر ومنبع النيل عندنا أناس مثلك يا ملك مسلمون وعندنا شيخ صالح مقيم عندنا فى صومعة يعبد الله فتعلمنا منه العبادة وهدانا الله على يديه ولكن يا ملك الزمان سكن عندنا مارد جان كافر من الكفار يقال له المقتطف الاقطع يعبد النار دون الملك الجبار فاتفق أنه نظرنى مرة فأعقبته النظرة ألف حسرة وأحبنى حبا شديدا ثم طلبنى من أبى على أنه يتزوجنى فأنعم له أبى بزواجى من خوفه لأنه جبار والمعنى أن أبى زوجنى له فكرهته ولم أرض أن يكون لى بعلا ولا أكون له زوجة ولا أهلا ولما ضاق صدرى أتيت إلى العابد الصالح الذى عندنا فى القبة وشكوت إليه حالى فقال لى المارد جان ولا لك من يديه مخلص ولا فرار إلا إذا جاءه الملك التبعى الحميرى حاكم اليمن ومبدل الفتن ومبيد أهل الكفر والمحن الملك سيف بن ذى يزن فقلت له فى أى مكان هو فقال لى أسألى أمك عنه فإنها أمك وأمه فأتيت إلى أمى فسألتها عنك فقالت لى يا عاقصة هذا

رماه الملك قمرون فى الجب فسيرى إليه فأخرجيه ومما هو فيه أطلقيه وخذيه معك وإلى المختطف أوصليه فإنه أخوك بل أعز من أخيك وواجب عليه أن يحميك وقد اتيتك فى هذا المكان ولا يخلصنى غيرك يا ملك الزمان **(قال الراوى)** وإن هذا المختطف كان له حديث فى أول كلامنا لما أتى يأخذ شامة بنت الملك مدة ما كان عند عطمطم خراق الشجر وجلس بها فى الخيمة وحضر الملك سيف من عند عطمطم وضرب المختطف بالسوط المطلسم فقطع يده وجرى ما جرى كما وصفنا وإن ذلك المارد لما قطعت يده وعدم صبره وجلده ما رجع لعجمى الحكيم ولا نظر وجه سقرديون بل هرب على وجهه فى القفار حتى وصل إلى جبال القمر ومنبع النيل وسكن فى تلك الديار وقربه القرار وخافت شره جميع العمار الصغار والكبار واتفق على أنه مر على محل الملك الأبيض فنظر إلى عاقصة وهى تتمايل كالعروس ولها وجه كأنه القمر إذا بدر ليلة أربعة عشر فوقف حتى مرت به وتأملها بالنظر فزادت به الأشواق والفكر فأتى إلى أهل الحى وسأل عنها وقال من أبوها وما اسمها فقالوا له هذه بنت الملك الأبيض واسمها عاقصة فلما علم بأبيها سار إليه وهو ذاهل لا يبصر ما بين يديه ودخل على الملك الأبيض فلما نظر إليه أسرع قائما على قدميه وأجلسه وأكرمه وبجله وعظمه وقال له هلى من حاجة نقضيها لك فإنا لا نبخل بأرواحنا عليك فقال له الملعون المختطف أنا جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا فلا تردنى خائب مما أنا له طالب فلما سمع الملك الأبيض ذلك الكلام كأنه ألجم بلجام ولم يقدر إلا على الإجابة لأنه نزيله فى تلف الديار وبنى قصراً فى تلك القفار وزينه حتى لم يبق له نظير فى ذلك الزمان وأغار على البنات والنسوان والملك الأبيض لا يقدر أن يكلمه بل خاف من شره وتجبره على الجان وأنه لما خطب من الملك الابيض بنته لم يقدر على أن يرد حرمته فرفع رأسه إليه وقال له أهلا وسهلا وامتى لك أمة ونحن لك من جملة

العبيد والخدم فقال له المختطف لولا أنك اجبتنى وعجلت بكلامك لكنت عجلت بحمامك وجعلت هذا اليوم آخر أيامك ياملك فقال الملك الأبيض لا تقل هذا يا مختطف فأنا لك على ما تريد وأعوانى لك من جملة العبيد وانصرف المختطف وأتى بقاض من الجان فى الحال وعقد عقدة الزواج بالكمال وقال له صارت زوجتك فى الحلال فلما بلغ الخبر عاقصة بذلك الأمر الشديد بكت بكاء ما عليه من مزيد لأن الملعون شنيع الخلقة كبير الجثة وأن الملك الأبيض وأعوانه مسلمون ومؤمنون برب العالمين وهذا المارد يعبد النار دون الملك الجبار فصارت حتى أتاها أبوها وقالت يا أبى أما رأيت من تزوجنى به إلا المختطف الأقطع هو كافر يعبد النار دون الملك الجبار فلا أرضاه أن يكون لى بعلا فقال لها أبوها وما كنت أقول فأنا دفعت بك عنى وعن الرجال شره المهول وخفت على قبيلتى من شرب كأس الوبال فلما سمعت عاقصة من أبيها ذلك المقال علمت أنه فى ذلك معذور وإن سكتت فضحها هذا الكافر المغرور فهربت على وجهها فى البرارى والقفار ودموعها على خدودها غزار حتى وصلت إلى الشيخ الصالح الذى هو مقيم عندهم فى تلف الديار وكان اسمه عبد السلام فقالت له يا شيخنا انجدنا من ذلك الكافر الفاجر فإنه أراد أن يتجرأ على زواجى وأنا مؤمنة وهو كافر فقال لها ياعاقصة امضى إلى الملك سيف فإنه يهلكه ولا يقدر غيره عليه ولا يملكه فقالت عاقصة ومن هو الملك سيف يا سيدى فقال أمك تعرفه وهو فى مدينة قمرون فعادت إلى أمها رسالتها فقالت لها امضى فى الجب وأدركيه ومما هو فإنه خلصيه فإنه أخوك ومن عدوك يحميك هذا وأعلمتها أنها أرضعته عليها فأتت عاقصة وهى فرحة إلى الملك سيف وأعلمته بما جرى وقالت له آخر كلامها وها أنا ياملك الزمان قد أتيت إليك وحمايتى وحمى وعرضى وأهلى على الله وعليك لأجل أن أخلصك وآخذك إلى بلدى وأضيفك عندى وتصير فى أرغد عيش وأنا الذى أحملك إلى بلادك وأخدمك يا

ملك وأكون من أجنادك بعدما تقتل هذا المارد وتكفينا من شره وتريح الأرض من تجبره ومكره ثم أنها تقدمت إليه وحملته وضربت الأرض فانفتحت وحرجت من حيثما أتت وطلبت الجو الأعلى وطارت به حتى نزلت به على قبة الشيخ عبد السلام فلما نزلت إلى الأرض وأرادت أن تستأذن الشيخ فى الدخول سمعت الأستاذ يقول ادخل ياسيف بن ذى يزن فعندها أخذت عاقصة يد الملك سيف هى وهو فنظر الملك سيف إليه فرأى محل سجوده له زينة بين عينيه والنور يلوح عليه فنظره الشيخ وقام على القدمين وسلم عليه بملء الأحضان وقبله بين العينين وقال له أهلا وسهلا بالملك سيف من هذا المقال وعاقصة تركته عند الشيخ عبد السلام وطارت فى البر والآكام وأما الشيخ عبد السلام فإنه قال للملك سيف ياولدى أنت مقيم الليلة عندى إلى غداة غد فأنا عود بك حتى تأتى عاقصة إليك وتأتى وتأخذك وتمضى بك إلى قصر المارد المختطف فأجابه الملك سيف بالسمع والطاعة وقام عنده فى صلاة وطاعة إلى الصباح وإذا بعاقصة قد أقبلت وسلمت على الملك سيف وعلى الشيخ عبد السلام وقالت للملك سيف قم بنا فقال له الشيخ توجه معها بلغك الله قضاء حاجتك فصارت عاقصة مقدار ساعة ثم نزلت به إلى الأرض وقالت له يا ملك سيف انظر أمامك فنظر الملك سيف وقال رأيت سواداً على بعيد فى ذلك البر والبيد فقالت له لا أقدر ان اخطو خطوة واحدة فى هذه البرارى والتلال فتركها وسار وحده حتى وصل القصر وطاف حوله فلم يجد له منفذا ولاسلما يصعد منه ذلك القصر عالى متعلق بالسحاب طوله خمسمائة ذراع وعلوه مائتان وخمسون ذراعا وهو على أربع عمدان لا يوجد مثلهم فى ذلك الزمان فوقف الملك سيف ينظر إليه ويتفكر كيف يكون يصعد حتى يبلغ اعلاه وإذ به رأى شباكا انفتح من ذلك القصر وأشخاصا هناك يطلون من ذلك الشباك وهم يشيرون إليه ويقولون هيا إلينا واصعد يا

ملك لدينا فقال لهم كيف يكون الصعود وأنتم عالون فإن كان عندكم حبال أحضروها حتى اربط نفسى وتعاونوا وارفعونى فكان هؤلاء بنات وكان فى القصر حبال كثيرة فربطن بعضها فى بعض حتى أوصلنها إلى الأرض فربط نفسه الملك سيف بلافزع ولا خوف فلما علموا أن بالاحبال مسكوه تعاونوا حتى رفعوه إلى أعلى القصر ادخلوه فلما دخل وجد أربعين بنتا صبية كأنهن الفضة المجلية وهم يقولون أهلا وسهلا بملك أرض اليمن وهو الملك سيف بن ذى يزن فقال لهم الملك سيف انتم من تكونوا ومن الذى أعلمكم باسمى ولأى شىء أنتم مقيمون بهذا المكان فقامت منهم بنت بديعة فى الجمال وقالت له يا سيدى أنا أعلمك بحالنا كلنا ثم تقدمت إليه وقبلت يديه وقالت أنا الذى عرفت هؤلاء جميعهم باسمك وكشفت لهم عن رسمك فقال لها وأنت ما أسمك وهو على حسنك وجمالك شاهد فقالت أنا اسمى الملكة ناهد بنت ملك الصين الأعلى وهؤلاء البنات كلهن مسبيات وهم أولاد ملوك كبار أصحاب أقاليم وأمصار وكلنا بنات أبكار خطفنا هذا المختطف من سرايات أهلنا وأتى بنا إلى هنا ووضعنا بذلك المكان ولنا مدة من الزمان فى هموم وأحزان إلى أن كان يوم من الأيام أتانى هاتف فى منامى يقول لا تحزنى يا ناهد فقد سبب الله لكم الخلاص فى هذا العام على يد الملك بن ذى يزن بقتل المختطف الملعون ويريح الله عنكم تلك الغبون وهو الذى قطع يده فى بلاد الحبشة والسودان فإذا أفقت من منامك ولذيذ أحلامك تجديه واقفا تحت الشباك فأطلعوه عندكم فهو الذى يقتل عدوكم ويردكم جميعا إلى مستقركم **(يا سادة يا كرام)** ثم قالت ناهد فأفقت من منامى وأنا فى فكر وحكيت للبنات على ما رأيت من العبر فقالوا إلى إنها أضغاث أحلام وكان هذا الهاتف يبشرنى أنك تتزوج بى وتكون بعلى وتأمرنى أن أدخل فى دينك واتبع يقينك فانى أكون رفيقتك فى الجنة وسألت الهاتف على دينك وما تعبدك فقال لى هذا يعبد الله تعالى

الذى لا إله إلا هو فأفقت من النوم وأنا أقول لا إله إلا الله فقلت للبنات على ما رأيت فقالوا إلى أن كلامك لا شك صحيح وليس فيه كذب ولا تلويح ونحن كلنا ندخل فى دينه ونتبع يقينه وقمنا جميعنا وفتحنا الشباك فرأيناك واقفا قدامنا للبنات ها هو المطلوب وفى هذه الايام تنفرج الكروب ثم اتفق ورأينا أن ندلى لك الاحبال ونأخذك عندنا فى القصر والظلال وعلى يديك يموت هذا الملعون المختطف ويشرب كأس الوبال فبحق الاله الذى تعبده ما أنت الملك سيف بن ذى يزن التبعى الحميرى ملك حمراء اليمن وهاتيك الاطلال والدمن فقال نعم أنا ملك سيف الذى ذكرت وعن قريب إن شاء الله تعالى أهلك هذا الملعون وما أراده الله سوف يكون فقالت الملكة ناهد يا ملك الزمان مد يدك إلى حتى أوريك ما يجرى لك معى فمد يده اليها فوضعت يدها فى يده وقالت له أقول على يديك حقا وصدقا وعدلا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا إبراهيم خليل الله آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فلما رأى البنات فعالها قالوا لها يا ملكة ناهد علمينا فنقول كما قلت فقالت لهم يعلمكم سيدى الملك سيف فاتوا اليه وقالوا يا ملك علمنا حتى تدخل فى دين الاسلام فصار الملك سيف يعلمهم الشهادة كما قالت الملكة ناهد وأسلموا على يده جميعا ففرح الملك سيف بن ذى يزن بانتقال هؤلاء البنات الأبكار إلى دين الاسلام وإنقاذهم من عبادة الكواكب مع الكفار فقالوا له يا ملك ها نحن بقينا منك واليك وإن تركتنا لذلك المارد يبقى عيب عليك فقال الملك سيف يا بنات الملوك انا إذا رأيته لا أتأخر عنه إلا إذا قتلته وارحت الدنيا من شره ومن غائلته ولا تعينونى إلا إن تأخرت عن قتاله وحربه ونزاله ولكن يا ناهد خبرينى عن هذا الملعون سحاب المختطف أيش يريد أن يفعل بهؤلاء البنات الأبكار ولأى شىء جمعهم هنا فى هذه الديار فقالت له يا سيدى ما يفعل بهم شىء من الاضرار وإنما يوقفهم قدامه ويشرب على وجوههم

الخمر والعقار وما قصده بذاك الاضرار ملوك الانس الكبار وكلما وجد بنتا من بنات الانس مليحة يأخذها من بين أهلها خطفا وما قصده إلا أذية الانس أما أنا فخطفنى من مملكة الصين وهذه بنت ملك الهند وهذه بنت ملك الغرب وهذه بنت ملك الزغاورة وهذه بنت ملك بابل وهكذا ولما خطفنى وأتى بى إلى هنا ما كان عنده إلا بنات قليلات وصار يخطف حتى اجتمعنا أربعين فيوما قلت له يا سيدى أطلت علينا فرقة أهلنا وايش قصدك باجتماعنا فقال يا ناهد أنا خطفت عاقصة بنت الملك الابيض ومنتظر أن أدخل عليها واردكم جميعا إلى اماكنكم وأطلق سبيلكم فقال لها اين هو ذلك الملعون فقالت ناهد هذا وقت مجيئه يا ملك الزمان وما تمت البنت كلامها إلا والدنيا اظلمت والغبار فى الجو قد ارتفع فهربت البنات وراحت كل واحدة إلى مكانها لما نظروا إلى هذا الحال فقال الملك سيف لأى شىء صرتم هاربين ومالى أراكم متحيرين فقالوا يا ملك خذ الحذر على نفسك لقد أتى المارد ووصل إلى هذا المكان يا ملك الزمان وفى الحال نزل إلى القصر وله رجلان كأنهما صوارى وفوقهما أدخنة تصورت عفريتا شنيع الخلقة بآذان كالأدراق وحنك كأنه الزقاق ومناخير كالابواق وأسنان كل واحدة منها كأنها كلاب وعينان مشقوقتان صفراوان كأنهما الذهب الوهاج فلما نظر ذلك العفريت إلى الملك سيف عرفه وحققه وقال له يا قطيعة الانس ويا ولد الزنا أنت قطعت يدى فى بلاد الحبشة والسودان من أيام مضت ولأى شىء أتيت إلى هذا المكان واليوم آخذ ثأرى منك وأقطع يديك الاثنين وأخليك بلا أيدى وأستوفى منك الدين ثم أراد المارد مد يده إلى الملك سيف وأراد أن يقبض عليه فضربه الملك سيف بالسوط المطلسم فوقع على يده الثانية فانقطعت فقال له يا ولد الزنايا قطاعة الانس أولا قطعت يدى واليوم قطعت الثانية فاضرب عنقى وأرحنى من عذابى لأنه بعد قطع اليدين مالى عيشة فأرحنى بالموت فأراد الملك سيف أن يضرب عنقه فسمع النداء

ارجع يا سيف لا تعد الضرب عليه فرجع الملك سيف فقال له المارد اضربني يا انسي فقال سيف أنا ما أعيد الضربة على أحد إن كان فيك رمق قم فحاربني ثانية وإذا بيد المارد قد طلع منها دخان وبعد الدخان شرار وبعد الشرار طلع منها نار هذا والمارد يصيح مما به من العذاب حتى احترق وصار كوم تراب ثم مات ونفذت فيه الآفات وأقبلت عاقصة وقالت له يا أخي يا ملك سيف أراحك الله كما أرحتني من هذا الجبار يا أخي هذا ما كان أحد يقدر عليه لا من الانس ولا من الجن ولا يقدر أحد أن يضربه بالحسام غيرك يا همام فلا شلت يداك ولا كان من يشناك ومن بعد ما قتل هذا الملعون فأنا يا أخي ما بقيت أفتر عن خدمتك فان كان لك حاجة قل لي عنها حتى أقضيها وأبلغ نفسي في خدمتك مناها فقال الملك سيف: أنت يا بنت الكرام تقولي أنك أختي وأنا ما أعلم إيش هذه الاخوة أنا أنسي وأنت جنية فقالت له: لا تتبرأ مني ولا تحيد عني فاني أختك إن أردت أو لم ترد فقال لها أما من جهة الصداقة فمرحبا بك أنا بروحي أفديك وأرد عنك أعاديك فقالت له يا سيدي وحق من شعشع الشعاع وشق الابصار مع الاسماء إني يا أخي أختك من الرضاع وأمي أرضعتك أولا وأنت طفل جنين وبعد ذلك أخذتك من عند الملك أفراح وأقمت عند أمي حتى تكامل عمرك ثلاث سنين وإن كنت يا ملك ما تصدق قولي فأنا آتيك بامي ثم إنها أشارت على أمها فحضرت فلما رآها الملك سيف قال لها هذه أمي فاني وعيت على من أرضعني غيرها فقالت عاقصة إذا كانت هذه أمك يقيناً فانا بنتها فصدق الملك سيف كلامها وقال لها يا أختي حيث كان مرادك قضاء حوائجي فاعملي معروفاً ووصلي هؤلاء البنات إلى أهاليهم فقالت عاقصة سمعا وطاعة وحملت واحدة ووصلتها وأتت فاخذت الثانية وقالت من أي البلاد أنت؟ فقالت من الغرب فأوصلتها وكلما وصلت واحدة تضعها على سقف سراية أهلها وتقول نادي أهلك لاجل أن يأتوك ويجتمع بهم شملك فتنادي البنت حتى

يطلعوا أهلها فيجدوها على حالها فتقول لهم عاقصة هذه بنتكم كانت عند المارد سحاب المختطف وكان خلاصها على يد ملك بلاد اليمن ملك التابعية الملك سيف بن ذي يزن وأسلمت على يديه وصارت علي دين الاسلام فيأخذها ويشكر فضل الملك سيف ويتمنوا أنهم ينظرو نه وباروا حهم يفدونه وما زالت عاقصة كذلك حتى وصلت البنات كلهن وصارت كل بنت عند أهلها ولم يبق في القصر إلا الملكة ناهد فأرادت عاقصة أن تأخذها فلم ترض فقالت للملك سيف هل لك من حاجة قال نعم وصلي ناهد إلى مملكة الصين وسلميها لأهلها كما فعلت بغيرها فقالت له ناهد يا سيدي أنا موعودة بزواجك وأسلمت على يديك وأنا أعلم أن اهلي جميعا يعبدون النجوم وإذا وصلتني إليهم رجعوني إلى ملتهم وحيث اني من نسائك فلا تردني لأهلي واتركني اقيم عندك فانا زوجتك وانت بعلي فقال لها يا ناهد انا آليت على نفسي اني لا اتزوج بأحد قبل شامة بنت الملك افراح ولا اضاجع نساء قبلها أبدا وهذا أمل بعيد فقالت له وانا منتظره حتى تنقضي ايام الفراق ونحظى بالتلاق ولا تردني لأهلي وتحرقني بنار الفراق فقال لها انا مالي مكان حتي اجعلك فيه فقالت يا ملك أقيم في هذا القصر ولا أنتقل منه حتى تنقضي الايام وتنفذ الأحكام فقال لها هذا القصر قتلنا فيه المختطف وان اقمت فيه فلابدأن الجن يهلكوك ولا انفعك ابا ولا أهلك يرونك فقالت له سألتك بالله العظيم ونبيه إبراهيم وبدين الإسلام أن تبقيني عندك اخدمك حتى تنقضي الايام ولا تحرمني منك ومن رؤيتك يا ابن الكرام فقال لها لا تشغلي بالي فإني مهتم بقضاء أشغالي وان تركتك في مكان اخاف عليك من نوائب الزمان ثم صاح على عاقصة وقال لها احمليها وإلى أهلها وصليها فعند ذلك قالت ناهد اسأل الله العظيم بحرمة الخليل ان يسوقك يا ملك سيف إلى أرضي وبلادي وتكون عريانا مكشوف الرأس بادي الحواس حتى اشفي قلبي منك بين الناس ويكون خاطرك مكسوراً كما

كسرت خاطرى فقال الملك يتقبل الله دعاك وتكونين مريضة عمياء ويكون على يدى شفاك ودواك ولكن اغتاظ الملك سيف وصاح إلى عاقصة وقال لها احمليها وإلى أهلها وصليها فخطفتها عاقصة وتعلقت بالجو وسارت بها حتى أدخلتها إلى بلادها وأنزلتها فى قصر ابيها واجتمعت بأهلها وكان أبوها يحبها محبة عظيمة لأنه ما رزق أولادا غيرها ولما دعت على الملك سيف استجاب الله منها دعاءها وطلبت أن الملك سيف يتزوج بها ولو تكون غشاوة على عينيها ويكون على يد الملك سيف شفاها ويغود بها إلى أرض الحبشة وتقتل طامة بنت الحكيمة عاقلة فى كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبي يصلى عليه وعادت عاقصة إلى الملك سيف وقالت له هل بقى لك حاجة حتي أقضيها فقال لها وصلينى إلى مدينة قيمر أزور الشيخ الصالح عبد السلام فقالت له سمعاً وطاعة وحملته على كاهلها وطلعت به إلى الهواء وقطعت الفيافى والآكام حتى وضعته بجانب قبة الشيخ عبد السلام فلما نزل الملك سيف استأذن فى الدخول فقال الشيخ ادخل يا ملك سيف بلا فزع ولا خوف فدخل الملك سيف عنده وقبل يده وفرح به وحياه وأكرم مثواه فقال الشيخ: قتل الخاطف وانقضت الحوائج وراح البنات إلى أهليهم فقال الملك سيف نعم فقال الشيخ لك فى ذلك ثواب عظيم ولكن زعلت ناهد فدعت عليك وأنت أيضاً دعيت وصاحب الدعاء ناظر وشاهد لكن بت عندى هذه الليلة حتى أتودع منك فانى أتانى الطلب وأنا مسافر لطلب سيدى وإن شاء الله الاجتماع فى الدار الثانية فقال الملك سيف نعم فأقام عنده وهما في ذكر واستغفار إلي آخر الليل فقال الشيخ عبد السلام يا سيف لما أموت غسلنى من هذه العين وتحت رأسى هنا كفنى فارفع هذه الوسادة تجده تحتها وادرجنى فيه فإنه من حلل الجنة وبعد ذلك قف على باب القبة وناد الصلاة على الجنازة يرحمكم الله فيأتي المصلون يصلون علىَّ وبعد ذلك

ادفنى فى محرابى هذا فقال: سمعاً وطاعة وصار الشيخ عبد السلام بعد ذلك يتضرع إلي الله تعالى ويستغفر حتى طلع الفجر فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا إبراهيم خليل الله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين وانتقل الشيخ عبد السلام وشرب كأس الحمام فقام الملك سيف فغسله وكفنه ثم طلع على باب الصومعة وصاح الصلاة يرحمكم الله فأتى اليه خلق لا يعلم عددهم إلا الله وصلوا عليه والملك سيف يتعجب من هذا الحال وتقدم وحفر القبر كما أمره ودفنه فى محرابه وبات ليلته وهو يذكر الله على تربته ويستغفر حتى طلع النهار ويتفكر كيف عاش هذا الشيخ عمرا طويلا وما عرفه الملك سيف إلا آخر أيامه فالله يفعل ما يريد ثم أنشد يقول صلوا على طه النبى الرسول:

* * *

أصبحت جار الله فى التراب   مستأثرا تحت ثرى مذاب
وقد تركت الأهل مع أصحابى   كل العدا فارقت والأحباب
ياجاهلا بالموت لا تصابى   فكل مخلوق لهذا الباب
وسوف يلقى الحشر مع عقاب   والعرض والنشر مع الحساب
تبا لدهر خائن مرتاب   نعيمه يتبع بالعقاب
أستغفر الله مع المتاب   رب الورى مسبب الأسباب

* * *

(قال الراوى) وبعد ذلك أقبلت عاقصة إلي الملك سيف وقالت له يا ملك الزمان مرادى أفرجك على الدنيا وما فيها من العجائب فقال لها يا أختى افعلى ما بدا لك فتقدمت إليه وحملته على كاهلها ولم تزل سائرة بهمة فى البرارى والقفار وقالت له وهى حاملة له أنا يا أخي لم آتيك وأنت فى

المعار كان على شيء أفهار فحكى لها عن كتاب النيل فقالت له أنا أفرجك على ما ينتج من كتاب النيل وما يصير منه ثم نزلت به عند جبل عال وقالت له أنظر أمامك فنظر الملك سيف إلى قبة على بعد فى الجبال لم يكن عندها أحد ولا فيها أبيض ولا أسود فقال لها هذه قبة في الجبل فقالت له سر إليها وتفرج عليها فإنك لابدلك فيها من أحوال فقال لها سيرى معى حتى تدلينى علي ما أفعل من الافعال فقالت يا أخي مالى إليها وصول وأما أنت يا أخى فإنك إنسى وملك وكل ما فعلته مقبول فسر وتوكل على الله فسار الملك سيف فى طلب القبة حتى وصل إليها وإذا بالماء يجرى منها وهو أبيض من اللبن وأحلي من العسل ورائحته أزكى من المسك الاذفر وهو يخرج من أربعة جوانب تلك القبة فمنهم نهران إذا خرجا من القبة يغوران تحت الارض ونهران ظاهران فتقدم الملك سيف ووقف وتوضأ من أحدهما وصلى ركعتين وأتمهما بالسلام علي ملة الخليل إبراهيم عليه السلام وبعدما صلى دخل تلك القبة فرأى فيها صخرة من الياقوت الاحمر ولها لمعان يأخذ بالبصر فتقدم الملك سيف إلى هذه الصخرة وصعد إلى أعلاها وصلى ركعتين فوقها وهو يتلو صحف إبراهيم عليه السلام وبعد ذلك صاح على عاقصة أن تأتى إليه فنادت وقالت يا ملك سيف أنا لا أقدر أن أقرب منك لا خطوة واحدة وإن تقدمت إلي هذه البحيرة تحرقنى صواعق هذه الصخرة فقال الملك سيف ها أنا وأقف فوقها فقالت له لو لا ان لك عند الله أعلى المنازل لما كنت تقدر ان تعلو عليها فقال لها قصدى أن أسألك عن هذه الانهار ومسيرها فى البرارى والقفار فقالت له أما النهران الظاهران فهما سيحون وجيحون سائرين إلى بلاد الترك والروم بإذن الله تعالى الحى القيوم وأما الغائران الباطنان فأحدهما الفرات وأما الثانى فاسمه النيل يجرى على يديك أيها الملك الجليل فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام قال يا عاقصة أما هو الذى أتيت أنا فى طلب كتابه الذى

طلبه منى سقرديون مهر شامة بنت الملك أفراح فقالت له نعم يا فارس الابطال وليث البطاح وقد استعجلت ودخلت القبة والكتاب رمى عليك بعد مادار على القاعدة وأتاك وأنت بين الأعداء وتكاثر عليك أهل المدينة والملك قمرون وأرادوا أن يسقوك كأس المنون فقال الملك سيف هل تعرفين يا عاقصة إيش جرى في الكتاب قالت لا تخف عليه فإن الحكيمة جعلته لك علامة حتي تأتى لطلبه ومرادها تزوجك بنتها طامة مع أن ذلك لا يكون إلا بعدما تتزوج بنت الملك أفراح شامة ولكن يا أخى أنا مشغولة البال على ما لنا من الاطلال وإلا كنت فرجتك على عجائب وأهوال فقال لها الملك هل تعرفين عجائب هذه الاطلال ثم خطا من القبة اليها وقال لها أى عجائب تفرجيننى عليها؟ فقالت له بعد أن أنظر أهل قبيلتنا وأهلي والاخوان وأرجع أفرجك علي السبع مدائن المطلسمات التى بذلك الاقليم كل مدينة أنشأها حكيم من حكماء الزمان وصنع فيها عجائب وغرائب الاوصاف والألوان وتحير فى وصفها كل إنسان إذا رآها بالعيان ولهم سبع وراء كل مدينة حولها واد عظيم الشان واسع الاركان ذات أشجار وأنهار وأطيار توحد الملك العزيز القهار وهذه صناعة حكماء اليونان وكلهم حكماء وكهان يستخدمون الانس والجان ومن جملة فراستهم أن مطلق أعوان الجان لا يقدرون أن يدخلوا أوديتهم ولا يفوتون من أعاليها ولا من تحتها وكذلك الإنس لا يدخلون إلا للتفرج ولا لهم يد يمدونها إلي ما ينظرون وهذا من سطوة أصحابها فإنهم على ما يقولون يقدرون فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن من عاقصة ذلك الكلام قال لها يا عاقصة أنت شغلتينى بتلك الأماكن وتلك الأودية وما فيها من هذه العجائب التى ذكرتيها وأنا من حيث إنى سمعت هذا المقال وأنت كما ادعيت أنى أخوك كيف يطيب قلبك أن تذهب إلى منازلنا والاوطان وأقيم فيها وأنا مشغول البال وأريد منك أن توصلينى إلى تلك الاماكن والاودية حتى أتفرج عليها وأتمتع برويتها وإلا فما

يطيب لى عيش ولا يقوى قرار وأبقى دائما في شواغل وأفكار فقالت عاقصة: سلامتك من الحيرة يا أخى أنا أروح معك أوصلك أى مكان أردت وافديك بروحى من كل أذى وأكون لك الفدا ولكن يا سيدى أنا أقربك إلي باب كل مدينة وأنت تدخل فيها وأما أنا فلا أقدر أن أقرب من نواحيها فقال الملك سيف: ما أريدك تدخلين وإنما توصلينى إلى قربها وقفى بعيدا عنها فقالت له سمعا وطاعة وحملته على كاهلها وطارت به فى الهواء قاصدة تلك الوديان وما زالت طائرة مقدار ساعة من الزمان ونزلت عاقصة فى مكان وقالت للملك سيف: يا أخى هذا أول واد فقم وتفرج عليه كما تريد وأنا هنا واقفة لك من بعيد فنظر الملك سيف إلى واد متسع الجنبات كثير الاعشاب والازهار والنبات فقالت عاقصة: امض يا أخى إلى الوادى وأنت آمن كيد الاعادى فما بينك وبين الوادى إلا شىء قليل فسار الملك سيف وحده يقطع البر والقفار حتى وصل إلى تلك الاشجار فرأى من الانهار والازهار والنخيل والاطيار ما يوحد الملك الغفار كما قال القائل فى المعنى المقبول بعد الصلاة والسلام علي طه الرسول:

* * *

واد وأشجار ونهر جارى	بحدائق تختال للنظار
شبهتها فى جريها بحمائم	تهفوا بأجنحة إلي الأوكار
والزهر يلبس خلعة من سندس	قد زينت ألوانها بخضار
والغصن يمسى معجبا بفروعه	متحملا من طيب الأثمار
والطير من فوق الغصون مسبح	وموحد الرب القدير البارى
تجرى المياه إلى الغصون لسقيها	جرى المحب إلي حبيب بار
وترى البلابل فى الدجى من رجعها	تفضى البكاء بغير دمع جار
يبكى السحاب فدمعه قطر الندى	والزهر يضحك للنسيم السارى

* * *

(قال الراوى) فسار الملك سيف يتفرج فى ذلك الوادى فرأى من داخله مدينة من حجارة الرخام الابيض والمرمر الاحمر ولها أسوار عالية البنيان ولها ثلاثمائة وستون برجا علي كل برج منار من النحاس الاصفر وأبواب المدينة من الرخام الملون على سائر الالوان وفيه صناعة المعلمين أرباب الهندسة والبنائين وعلى رأس المدينة شخص من الفضة على صفة بنى ادم الكاملة لم ينقص منه إلا الروح فقط أما الاصابع والاظافر والشعر وما أشبه ذلك فإنه متكامل بالتمام لم ينقص منه إلا الروح والسلام وهذا الشخص فى قمة بوق من الفضة قد قبض عليه بيده اليمنى وبدن الشخص كله مكتوب عليه أسماء وطلاسم بالذهب الاحمر بالقلم السريانى وقدام باب المدينة سبعة خيول من أفخر الخيل والجياد والمعدودة لحوب والجلاد وعليهم عدد من الذهب الاحمر الوهاج قد ركب عليهم سبعة فوارس حداد كأنهم الآساد كل فارس منهم كأنه طود من الأطواد أو من بقايا قوم عاد متقلدين بسيوف ومعتقلين برماح مداد وهؤلاء الفوارس يتحدثون مع بعضهم ولهم أصوات عاليات تزلزل الجبال الراسيات فلما نظر الملك سيف إلى تلك الهيئات تعجب من تلك الصفات ولكنه قوى قلبه وجنانه وتقدم إلى تلك الفوارس وأطلق لسانه وأراد أن يسأل هذه الأشخاص وإذا هو يجد هؤلاء الفرسان صاحوا على بعضهم ودفعوا إلى نواحى بعض خيولهم ووقع بينهم الضرب والطعان وجرت دماؤهم من الابدان وتضاربوا بكل سيف يمان فصاح الملك سيف عليهم بصوته المعروف وقال لهم: يا كرام الشجعان انى اراكم مثل بعضكم فى الزى والشان وأنتم من أحسن الشجعان ولا شك انكم قرائب وإخوان.. ما سبب قتالكم بالسيف والسنان في هذا المكان؟ فقال واحد منهم: اهلا بك وسهلا أيها الفارس الجليل فإنك فى ظنى عابر سبيل ولكن أنا أعلمك اننا كلنا اخوة من أم واحدة وأب واحد وكان أبونا حكيما اسمه الحكيم افلاطون وقد خلف لنا

ذخيرة عظيمة كل منا يريد أن يأخذها وقتالنا هذا من أجلها فقال الملك سيف: وما هى الذخيرة الذى خلفها أبوكم لكم؟ فقالوا هى قلنسوة وكل من لبسها يختفى عن الجن والإنس حتى ان الإنسان إذا لبسها فانه ينظر الجن والإنس وهم لا ينظرونه فقال الملك سيف وأين هى القلنسوة فقالوا له هى مع كبيرنا فقال لهم انزلوا عن خيولكم وأنا أحكم بينكم أيها الانجاب فانكم اخوة وأولاد حكيم الزمان وإثارة الفتن عار بين الاخوان فوضعوا القلنسوة بين يديه وكل منهم ناظر اليه فقال لهم هاتوالى قوسا ونشابا حتى أفعل معكم أمرا صواباً وأفضل بينكم بفصل الخطاب فأتوه بنبل وقوس فأوتره وقال شبكو أذيالكم فى مناطقكم فأنا أضرب هذا النبل فى الهواء وأنتم تتبعونه بالجريان بالحيا والقوى فكل من أتاني بالليل قبل رفيقه كانت له القلنسوة فقالوا: رضينا بذلك فعند ذلك ضرب الملك سيف النبل فخرج كأنه المنجنيق وله زفير وشهيق فتجارى خلفها الستة الاولاد وطلبوا البر والمهاد وهم خلف بعضهم يتجارون وإلى محل وقوع النبل يتلاحقون فلما ابعدوا عن الملك سبف وضع القلنسوة على راسه وقال فى باله ان كان قولهم صحيحا واختفيت عنهم ولم ينظروك فامض إلى حال سبيلك فلما لبسها إذا واحد من السبعة مقبل والنبل فى يده وهو يجرى على عجل من غير مهل واخوانه له تابعون ولما وصل ووقف جنبه إخوته وساروا يلتفتون يمينا وشمالا ويقولون يا شيخ يا غريب ويا عابر سبيل هات ايها الفارس النبيل فعلم الملك سيف أنه اختفى عن ابصارهم فعاد إلى مقصده ومازال حتى وصل إلى عاقصة فوجدها واقفة له فى الانتظار فقال فى نفسه انا جربتها فى الانس وبقيت على تجربتها في الجن فلما خطر له ذلك الخاطر صاح يا عاقصة فصارت عاقصة تلتفت يمينا وشمالا فلم تر له زوالا فقالت له يا ملك الزمان كأنك اخذت القلنسوة التى احتكمها الحكيم افلاطون وتركت اولاده من أجلها يتحسرون فقال نعم

اخذتها وهى على راسى لبستها فقالت ماتت ملوك الدنيا بحسرتها ولم يقدر احد فى هذا الزمان على صفتها ولكن أنا ما آقدر علي حملك وأنت لابسها فاعطنى إياها احفظها لك إلى وقت حاجتها فأعطاها القلنسوة لتحفظها وحملته وطلبت الجو الأعلى وسارت ساعة زمانية ونزلت به إلى الارض وقالت له هذا ثانى واد يا ملك الزمان فادخل وتفرج وانا قاعدة لك فى ذلك المكان وتفرج على المدينة والاقليم الثانى وها انا مقيمة مكانى ولكن لا تغب يا ملك الزمان فقال سمعاً وطاعة يا سيدة بنات الجان وتركها وسار ومازال سائرا حتى دخل الوادى فوجده ذا اشجار وأنهار وأزهار واثمار وأطيار توحد العزيز الجبار كما قيل فيه هذه الابيات صلوا على كثير المعجزات:

* * *

روض كجنات النعيم   يحلو به مر النسيم   صوت البلابل حوله
يشفى جوى قلب السقيم   واصاح مم نحو   متنزها فيه مقيم
واشرب به من كوثر   كاس يطوف بها النديم   من ذا يرى أغصانه
رقصت تميس ولا يهيم   والطير أعرب شاديا   عن ذكر مولانا العظيم

* * *

(قال الراوى) فلما نظر الملك سيف إلى ذلك المكان تحركت أعضاؤه بذكر الرحيم الرحمن وسار حتى كان فى آخر الوادى فلقى مدينة كاملة البنيان عظيمة حصينة مكينة بأسوار وأبراج وفى أسوارها قلالى ودور وأماكن وقصور من حجر المسن الأخضر وبنيان حيطانها من الحجر الأزرق والأحمر وهى على قناطر معقودة من الرخام وتحتها بحر جار من الماء وعلى باب تلك المدينة شخص من النحاس الأصفر راكب على حصان من الحديد الصينى وفى فم ذلك الشخص بوق من الفضة البيضاء المحلية ووجد على باب المدينة ألف فارس من الحديد راكبين وعلى خيول شداد منقلين ماح مداد متقلدين برماح حداد وهم على ظهور الخيل كأنهم الأسود فسار

سيف بن ذى يزن ينظر إليهم وهو فى خوف ووجل ولم يعلم بما كتب على جبينه من قديم الأزل حتى وصل إلى باب المدينة وأدخل رجله اليمنى من العتبة وأراد أن يرفع رجله اليسرى وإذا بالشخص تحرك وزعق فى البوق وقال غريب يا أهل المدينة وهو غريمكم خذوه إلى ملككم وكان صوته أعلى وصغاراً ومالوا عليه وداروا به من كل جانب ومكان فنظر الملك سيف إلى ذلك الحال فوضع يده فى السيف وقال الله أكبر وقاتل وما قصر كأنه الليث الجسور ولكنه وحيد فريد وأطبقت عليه الناس من اليمين والشمال فصار يمانع عن نفسه بحد الحسام الفصال هذا والشخص يزعق والناس على الملك سيف تطبق ومازال يدافع عن نفسه حتى أتاهم الليل وعدم الملك سيف القوى والحيل وتعثر فى القتلى وقد أظلم عليه الفلا وقاسى الأهوال والبلاء وارتخت أعضاؤه وبقى عادة لمن يراه فتكاثروا عليه وقبضوه قبضا باليد بعدما ملكوه وأوثقوه بالكتاف وقووا منه السواعد والأطراف هذا كله يجرى وعاقصة واقفة تنظر وترى ولكن ما تقدر أن تقدم إليه ولا تقرب عليه فصارت كأنها الوالهة الثكلى والحبة على المقلى وأما العساكر فإنهم أخذوا الملك سيف وهو مكتوف اليدين وقدموه إلى ملك المدينة وهو رافضى اعجمى اسمه عبود خان فلما اوقفوا الملك سيف قدامه ونظر وجهه ورأى الشامة والخال على خدوده وهو صبى لا نبات بعار ضيه صرخ عليه فلم يتزعزع الملك سيف منه ولا من صرخته فقال له من تكون من البيضان وما الذى أتى بك إلى هذا المكان فقال له الملك سيف: أنا من خلق الله تعالى وحائر عابر سبيل ولا أخذت منكم شيئا لا كثير ولا قليل انتم قاتلتمونى ولا اعلم لأى ذنب قاتلتمونى فقال له الملك عبود خان ما أنت صاحب الخال الأخضر الذى تجرى النيل من الحبش إلى الأمصار وتجعل الحبش والسودان عبيداً والصبيان احراراً فقال الملك سيف: متى فعلت أنا هذه الفعال وما هو إلا كلام محال فقال له: الدليل على هذا المقال هذه

الشامة التى على خدك وذلك الخال فلا تطيل المقال أنت غريمنا على كل حال وصاح الملك عبود وقال ائتونى بالقبطان فتجارت الخدام وأتوه بالقبطان فلما حضر قبل الأرض بين يديه وكان رجلا كهلا أسود وله قلب كأنه جامد شجاع وقرن مناع وعلى كبره جبار فلما حضر قال له الملك عبود خان يا عبد نار خذ هذا الإنسان الأبيض وحطه فى زكيبة من الخيش واربطها عليه وعلق بها حجرا كبيرا على فمها وحجرا ثانيا مثله فى أسفلها وأنزله فى قارب وسر به فى البحر حتى تجىء بجانب القناطر التى تحت القصر فاربط القارب فى فم بغاز الماء وانظرنى وأنا طالل عليك من هنا وأشير لك بيدى أول مرة فضعه على جانب القارب وأنا بعينى أنظره وأشير لك بيدى ثانيا فارميه فى البحر فيدخل مع التيار بين الصخور والأحجار فيأكله السمك ودواب البحار ونرتاح منه ومن جميع الأشرار فقال القبطان: سمعا وطاعة. وتسلم الملك سيف من تلك الساعة.

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك عبود خان له ذخيرة ورثها عن أبيه وأجداده وهو خاتم جوهر مطلسم وهذا الخاتم كان اصطنعه ملك هذه المدينة أبو هذا الملك وكان اسمه كالوت خان يعبد النار والدخان وهو راصد عوضا عن السيف والسنان وبه ارتاح من الحرب والطعان والسبب فى ذلك أنه إذا كان بيده اليمنى وكان له عدو مبين من ملوك أو مقدمين وجاءت عينه عليه فيومئ بيده إليه فما يشعر إلا ورأسه طارت من كتفيه فإن كانت عساكره تقعد لابأس وإن أرادت أن تقاتله فيقف قدامهم وكان من أومأ بيده إليه قتله فما يكون لهم إلا الهرب ولكن الرصد على تلك المدينة فقد وهى الثانية فى المدن المطلسمة واتفق أن الملك كالوت مات فاحتوى ابنه هذا عبودخان على الخاتم ووضعه فى إصبعه بعد أبيه وكذلك أهل البلد والوزراء وأرباب الدولة اطاعوه ولما عرفوا أنه احتوى على الخاتم وصار ملكه خافوا فاتفق أنه جلس يوما من الأيام وجمع أرباب دولته وقا ل لهم مرادى أسألكم:

هل تعرفون أن هذا الخاتم يأخذه منى أحد؟ فقالوا له: يا ملك الزمان هذا السؤال متعلق بالحكماء والمنجمين وأرباب السحر والكهانة هم الذين بذلك عارفين فأحضر الحكماء واسألهم عن هذا الحال فأحضرهم وسألهم فقالوا حتى ننظر فى علومنا ثم إنهم دوروا فى علومهم وقالوا له يا ملك: الزمان نحن على قدر ما رأينا نعلمك لكن بعدما تعطينا الأمان فعند ذلك قال لهم: لكم الأمان الشافى والزمام الوافى فقالوا له يأتى ملك من التبابعة الحميرية وهو مؤمن على دين الخليل إبراهيم يأخذ الخاتم منك ويقتلك ويحتوى على ملكك وبلادك وتطيعه كل عساكرك وأجنادك يأمر الناس بترك عبادة النار ويأمرهم بعبادة الملك الجبار وهو ملك ملوك اليمن مبيد أهل الكفار والمحن اسمه الملك سيف بن ذى يزن وهو ملك عظيم الشأن ويأتى بلا جنود ولا له أعوان بقتلك ويأخذ خاتمك عياناً وأهل هذه البلاد يطيعونه ويكونون له أنصاراً وأعواناً ويبطل عبادة النيران ويأمر الناس أن يعبدوا الملك الديان وبعد ما يفتح هذه البلدان يرجع إلى دياره والأوطان فى أمن وأمان فقال لهم وهل تعرفون صورته وصفته. فقالوا له: حتى نطلع فى رملنا . فقال لهم: افعلوا ما تريدون. فضربوا الرمل ثانيا وقالوا له صبى صغير أمرد لا نبات بعارضيه وعلى خده اليمين خال أخضر مثل قرص عنبر وفى وسط الخال شامة وهذه فيه أكبر علامة فقال لهم أريد منكم أن تعملوا إلى دليلا أعرفه فقالوا له نعمل لك من كانتنا على باب البلد شخصا مرصدا إذا رآه دخل البلد يقول لك عليه فإذا وقع فى يدك فافعل به ما تريد أيها الملك السعيد ثم أنهم صنعوا له ذلك الشخص ووضعوا فى فمه البوق وأمر ألفا من أكابر العسكر الذين يعتمد عليهم أن يكونون دائما على باب البلد حتى إذا جاء الغريم وزعق الشخص الراصد يكونوا مستحضرين له فيقبضوه وبين أيدى ملكهم يقدموه وأقبل الملك سيف كما ذ كرنا وقاتلهم كما وصفنا وجرى ما جرى وقبض الملك عبود خان على

الملك سيف وسلمه للقبطان عبد نار كما ذكرنا ولما وصل عبد نار إلى مكانه والملك سيف فى الحديد ففى حال دخوله أمر بإحضار تنور النار والتفت إلى الملك سيف وقال له إن أدرت يا هذا أن تخلص من الأضرار فادخل معى فى عبادة هذه النار فقال الملك يا ملعون لا يعبد بحق إلا الله الملك الجبار الذى خلق الليل والنهار فاغتاظ عبد النار من الملك سيف وشبكه فى أربع سكك حديد وضربه ضرباً شديد ما عليه من مزيد وقعد يتعاطى الخمرة حتى دخل الليل وطلع نجم سهل وبقى الملك سيف فى أشد ما يكون من التنكيل فرفع طرفه إلى الملك الجليل وصار يستغيث ويقول صلوا - على طه الرسول:

* * *

قصدت باب الرجا والناس قد ر قدوا ... وبت أشكو إلى مولاى ما أجد

وقلت يا أملى فى كل نائبة ... يا من عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أمورا أنت تعلمها ... ما لى على حملها صبر ولا جلد

وقد بسطت يدى بالذل خاضعة ... إليك يا خير من مدت إليه يد

فلا تردنها يارب خائبة ... فبحر جودك يروى كل من يرد

* * *

(قال الراوى) ولما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من شعره وما قاله من نظمه ونثره الذى أحاط لطيف فكره وإذا بالقبطان نازل وهو يبكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وتقدم إلى الملك سيف وقبل رأسه وحله من كتافه وشداده وكذلك فك قيده من رجليه وصار يقبله ويبكى ويعتذر إليه فقال له الملك ما حالك ياقبطان وما الذى أصابك من تقلبات الأزمان فقال القبطان يا سيدى أنا أقول على يديك حقا صدقا وعدلاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وهو النبى العربى الذى يبعث آخر الزمان من سلالة معد بن عدنان وأشهد أن إبراهيم نبى الله وهو خليل الرحمن

الذى جاء بالصحف والبيان والبرهان آمنت به من هذا اليوم وإنى برىء من مبعود غير الله وأنا اتيت إليك يا ملك لتسامحنى فيما جنيت فإنى جرت عليك وتعديت وبعد ذلك الكلام بكى ونزلت دموعه سجام فقال الملك سيف اخبرنى ياعبدنار عن هذه الأخبار فقال له يا ملك لا تقل عبد نار فأنا اسمى عبد الصمد الملك الجبار وهو الله الواحد القهار ولا بقيت أعبد النار ولا أذكرها فإن الذين يعبدونها كفار فقال الملك سيف: يا أخى أفلحت إن صدقت لكن أعلمنى عن سبب ذلك فإنك نجوت من جميع المهالك فقال عبد الصمد ياسيدى أنا بعدما ضربتك فى هذا النهار وأنت من الضرب لم تتململ ولم تستغث حصل عندى غيظ وزودت الضرب عليك وقصدى بذلك أن تستجير بى وتقول لى فى عرضك. فأنت لم تفعل ذلك فتضايقت منك وزودت عليك بالضرب أيضا وبعد ذلك قلت فى نفسى: هو ميت على كل حال وأنا أتركه حتى يطلع الملك إلى قصره وأثقله بالأحجار وأضعه فى الزكيبة وأرميه فى البحار حسب ما أمر الملك عبود خان وبعد ذلك قعدت فسكرت حتى غلب عليهَ النوم فدخلت محل نومى وإذا برجل اعترضنى ومعه حربة من النار يتطاير منها شرار قال لى أين تذهب يا عدو الله بعدما تعديت على ملك الإسلام وضربته يا ابن اللئام ولا تخشى من الملك العليم العلام وقبض على خناقى وقال لى إيش تقول فى دخولك إلى دين الإسلام وتعبد الله الواحد الاحد وتبدل اسمك من عبد النار إلى عبد الصمد فقلت له سيدى وأنت من تكون من العباد الكرام فقال: أنا الخضر عليه السلام ورأيت ما فعلت بالملك سيف فأردت أن أعاتبك على فعلك وأقتلك وأعجل من الدنيا مرتحلك فسمعت النداء من العلى الأعلى وقائلا يقول لا تعجل عليه فإن الله تعالى سوف يهديه واعرض عليه دين الإسلام والإيمان عسى أن يكون من المجاهدين وها أنا صبرت عليك حتى أرى منك ما يرضيك فإن آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله نجوت من الانتقام وإن دمت على كفرك

فلابد من قتلك ومصيرك إلى النار فأسلمت على يديه وقلت كما علمنى اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهو النبى العربى الذى بعث من معد بن عدنان فى آخر الزمان يظهر من بين زمزم والحطيم صاحب الدين القويم الهادى إلى الصراط المستقيم ويظهر دين الخليل إبراهيم عليه افضل الصلاة والتسليم فقلت كما قال لى أنت بقيت من أهل الإيمان ولكن عليك القصاص بما فعلت فى حق الملك سيف من الألم والإنقاص فقلت له ياسيدى أنا كنت معذوراً بما أنى لم أعرفه. ومن الآن أتوب واكون من جملة حزبه واصدقائه واعيش تحت زمامه وأقاتل بين يديه كل اعدائه فقال لى يا عبد الصمد ان كان يسامحك لا مانع وإما إذا لم يصفح عنك فلابد من مضاعفة العذاب عليك ولا أحد من خلق الله ينجيك فانصرف عنى وأنا أتيت إليك وقصتى أحكيها بين يديك ولا بقى لى معتمد بعد الله إلا عليك وكنت بين اليقظة والمنام وإلى الآن يا ملك على لسانى حلاوة الإسلام. فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن هذا الكلام خر ساجداً للملك العلام وأخذه من ذلك الفرح والإبتسام وقال له يا عبد الصمد وايش فى نيتك أن تفعل من الفعال إذا كان الملك أمر بقتلى ورميى فى البحر كما قال. فقال عبد الصمد يا ملك وحق دين الإسلام ومن هدانى إليه لوكان الملك يقول لى اقتل الملك سيف وإلا أقتلك فأنا أرضى بقتلى وأفديك بروحى ومهجتى ولا أبخل بروحى عليك وتطير رأسى فى محبتك وبين يديك ولكن ياملك أقرب من ذلك والتدبير لله مالك الممالك ثم إنه أحضر له الطعام وطلع إلى أهل بيته وأولاده جميعا وعرض عليهم الإسلام إلا جارية بيضاء كانت محظيته لكونها جميلة وهو يحبها وكان أصلها أهداها له الملك عبود خان فلما ذكر لها دين الإسلام والإيمان قالت له هذا لا يكون وهى عن عبادة النار لا ترجع وإن كلمها لا تسمع وقالت لابد لى غدا فى الصباح أن أسير إلى الملك وأعلمه بما فعلت ودخولك مع أهلك وأولادك إلى دين الإسلام حتى يعجل لك

الانتقام فقال لها: يا ملعونة أنا بعدما عرفت الإيمان ما بقيت أن أسأل عن مُلك أو عن سلطان وأنا أعتمد على الملك الديان الرحيم الرحمن ثم أمر الجوارى بالقبض عليها فقبضوها وعرض عليها الإيمان ثانية فلم ترض فأمرهم فخنقوها ووضعها فى زكيبة وخلا رجلها من خارج الزكيبة حتى يراهما الملك عبد خان أنهما بيضاً فيظن أن الذى فيها هو الملك التبعى السعيد ونزل للملك سيف وأخبره بما يريد أن يفعل وزن الجارية فى الزكيبة وأريد أن أرميها قدام الملك فى البحر حتى يطمئن ويعلم أن غريمه مات وبعد ذلك تفعل أنت كل ما تريد أيها الملك السعيد فقال الملك سيف افعل ما بدالك أنجح الله أفعالك وبعد ذلك أمر غلمانه بإحضار الطعام فأكلوا حتى اكتفوا وناموا فى أهنأ مبيت.

ولما أصبح الله بالصباح أخذ القبطان عبد الصمد الزكيبة والجارية فيها ونزل القارب وأما الملك سيف فإنه قعد مع أتباع القبطان فى البر ينتظره حتى يعود وصار له مناظر حتى بقى القارب تحت القصر والملك عبود خان ناظر إليه فأشار الملك إلى القبطان بيده أن ارميه فى ذلك المكان فرمى الزكيبة عاجلا ونظر الملك إلى الزكيبة لما وقعت فى البحر ورأى رجليها ظاهرتين بيضاً ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وسقف بيديه وكان سكران ويداه من خارج الشباك فوقع الخاتم من يده فى البحر والملك سيف رأى الخاتم لما وقع لكن لم يعلم أنه الخاتم أو غيره وبعدما عاد عبد الصمد إلى البر واجتمع بالملك سيف وأخبره بما فعل وأنه رمى الجارية فى البحر وأن الملك عبود خان اعتقد أنها الملك سيف غريمه فقال الملك سيف نعم ما فعلت يا قبطان ولكن هل رأيت أنت مثل ما رأيت أنا عيان؟ فقال عبد الصمد وأنت ايش رأيت يا ملك الزمان فقال الملك سيف إن الملك لما أشار إليك بيده أن ترمى الزكيبة بما فيها فى البحر سقط من يده شيء يلمع فى البحر ولمعانه يأخذ البصر فقال القبطان: ياملك وأنا

أيضا رأيت ذلك عيان وحق زين الإيمان فقال الملك سيف ما أظن الا أنه الخاتم المذكور عينه والله تعالى احرمه منه ولعله يقع فى يدى حتى أبلغ من قبل هذا الملعون مقصدى فقال القبطان عبد الصمد ياملك أنا أقوم أسير إلى البحر وأنزل فى القارب وأسير إلى قصر ذلك الملك وأرمى حبال الصيد لعل الله تعالى يفعل ما يريد فلعل لك يا ملك قسمة فى ذلك الخاتم إن كان قد وقع فى البحر فقال الملك: إن كان قد وقع فى البحر إيش لنا فيه فائدة إلا إذا كانت قدرة الله مساعدة فقال القبطان وإن لم نجد شيئا فنصطاد شيئا من السمك ونعود وكل منا يبغى ما هو به موعود فقال الملك قم على بركة الله تعالى فقام القبطان عبد الصمد والملك سيف وسارا حتى وصلا إلى البحر ونزلا فى القارب حتى صار تحت القصر ورفع يده بالشبكة وكان ذلك فى الثلث الأول من الليل والدنيا ظلام وطرح الشبكة وقال يا بركة دين الإسلام ورماها فاندق فيها فرخ بياض قدر الآدمى سمين جسيم عظيم فجذبه القبطان حتى بقى عنده فى القارب وتوكل على الملك الغالب واراد أن يطرحا الشبكة ثانيا فسمع مناديا مع بعيد وهو يقول يا سيف مطلوبك حصل فى يدك وقد اهلك الله ضدك من توفيقك وسعدك فقال الملك سيف ارجع بنا يا عبد الصمد ولا تعارض رب القدرة فيما اراد ولا بقينا نصطاد فطاوعه وعاد حتى طلع على البر والملك سيف مشغول بما سمع من المنادى ما يقول فقال الملك يا عبد الصمد افتح لى بطن تلك السمكة فإن قصدى أن اشويها هنا وآكل منها فقال عبد الصمد سمعا وطاعة ثم تقدم وذبح تلك السمكة وشق بطنها وإذا بالخاتم فى جوفها وقد اضاء وظهر نوره من بين الفضاء فقال عبد الصمد خذيا سيدى وهذا خاتم الملك عبود خان الذى يفتخر به على خدمه والغلمان.

فلما رأى الملك سيف تلك الحال خر سا جداً لله الكريم المتعال وقال ما عظم قدرة الله ذى الجلال فقال عبد الصمد يا ملك لا تعجب فإن تحت

قصر الملك دائما لسمك مجموع لأنه بعد أكل الملك وأكل باقى دولته
ينفضون السماط فى البحر فتجد السمك دائماً واقفا منتظر افلقم
الخاتم فى حلقه وإنما العجب من قدرة الله الملك الديان حيث إن الله
سخره لنا وألهمنا حتى أتينا نحن للصيد ولم يقع لنا إلا تلك السمكة أيها
الملك السعيد فهذا من تقادير ربنا المبدىء المعيد فعند ذلك أخذ الملك
سيف الخاتم ولبسه فى أصبعه فرآه كأنه عمل على قدره بالسوى بقدرة
الله فالق الحب والنوى فقال القبطان عبد الصمد يا ملك الزمان أنا وأولادى
واتباعى نزيد عن مائة نفر وإذا أنت اردت قتال ذلك الملك عبود خان فنحن
بين يديك فقاتل من طغى وكفر فقال الملك سيف لعله يؤمن بالله تعالى
ولا يحوجنا لقتال فإن إسلامه وإقامته فى بلاده خير من قتله ونهب ماله
ولكن يا عبد الصمد هل تعلم أن هذا الخاتم هو خاتم الملك صحيح وإن
كان هو ففائدته أنه يقتل كل من أومىء به إليه من كل إنسان مغضوب
عليه قال عبد الصمد يا ملك هو صحيح فقال الملك سيف أنا أطلع لذلك
الملعون عبود خان وآمره بالإسلام فإن اسلم كان الذى كان وإن خالف أطحت
رأسه بالسيف اليمان فقال عبد الصمد ما يحتاج إلى تعب منك إن أومأت
بيدك بالخاتم طارت رأسه عن الهام من غير ان تضربه بحسام فلما طلع
النهار وسار الملك سيف حتى بقى على شاطىء البحر وقال يا عبد الصمد
مرادى أن تعدينى فقال سمعا وطاعة انزل فى القارب فنزل وجدف حتى بقى
البر فى الثانى وقال للملك سيف تفضل يا ملاك السلام توكل على الملك
العلام فطلع الملك سيف ومشى حتى دخل من باب المدينة فصاح ذلك
الشخص ثانيا وقال غريب فأتى الناس إليه فقال لهم يا ناس لا أحد يتحرك
خذوه للملك فوجده قاعدا فلما رآه قال يا غريب بالأمس أغرقتك وإيش الذى
أعادك ثانيا سالما فقال له يا ملك نجانى الله الحى الدايم وها أنا أتيت
إليك أحذرك فإن قبلت مقالى والكلام تدخل فى دينى وتتبع يقينى وتترك

عبادة النيران وتقدم طائعا على عبادة الملك الديان الرحيم الرحمن وإن
خالفت هذا الكلام أطحت رأسك قدام فقال له: يا كلب بين الأنام بأى شىء
تقطع رأسى يا ابن اللئام فقال له: بهذا الخاتم فنظرت أرباب الدولة الختام
مع الملك سيف وهو مرصود وإطاعة كل من حمله عليهم فالتفتوا إلى
ملكهم وقالوا أين خاتمك يا ملك الزمان أعلمنا به فقال لهم عندى فى
الصندوق لم ينظره قط مخلوق فقال لهم الملك سيف يا ناس ما أعمى
بصيرتكم هذا الخاتم معى وبلادكم صارت ملكى فقالوا لملكهم يا ملك
هذا الخاتم عنده بيده ونحن من أتباعه وجنده قال لهم: كذبتم فى مقالكم
وخاب نظركم لأن الخاتم عندى منشال وما أحد يعلم به من الرجال فقالت
الوزراء هذا أمر معلوم والخاتم حاله مفهوم ونحن لكل من ملك هذا الخاتم
خدم وعبيد هات خاتمك عبود خان أومىء به إلى سيف واسقه شراب الحيك
والتفتوا للملك سيف وقالوا له يا ملك هذا كذبنا مرارا ونحن له أعوان
وأنصار فأومىء بيدك إليه حتى تقع رأسه من كتفيه ونحن نصير أعوانك
وغلمانك فقال لهم: لا أفعل ذلك إلا إذا عصى عن دخوله الإسلام وعبادة
الملك العلام فقالت له الدولة تتبرأ عن عبادة ذلك وتكون للمك سيف من
جملة الأنصار فقال هذا لا يكون وإذا بالملك سيف أ مأ بيده إليه فوقعت
رأيه ممن بين كتفيه ونظرت الدولة إلى تلك الحال فقالوا للملك سيف يا
ملك الزمان نحن لك خدم وغلمان فقال لهم اتركوا عبادة النيران واعبدوا
الله الملك العلام فقالوا له علمنا يا ملك ما تقول فقال لهم قولوا جميعا
نشهد أن لا إله إلا الله وأن إبراهيم خليل الله وكل من كان له معبد
فليخرج به فقالوا جميعا كما علمهم وجلس الملك سيف على كرسى
البلد وجعل وزيره على اليمين عبدالصمد وأقاموا في أمن وأمان والملك
سيف يعلمهم طرائق الايمان مدة شهر كامل حتي أن المدينة وما يليها
صارت كلها إيمان رجالاً ونساء وشيوخاً وشباناً وصار يعلمهم من صحف

إبراهيم الخليل عليه السلام ويعرفهم توحيد الملك الجليل حتى امتزجوا بالعبادة وبقى أحلى ما عندهم الشهادة وبعد ذلك جمع كبراء الدولة وقال لهم إنى كنت محتاجا حاجة من بلدكم وقضيتها وهى فتحها بالاسلام وتوحيد الملك العلام والحمد له الذى بلغنى ما أريد وأنا قصدى أعود إلى بلادى فاختاروا لكم من يكون عليكم ملكاً فقالوا يا سيدى نحن لكل من ملك الخاتم فهو علينا ملك وحاكم فقال لهم هذا فى أيام عبادة النار وأما فى الإسلام فلا تستعيون بهذا الخاتم بل الإعانة من الملك العلام وأنا أخذت الخاتم ومرادى أن تؤمنوا بالله الواحد الأحد ولعنة الله على من طغى وجحد وأنا جعلت عليكم نائبى الوزير عبد الصمد فكونوا له طائعين وتؤمنوا بالله رب العالمين فقالوا سمعا وطاعة فقام الملك سيف وأخذ بيد عبد الصمد وأجلسه على كرسى المملكة وقال له أنت نائبى وكل من خالفك فهو خصمى وانتم يا أهل البلد تكونون إليه طائعين وتعبدوا الإله رب العالمين وسلمه كل ذخائر الملك التى خلفها وقال له هذا عندك أمانة لله لما أطلبه وتودع الملك سيف من أهل المدينة ومن الملك عبد الصمد وطلع من المدينة وحده حتى وصل إلى الوادى وبعدما طلع من الوادى صاح يا عاقصة فقالت له: نعم وكانت قاعدة فى الانتظار وقالت له: ما حالك وما الذى جرى عليك ونالك وأنا نظرت إليك لما حاربوك ولا اقدر أخطى إليك وإلى الآن مشغولة عليك حتى رأيتك فأخبرها بما جرى عليه وكيف أخذا الخاتم بعد جهد جهيد ولا فى الاعادة افادة إلا الذكر والتوحيد عبادة ثم قال لها يا عاقصة روحى إلى الأقليم الثالث فقالت له كأنك يا أخى مراد؛ ترمى روحك فى الهلاك حتى تهلكنى معاك أنا يا أخى ما بقيت أوديك على أقاليم ولو أنك تسقينى كأس الحميم ثم إنها حملته وهو يظن أنها رائحة به إلى إقليم فما يشعر إلا وقد نزلت به على مدينة قيمر بجانب الجب وقالت يا أخى من هنا أخذتك وهانها رجعلتك والخاتم الذى أخذته معك وخذ هذه

القلنسوة أيضا فإنها تنفعك ومنى عليك السلام فقال لها لأى شىء يا عاقصة فعلت هذه الفعال فقالت له أنت رجل جسور مقدام فى كل الأمور وانا أخاف أن تقع فى مصيبة زائدة لا أقدر أن اخلصك منها مثل هذه النوبة وأنا أنظر الأعداء يقاتلونك وأنا لم أقدر أن أصل إليك من الأرصاد التى فى تلك الأقاليم والبلا فلا بقيت أرواح معك ولا أحملك. فقال: لابد أن تفرجينى على باقى الأقاليم غصبا عنك فقالت له إيش تغصبنى والله أنا ما بقيت اتبعك ابدا ومن يرضى أنه يأخذ اخاه ويهلكه وأنا ما يهون على وطارت من بين يديه فصار يشتمها وهى لا تلتفت إليه ولا ترد عليه وصارت إلى أهلها ودخلت مكانها ولها كلام إذ وصلنا إليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وأما الملك سيف فتذكر أنه إذا أراد أن يدخل الغماز يصيح عليه كما كان إلا أنه قصد البرج الذى كان دخل منه اولا عند الحكيمة عاقلة وبنتها طامة فصار قاصدا ذلك البرج **(قال الراوى)** ومما وقع من الاتفاق العجيب أن طامة بنت الحكيمة عاقلة من حين ما رأت الملك سيف تولعت بمحبته ولم يبق لها صبر ولاجلد على فرقته ولما علمت أن الملك قمرون رماه فى الجب ضاق صدرها وعيل صبرها فقالت لأمها يا أمى كيف ان الملك سيف هذا الذى تقولين أنه يتزوج بى رماه الملك قمرون فى الجب فزواجى به كيف يكون. قومى انظرى إيش جرى فيه فقامت الحكيمة عاقلة وبنتها طامة قدامها وفرشت الرمل وقالت لها الملك ارتمى في الجب ثم ضربت الرمل وقالت طلع من الجب سليما والذى أخذته بنت جنية اسمها عاقصة بنت الملك الأبيض ثم وصلته إلى قصر سحاب المختطف الاقطع وتقاتل معه وقطع يده الثانية وأمر الجنية ان توصل البنات إلى أهلهن وحملته عاقصة إلى السبع أقاليم المرصودة ودخل أول أقليم واخذ القلنسوة لاجل الاختفاء وسار إلى ثانى إقليم فقبض عليه وانضرب وخلص وقتل عبود خان وأخذ الخاتم وانقلبت البلد كلها اسلام وبعد ذلك حملته

عاقـصة وجـاءت به عند الجب وفاتـه وأعطته القلنسـوة والخاتم وتركـته وراحت وسار إلى البرج فقومى يا طامة اندهى على الملك ها هو تحت البرج وقـولى له يدخل من باب البلد ولا يخش من أحـد فقـالت طامة والغـماز مـا يصيح عليه فـقالـت لها أنت أبطلت حـركات الـغمـاز من يوم ما كـان هنا سـيف وجرى مـا جرى واسـتحـفظت على كـتاب الـنيل حتى يأتى يأخـذه يا طامة يا بنتى هذا سيف ما هو قليل هـذا يعلو قدره على جميع الملوك كل ملك يبقى تحت يده مملوك وتطيعه الإنس والجان ويخدموه حكماء وكهان ويسـود على ملوك الزمـان قـومى يا بنتـى هاتيـه ومن باب البلد أدخليـه ولا تحسبى حسـاب الغماز ولا تخافيه فبينـما هما فى الكلام وإذا بالباب يطرق فـقـالت الحكـيـمـة عـاقـلـة ها هو أتى بلا تعب أراحنا من الـتـعلل والنصب فقـامت طامة وهى تقول يا هل ترى صـحيح أيأتى الملك وسـارت إلى الباب وفتحته ونظرت إلى الملك سيف فتقدمت إليه ولصدرها ضمته وبالسلامة هنته وبين عينيـه قبلته وقالت يا سيدى نـحن فى يقظة أو فى منام الحمد لله على سلامتك وكيف كـان خلاصك من الجب يا ابن الكرام فابتدأ الملك سيف يحـدثها وهى سائرة ويده فى يدها إلى أن بقـو قدام الحكيمـة عاقلة فقامت إليه وسلمت عليه وقالت له يا ولدى كيف جرى عليك أنا والله قلبى عليك ولكن أنا اعلم أن الله حافظك وناصرك فحكى لها الملك سيف على ما جرى له فقالت الحكيـمة أنا عندى علم بمـا جرى لك فالـحـمد لله على سلامتك وبعدها طلبوا الطعـام فلما حضرو أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا هذا وطامة لم ترح عينيها من النظر إلى وجه الملك سيـف وقلبها بمحبته قدا استـهـام وداموا على ذلك حى جن الظلام وقـد طلبـوا الراحـة للمنام ولمـا أصبح الـلـه بالصبـاح وأضاءه بنوره ولاح جلست الحكـيـمة عـاقلة وأجلست الملك سـيف إلى جانبـها فـقالت لهـا يا حكيمـة عاقلة أنا من امرى على عجـل وإيش يكـون العمل فى اخـذ الكـتاب والـتوجه إلى بلادى وتلك الـرحاب

فـقـالت ولدى هذا شـىء لابد لك منه ومـا أحـد يمـنعك عنه وإنمـا الذى يعارضك كـأنه يعارض القضـاء والقدر الذى حكم به ربنا بارىء الصور فـقال لها وكيف العـمل أدخل على الملك قمرون بالسلاح وإلا كـيف يكون التدبير فـقـالت له فى غـداة أنـا اركب وأروح الديوان وأنت مـعك القلنسـوة تعلق الحكيم أفـلاطون وعندك الخاتم تـعلق عبـود خان فـهاتان ذخـيرتان لانظيـر لهما وهذا الـنـهار يفوت وبكرة أول الهلال فأنا اركب وأروح إلـى الملك قمرون وأنت تكون معـى فـإذا وصلنا وانفتحت القـبة لعل العسـير يهون وما قـضاه الله سوف يكون ولما كان اليوم المعلوم ركبت الحكيمة عاقلة على بغلتها وأخذت الملك سـيف بصحبـتها وسـارت حتى وصلت للديوان فـقام الملك قمرون إليها ورحب بها وأجلسـها إلي جانبه ووقف الملك سيف قدام الملك قمرون وهو لابس القلنسوة ومختف عن العـيون فقالت الحكيمة عاقلة قم يا ملك الزمان حـتى تفتح القبة وتفـعل اعادة الكتاب ونطلع عليـه ونسأله النصر على كل خـائن مرتاب فقام قـمرون وسار إلى المـقر والحكيمة مـعه وأرباب الدولة كلهم صـحـبـة وركب العسـاكـر حتـى وصلوا إلى باب هيكل الكتاب وتقدم الملك قمرون كـأنه أسد الغاب وفتح ودخل لينظر إلى الكتاب فـوجده على حـالـه فسـجد الملك قـمرون وأطال الـسـجود وسـجدت دولتـه جميعـا أهل الغرور والجحود وكل من كان من أهل تلك البلد سـجد للكتاب من دون رب الأرباب فلمـا نظـر الملك سـيف وكـان واقـفـا بجـملة الوقـوف والقلنسوة على رأسـه وما أحد إليه يشوف فلمـا وصل الملك سيف وخطى من باب القـبـة وأراد الدخـول وإذا بالصنـدوق دار على القـاعـدة ثلاث دورات وانجدف من مكانه إلى جهـة الملك سيف وبقى بين رجليه والناس جمـيعا وقـوف وهم ينظرون إليـه فمـد يده الملك سـيف وأخـذ الكتاب بلاخـوف ولا ارتيـاب ونظر الملك قـمـرون إلى الكـتاب لمـا دار وطار فطار عـقله من راسـه ولطم على وجـهـه وراسـه حـتى تتعـتعت أضـراسـه وشق ثيابه وعـلا بكاؤه

وانتحابه وماجت جميع الخلق والأمم وضاق الهيكل وانزحم وبقى على القدم ألف قدم وبعدما أمر الملك جميع دولته أن يتفرقوا حول المدينة يمينا ويسارا ففعلوا ما أمرهم وطلعوا إلى البر والقفار وغابوا طول النهار ولم يجدوا للكتاب آثاراً فعادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور وأعلموا الملك أن الكتاب ما ظهر ولابان ولا عرف له أحدمنا مكان فركب الملك قمرون والحكيمة بجانبه وهى تقول له: يا ملك الزمان هدىء روعك وقلل هلوعك فأنا أعيد لك الكتاب وأحضره لك أينما كان وأجيب لك الذى أخذه عيان إن كان من الإنس أومن الجان ومازالت الحكيمة عاقلة تطيب قلب الملك بمثل هذا الكلام حتى طاب خاطره وهدأت سرائره بعد ذلك ألفت بغلتها وعادت طالبة مكانها وإقامتها وكان الملك سيف سبقها إلي مكانها وأقام والكتاب معه منتظراً قدومها فلما دخلت ورأته هناك والكتاب بصحبته وماله من يده فكاك فقالت له: هنآك الله ياملك بما أعطاك وها أنت بلغت أمنيتك يا ولدى وأريد ان ابلغ أمنيتى وقصدى منك لما قضيت حاجتك أن تقضى لى حاجتى ولا تخالف كلمتى فقال لها وما حاجتك حتى أقضيها فقالت له تتزوج بنتى طامة التى لا يوجد لها نظير فى أرض تهامة ولا فى اليمن ولا فى أرض اليمامة فقال لها أما قولك فأنا اسمعه وجميلك عندى لا أضيعه وبنتك طامة هي ست الملاح وروح الأرواح ومالى منها براح ولكن أنا لا أتزوج بأحد إلا بعد ما أتزوج شامة بنت الملك أفراح فلا تطيلى يا أماه على الكلام ولا تكثرى عتباً ولا ملام وها أنا أعلمتك والسلام فقالت الحكيمة وأنا ما أخليك تتزوج قبل بنتى احداً وها أنت عندى فقال لها: لا أفعل ذلك ابدا ولو شربت شراب الردى وبعدما دار بينهم الكلام طلبوا راحة الاجسام واضجع الملك سيف بن ذى يزن ونام وجعل الكتاب والقلنسوة تحت رأسه وكانت طامة سمعت ما قال الملك سيف لأمها من الكلام فامتلات غيظا وغراماً ومال قلبها وهام فصبرت إلى الليل وسرقت القلنسوة

مما أصابها من الوجد والجوى وبات الملك سيف وأصبح فلم يجد القلنسوة فسأل الحكيمة عاقلة عنها فقالت له يا ولدى والله ما أخذتها ولا لها عندى خبر فقلق من ذلك وتحير فقال لها اضربى لى تخت رمل وانظرى لى مكانها حتى أجتهد فى طلبها فقالت له طامة ها هى عندى والذى سرقها أنا ولا أعطيها لك حتى تتزوج بى فقال الملك سيف ياسيدتى خذيها بارك الله لك فيها وياليتكم ما عاونتمونى ولا بالخير جاملتمونى وبعدما انصلحت أحوالى بدلتم المعروف وفعلتم بدله المتلوف وأنا ما اتوكل على القلنسوة لأن الذى يساعدنى هو الله فالق الحب والنوى واخذ الكتاب وطلع فى البر والهضاب متوكلا على رب الأرباب وهو الذى لا إله إلا هو الكريم التواب وأما الحكيمة عاقلة فركبت على بغلتها وسارت إلى الديوان ودخلت على الملك قمرون فقام وقال لها: مرحبا مالى أراك منزعجة الحواس ومحتكم منك الغيظ في الرأس فقالت له إعلم يا ملك أن الذى أتى بلادنا وأخذ كتاب تاريخ النيل سائر فى البر الطويل على طريق الهايشة فأنى من امس مجتهدة فى كشف الأخبار حتى علمت ما كان منه وقد اقتفيت الآثار فإن أردت يا ملك أن تقبض على غريمك لترجع كتابك كما كان فدونك والبرارى والكثبان ولا تقول الحكيمة عاقلة ما اعلمتنى ولما ضاع الكتاب تركتنى فصاح الملك قمرون وبقى كأنه مجنون وقال الخيل يا أربابها وتفخذت الرجال على سروجها وتحدرت فرسانها وأطردوا من كل الجهات وطلبوا البرارى والطرقات طول النهار وعند الغروب قعدوا على ماء فأكلوا وشربوا وبعد ذلك ساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا وأما الملك سيف فقد سار وحده فى البرارى والهضاب وهو فرحان بأخذ الكتاب ومازال يقطع البرارى والقفار أول يوم للغروب فنزل بجانب غدير فأكل من الأعشاب الموجودة في الأرض وشرب من الغدير واخذ الراحة وقام على الأقدام ثانى الأيام وثالث يوم وهو سائر وإذا بالخيل طلعت عليه من كل جانب وهزوا القنا والقواضب

وقالوا له اين ينجيك الهرب ونحن لك جميعا فى الطلب تريد أن تسرق كتاب تاريخ النيل وتنجو به فى ذلك البر الطويل فما بقى لك فى الدنيا عمر إلا القليل فنظر الملك سيف إلى أعدائه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله وانفرد بالجرى فى وسيع الفلا وهو كأنه الطير الطائر يقطع البرارى والمحاجر وما زال يجرى ويقطع الدروب حتى لقى الشمس مالت إلى الغروب فغاص بين الصخور والأحجار ود ـتر عليه الليل بغياهب الاعتكار ونظر رالأعداء إليه فلم يقعوا له على آثار فزدات بهم البليات وضاقت عليهم الطرقات وأيقنوا بنزول الآفات وتفرقوا من كل جانب ومسكوا الطرقات والمذاهب والملك توكل على الطالب الغالب رب المشارق والمغارب ولما انتصف الليل تفكر الملك سيف فى نفسه وقال أن الهاشية الآن رأسها إلى جهة الشرق وأنا لماذا لم ألحقها ورأسها فى ذلك البر فأركب عليها حتى تعدينى وإن تأخرت فإن الأعداء حقا يقبضوننى وعن سفرى يعوقوننى ثم إنه قام ليلا وسافر طالبا جهة البحر وقصده أن يلحق الهاشية فاستيقظ الأعداء وبقيت العساكر فى بعضها ماشية وهو سائر يقطع ما قدامه من العمار حتى بقى على شاطىء البحار وكان وصوله عند انفجار الفجر والهاشية فى سكرها فطلع الملك سيف على ظهرها واختفى بين أرياشها وعندما أقبل عساكر الملك قمرون وهم على أثر الملك سيف يتبعون فكانت الهاشية أفاقت من غفلتها ونظرت إلى الشمس فرأتها ارتفعت من الأرض وفاتتها فصاحت بصوت دوى به البر وسمع عساكر الملك قمرون صرختها فخافوا من رزيتها وهالهم صوتها وتعجبوا من خلقتها وقالوا ان الغريم وصل إلى ناحيتها ومابقى له خلاص من قبضتها وهو من حين وصل إليها ظن فى باله أنها أرض أو جبل فطلع عليها وها هى بقيت فى البحر وما بقى لأحد منا إليها وصل ثم أنهم عادوا إلى الملك قمرون خائبين وهم من شدة التعب مغتاظين وحكو اله على ماجرى وما رأوا حتى وصلوا خلف الغريم إلى البحر

فاختطفته الهاشية وهذا آخر عهدنا يا ملك الزمان فكادت حرارته أن تنفطر وقال احضروا الحكيمة عاقصة فلما حضرت حكى لها على كل ما جرى وأن العساكر راحوا خلف الغريم وعادوا خائبين فقالت له يا ملك اصبر لما أدخل محل حكمتى وأجتهد فى كهانتى ولا تلزم الكتاب والغريم إلا منى إن كانت ما أكلته تلك الهاشية فقال لها افعلى مابدا لك فأنا لا أخالف مقالك وأما الملك سيف فانه فضل على ظهر الهاشية حتى وصلت براسها إلى البر الثانى وهو صابر ومتوانٍ حتى وصلت إلى الشمس بالنظر تريد أن تلتقطها فى فمها لخفتها مثل ما هى على عادتها فخبطت رأسها إلى الأرض فتركها الملك سيف ونزل من عليها وطلب البر و المهاد قاصدا مكان الشيخ جياد ودخل عليه فقام إليه وقال به أهلا يا ملك الزمان أنت قتلت الملعون المختطف الاقطع ورددت البنات إلى أهليهم وأخذت القلنسوة والخاتم ولكن الخاتم مع عبد الصمد يجعله له علامة وأما القلنسوة فأخذتها منك طامةوأنت أخذت الكتاب بإذن مسبب الأسباب وأنا يا ولدى عملت لك سايساً للحصان وبقيت أستحق منك الأجرة يا ابن الكرام فقال له مرحبابك يا عم فقال له بت عندى الليلة وبكرة أنا مسافر السفر البعيد يعنى مفارق الدنيا وقاصداً دار السلام فافعل معى كما فعلت مع أخى عبد السلام واغتنم الثواب من الملك العلام واخرج إلى خارج الصومعة بعدما تغسلنى بيديك تجد الكفن حضر لى فكفنى وقل الصلاة على من حضر من المؤمنين ولك الأجر من رب العالمين فعند ذلك بات الملك سيف عند الشيخ جياد وهم يذكرون الملك الجواد حتى طلع الصباح فاصفر لون الأستاذ واضطجع للقبلة وأحسن الشهادتين وشهق وفارق الدنيا فسبحان الحى الذى لا يموت فقام إليه الملك سيف وغسله وكفنه وطلع ونادى الصلاة علي من حضر من المؤمنين فأتوا القوم الصاحين الذين اصفاهم رب العالمين وصلوا عليه وانصرفوا وأما الملك سيف فإنه فحر فى وسط

محراب الصومعة ودفن الأستاذ وقرأ عليه شيئا من صحف الخليل وقال فى نفسه:

* * *

ادفن الجسم فى الثرى وليس فى الجسم منتفع
إنما السر فى الذى كان فى الجسم وارتفع
أصله الجوهر النفيس وإلى أصله ارتجع

* * *

وبعد ذلك قام الملك سيف وشد على حصانه عدته وركب على صهوته وطلب البرارى والقفار قاصدا مدينة الملك أفراح وهو فى غاية السرور والانشراح والكتاب بصحبته وهو سائر الليل والنهار **(وله كلام)** هذا ما جرى وأما ما كان من المقدم سعدون الزنجى فإنه لما كان فى خيمته قدام المدينة كماذ ذكرنا وكان وحش الفلا تارة يبيت عنده وتارة يبيت فى قصره المعد له فلما كان فى ذلك اليوم الذى حصل فيه ذلك الكلام بين وحش الفلا والحكيم سقرديون وطلب منه كتاب تاريخ النيل وركب وحش الفلا على جواده آخر الليل وطلب البر الطويل ولم يعلم من أين يأتى بذلك الكتاب ولكن توكل على رب الأرباب وأصبح المقدم سعدون الزنجى فركب جواده وسار إلى باب المدينة وسأل حاجب الحجاب الذى هو مقيم على الباب وقال له: هل علمت بوحش الفلاه ان كان ركب أو مقيماً في المدينة فقال له الحاجب والله يا مقدم سعدون أن وحش الفلاة ركب فى آخر الليل على ظهر الجواد وطلب البر والمهاد وهذا آخر عهدى منه ولكن سمعت أنه طلب من الملك أفراح أن يزوجه بنته شامة ويقيم له الأفراح وطلب منه سقرديون الحكيم كتاب تاريخ النيل فقال وحش الفلاه أنا احضره وركب وسار إلى هذه الحاجة فقال سعدون هذه مكايد أفراح والكلب سقرديون وحصل عنده غيظ شديد وطلع الديوان فى الحال ودخل على الملك أفراح من غير استئذان ولما دخل صاح بصوت كأنه الرعد القاصف كل من سمعه

يظل راجف وقال يا ملك أفراح أين سيدى وحش الفلاه الذى كان عندكم امس مقيماً وطلع النهار فما وجدناه فقال الملك أفراح اعلم يا مقدم سعدون أن وحش الفلا صار زوج ابنتى وأنا قاسمته فى نعمتى وما بقى لى فيه مشارك ولا مما سلاحك وقد سافر يأتى بالحلوان من البرارى والآفاق كما أتى بك أنت فى المهر والصداق وقبلناك منه ووقع الاتفاق ومتى أتى بالحلوان أزوجه بنتى شامة على رؤوس الاشهاد وتنجلى القلوب من الاحقاد ولا يبقى بيننا غير المحبة والوداد فقال المقدم سعدون إيش هذه الحكاية الطويلة التى عملت لها قواعد وأرياحاً يا ملك أفراح هل ترى الكلام الذى قلته أن الذى وصيته أو من سقرديون هذا سمعته واجتمعت أنت وسقرديون على سيدى وحش الفلا وقلت له هات الحلوان حتى غيبتموه وعن أرضكم أبعد تموه وأنا وحق البيت وعصاتى ذات الذوائب لا أرحل من هذه المدينة ولا أترك هذه الديار حتى يظهر خبر أستاذى وحش الفلاة فإن أتى سالما على قيد الحياة قابلناه وبالسلام هنيناه وإن مات فى هذه النوبة أو ما بان له خبر قتلتكم عن آخركم وخربت مدينتكم وقتلت فرسانكم ورجالكم وسبيت حريمكم وعيالكم ونهبت أموالكم وأول ما أقتل سقرديون وأعذب أفراح العذاب الأليم وها أنا على باب المدينة مقيم حتى انظر عاقبة هذا الفعل الذميم وطلع المقدم سعدون الزنجى من الديوان وهو علي الملك أفراح غضبان وقال آخر كلامه يا أفراح وحق زحل فى علاه لولا ما أخاف أن يكون وحش الفلا طيباً يأتى يعاتبنى ما كنت انزل من ديوانك إلا بعد اخراجه واظهر فيه الجنون ولا انزل إلا برأسك ورأس هذا الحكيم سقرديون ولكن هذا ما يفوتكم وعن قريب سوف يكون وإلا فما أنا المقدم سعدون ونزل من الديوان وهو حردان وكان سقرديون يسمع وكبده يتقطع فقال الملك أفراح وإيش رأيت يا حكيم فى هذا الوبال العظيم أنت غيبت وحش الفلا وجلبت لنا ذلك البلا فقال سقرديون أنا ادبر لك هلاكه وسوء ارتباكه ثم إن سقرديون

من إغاظته كتب كتابا من وقته وساعته وأرسله إلى أخيه سقرديس حكيم مدينة الدور وهى مدينة الملك سيف ارعد ملك ملوك الحبشة والسودان يقول فيه يا أخى على ما تعلم أنه قد نشأ فى مدينتنا غلام أبيض من العرب وهو جميل الصورة والأصل فى هذا الغلام أنه أتى به أفراح من البر وكانت ترضعه غزالة وعلى خده علامة التبابعة وهو الخال الأخضر كأنه قرص عنبر فأنا اغريت الملك أفراح على قتله مرارا فلم يقبل كلامى فيه وأن الملك أفراح معه بنت خلقتها مثل خلقته وعلى خدها شامة مثل شامته وكنت اناقلت لأفراح إما أن تقتله وتبعده عنا فأرسله مع عطمطم خراق الشجر حتى علمه خداع الحرب ومواقع الطعن والضرب فاتفق فى غياب وحش الفلاة أنه اعترض بنت افراح من الجان واحد يقال له سجاب المختطف وحكم على أبوها يخرجها له مزينة فاخرجها فاتفق مجىء المارد ووحش الفلا فى ساعة واحدة وأن وحش الفلا ضرب المارد فقطع يده فهرب المارد بعد أن قطع يده وعدم صبره وجلده ثم إن الغلام طلب شامة بنت الملك أفراح يتزوجها لكونه خلصها من المارد فقلت له أنا يا ملك أفراح لا تنعم له فإن هاتين الشامتين إذا اجتمعتا على فراش واحد فإن ملك الحبشة يخرب فقال والله ما أقتله لأنه خلصها من هذا المارد فقلت له اطلب مهرها رأس سعدون الزنجى فطلب منه ذلك فسار الغلام ورضى بذلك المهر ولما راح قلعة الثريا فعل مع سعدون أفعالاً وأوراه غلبات الرجال واصطلح معه وأتانا وصحبته سعدون الزنجى وصار له صاحب ورفيق عند كل شدة وضيق وكان قد غاب مدة يسيرة وأتانا وسعدون معه بالحياة وتوابعه صحبته في خدمة ذلك الغلام ولما أقبل سعدون قا إن كنتم قد طلبتم رأسى فى مهر بنتكم فأنا أتيت بالحياة إلى عندكم فقلت له أما المهر فوصلنا بالتمام ونريد منك الحوان وهو كتاب تاريخ النيل فرضى بذلك وخرج طالبا بلاد الكتاب وقصدى بذلك يا أخى عدم اجتماع الشامتين على الفراش

لأجل عدام خراب ملك الحبشة ولا تنفذ دعوة نوح فى بلادنا والآن فقد أبعدنا الغلام وله مدة طويلة ما بان له خبر وأظن أنه مات وانقبر ولكن سعدون الزنجى حاطط مدينتنا وكل يوم يأتينا ويهددنا ويخوفنا فكتبت لك هذا الكتاب وأريد منك أن تصف للملك الأكبر حسن هذه البنت شامة بنت الملك أفراح وتخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وترغبه فى أخذها حتى يرسل لأبيها ويأخذها منه فإذا فعل الملك الأكبر ذلك وصارت شامة عنده انقطع أمل الغلام وما بقى له كلام ولكن يا أخى يكون ذلك على عجل ووحش الفلا غائب من قبل ما يجرى شيء لم يكن فى الحساب ويأتى الغلام ويكون زحل ساعده وجاء بالكتاب فإنه إذا جاء بالكتاب يتزوج البنت ويبطل العتب والملام وتنفذ دعوة نوح عليه السلام وها أنا أعلمتك بالخبر وأنت بذلك أخبر وأرسل الكتاب إلى سقرديس التعيس النحيس خليفة الأباليس فأخذ العبد وسار يقطع البر والفياض حتى دخل مدينة الدور وهى مدينة الملك سيف أرعد ودخل على الحكيم سقرديس وقبل الأرض قدامه وناوله الكتاب فأخذه سقرديس من العبد وقرأه وفهم رموزه ومعناه وقام فى الحال ودخل على الملك سيف أرعد وقرأ عليه ذلك الكتاب وأعلمه بتلك الأمور والأسباب وقال له يا ملك الزمان وحق زحل فى علاه إنى لك ناصح وأكبر نصيحتى لك زواج هذه البنت شامة بنت الملك أفراح صاحب مدينة الحديد فإن فى زواجها فوائد كثيرة أولها أنك تحظى بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فإنه لم يكن فى بنات الملوك مثلها فى العربان ولافى الحبشة ولا فى السودان والثانية أن هذا الغلام الذى عند الملك أفراح نحن متزاولين منه أن يكون عدو الجيش ويبقى ملكاً عظيماً صاحب عسكر جسيم ويحكم علي امصار واقاليم وهو يحب البنت فإذا عاد و رأى مثلك أخذها وبعدت عنه ولم يقدر علي خلاصها منك لم يجد له صبراً على بعدها فإما أنه يتنهد ويموت بالكمد أو يمرض منه الجسد ويموت بالكيد والحرد فإن

داء الحب شديد والخلاص منه بعيد والثالثة أن اسمها شامة ولها على خدها شامة وأن هذا الغلام الأبيض له على خده شامة وأن جميع الحكماء قطعوا فى علومهم على أن اجتماع هذين الشامتنين على فراش واحد بأنه خراب ملكك وإذا جرى ذلك وتزوجت أنت بتلك البنت فتكون احتويت عليها ويفضل ملكك يا ملك عماراً على كيد الأعادى والفجار فقال الملك سيف أرعد يا حكيم الزمان وإيش مرادك هذا الوقت فقال له مرادى ترسل تخطب شامة بنت الملك أفراح وتتزوج بها وتعطى الملك أفراح مهما أراد فى مهرها حتى تبقى مملكتك عماراً فقال الملك سيف أرعد يا حكيم هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب وقام الملك سيف أرعد وحضر أربعة عقود جوهر وأربعة بدل من صنف الحرير المدثر ومائة أوقية من الذهب الأحمر وخمسة آلاف دينار ذهب وزن الواحد مثقالات وعشرة خيول جياد يعددها من بعددها من الذهب وعلى كل حصان بدلة زرد بخودتها ومنطقتها وسيف وخشت حبشى ورمح اشمر وعشرون بنت حبشية وألف ناقة وجمل وقدم الجميع قدام الحكيم سقرديس وقال له مرادى أن أجعل هذه هدية للملك أفراح وأجعل مهر ابنته أن أرفع عنه خراج بلده سبع سنين مدينة الحديد وما يتبعها من البلاد التى حولها حتى أرغبه فى مصاهرتى ويكون من حزبى وحاشيتى فقال الحكيم سقرديس بعد هذا يا ملك الزمان ما بقى له عليك امتنان لكن أرسل ذلك صحبة حاجب جبار فقال الحكيم لا تسأل عن ذلك وكان عند الملك سيف أرعد حاجب جبار وهو فارس دولته وحامى مملكته يقال له مناطح البغال وهو بطل من الأبطال وشجاعته تضرب بها الأمثال فأحضره الملك سيف أرعد وقال له مرادى أن أجعلك نائبى تخطب لى بنت الملك أفراح فإن أنعم وأجاب سلمه هذه الهدايا والأموال وإن رأيته تمنع ودخل عليه من باب الغرور والضلال أشبعه حرباً وقتالاً ولا تأتينى إلا وهو معك فى الشد و الاعتقال وإن عارضك سعدون الزنجى فبعبع أو دافع عن

أفراح فلا تبقيه وأهلكه هو ومن معه من العبيد وأهرق دماءهم على الأرض والصعيد ولا تعد لى يا مناطح البغال إلا بقضاء الأشغال وبلوغ الآمال وانتخب له ألف عبد كلهم أبطال أفيال يقاربونه فى شجاعته هم أقارب وأولاد أعمام واولاد اخوال **(قال الراوى)** ولقد سألت عن هذا الاسم يعنى مناطح البغال فإنه ليس اسم رجال ولا اطفال فقيل لى إن أصل اسمه فى منشأة در بال ولما كبر وكان عند أرباب دولته الملك سيف أرعد بقرات يطلقون عليها خيل فوضعت وأصل تلك الفعال كانت ذكرت بين يدى ملك الحبش أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أراد لنمروذ أن يفعل فى حق خليل الله ما فعل كان الذى حمل الحطب البغال لكونها أولاد زنا فالبعض قال إنهم تناسلوا من خيل وحمير والبعض قال إنهم تناسلوا من خيل وبقر كذا نقلت فى السير عن كل راوٍ معتبر فلما كان فى ذلك الزمان اطلقوا خيلا على بقر وعلى حمير وقصدهم بذلك أن ينظروا الخلف منهم كيف يكون فخلفوا البغال للبعض أشبه بالخيل ولكن عليهم بلادة البقر والبعض مثل البقر وعليهم همرات الخيل وكان دربال هذا طفلاً صغيراً بجملة الأطفال فكان يسارع البغال ويناطحها وبلغ الملك سيف ارعد فأحضر بين يديه واطلع علي ما يفعل من الفعال فعند ذلك ترك اسم دربال وسماه مناطح إلى أن كان فى هذا اليوم وارسله ملك الحبشة فى هذه النوبة إلى الملك أفراح كما وصفنا وانتخب له ألف فارس من امثاله ليعاونوه على سعدون الزنجى وحربه وقتاله إذا تعرض له فى أفعاله فلما سمع مناطح البغال من الملك سيف ارعد هذا المقال قال له يا ملك الزمان أنا ما احتاج توصينى لما ندبتنى إليه ولا تلزم سعدون الزنجى والملك أفراح فى الشد والاعتقال الا منى وأن يكون ذلك فى أيام قلائل وأنا خادمك دربال مناطح البغال ثم إنه انتدب له الفرسان كما ذكرنا كلهم بالعدد الكاملة والزينة وهم الطراطير الريش والأحواض النحاس والخشوت الماضية السنان والسيوف والسكاكين

وكلهم فى عز وتمكين وأما مناطح البغال فإنه سار قدامهم وهو فرحان يقطع الأرض والبيد حتى أنه وصل إلى مدينة الحديد وبلغ الخبر الملك افراح من الحكيم سقرديون وقال له أنا اعلمت أخى وأخى اعلم الملك وعن قريب يأتينا مناطح البغال يقتل سعدون يوم يطلع الديوان ويهدد الملك افراح بالهلاك والقلعان والملك افراح صار يتجلد ولا يورى له عداوة إلى أن كان فى بعض الأيام وإذا بغبار انعقد وثار وسد منافس الاقطار وبعدها انكشف عن ألف فارس كأنهم الجن والأبالس وهم بالطراطير التى من جلد الغنم الغزير الصوف والبعض منهم لهم شراريب من ذيل الثعالب وهم عراة الأبدان وكل منهم حامل درنة من جلد الحيتان ترد مضارب السيف وطعن السنان فطلع الملك افراح بنفسه إلى لقاهم ولما رآه مناطح البغال مقبل ترجّل عن الحصان وقدم للملك أفراح وقبل يده فانحنى عليه الملك أفراح وقبله فى رأسه وخده وسار إلى المدينة وهم فى أفراح وزينة ونظر المقدم سعدون الزنجى إلى هذا الحال فعلم حقيقة أن هذا تدبير على مفاسد وضلال وقال فى نفسه لابد أن اعرفهم شؤم تدبيرهم وأجازيهم على ما يفعلونه من خبثهم ومكرهم وصبر على مضض وبات ليلته وعند الصباح سار إلى الديوان ومعه ثمانون عبدا برفقته وكان الملك أفراح استقبل مناطح البغال وانزله فى أعلى مكان وصنع له وليمة ومناطح البغال قدم للملك أفراح الهدايا التى ذكرناها وقدم له الكتاب ففتحه الحكيم سقرديون فوجد فيه باسم زحل فى علاه والنجم وما سواه اعلم يا ملك افراح أنى اخترتك من دون الملوك أن تكون صهرى وتبقى أنت صاحب نهيى وامرى وأنا أرسلت لك هذه الهدية على قبول الصحبة والاشفاق واطلب كل ما تريد من المهر والصداق فإن أنت انعمت لى بزواج ابنتك منعت الخراج سبع سنوات عن مدينتك وما يليها من المدائن ثم إن حاجبى مناطح البغال نأبى فى هذه الأشغال فعندها التفت الملك أفراح

إلى سقرديون وقال كيف يكون التدبير فقال له الحكيم أنعم له يا ملك واطلب رضاه فإن طاعته لازمة على كل الملوك والولاة فقال الملك أفراح وإن جانا وحش الفلا كيف يكون جوابنا معاه فقال الحكيم سقرديون وحش الفلا عمرنا ما بقينا نراه وإن حضر أيضا تقول له أخذ شامة ملك الحبشة وإن أردت أخذها دونك وإياه فبيناهم كذلك وإذا بالمقدم سعدون داخل من باب الديوان وعيناه فى رأسه كأنهما سراجان فلما دخل المقدم سعدون إلى الديوان قام على حيله الملك أفراح والحكيم سقرديون ولا أحد كان قاعدا إلا وقام فى الحال إلا مناطح البغال فإنه دخل فى نفسه الغرور فما قام للمقدم سعدون البطل المشهور لما يعلم فى نفسه أنه صاحب الملك سيف أرعد ونظر سعدون الزنجى إلى عدم قيامه فصاح عليه صيحة ارتعد منها الأبدان وارتج القصر من جميع الأركان وانذهل كل حاضر فى ذلك المكان والتفت للملك أفراح وقال له من هذا الكلب الذى لم يقم لى على الأقدام هل هو أكبر منكم جميعا يا كرام هل هو أعظم قدرا من الملك أفراح أو من الحكيم سقرديون وأعلمونى عن هذا الكلب إيش يكون وما سبب مجيئه إلى هذه الأرض والبلاد اصدقونى بصحة القول عن هذا السبب وإلا وحق من تعالى واحتجب اخلى هذا القصر بكم ينقلب وأميل عليكم بالحسام المشطب ولا أخلى منكم رأساً ولا ذنبا وأجعلكم مثلا يضرب عند الحبشة وأبناء العرب فقال له مناطح البغال إعلم يا هذا أننى صاحب حجاب الملك سيف أرعد وأرسلنى إلى هذه الأرض والبطاح لاخطب له شامة بنت الملك أفراح لأجل أن يتزوج بها ويتصل النسب بينه وبين الملك صاحب هذه الأرض والنواح فاقعد فى أدبك ولا تعارض الملوك وأنت فقير صعلوك فقال المقدم سعدون أما تستحى أن تقول لهذا الكلام يا ابن اللئام وتقول إنك تخطب زوجة استاذى الملك الهمام صاحب الرمح والحسام وهو الملك وحش الفلا والله يا كلب إما قمت من هذا المكان وأنت مخذول من

غير أن يكون لك على ما أنت طالب وصول وإلاضربتك بهذا السيف المصقول وجعلتك أول مقتول وفى است امك وام الملك سيف معك ابول لأنه أذل وأحقر من أن يخطب شامة وهى قد حازها ملك الملوك وحش الفلا وعن قريب يأتى سالماً غانماً ومعه كتاب تاريخ النيل والغنائم فاغتاظ مناطح البغال من ذلك المقال وقام على الأقدام وجذب فى يده الحسام وهجم على سعدون فلما نظر سعدون إلى ذلك الحاجب مناطح البغال وما فعل من القتل جذب حسامه من غمده وهزه حتى دب الموت فى فرنده ورفع الحسام بيده وضرب مناطح البغال على وريده فأطاح رأسه من بين كتفيه فنظر الحكيم سقرديون إلى ذلك الحال فأظهر الخبث واللمحان وقال للملك افراح كأنك ياملك تقدر وتقاوم الملك سيف ارعد إذا كان أرسل لك حاجب حجابه بصفة رسول يصير فى وسط ديوانك مقتول من الذى بقى ينجيك من الملك سيف أرعد إذا علم أن حاجبه قُتل فى ديوانك فيرسل لك عساكره وتخرب بلادك وتهلك عساكرك واجنادك وأنت يا ملك هدمت بيديك اساسك ولا تقع الحرارة كلها إلا فى راسك قم يا ملك امسك سعدون وعسكره ومن معه واقبض عليهم وإلى الملك أرسلهم وإذا بقوا بين يديه كل ما أراد يفعل بهم فعند ذلك صاح الملك أفراح فى رجاله ونبه جنوده وابطاله وهجم وصاح على رجاله دونكم هذا العبد سعدون اقبضوه وبأسيافكم قطعوه ولا تبقوه فحملت على المقدم سعدون الرجال واحاطت به الأبطال فصاح سعدون على رجاله ونبّه أبطاله وقال والله يا ملك أفراح ما بقي لك فى يدى براح حتى اسقيك من سيفى السم والقراح فهنالك حملت الثمانون عبد اتوابع المقدم سعدون الرجال واحاطت به الابطال فصاح سعدون على رجاهل ونبه أبطاله وقال والله يا ملك أفراح ما بقى لك فى يدى براح حتى اسقيلك من سيفى السم القراح فهنالك حملت الثمانون عبداً توابع المقدم سعدون وحمل قدامهم كأنه المجنون ودارت

رحى الحرب كما تدور الطاحون واسقاهم ريب المنون وضرب فى أوساطهم وفرق شملهم وسار يحمى رجاله كما يحمى الاسد أشباله ويضرب بالسيف مثل حجارة المنجنيق حتى مزق الأعداء تمزيقاً وفرق جموعهم تفريقاً وهو تارة يحمل يميناً وتارة يحمل يساراً حتى خرج من المدينة إلى الخلاقوة واقتدار وملك البرارى والقفار وقال يا ملك أفراح ما بقى لك من يدى براح ولابد من هلاك عساكرك وقبض الأرواح وأطعم الوحش اجسادكم والأشباح فهناك صاح الحكيم سقرديون الغادر والخائن المفتون فصاح الملك أفراح فى عساكره وامرهم أن يركبوا الخيل ويميلوا على سعدون ومن معه كل الميل فلما رأى سعدون هذا الحال قال لأصحابه الأفيال احموا ظهرى انتم يا رجال وأنا ألقاهم وحدى فى القتال وكان سعدون آيس من الحياة وطلب له الموت واستحلاه فأنشد يقول - بعد الصلاة والسلام على طه الرسول:

* * *

أتتنا الاعادى بأشكالها   تهز المواضى بأنصالها
على الصافنات تهز القنا   وزلزلت الأرض زلزالها
فدونك أفراح ضرب الصفاح   وطعن الرماح وامتلالها
وخلى رجال نطاح البغال   تخوض المجال لأهوالها
فريب المنون على سيف سعدون   يفرى البطون بأوصالها
غدوتم أعادى وخنتم ودادى   أنا الحرب زادى بأسعالها
تقدم أمامى وذق من حسامى   شرب المنايا وأوحالها
حويت الندامة إذ رمت شامة   ولست لها كفء أعدالها
وقد غاب وحش الفلا يريد الكتاب   وطاب منونى بإقبالها
سأخرب بلادك وأفنى رجالك   واسبى النساء بأطفالها

* * *

(قال الراوى) وبعد ما انشد سعدون الزنجى ذلك الشعر والنظام
واستقبل الخيل تحت العجاج والقتان وجود الضرب بالحسام ومن خلفه
رجال كرام وفعلوا فى الأعداء كما تفعل الذئاب فى الأغنام ويرى رماح الأعداء
كبرى الأقلام وسقاهم شرب الهلاك والانتقام ورجاله من خلفهم كأنهم
أساد لأكام وداموا على ضرب الحسام وطعن الرمح الهذام حتى ذهب النهار
بالابتسام وأقبلت غياهب الظلام وافترقوا عن ضرب الحسام وأبطلوا الحرب
والخصام وخفيت مواضع الأقدام وعادوا سكارى من غير مدام ونزل سعدون
في خيامه بين أصحابه وأقوامه وهو يعض على كفيه غيظا وحنقا وبات
تلك الليلة وعند الصباح ركب هو ورجاله وقال لمن حوله من الأبطال أنتم
ما عليكم قتال ولا تباشرون حربا ولا نزال وإنما احموا أنتم ظهرى من
الاغتيال وأنا أشبع هؤلاء الكلاب حربا وقتال فقال له أصحابه يا مقدم
سعدون نحن كلنا أبطال وتربية أبطال وخلقنا لنضرب بالسيوف الصقال
وأشهى ما علينا الموت كما يشتهى العطشان الماء الزلال وها نحن منك
وإليك ولا تطير جماجمنا إلا بين يديك ولا تحسب إننا نبخل بأرواحنا عليك
فشكرهم على مقالهم ولما كان ثانى الأيام تقاتل سعدون مع عساكر
مناطح البغال وهاج فيهم كما تهيج فحول الجمال وصاح سقرديون على
الملك أفراح وأمره أن يساعد جماعة مناطح البغال فأمر رجاله جميعا
بالقتال فأحاطوا بسعدون الزنجى ومن معه من الأبطال وغنى الحسام
الصقال إلى آخر النهار وانفصلوا عن القتال وهكذا ستة أيام ولكن ثقل
العدد على المقدم سعدون وشرف هو ورجله على شرب كاس المنون
وطمعت فيه عساكر الملك عساكر الملك أفراح ولا بقى له من الموت براح
ونادى الملك أفراح فى رجاله وقال لهم: يا ويلكم قوّوا عزائمكم وميلوا على
أخصامكم حتى تأخذوا بثأركم وكلما يسمع منه سعدون هذا المقال
يأخذه الحنق والادعال ويجرد فى عسكره الطعن بالرماح الغوال ويضرب

بالسيف الفصال وعلى الحقيقة أن سعدون كل ومل ووهى ركنه واضمحل
وطمع فيه الملك أفراح ولا بقى له من الموت براح كذلك وإذا بغبرة انعقدت
وبان من تحتها فارس من وسط الخلا أقبل وهو سائر على عجل وضارب على
وجهه لثام كأنه قطعة غمام وعينه تلوح من تحت اللثام كأنها عين الأرقم
ولما أقبل ونظر إلى القتال يفعل فكب على رأسه فى قربوس سرجه ودخل
بين الصفين وصاح على سعدون وقال له حليلك يابطل الزمان اخبرنى على
أى شيء هذه الحرب والطعان فقال له سعدون وأنت من تكون من الفرسان
حتى تسألنى هذا السؤال فى هذا البر والخلا فقال أنا صديقك وحش الفلا
فقال له ساعدنى على هؤلاء الكلاب الذين هم أهلك وناسك فإن هذه
الحروب وهذه الفتنة من تحت رأسك ولا أقدر أن أحدثك عن أهلك بكلام إلا
إذا انفصلنا من ضرب الحسام وبطل الحرب والصدام فلما سمع الملك
سيف بن ذى يزن من سعدون هذا المقال صرخ صرخة زلزلت الأراضى
والجبال وكل من سمعها لحقه الخبال وجاش الله أكبر أنا فارس الأقطار
والدمن مبيد أهل الشر والقتل أنا ملك اليمن وصاحب ممالك الأراضي
وصنعاء وعدن المنزل على الأعداء البلاء والمحن أنا الملك التبعى واسمى
الملك سيف بن ذى يزن فلما سمع الملك أفراح صوت الملك سيف بن ذى
يزن التفت إلى سقرديون وقال له يا حكيم أما أنت سامع هذا الصوت صوت
وحش الفلا لا نشك أنه أقبل ونزل بحرب المقدم سعدون فقال الحكيم
سقرديون كأنك يا ملك انذهلت من فعل سعدون إيش هذا الكلام الذى ما
يقوله إلا كل مجنون وحش الفلا مات وصار عظمه رفاتاً واقتلعته النكبات
والآفات فما تم كلامه إلا وعساكره مقبلون وهم مقطعون من عشرة ومن
عشرين وقالوا يا ملك اعلم أن الذى يحاربنا ما هو إلا وحش الفلا قد أنزل بنا
الموت والبلا إلحقه يا ملك ورده عنا وإلا أفنانا عن أخرنا فلما سمع الملك
أفراح هذا الكلام قال لهم أحق أنكم أنتم رأيتم وحش الفلا فقالوا له نعم

وحق زحل فى علاه أنه ما أبادنا ولا أهلك أكثرنا إلا وحش الفلا الفارس النبيل الذى سافر على مدينة قيمر طالبا كتاب النيل فلما سمع الملك أفراح ذلك الكلام أمر المنادى أن ينادى فى العسكر بالكف عن الصدام وأن يرفعوا الرمح والحسام وسار بالحصان حتى وصل إلى الفرقة التى لسعدون الزنجى فرأى الملك سيف فالتوى على ظهر الجواد حتى بقى على الأرض والمهاد وأراد أن يقبل رجل الملك سيف فى الركاب راكبا فترجل الملك سيف إليه واعتنقه وسلم عليه فقال سعدون رجعت إلى الخبث والنفاق أنت وسقرديون الذى أنت وهو رفاق وخفتم من القتل والمحاق ولما ضاق بكم الخناق فقال الملك سيف ايش ذنب المقدم سعدون حتى قاتلتموه وقاتلكم فقال الملك أفراح يا ملك إنه بعد سفرك فى طلب كتاب النيل أقام سعدون يخاصمنا ويقول أنتم أرسلتم أستاذى لأجل أن تهلكوه وعن البلاد أبعدتموه فاتفق أن الملك سيف أرعد أرسل لنا حاجبه مناطح البغال ومعه هدايا وأموال وطلب شامة ليتزوجها ملك الحبش فأناقلت له هذه زوجها الملك وحش الفلا وساروا يأتى بكتاب النيل حلوانها فكان سعدون وقع بينه وبين مناطح البغال مشاجرة وكلام وان سعدون قتله فصعب على لكونه فى ديوانى وفيه استصغار لشأنى فقاتلت سعدون واتيت أنت جيمعنا فخلصنا من شرب المنون فقال الملك سيف الحق فى يد المقدم سعدون فإنه والله نعم الصاحب لنا والرفيق وأنت يا ملك أفراح ما يطيب على قلبك إن تعطى شامة إلى سيف أرعد فقال أفراح أما مع عدم وجودك يا ولدى فما أنا ممن يقدر عليه ولا أقدر أن امنع شامة ارعد وأما من حيث أنت سالم فما بقى إليها وصول ولا على ذكرها محصول ولكن أنا فيك متحير كيف كان خروجك من عندنا واسمك وحش الفلا وإيش الذى غير اسمك حتى بقيت سيف بن ذى يزن **(قال الراوى)** وكان الملك سيف بن ذى يزن لما طلع من صومعة الشيخ جياد بعدما دفنه فى التراب وجرى ما جرى

واخذ الحصان وسار طالبا مدينة الحديد تاه فى الطريق فوقع فى أرض متسعة لا أنيس فيها ولا رفيق وصار يقاسى مشقة زائدة واقام مدة شهرين كاملين وهو يأكل من نبات الأرض هو والحصان ويشرب متحصلات الأمطار ومن بعض الغدران إلى ليلة قعد فيها يتضرع إلى الله تعالى ويشكو إليه ما هو فيه من الجوع والضنك والضيق من ضلال الطريق وعدم السعادة والتوفيق ورفع يده إلى السماء وقال اللهم اسألك يا عظيم العظماء اللهم إنى اسالك بحرمة نبيك وخليلك الخليل إبراهيم عليه السلام واسألك بأولاده وذريته وبالصحف التى أنزلت عليه وما فيها من الكلام أن تنجينى من شر هذه الأراضى والآكام أنك أنت الملك العلام اللهم بحق النبى الذى يبعث فى آخر الزمان بالصدق والوفاء ويكون ظهوره ما بين زمزم والصفا أن تجعل لى ولاخواتى المؤمنين من كل ضيق فرجا ومن كل هم وبلاء مخرجا إنك على كل شىء قدير يا الله يا الله يا غياث المستغيثين ويا أرحم الراحمين وبعد ذلك بكى الملك سيف حتى تدحرت دموعه كالأمطار وانذعر فنام وإذا بالمنادى ينادى يا سيف قم فالحق سعدون الزنجى صاحبك فإنه اشرف هو وجماعته على عدم النجاح من الملك أفراح وذلك كله من أجلك ياليث البطاح فقام الملك سيف وركب حصانه وطلب البرارى والقفار فاشرف على سعدون ضحى نهار وادركه تحت الغبار فجرى ما جرى وفرج عنه واجتمع الملك أفراح ووقعت بقدومه الأفراح واقبل السعد والنجاح وقال الملك أفراح للملك سيف اخبرنى عن سبب تغيير اسمك من وحش الفلا إلى الملك سيف بن ذى يزن فقال له يا ملك الزمان أنا جرى لى عجائب وأهوال تشيب رؤوس الأطفال ثم حكى لهم على ما وقع له من سفره واجتماعه بالشيخ جاد وإسلامه على يديه وأوصاه على أن يعدى البحر على الهايشة واجتماعه على طامة وما جرى له معها ودخوله على الحكيمة عاقلة وصياح الغماز ودخوله على أهل البلد واجتماع الحكيمة وما فعلت معه حتى أفسدت

الرمل ودخوله القبة ودوران الكتاب وانطباق العالم عليه وقتاله حتى قبضوه ورموه فى الجب وقدوم عاقصة واخذه المارد وقتله وإرسال البنات إلى أهلهم إلا ناهد فأرسلها إلى أهلها رغما ودعت عليه ورواحه إلى السبعة أودية وكيف أخذ من أول وادى القلنسوة واخذ الخاتم من الوادى الثانى وإسلام عبد الصمد وإقامته نائبا عن المدينة وعودته على مدينة قيمر وأخذ الكتاب وطامة اخذت القلنسوة عندها رهنا وعدت ثانيا ودفنت الشيخ جياد وقبله كنت دفنت عبد السلام حتى اتيب إلى هذا المقال ولكن أنا أعيد لكم ما جرى لى بالشعر والنظام وانشد وقال هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات:

* * *

ألا فأسمعوا يا آل ودى قصيدتى ... لقد اتعبوا قلبى على مهر زوجتى
وظن السعد أنى أموت بمكرهم ... وقد طلبوا موتى وإتلاف مُهْجتى
وقد سألونى رأس سعدون مهرها ... فكنت لهم طوعا لتمسى ضجيعتى
فسرت إلى حسن الثريا لقصده ... وقد كان ذا غلق فزادت بليتى
ولما رآنى أهله فتحوه لى ... وصاحبتهم فى الحصن أحسن صحبة
وقاتلت سعدونا وجئت لهم به ... وكان من الأحيا برأس وجثّة
وقالوا قبلنا المهر قم هات غيره ... فقلت وما المقصود اعظم بغية
فقالوا كتاب النيل نبغيه يا فتى ... بأى مكان كان يلقى وبقعة
فأمضيت هذا القول فى وسط جمعهم ... وبالله ربى أستعين لحاجتى
وسرت أنا من أرضهم وديارهم ... وأعلمت شامة قبل فى جنح ليلة
فلم ترض منى أن زأسير لأنها ... تخاف على الموت فى أرض غربة
وقالت نخليهم ونترك حيهم ... ونرحل عنهم فى هنا ومسرة
فقلت لها ذا القول ليس بصائب ... ولابد ان أسعى لتلك القضيّة
فقابلت شيخا صالحا ذا عبادة ... بستين يوما فى القفار الخلية

وأسلمت إسلاما صحيحا برغبة ... وعلمنى دين الهدى بعد شوقتى
هو الشيخ مولانا جياد ومن له ... وفقّهنى فى الدين فقه الشريعة
وقد قال لى عندى حصانك مودع ... مقام شريف التقى والحقيقة
فسرت وجاوزت المروج جميعها ... فدعه يسير فى البرارى بقوة
ولما أفاقت أحدقت بعيونها ترى ... إلى هايشة بى جاوزت هول لجة
فصارت لذاك البر تخبط رأسها ... الشمس سارت فى العلا واستمرت
ولما سلكت البر يوما وليلة ... وفارقتها أسعى لادراك طلبتى
قارعته حتى علمت بأنه ... رأيت خيالا طالبا لأذيتى
فقالت أنا طامة وأمى حكيمة ... تدعى بعاقلة فريدة حكمة
فلما أتيت السور أبصرت أمها ... معدة أحبال لإحكام نصرتى
وقد أصعدونى فى الدياجى بهمة ... على البرج حتى صرت بين المدينة
وقد صاحت الارصاد منى وأعلنوا ... وهاجت جميع الناس يبغون قبضتى
ونادى الملك قمرون جمع رجاله ... لضرب تخوت الرمل يبغى فضيحتى
فنجانى المولى على يد عاقلة ... وقد أفسدت أعمالهم بالصنيعة
فسل الملك قمرون سيفا على العدا ... وقطع منهم نحو عشرين هامة
وقال لها يا عاقلة أنت دبرى ... فقالت أجى بالخصم حالا بسرعة
وفى أول الشهر الجديد تجمعوا ... لقصد كتاب النيل فى وسط قبة
فقلت يا أمى خذينى لأنظرن ... إلى الهيكل المعنى لهم بالعبادة
فقالت أنا أخشى عليك من العدا ... فقلت لعل الله يقضى لى حاجتى
فإنى قد أسلمت أمرى لخالق ... اله عليم بالأمور الخفية
وسرت بعزم نحو أحسن قبة ... أرى الخلق فيها لا تعد لكثرة
أراهم سجوداً للكتاب جميعهم ... له عبدوا من دون رب البرية
خطوت إلى القبة لأنظر صنعهم ... وقد حرّك الصندوق موقع خطوتى
ودار ثلاثا فوق قاعدة له ... وبعد دنا نحوى ليبدى فضيحتى

فصاح الأعادى جاذبين سيوفهم … يريدون إتلافا لروحى ومهجتى

قالوا فها أنت الغريب غريمنا … فدافعت عن نفسى على قدر طاقتى

وقاتلت حتى صرت فى وسط الفلا … ومن بعدها كلت من الضرب قوتى

ووقعت فقادونى إلى حاكم لهم … فلما رآنى صار ينظر صورتى

وقال لهم فى الجب ألقوه عاجلا … فساروا وألقونى بجب الحقيرة

فناديت ربى خالق الأرض والسما … لتعجيل إنقاذى وتفريج كربتى

أتت عاقصة تشكو الذى قد أصابها … إلى المختطف من كان أصل سلامتى

وقالت أتى عبد السلام وقال لى … عليك بمن يحمى العذارى بنخوة

وقالت له أخت أنا لك يا فتى … وأمى قديماً أرضعتك بصحبتى

فقلت احملينى لا تخافى من العدا … فأختى أولى فائز بحمايتى

فجاءت قريب القصر ثم أحجمت … وقالت أنا مالى به من جسارة

فسرت أنا للقصر وحدى فأبصرت … عيونى عذارى يرتجون حمايتى

وقالوا تعالى يا ملك سيف عندنا … لتنقذنا من كل بؤس وشدة

وقد رفعونى بالرباط اليهم … وكانوا تمام الأربعين بعذرة

وقد جاءنى العفريت يغلظ قوله … بخوف وتهديد ليطلب قتلتى

فبادرته بالسوط أسقط زنده … فمات وأخلى القصر صائب همتى

وأسلمت هاتيك البنات لأهلها … وعاقصة كانت رسولى لوصلة

وناهد قالت يا ملك لا تردنى … أريدك بعلى أنت سؤلى وبغيتى

فقلت لها عاقصة اوصلى بها … فسارت بها تبكى وتنعى لفرقتى

وتدعو إلهى أن ترانى بأرضها … بجوع وعرى فى عناء وشدة

ومن قبل ذا عبد السلام أتيته … وعاقصة تبغى قبول هداية

ولما رجعنا صار يرقب عودنا … وعلمنا طرق الهدى والسعادة

وقد مات هذا الشيخ وانفض أمره … وقد كان أوصانى بخير وصية

فغسلته والصالحون أتوا له … وصلى عليه الجمع فرض الجنازة

وواسيته فى قبره حسب قوله … فأسكنه الرحمن دار جنة

وسرت إلى نحو الأقاليم عنوة … وعاقصة رامت بذلك فرجتى

وفى أول الاقاليم سرت طالبا … قلنسوة الشيخ الحكيم بحيلة

وفى ثانى إقليم قتلت مليكه … وكان اسمه عبود ذا خان ذمتى

فأهلكته من بعد أخذ ختامه … وعبد الصمد قد صار نائب ولايتى

وعاقصة تبدى أمورا عجيبة … اراها بعينى نزهة أى نزهة

أرى أربعة الأنهار تمشى بسرعة … بوجهين منها ظاهر وخفية

وقد اخبرتنى عاقصة عن أصولها … وربى له فى ذاك أعظم حكمة

ومن بعدها عدنا لقمرون ثانيا … وعاقصة كلت لتطويل غيبتى

وقابلت هاتيك الحكيمة وبنتها … وعاقلة حنت وطامة لعودتى

تحايلت حتى أن اخذت كتابهم … وساعدنى ربى بعزم الحكيمة

أرادت لتزويجى بطامة فقلت لا … فليس يكن من قبل شامة عروستى

وقد أخذت طامة قلنسوتى التى … بها تختفى عن اعين الخلق صورتى

اخذت كتاب النيل ثم تركتها … على رهن أن ارجع لطامة حبيبتى

وسافرت وسط البر والبحر جرته … على الهائشة من بعد هول وشدة

وشيخى جياء بعد موت شهدته … كما كان مع عبد السلام وصيتى

اخذت حصانى ثم سافرت عامدا … ارى الملك افراح وسعدون رفقتى

يثيرون حربا والجيوش تزاحمت … على بعضها و الأصل فى ذاك غيبتى

فصالحتهم لما رأونى وبادروا … إلى وقد سروا جميعا بعودتى

ولما رأوا عندى كتابا تباشروا … بنيل المنى جمعا وتأييد نصرتى

وهذا ما جرى من حين فارقت أرضهم … ودرت إلى أن سهل الله عودتى

وأستغفر الله العظيم من الخطا … إله تعالى راحما للخليفة

أو علمكم أن لسيف بن ذى يزن … سأحكم حكما بارتفاعى ونصرتى

يكون دعا نوح النبى قد انقضى … وكان رجائى فيه صدق الاجابة

(قال الراوى) ولما أن فرغ الملك سيف بن ذى يزن من شعره وما ابداه من نظمه ونثره تعجب الملك افراح واضطرب من ذلك القول المباح وقالوا جميعا لافض الله فاك ولا كان من يشناك يا ملك الزمان ويا قاهر الانس والجان ولكن اعد علينا ثانيا ما جرى لك فان هذا الحديث يجب علينا أن نجعله طراز فاعاد عليه ما قاله ثانيا من أوله إلى آخره حتى صار كل منهم كأنه حاضره لأنه كشف لهم باطنه وظاهره كل هذا يجرى والحكيم سقرديون يسمع ويرى فضاقت به الأسباب وتفطرت مرارته وقلبه ذاب وقال فى نفسه راح من عندنا واسمه وحش الفلا فجاءنا واسمه الملك سيف وحقيقة هذا سيف قاطع لبلاد الحبشة فما كان له إلا أنه قام من الديوان وهو تائه الفكر حيران وقد جمع ما فضل من عساكر الملك سيف ارعد الذى كان قد اتى بهم مقاطع البغال فلما اجتمعوا وحضروا بين يديه قال لكم من الأمور وقولوا له يا ملك الزمان كل الذى جرى علينا من القتال وذهاب الأرواح أصله من فعل الملك أفراح وهو الذى أمر العبد سعدون الزنجى بقتل حاجبك مناطح البغال وهلاك ما معه من الفرسان والأبطال وكنا اشرفنا على سعدون لولا حضور هذا الولد ابن الزنا فهو أفنانا ثم إنه أعطاهم كتابا إلى الملك سيف أرعد يقول فيه يا ملك حال وصول هذا الكتاب إليك ترسل لهم عسكرا يخرب ديارهم وننتقم منهم على فعالهم وبعد ذلك أعطاهم كتاب تاريخ النيل سرداً من غير أن يعلم الملك أفراح ولا الملك سيف بذلك وقال لهم سلموا هذا الكتاب إلى أخى سقرديس وقولوا له احتفظ على هذا الكتاب جهدك فانه كتاب تاريخ النيل واحتفظوا عليه جدا حتى تسلموه إليه فأخذه العسكر وهم الذين كانوا صحبة مناطح البغال وكان الذى تبقى منهم ثلثمائة وعشرون فقط وأما بقية العساكر الذين أرسلهم الملك سيف أرعد مع مناطح البغال فإنهم هلكوا جميعا على يد سعدون الزنجى وراح من عساكر الملك أفراح قدرهم وأزيد وأما

هؤلاء فإنهم أخذوا الكتاب من سقرديون وكتاب النيل وساروا إلى مدينة الدور وما داموا يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقولون الأمان الأمان ولما وقفوا قدام الملك سيف أرعد قبلوا الأرض بين يديه فقال لهم ما بالكم وما الذى تم عليكم وما لكم وأين الحاجب الذى كان معكم فقالوا الحاجب قتل يا ملك الزمان ثم إنهم أخبره بما جرى من أول سفرهم إلى عودتهم وقالوا يا ملك إن الملك أفراح الذى خامر علينا والحكيم سقريون كان ينهاه عن المخامرة فلم يسمع ثم إنهم تقدموا إلى الحكيم سقرديس وناولوه كتاب سقرديون كتاب النيل فلما رآه فرح وقدم قدام الملك سيف أرعد وقال له ياملك الزمان هذا كتاب تاريخ النيل كان أصله فى مدينة قمرون عبد الملك قمرون وأخى سقردون احتال عليه ولد من البيضان طالبا أن يتزوج بنت الملك أفراح فقال يا أخى لا يمكن إلا إذا اتيت بكتاب تاريخ النيل فأتى به إلى أخى وجعله له حلوان ذلك الزواج وأخى سقرديون أرسله لك يا ملك هدية على يدى وأنا الرأى عندى يا ملك أن تحتفظ عليه لأنه إذا ملكه أحد غيرك ينفصل النيل من الحبشة إلى بلاد الأمطار وهذا يا ملك من أكبر العار والذل والشنار فأخذ الملك الكتاب وأدخله فى خزائنه ثم يقع له كلام إذا وصلنا إليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه **(قال الراوى)** وفى ذلك الوقت دخل حاجب الحجاب قدام الملك سيف أرعد وقبل الأرض وقال يا ملك الزمان إن على الباب رجلا يقول إنه مظلوم ويريد الوقوف بين يديك ليقص دعوته عليك فقال الملك هاتوه حتى نسمع ما يقول فعاد إلى باب الديوان وقال يا رجل كلم الملك صحبة الحاجب فلما صار قدام الملك سيف أرعد حكى وترجم وبأفصح لسان تكلم ودعا للملك سيف أرعد بدوام البقاء والنعم وقال يا ملك الزمان أخربت ديارنا ونهبت أموالنا وقتلت رجالنا وأولادنا وسبيت نساءنا وأطفالنا وضاقت بنا الأسباب فأنجدنا يا ملك وخلصنا من العذاب فقال الملك سيف أرعد يا

شيخ من أنت يقال لك بين الرجال ومن أى العرب أنت.. العرب أم من السودان والاقبال؟ ومن هم الذين ظلموك فى هذه الاطلال اكشف لى عن قضيتك وأخبرنا عن مظلمتك فقال يا ملك الزمان إن الملك ذى يزن لما استوى على ملك الأعراب وبنى مدينة حمراء الحبش وأنت يا ملك أرسلت قمرية فجعلها له محظية واتصل بها أياما حتى أدركه الحمام وعند وفاته أحضر الحاجب وأنا كنت حاجب حجابه قال اعلموا أن هذه قمرية حامل منى وأنا أوصيكم بعدى أن تحفظوها بعد موتى وتطيعوها مثل طاعتى وتراعوا محلها حتى تضع فإن وضعت غلاما ذكرا فسموه سيفا وادعوه وتكون قمرية ملكة عليكم رلى أن يكبر ولدها فيتولى مملكتى وهى تلزم قصرها ويكون هو ملكا وسلطانا على طول الزمان وان وضعت أنثى فأيضا تكون قمرية ملكة عليكم إلى إن تدخل فى ديوان الزواج وزوجوها لمن تريد والذى يتزوج ابنتى يحكم على تحت مملكتى وبعدما أوصانا بذلك مات ونفذت فيه الآفات فتولت قمرية على الملك من بعد ونحن يا ملك خدمناها وامتثلنا أمر ملكنا حتى أنها وضعت غلاما وسميناه سيفا ونزلت به بعد أسبوع وأرته لنا وقالت هذا ملككم وابن ملككم ففرحنا به وأخذته بعد ذلك وأطلعته إلى مكانها وبعد الأربعين ما رأيناه ولم نعلم إن كان قد مات أو على قيد الحياة وكلما يستهل شهر من الشهور نقول لها يا ملكة قمرية أرينا ابن ملكنا فتقول لنا أنا خائفة عليه من العين والنظرة لأن عيون الحاسدين أقوى من ضرب السيوف الماضية فصدقناها وصارت ترسل فى طلب عبيد وسودان وجيش وغلمان وعريان وتجعلهم لها جندا وأعوان ونحن يا ملك نزرع لها الزراعات ونجلب لها الأموال من القرى والبلدان وهى تنفق على عساكرها أكثر فتنفق علينا وتقول لعسكرها أمسكوا البلاد أنتم وتأمرنا أن نسلم الحكم لتوابعها ونحن بعدما كنا حجابا جعلتنا رعايا وعساكرها الذى ربتهم جعلتهم حجابا وحكمتهم على جميع الأبواب فامتثلنا كل ما أوصانا ملكنا

وطال الأمر علينا وانقطع ابن ملكنا وما بقينا نراه من حين كان عمره أربعين يوما وبعده صارت عساكرها تضرب عساكرنا وهى تقويهم علينا ونحن صابرين خوفا من إلقاء الفتنة وخراب المملكة ونحن أربعون حاجبا فالكل رحلوا واتخذوا لهم بلاداً وأقاموا فيها وبعد ذلك انتدبنى الوزير وقال لى يا عمار أنا مقصدى أروح مدينتى أعمر فيها وأنا منتظر أخباركم إن ظهر ابن ملكنا وحكم البلاد مع أنه ما هو محتاج وزير ولا مشير فإن كان لأحدكم تعب فليأتى إلى مدينتى ويُقيم بصحبتى وركب وأخذ عساكره وراح بعدها أقمت أنا مدة إلى ذات يوم قلت لها يا ملكة قمرية إن كان ابن ملكنا موجودا فلابد أنه مابلغ مبالغ الرجال فهاتيه لنا يحكم علينا وإن كان قد مات أعلمينا فقالت لى أنت مالك شغل بينى وبين ولدى فإن أردت أن تقيم وإلا فارحل فانا غنية عنك وعن خدمتك فأتيت يا ملك إليك بعدما قلت إن كان الملك ذى يزن مات فذلك سيف أرعد موجود وأتيت إليك يا ملك أستجير بك أن تساعدنى أنا ورفقتى على تلك الخائنة قمرية إن كان ابنها ملكنا موجودا تحضره ليحكم علينا وإن كان مات تعلمنا حتى نمضى إلى حالنا فلما سمع الملك سيف أرعد ذلك الكلام التفت إلى سقرديس الحكيم وقال له يا حكيم هذه قمرية أصلها جاريتى وأنا أرسلتها إلى الملك ذى يزن على علمك وذى يزن مات فلأى شىء ما تريد لى خراج البلاد نحوا من عشرين عاما من حين بنيت هذه المدينة فيا هل ترى جعلت نفسها مثلى على الملك فكأننى صرت لى قسيم فى ملك الحبشة والسودان وهى هذه الكلبة قمرية فقال له الحكيم يا ملك هى قمرية وكانت أصل هلاكه والآن ما بقى إلا أن تطلب منها خراج البلاد مدة إقامتها من حين حكمت إلى الآن فإن أوردت الأموال فلا بأس وإن خالفت فلنا حديث آخر كل ذلك والوزير بحر قفقان الريف قاعد يسمع ولا يتكلم فالتفت الملك سيف أرعد وقال له هل علمت يا وزير ما تجدد من هذا الأمر النكير وما فعلت قمرية من أنها حكمت البلاد

وأطاعتها العساكر وبقيت مثلى لها وزراء وحجاب ونواب فقال الوزير يا ملك الزمان أتأذن لى أن أرد الجواب وأعرفك الخطأ من الصواب قال الملك تكلم يا وزير فأنت لى نعم المشير فقال يا ملك إن هذه قمرية طمعت فى الملك وكبرت نفسها عليك وأنت إن أرسلت عساكر فربما أنها تكسرهم بما أنها بقيت فى عدد وعديد وإن حصل ذلك انكسر ناموس المملكة ويقال إن ملك الحبشة والسودان أرسل عسكره إلى حرمة من بعض النسوان فعسرته بالحرب والطعان فتنقص عند الملوك منزلتك واعلم يا ملك أنا أرسلت مناطح البغال وهو كان سيف نقمتك ومعه ألف مقاتل وقد سمعت أنه افترس سعدون الزنجى لولا مخامرة الملك أفراح والغلام الذى رباه هو الذى قتل مناطح البغال فقال الملك لا يا وزير الذى قتل مناطح البغال فهو سعدون وأفراح اتحد مع سعدون علي قتله وأما الولد الذى رباه أفراح فهذا يحكى عنه الحكيم سقرديس يقول إنه كان طلب أن يأخذ بنت الملك أفراح ليتزوج بها ومن حيث إنه من العرب فتعللوا عليه بأنه يجيء برأس سعدون وجعله من حزبه واشكاله وقال إن أفراح طلب مهر بنته رأسك فركب سعدون مع الولد وسافر إلى مدينة الحديد وعتب على أفراح فاستحى الملك أفراح من سعدون الزنجى وقال المهر وصلنا ونريد الحلوان كتاب تاريخ النيل وسافر الغلام فارسل إلى الحكيم سقرديون يطلب منى أن أطلب البنت لأنه متزاول لكونه رأى الغلام له على خده شامة والبنت مثله واسمها شامة فاردت أن اتزوجها أنا حتى لا تجتمع الشامتان وتنفذ دعوة نوح فى الحبش وارسلت أنا مناطح البغال بعدما أرسلت الرسول وعاد خائبا ومناطح البغال قتلوه فقال الوزير يا ملك إذا كان الذى قتل مناطح البغال سعدون الزنجى والذى خامر على قتله الملك أفراح بقى الغلام إيش ذنبه حتى تسبب فى هلاكه وعطبه فقال الملك سيف أرعد هذه محارزة من الحكماء خوفا من هذا الولد الأبيض أن يتعاطى حكم العرب وتنفذ على يده

دعوة النبى نوح فلما سمع الوزير بحر قفقان قال يا ملك هذا مُحال ومن علم الغيب حتى تقول هذا المقال والمتقدمون عنا يقولون:

* * *

أرباب اللوم لقد أشرتم   على بما أراه كالهباء
كنوز الأرض لم تصلوا إليها   فمن أدراكم خبر السماء

* * *

وهذا يا ملك ما أحد بعلمه إلا رب زحل وهو رب كل شيء ونحن يا ملك الزمان لا نعلم إلى متى نعيش لكن يا ملك المماليك تحتاج الناموس وإلا يبقى صاحبها موكوس واعلم أن قمرية بقيت عاصية عليك ومانعة عنك الحمل والخراج وأما الملك أفراح فقد قتل حاجبك مناطح البغال أو أن سعدون الذى قتل فهو منسوب إليه لأنه قتل فى بلده فالصواب أنك ترسل له الأمان والعفو والإحسان وتأمره بالركوب على قمرية ويكون معه سعدون الزنجى ووحش الفلاة وكذلك ترسل لقمرية وتأمرها أن تستعد لحربهم فكل من هلك من الفرقتين استرحنا منه ومن شره وتضعف علي كل حال شركة الباقين والذين يتبقى يبقى هلاكه قريباً لأن قمرية جاعلة نفسها أكثر منك رجالا وأغزر منك مالا فقال الحكيم سقرديون هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب وصدق الوزير فيما نطق من فصل الخطاب فعند ذلك قام الملك سيف أرعد من مكانه وأحضر هدية عظيمة لها قدر وقيمة وكتب كتابا إلى الملك أفراح يقول فيه باسم زحل - ونحن نوحد الله القديم الأزل أما بعد فالذى نعلم به الملك أفراح صاحب مدينة الحديد سابقا طلبنا منكم بنتكم شامة فما هان عليكم وأرسلت لكم مناطح البغال فقتلتموه ومن معه من الرجال فذلك منك ما كان صوابا لكن أنت عندنا ملك كبير ما أنت صغير ولا نتغير عليك لأنك عند نا غالى المقدار وقد صفحنا على ذنبك فلا نؤاخذك بفعلك والقصد منك أن تجمع

عسكرك ورجالك ويكون معك سعدون لزنجى وولدك العزيز وحش الفلا وينزلوا على قمرية ليهلكوا جميع عسكرها وأجنادها ويملكون مدينتها وبلادها فاتونى بها مصفدة فى القيود والاغلال حتى أذيقها العذاب والنكال وها قد أرسلت إليك خاتم الأمان فاجتهد فى أمرك إن كنت لى طائعا ولكلامى سامعا ولدولتى تابعا ومن عندنا يسلم عليك الحكيم سقرديس وهو الذى أسس هذا التأسيس وختم الملك الكتاب وأعطاه لحاجب من الحجاب وسلمه الهدايا وجميع ما ذكرناه وسار الحاجب من وقته وساعته حتى طلع من مدينة الدور والقصور يقطع البر والبيد حتى وصل إلى مدينة الحديد وأرسل من طرفه رجلا يخبر الملك أفراح قدام الملك أفراح وقال له اعلم يا ملك الزمان أنى أتيتك ببشارة استهل عليك منها الإحسان فقال الملك أفراح وما هى البشارة يا فارس العربان فقال اعلم يا ملك أنت ومن حضر فى ذلك المكان أن الملك أرعد ملك الحبش والسودان قد رضى عنك بعدما كان غضبان وها هو قد أرسل لك الهدايا والتحف وخاتم الأمان وسيقدم بذلك حاجبه البطل النبيل المسمى بصدغ الفيل وها هو الآن بظاهر المدينة وقد أقبل وعساكره حوله فى جحفل فلما سمع الملك أفراح بذلك سر سرورا عظيما لأنه يعلم أن الملك سيف أرعد يغضب ويطلبه بالحرب والقتال من أجل قتل حاجبه مناطح البغال وهو قاعد يفكر فى ذلك الحال فأتاه ذلك الرجل وأعلمه بمجىء الحاجب صدغ الفيل فبقى بين المصدق والمكذب فقال له الملك سيف بن ذى يزن يا ملك أفراح إن كنت شاكا فى ذلك وتخاف أن تكون مكيدة فقم بنا نركب للقاء الحاجب صدغ الفيل أنا وأنت يتبعنا عساكرنا وجنودنا وأما المقدم سعدون الزنجى فنجعله يحفظ أوطاننا من أعدائنا فربما يكون هذا تدبير على خراب ملكنا ونهب أموالنا وإن ظهر لنا منها آثار ضرر ونكد فأنا أقطع لك رأس هذا الحاجب الصارم المهند وأهلك كل من معه من العساكر والعدد ولا يبقى

منهم واحد وفى است أمهم وأم الملك سيف ارعد أن كانوا قادمين كما يزعمون بالأمان ادخلناهم معنا إلى الأوطان وقبلنا هذا أيام وواليناهم بالاحسان هذا وسقرديون يسمع الكلام ولا يقدر ان يعيد ولا يبدى لأنه كثر خوفه من سعدون الزنجى فقال الملك سيف بن ذى يزن إيش قلت فى هذا الرأى يا حكيم فقال الحكيم سقرديون ما كلامك إلى مستقيم فركب الملك افراح وركب إلى جانبه الملك سيف بن ذى يزن وساروا إلى خارج المدينة فلقوا الحاجب مقيما فقام إليهم وتلقاهم وقبل يد الملك أفراح وقبل يد الملك سيف وتأمل فيه وتعجب من حسن صورته وقوته وبراعته وشجاعته وهمته فأمره الملك أفراح بالركوب فقال يا ملك أنا معى كتاب فقال الملك سيف الكتاب والهدية لا يكون تسليمهما إلا فى الديوان بين الملوك والأعوان فقال له الحاجب صدقت يا زين الفتيان وركب الجميع وساروا هم فى افراح وأمان حتى وصلوا الديوان فنزل الملك افراح وجلس على سرير ملكه واجلس الملك سيف بن ذى يزن عن يمينه وجانبه المقدم سعدون وأجلس الحاجب عن يساره وجانبه الحكيم سقرديون ثم أمر بنصب كراسى للقادمين فى جانب الديوان فوضعت وقعد كل فى مرتبته وراق الديوان ووقفت أرباب الخدم والغلمان وأمر الملك بإحضار الطعام فأحضره الغلمان والخدام واكل الخاص والعام وانشالت أوانى الطعام وامر الملك باحضار المدام الذى صفا وراق كأنه مدامع العشاق ودارت على الجميع الكاسات والطاسات وبعدما انتهوا من اللذات قام الحاجب على الأقدام وقدم الهدايا التى بصحبته بين ايدى الملك أفراح واعطى له الكتاب ومنديل الأمان فأخذ الكتاب الملك أفراح وسلمه إلى الوزير فقرأه والملك يسمع والملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى سامعان وعلموا أن الملك سيف أرعد يقول لهم أنهم يركبون إلى الملكة قمرية ويأخذون منها مدينة حمراء الحبش فلما سمع الملك أفراح وسعدون والملك سيف ذلك الكلام فكل

منهم فرح واتسع صدره وانشرح والتفت الملك أفراح إلى الملك سيف بن ذى يزن وقال له يا ولدى أنا طائع الملك سيف ارعد ولا أخاف له مقالا فقم أنت والمقدم سعدون فى هذه المدينة وأنا أركب برجالى وابطالى وأحارب هذه قمرية اللعينة وأخرب أرضها والأطلال جزاء لعصيانها على الملك سيف أرعد الملك المفضال فنهض الملك سيف قائما على قدميه وقال ياملك من يقول ذلك المقال وكيف أنا نقعد فى البلاد وأنت تركب للحرب ياملك خلنى أنا والحلاد وأنا أضمن قمرية وكل من يتبعها من الفرسان الأوغاد وقال سعدون الزنجى مثل ما قال سيف ولا عنده وهم من هذا ولا خوف فقال الملك أفراح إذا كان كذلك فإننا قبل كل شىء نركب ونسير إلى مدينة الدور وندخل على الملك سيف ارعد ونسلم عليه ونأخذ منه الإذن ونمتثل لأمره والذى يأمرنا به نفعله ربما يمدنا برجال من عنده وأبطال يعاونونا على الحرب والقتال ونسير إلى مدينة قمرية ونحاصرها وناخذ منها مدينة حمراء الحبش فان تلك المدينة نزهة للناظرين فقال الحاضرون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يصاب فامر الملك أفراح حجابه ونوابه أن يتجهزوا للسفر ويأخذوا أهباهم للرحيل وسرعة الجد والتحويل وركب الملك أفراح وركب عساكره وأجناده وركب الملك سيف بن ذى يزن وركب سعدون الزنجى وصاروا حتى خارج البلد واجتمعوا فى البر والقفارى وساروا يقطعون تلك السهول والوعور حتى وصلوا إلى مدينة الدور عند ذلك أرسل الملك أفراح واحداً من قومه يعلم الملك سيف أرعد بقدومهم فلما وصل الملك وأعلمه بقدوم الملك أفراح وسعدون الزنجى أمر حجابه أن يخرجوا إلى لقاهم من خارج المدينة فركبت الحجاب الكبار وطلعوا إلى البرارى والقفار وتلقوهم من ابعد مكان وسلموا على الملك أفراح والملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى ومن معهم من الأبطال والفرسان ومشيت الفرسان والحجاب فى ركاب الملك أفراح إلى أن وصلوا إلى الديوان ولما دخل الملك

أفراح تزحزح له الملك سيف أرعد وأجلسه بجانبه وبعده تقدم الملك سيف بن ذى يزن وخدم وسلم وجلس بجانب الملك أفراح وكل من كان مندولة الملك أفراح وقبلوا الأرض إلا سعدون الزنجى فإنه ما فعل شيئا من ذلك فإنه لما رأى الملك سيف خدم الملك سيف أرعد توقدت عيناه وبقيت كأنها الجمرة فى وسط رأسه ولما جلس الملك سيف بن ذى يزن فما قعد سعدون ونظر سيف أرعد إلى الملك سيف بن ذى يزن قعدو وسعدون وقف ولا خدم وسلم فقال للملك أفراح ومن هذا الأبيض يا ملك أفرح ومن هذا الأسود البطل الجحجاح فقال له الملك أفراح اعلم يا ملك ان وحش الفلا أنا ربيته واسمه سيف بن ذى يزن سمته به أمه وهو رضيع اللبن فقال الملك سيف أرعد أنت تقول إن أمه غزالة فقال يا ملك هو ذلك لكن له أم من الجان كان لها ولد ومات ولقيت هذا فى الخلا من قبل الغزالة وأرضعته من ألبانها وسمته سيفا وخافت منه لمارأته جذب من ثديها اللبن وتركته وصار فى البرارى والدمن وجاءت الغزالة فأرضعته وأنا أخذته وربيته إلى الآن وأما هذا الأسود فلا يخفاك أنه سعدون الزنجى فلما سمع الملك سيف أرعد ذلك صاح وقال سعدون فقال سعدون وعلة يا ملعون لأنك ما أنت إلا رجل مجنون لأى شىء تصفع الأرض قدامك الناس كأنك بقيت شديد البأس قوى المراس وتقولى يا سعدون إيش تطلب منى هل ترى أنت مرادك أن أفعل كما فعل أفراح وأمرغ وجهى كما فعل على الأرض والبطاح أو مرادك أن اتقدم عليك وأقبل يديك وكأنى تحت حكمك فقال الحكيم سقرديس يا مقدم سعدون أنت عند الملك سيف أرعد مقامك علىّ ومن الذى أمرك أن تصفع وتبوس يد أحد والتفت للملك وقال يا ملك هذا كما تعلم به رجل جبار وله وقعات مذكورة وأيضا أنت محتاج له حتى ترسل لقمرية كما وقع الاتفاق وفى هذا الوقت الكلام ليس له داع لأنك إذا أحببت أن تغيظه لا يهون على سيف البيضان والملك أفراح وتثور الفتنة فالصواب أنك تجمل على بساط

حملك فقال له صدقت ثم التفت لسعدون وقال له يا مقدم سعدون نحن نتحمل كل ما قلته لنا بلسانك لأنك وطئت بساطنا من بعد عصيانك فقال سعدون والله يا ملك أنا ما كنت أدخل بلدك ولا أبالى بك ولا بجندك ولكن أنا الذى اتحمل وقوفى بين يديك وأستاذى الذى ألزمنى أن انظر إليك فقال الملك من استاذك فقال له ملك العصر والزمن وصاحب الأراضى والدمن الملك سيف بن ذى يزن فقال هذا اسم ثالث وهو الذى أقدمك علينا حتى أطلعك حكمى فقال سعدون وإيش يكون حكمك اما والله أنت ودولتك ليس لكم عندى مقام إلا إنكم إلا بقر وأغنام يا ملك سيف ارعد اتركنى وإلا قل لقومك تحاربنى حتى اريك كيف تكون الطاعة والعصيان فالتفت الملك سيف بن ذى يزن إلى سعدون وقال له اسكت يا سعدون والزم يا أخى الأدب واقصر كما فعلت أنا فانى وأنت بقينا مثل الأخوين فسكت سعدون حياء من الملك سيف بن ذى يزن وأما الوزير بحر قفقان فقال للملك سيف أرعد يا ملك أنت أخذت بالك من سعدون فى الكلام وجعلته مثلك فى كل نقض وإبرام وأنت ملك همام فلا تتعب قلبك فيه ولا يغيظك يا ملك منه ولا تبال به فقال الملك صدقت يا وزير وامر باحضار الطعام فقدمته الغلمان والخدام فأكلت الملوك العظام وبعدها الوزير وأرباب الدولة الكرام وبعدها الغلمان والخدام فكان سعدون فى أول من أكل مع الملوك وكان قصده بذلك إغاظة الملك سيف أرعد وبعد أكل الطعام أمر الملك بإحضار المدام فدخلت به الغلمان الحبش الملاح وبأيديهم الارباق والطاسات والاقداح وصبوها فى تلك الكاسات حتى تكرر وصفا وراق وصار أصفى من مدامع العشاق إذا تباكوا من ألم الفراق ولما عملت الخمرة بينهم وطاب لهم الحديث والكلام التفت الملك سيف أرعد إلى الملك سيف بن ذى يزن وتحدث معه فأعجبته فصاحته وتأمل فى صورته فرآه قالب الجمال وهو كما قيل فيه:

سطا فى العاشقين برمح قد ... وجاوز فى التجافى كل حد
غزال صاد قلبى أى صدو ... له خال على صفحات خد
وينصفنى على رغم الأعادى ... له قد يقدبه فؤادى
وألحاظ كاسياف تنادى ... على عاصى الهوى الله أكبر

* * *

(قال الراوى) فلما تأمل الملك سيف أرعد إليه التفت للحكيم سقرديس وقال له يا حكيم الزمان أنا أقول أن المحاسن والجمال الفتان لا تكون إلا فى البيضان وأما جميع الحبشة والسودان من بنات أو صبيان فما فيهم جمال فقال الحكيم يا ملك الزمان هذه محبة الحبشة والسودان أطلب من زحل أن يقصف عمره ويكفينا شره لأنه ينتج منه الاتلاف على بلادنا ويهلك عساكرنا وأجنادنا فقال له سيف أرعد يا حكيم ما رأينا منه شيئا من ذلك الذى تذكره ولكن ها نحن أرسلناهم كما ذكرت فإن هلكوا ارتحنا منهم وإن أهلكوا قمرية أراحونا من هذه القضية ثم التفت الملك سيف بن ذى يزن وقال له أتعلم أنت والملك أفراح بالذى أرسلت إليكم من أجله هل لكم مقدرة على هذه الملكة وخلاص من هذه القضية وأنا أيضاً أمدكم من عندى بعساكر على قدر ما تريدون وإنما أنتم تكونون ملوكا على الترتيب وأنا على إرسال العساكر حتى يبقى أولهم فى حمراء الحبش وآخرهم فى مدينة الدور فقال الملك سيف بن ذى يزن يا ملك وإيش قدر هذه الحرمة التى أنت حامل همها وتريد أن تقدم لنا على قدر ذلك عساكر من أجلها أما فاقول أن الملك أفراح وأن وعساكره تقوم بمقامها وأما أخى سعدون الزنجى وحده فكفء لها ولأمثالها ولا نريد يا ملك الزمان إلا أن تكون فى أمان من غير الزمان واى ملك تعاصى عليك ارسلنى إليه حتى أقوده بين يديك أسيرا وأجعله على الثرى مجندلا حقير افتعجب الملك سيف أرعد من كلامه وقوة قلبه وقال لابد أن تأخذوا معكم عشرة آلاف من

الحبشة والسودان لأجّل أن يعاونوكم على الحرب والطعان وفى الحال أمر بتجهيز عشرة آلاف فارس من السودان تجهز الجميع فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمر الملك سيف أرعد بالرحيل وسرعة الجد والتحويل وعرضت عليها العساكر فكانوا خمسة عشر ألفا منها خمسة الاف عساكر للملك أفراح وعشرة الاف عساكر للملك سيف أرعد فاكتملوا خمسة عشر وأما سعدون الزنجى وجماعته فإنه قال للملك سيف بن ذى يزن يا سيدى ايش نفعنا بذلك العسكر فإنه يزاحم الطريق ولا يأتينا منه سعادة ولا توفيق فقال الملك سيف يا سعدون سر وأنت مثلنا لك مالنا وعليك ما علينا ثم أنهم ساروا وجدوا فى المسير وهم لابسون الحديد الزرد النضيد وفى أوائلهم الملك سيف بن ذى يزن كأنه محنة من المحن وعلى يمينه الملك أفراح ملك مدينة الحديد وعلى يساره المقدم سعدن الزنجى وساروا على هذه الهمة والحمية طالبين أرض الملكة قمرية والملك سيف بن ذى يزن يقول لابدلى من هدم أبراجها وأسوارها واهلاك كبارها وصغارها وصار يهتف بذلك الافتكار ولم يعلم بما قضاه الملك الجبار.

(قال الراوى) وأما ما كان من الملكة قمرية فإنها محتوية على المدنية كما ذكرنا بعدما تجبرت على اكبار الدولة فشيء تركها وسار إلى بلاد غير بلادنا وشيء أقام فى الجّبال وشيء بقى عندها تحت الاذلال وإنها طغت وبغت على جميع الرجال واجتمع عندها خلائق بعدد المطر حبشة وسودان وعربان فهى مالكة البلاد والحاكمة على جميع العساكر والأجناد فاتفق أن الخبر وصل إليها على ألسنة السفار أن الملك سيف أرعد عليك غضبان وقد جهَّز لك عساكر وفرسان سودان وحبش وعربان وأمرهم أن يخربوا بلادك ويهلكوا عساكرك وأجنادكِ والسبب فى ذلك أنك قطعت الخراج والعناد وكل الملوك خلافك يدفعون له مال البلاد فهذا السبب فى غضبه فقالت قمرية وأنا مالى به ولا بعسكره لأن هذه البلد بناها الملك ذى

يزن وأمر العساكر أن تكون تحت حكمى وإيش أدخل ملك الحبش حتى يطلب منى خراجا أو عنادا ونحن خيولنا شداد وسيوفنا حداد ورماحنا مداد وماله عندى إلا الحرب والجلاد ثم إنها حصنت الأسوار وأخذت الحذار من ذلك الجيش القادم عليها ورتبت لها ديدبان على الطرقات يأتيها بأخبار العساكر القادمات فبينما هى كذلك وإذا بالديادبة أقبلوا عليها وقالوا لها يا ملكة قد ظهر علينا غبار فى واسع الاقطار يدل على قدوم عسكر جرار وبعدها أقبلت الجواسيس وقالوا يا ملكة انكشف الغبار عن عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس على الخيل العربية وهم فى همة قوية متقلدين بالسيف الهندية معتقلين بالرماح الخطية فقالت لهم أنا سمعت من السفار أن الجيش القادم علينا خمسة عشر ألفاً تقولون أنتم عشرة فقالوا يا ملكة لم نعلم **(ياسادة)** وكان السبب فى ذلك أن الملك سيف بن ذى يزن عند الملك سيف أرعد وأعطى له الملك عشرة آلاف عنان وساروا فى أمان إلى قربوا من قمرية فقال الملك سيف بن ذى يزن للملك أفراح يا ملك عد أنت إلى مدينة الحديد فما هذا شيء يحوج أن تكون معنا فعد أنت يا ملك إلى مدينتك وأنا أنوب عنك فى فتح بلاد قمرية واريحك من هذه القضية فعاد الملك أفراح إلى بلاده وأقام عند أهله وأولاده ورجعت معه عساكرهوجميع اجناده وسار الملك بن ذى يزن حتى وصل إلى مدينة حمراء الحبش آخر بلاد اليمن فرْأى المدينة محصنة الرجال ولها أسوار من الحجر أعوال والتفت المقدم سعدون وقال له يا أخى أن هذه الملعونة ما خرجت للقتال ولا كأننا خطرنا لها على بال ثم إنه أمر العساكر بالنزول فى تلك الأرض والطول فنزلت الرجال الحرام وضربوا قدام المدينة الخيام وركزوا الاعلام ولما نزل الملك سيف واستقر به القرار كتب إلى قمرية كتاباً يقول فيه أما عبد فياملكة قمرية إن الملك سيف أرعد عليك غضبان ولا أعلم بما فعلت فى العربان وتجرأت على البغى والعدوان فإن أتيت إلىَّ مطيعة فى

غاية الخضوع والإذلال حاسبك على إخراج هذه البلاد والاطلال والادهم؛ فى الحرب والقتال فإن اتيت كما قلت لك ودفعت الأموال حميت نفسك وبلادك وإلا فدونك وما تلاقى من الأهوال وسوء الأحوال وهذا ما عندى والسلام وأرسل الكتاب مع نجاب وقال له سلمه إلى الملكة قمرية واتنى برد الجواب فسار النجاب حتى وقف على باب البلد وهو مقفل فتصايحت عليه الحرس وقالوا له من أنت وما تريد فقال أنا نجاب من عند الملك سيف بن ذى يزن ومعى كتاب للملكة قمرية صاحبة هذه الأراضى والدمن فساروا وأعلموا الملكة قمرية فقالت على به فعادوا إليه وفتحوا له الباب وأخذوا النجاب وأوقفوه بين يديها فلما وقف خدم وقال يا ملكة أنا نجاب ومعى كتاب ثم إنه ناولها الكتاب فأخذت الكتاب وقرأته وفهمت ما فيه وأعطته للنجاب وقالت له عد إلى صاحبك معززا مكرما وقل له نحن ما نهدد بقتال ولا نخاف من كثرة الأهوال ومابينى وبينه إلا الحرب والصدام وضرب الحسام الصمصام وفلق الهام هنتم العظام فعدوا وأعلمه بذلك الكلام فعاد النجاب إلى الملك سيف وناوله الكتاب وأعاد عليه ما سمع من الملكة قمرية من رد الجواب وما قالت من الكلام فقال الملك سيف هذا النهار مضى وفى غداة غد إن أراد الله الرحمن سوف أعرفها قدرها فى الميدان إذا التحمت حلق البطان وبعدما استقر بالملك سيف المقام قدموا له الطعام فأكل وبعد الاكل قام لعبادة الملك العلام فى دياجى الظلام ومازال يتعبد على ملة الخليل إلى أن مضى ثلث الليل وإذا بالخادم دخل عليه وقال يا سيدى واقف على باب الصيوان رجل جليل القدر ويريد الحضور بين يديك فقال عد إليه وقل له تعال فى النهار إن كنت مظلوما فأنت مجار فعاد الخادم وغاب ورجع ياسيدى هذا يقول أنا الملكة قمرية صاحبة تلك البلاد وقصدها الوقوف بين يديك فقال على بها وظن الملك سيف أنها طائعة فلما سار الخادم عاد ومعه قمرية فلما أقبلت قبلت وقدمت وسلمت فرد

عليها الملك سيف سلامها فقالت له يا ملك سيف إنى سمعت عنك أنك فارس الفرسان وقرن من الأقران وأنا مقصدى أن يكون حقن دماء الفرسان ويكون بينى وبينك المقارعة من دون كل إنسان وما أتيت وحدى إلا لعلمى أنك منصف بغير ظلم ولا تعدٍ فأريدك أن تصارعنى وأصارعك وكل من قهر صاحبه يحكم فيه بما يطلبه إن أنت قهرتنى فى الصراع سلمتك هذه المدينة والقلاع وإن أنا اسرتك تكون مطاوعاً وتبقى عندى من جملة الاتباع فقال الملك سيف وأنا بذلك القول رضيت حتى لا أكون ظلمت ولا تعديت فقامت الملكة قمرية وقلعت ما كان عليها من الثياب فبان عن جسم أبيض كأنه الفضة النقية ولبست قميصا رفيعا إذا هفه الهواء يضيع وبان كل ما تحته من الصنيع وهو طويل كأنه قضيب خيزران وطية بطن باعكان وسرة ملآنة دهن بان وتحته شيء كأنه أرنب مقطش الآذان خلقه الملك الديان كما قال فيه القائل هذه الأبيات الحسان بعد الصلاة على سيد ولد عدنان:

* * *

سلامى على ما فى الثياب من القد ... وما فى بساتين الخدود من الورد
سلامى على من تيّمتنا بحسنها ... مرجوجة الأطراف بارزة النهد
كأن الثريا علقت فى جبينها ... وفى صدرها باقى الكواكب كالعقد إذا
يكاد لطيف الماء يخدش خدها ... اغتسلت بالماء من رقة الجلد
ويثقلها خصب الحرير ولينه ... قد طيبت من عطفها أزج الندى
وتلطفت إن مرت بأعطافها الصبا ... فياليتنى من عطفها كالصبا النجدى
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح؛ ... لأصبح ماء البحر أحلى من الشهد
ولو واصلت شيخا يدب على العصا ... لأصبح هذا الشيخ مقتنص الأسد

* * *

(قال الراوى) وإن الملعونة قمرية أرادت بتلك الفعال أنها توقع الملك سيف فى بحر الهوى والضلال لأنها بديعة فى الحسن والجمال والقد و الاعتدال فلما رآها الملك سيف بن ذى يزن قلعت ثيابها وكشفت جسمها وقالت له دونك والصراع يها البطل الشجاع فقال الملك سيف معاذ الله أن أصارعك وأنت عريانة البدن ولا أرضى أنا بتلك الفتن ولا نتصارع إلا بثيابنا حتى لا يبقى أحد منا له حجة على صاحبه ويبدل روحه دون عسكره وحبائله فقالت له قمرية إيش يا ملك هذا المقال ولايتصارع إلا علي تلك الحال لأن الصراع على ما تعلم نوع من أنواع الحرب والقراع وإذا كان الإنسان لابساً ثيابه فلا يأمن فى الصراع من مصابه ومازالت الملكة قمرية مع الملك سيف بزخارف المقال حتى رضى الصراع معها وهو خال من الثياب على ذلك الحال وقام وقلع ثيابه وما بقى إلا بالسروال فتأملت قمرية إلى سيف بن ذى يزن وإذا فى رقبته عقد من الجوهر أضوأ من الشمس والقمر ونوره يأخذ بالبصر وكان ذلك العقد وضعته قمرية بجانبه عندما وضعته فى البر الأقفر وهو صغير كما ذكرنا فى أول السيرة فلما نظرته عرفت جيد المعرفة أنه ولدها فقالت فى نفسها إن هذا العجب عجيب وحق زحل إن هذا أمر غريب ثم إنها صاحت عليه وقالت له يا ولد الزنا أنا رميتك فى البرارى والفلا وأنت ابن أربعين يوما وأنا ظنى أنك قتلت واندثرت حتى ما أشعر إلا وأنت حى وعمرك عشرون عام وأتيتنى تريد الحرب والخصام وكان كلامها بلغة الأعجام وعادت بعد هذا إلى المكر والاحتيال وصاحت بملء فيها وقالت له أنت ولدى وقطعة من كبدى ثم هجمت عليه وقبلته بين عينيه فقال لها الملك سيف دعى عنك يا قمرية هذا الكلام المحال واتركي الزور وزخارف الضلال لا يدخل على مقال لا تكن يا ولدى جحوداً فأنا حقيقة أمك وأنت ولدى وأنا معى خلط جنون تارة اكون عاقلة وتارة يذهل منى عقلى وكنت مذهولة ورميتك فى البرية وهذا اصل تلك القضية وأما أنت فأبوك ذى

يزن الحميرى وأنا أمك وعندى شهود ويعرفونك وهم حجاب وزراء ابيك فلما سمع ذى يزن ذلك الكلام انبهر وقا لها متى رميتينى ووضعتينى فحكت له أنها رمته فى الخلاء من سبب الجنون وهذا العقد كان عقدى ورميته صحبتك فقال لها أريد أن تحضرى لى الشهود الذين عندك حتى أسمع منهم كلامهم فقالت سمعا وطاعة ثم قامت ولبست ثيابها وأظهرت الفرح والسرور وخرجت وركبت جوادها وسارت إلى مدينتها وغابت ساعة وأتت إليه ثانيا ومعها أربعة فرسان لهم هيبة ووقار وهم حجاب الملك ذى يزن السبب فى ذلك أنها مضت إلى سرايتها وطلبتهم إلى حضرتها وقالت لهم اعلموا أن الملك سيف ابنى وهو ملككم وابن ملككم الملك ابن ذى يزن كانت أخذته من عندى جارية وهربت ولا اعلم لها مستقر وها هو الآن قد ظهر وهو قائد هذه العساكر الذين قدموا علينا وأنا عرفته وقلت له أنا أمك فما اقتنع بكلامى وطلب منى بينة على صدقى فى هذا الكلام وأنا ما عندى بينة غيركم لأنكم حجابه وهو ملككم فهل ترى إذا رأيتموه تعرفونه فقال لها كيف لا نعرفه اقل ما يكون معرفتنا له بالخال الذى هو على خده مدوراً كأنه القرص العنبر وأما صورته فهى مثل صورة أبيه لا تزيد ولا تنقص فقالت لهم أنا كنت فرجتكم عليه وهو صغير فهل تعرفونه اليوم وهو كبير فقالوا نعم نعرفه جيد المعرفة وهذا أمر ما فيه خفا قالت امضوا معى إليه واشهدوا إلى أنه ولدى وقطعة من كبدى حتى اسلم له ملك أبيه وكل ما تحتوى يدى عليه فأجابوها إلى ماطلبت وساروا معها وقالوا لها يا ملكة لو كنت أعلمتينا عندما ذهبت به الجارية كنا بحثنا عنه واتينا به أين كان فقالت لهم الذى مضى لا يعاد وأنه ولدى وأنتم تكونون أشهاد وسارت بهم إلى الملك سيف بن ذى يزن فلما رآه الحجاب عرفوه بالنظر وحققوه فتقدموا إليه وقبلوا الأرض بين يديه وقربوا منه وقالوا له هذه الليلة لم يسمح لنا الدهر بمثلها إذ رأينا ملكنا عاد إلينا يا ملك نحن جميعا حجاب

أبيك وأنت اسـمك الملك سيف ابن ذى يـزن ابن المـلك التبـعى اليمـانى ابن الملك أسد البيداء ابن الملك سـام أخى حام وجدك نوح عليه السلام وهذه المدينة يا ملك مدينتك وهذه الملكة قمرية والدتك قم وادخلها بعسكرك فما لك فيها معارض فافعل فى بلدك كما تريد واحكم الموالى علي العبيد فـتـعـجب المـلـك سـيف بن ذى يزن مـن ذلك الاتفـاق الذى يجـب أن يكتب ويسطر فى الأوراق والتـفت إلى أمه وقا لهـا كيف هان عليك أن ترمـينى فى ذلك الخلا والتلال وتفعلى معى هذه الأفـعال حتى أن اللـه تعالى حنن علىّ الغزال وارضعتنى ومن ثديها غذتنى وأنا طفل جنين فقالت له يا ولدى أنا ما رميتك إلا من الذى اصابتنى فى عقلى والآن يا ولدى كان الذى كان فقال لها: الملك أفـراح اخـذنى وربانـى في مـدينتـه بين اهله وعـشـيـرته وتـعلمت الشجاعـة والقوة والبراعة ولو تعلمين ما جـرى لى كنت ترعيننى فى رعايتى وابقى عندك غاليا فـإنى قطعت يد سحاب المخـتطف لأجل شامة ورحلت إلى قلعة الثريا وصـاحبت المقدم سعدون الزنجى الفـارس المنسوب وبعده سرت فى طلـب كتاب تاريخ النـيل فسهله لـى الملك الجليل وأتيت به من مدينة قيمر من عند الملك قمرون وخـاوتنى أختى عاقصة وصارت لأخصامى قـانصة وهى بنت الملك الأبيض وهـى نعم الأخت والإلف وقتلت من أجلهـا سحاب المختطف وكفيت الناس شـره وواليت الشيخ عبد السلام والشيخ جـيـاد نسل الكرام اسـمى وحش الفـلاة فى سـائر البلد والزمن فـسـمـانى بالملك سيف بن ذى يزن مبيد أهل الكفـر والمحن ثم إن الملك قص قصته وكل ما جـرى له ولأمه الملكة قمـرية من الأول إلى الآخر وقد تحـقق وتيقن أنها أمه لامحالة وأخذ فى تفكيره أن أفراح ليس هو أباه والغزالة ما هى أمه وقد وبخـها كـيف رمته مـن حين وضعـته فـقالت له اما قلـت لك إن معى بعض الجنون وها هو ردك علىَّ الـذى إذا اراد يقول للشـىء كن فـيكون فقـال الملك سيف صدقت وتدبر فى هذه الأمور وتعـجب وأنشد يقول بعد الصلاة

السلام على طه الرسول أفضل واجب ... على كل مـا أوليـتنى مـن مـواهب
وأشكر فضـلا منك شكرا على الولا ... جميـلا على طول المدى فى تعاقب
فكم لك يـا مـولى الـورى من مكارم ... لدى وإحـســـان جـزيل المـطالب
بفـضلك قـد صـورتنى خيـر صـورة ... وسـخـرت كل الخلـق لى بمـآربى
وربيـــتنـى طفـــلا وأمى تبـــرأت ... وحــقك منى فـعل وغـد الأجـانب
وظن سخـيف العقل أنى ابـن زانية ... فـتبـا له من ناقـص العـقل خـائب
وقـد عـرضـتنى للوحـوش برمـيـهـا ... ولا ذنب لى طـفـلا ولست بـعـائب
فـأرسل إلى الرحـمـن منه كـلاءة ... وحفظـا من الأعداء حفظ الـمراقب
وحـنـن لى الرحــــمـن منه كـــلاءة ... لتــرضـعنى من ثديهـا در حـالب
وصـادفـهــا أفـراح يطلب صـيـدها ... فـولت فـرارا مـنه خـيـفـة طالب
وأبصرنى من بعد ما غـاب شخصها ... طريحا وحيدا فى الـثريا والسباسب
فـجـاء لأخـذى وهو ينظر فـعلـهـا ... وقـد تـبـعـه مـثل اشـفـاق راهب
وكـان مـعـى كـيس وعــقـد منضـد ... فنـالهـا منى بنـهـبـة نـاهب
وزاد به الإعــجــاب بى بـين قـومـه ... وراح ينـادى بالـكرى العــجـــائب
وســخـــر لى ربى من الجـن امـرأة ... لتـرضـعـنى حـتى بلـوغ المـآرب
وقـــالـت عـام أنزلتـنى بحـيـــهـا ... إلى الشـهم أفرح ضـيـاء الغيـاهب
وقــــالت يا أفـــراح هذى وديعــــة ... وطـفـل تـربيــــه سـليـل الأطايـب
فـقال الملك أفـراح سمـعا وطاعـة ... وكـان إلى أشـتـهـى خـيـر راغب
وجـاء عطمـطم بعـد قـوة سـاعـدى ... فـاسلمـنى أفـراح قطعـا لـجـانبى
إليــــه فـلمــــا أن أراد بى العــــدا ... هلاكـى حـمـانى منـهـم بالقـواضب
وعلمنى خـرقـا لـلأشـجـار بالظبـاء ... ولمـا رآنـى بارعـا فـى الـتـجـارب
أبى صحـبتى واعتاظ من فـرط قوتى ... قـال ارتحل عنى فـما أنت صـاحـبى
فـأنت عـــدوى كم تخـالـفـنى إلى ... مـرادك يا وحـش الفـلا غـيـر راهب
فـقـلـت له لولا الـوداد حـفظتـه ... لكنت تـرى منى هيـاج المحـارب

وسلمت للرحمن أمرى مسافرا   أرض أفراح لنيل المطالب
فلاقيته فى غاية الضنك والشقا   يدار قالب بعد قالب
أتاه سحاب الجن يبغى تعديا   لشامة سيبى عرضها غير خاطب
دخلت على شامة فقصت حديثها   فضاقت بما قد حدثتنى مذاهبى
صبرت إلى أن جاءنى العون مسرعا   وصاح على كنت خير مجاوب
وكان معى للجن سوط مطلسم   له فى رقاب الجن صدق المضارب
فمد يدا لما رآنى مصمما   على قتله بغتالنى الكافر الغبى
فبادرته بالسوط أسقط كفه   وولى كأمس فى الولايات ذاهب
وجاء الملك أفراح والجند خلفه   يجىء مقامى بالسلام كغائب
وأدخلنى ديوانه فى كرامة   وأرغد عيش وهو لى خير صاحب
وطلبت لديه أن أزوج شامة   قلبى مجيبا لي بخير الكواكب
وقال إذا رمت الزواج فمرحبا   ولكن تؤدى المهر أول واجب
وما القصد إلا رأس سعدون مهرها   بحصن الثريا فيه كل العجائب
فسرت إلى حصن الثريا لقصدهم   وواخيت سعدون كبعض الاقارب
ومن بعد أهوال وحرب وشدة   فواخيته من بعد تلك التجارب
وجئت به أفراح بالذل خاضعا   فنادى سقرديون هل هو طالبى
وأما جباد فهو شيخى وسيدى   وعلمنى دينى وصدق المذاهب
وواريته تحت الثرى بعد موته   كأمس الذى ولى وليس بآيب
ومنه طلبت وشامة احتظى بها   وقد تجمع الأيام شمل الحبايب
فعارضنى ذاك الحكيم وقال لي   أرى مهرها رأس العدو المجانب
ومن بعد هذا المهر حلوان عاجلا   تجىء به ياذا العطا والمواهب
فقلت وما الحلوان آتى به لكم   فقالوا كتاب فيه كل الرغائب
كتاب يعود به التاريخ للنيل غائب   فقلت سآتيكم به غير كاذب
ويممت نحو القصد أسأل كل من   لقيت ومالى فى الورى من محارب

فقاسيت أهوالا وفاجأتهم به   بحمد إلهى فهو خير المكاسب
وأختى جاءتنى وتدعى بعاقصة   ومن نسل سادات كرام النجائب
من المختطف تشكو وقد رام أخذها   وقصت حديثا نابها شر نائب
وقد حملتنى ثم سارت لقصره   فأبصرت أبكارا سمان الترائب
فنادينى كى يستغثن بهمتى   فكنت لهن الغوث عند النوائب
ومن بعد قتل العون أرسلت جمعهم   إلى أهلهم فى شرقيا والمغارب
ولما أتانى العون أسقطت زنده   بضربة سوط صادق الضرب صائب
وسيرت هاتيك البنات لأهلها   علي يد عاقصة إلى كل جانب
وناهد قالت ابقنى لك سيدى   فقلت لها لست المراد فجانبى
وسيرتها للصين منزل أهلها   وقد أنعشت نفسى وقلبى وقالبى
وقد فرجتنى عاقصة فى مسيرها   على كل شىء من كبار العجائب
ومن بعد هذا جئت أطلب شامة   فلاقيت أهوالا طوال الذوائب
أنت قطعت الحمل عن سيف أرعد   فأنقذنى نحوك بجمع المحارب
وملة إبراهيم دينى ومذهبى   وربى قوى غالب كل غالب
ومن بعد هذا سيف أرعد أراد بى   لأسقيك طعن المرهفات القواضب
وها قد غرفنا بفضلنا فى لقائنا   أنا ابنك إن الابن خير الأقارب
فطيبى وقرى وافرحى يا أميمتى   سأحمى حماك بالرماح الكواعب
وأستغفر الله العظيم من الخطا   إله جواد ذو عطا متعاقبوأرغد عيش

* * *

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من ذلك الشعر والنظم تعجبت الملكة قمرية غاية العجب وقالت له والله يا ولدى من يوم ما فارقتك وأنا لا ألتذ بطعام ولا شراب ولا أتهنى بمنام وأنا لو أعلم أنك ما زلت على قيد الحياة فى هذه المدة ما كنت صبرت عنك ولا ساعة واحدة وأنا يا

ولدى أظن أنك على قيد الحياة ومن حيث أنك موجود ما بقيت أقدر أن أفارقك أبدا وإن كنت لا ترضى أن تسير معى فاقتلنى وأرح نفسك منى وأنت إن قتلتنى مالى يد أمدها عليك فإن شفقه الوالدة على الولد شىء عجيب فقال الملك سيف وكيف لما رميتنى فى الخلاء والبقاع وأنا كنت صغيرا في زمن الرضاع فقالت له يا ولدى على صدق القول انى من باب الأطماع أغرى بى الشيطان على ان الملك يكون لى وحدى فوضعت فى رقبتك عقد جوهر وكيسا فيه ألف دينار وقلت الذى يأخذه يربيه بهذه الألف دينار والعقد الجوهر وخرجت ورميتك وجرى ما جرى وها أنت حضرت والبلد والملك تعلقا بك فدونك وبلدك وملكك وخدمك وانا عندى النظر فيك أحسن من الدنيا وما فيها ثم أن قمرية أنشدت تقول:

* * *

إن لى فى مهجتى سهما قويا	قطع الأحشاء يفرى القلب فريا
ليت سهمها فى الحشا مركزه	صادف الاعدا فنالوا منه شيا
عيل صبرى واشقى حاسدى	واكتوى قلبى بنار البعد كيّا
ولدى اعطف قلبا فى ان أرى	بعد ولدى لا أرى عطفا عليا
غرنى الشيطان إذ لم أدر ما	كان فى الغيب من الأمر خفيا
باطراحى لك فى مقفرة	طمعا في الملك أن يفضى اليا
بعد هذا عدت للقصر فما	لذ لى عيش وقد كان هنيا
ودكت فى مهجتى نار الجوى	حين فارقتك يا هذا الكميا
وتعزيت فلم يغن العزا	وجميل الصبر لى لم يتهيا
فهجرت الناس مع لذاتهم	ورفضت النوم والعيش الرخيا
ثم لما أن تلاقينا وقد	كنت ميتا ثم صرت اليوم حيا
مهجتى لم تتماسك فرحة	بك حتى املأت نورا مضيا
لا يطيب اليوم لى أن اتخلى	عنك يا من أنت منى وإليا
فاركب الآن لتحظى بالمنى	وبمُلك كان فى طوع يديا
واحكم اليوم بما فيه صلاح	وأطع قولي يا باهى المحيا

* * *

(قال الراوى) فلما فرغت قمرية من ذلك الشعر والنظم تحير الملك سيف من فصاحتها وقوة قلبها وتحقق أنها أمه لا شك وعلم أن ذلك كله بأمر الله صاحب الارادة عالم الغيب والشهادة وظن فى نفسه أنها فرحت به حقا وجعل كلامها الذى قالته صدقا وأنها ندمت على ما فعلت وتحسرت على ما عملت وكان الملك سيف بن ذى يزن صافى القلب والنية فسلم أمره إلى الله رب البرية فقال لها وهل أنت الآن ندمت على مافعلت وهان عليك وتخلعى نفسك من ملك أبى فقالت قمرية كيف لا أفعل وأنا نظرى إليك خير من الدنيا وما فيها وأنا كنت هونت فى قتلك لما كنت طفلا جنينا وعمرك أربعون يوما وكنت أظن أن وزراء أبيك يتقاروون على أخذ الملك منى وثانيا استحوذ على الشيطان فقوى عزمى على ما فعلت وأما فى هذا الوقت فأنا اعلمتك وما بقى لى صبر عنك وإن أردت أن تقتلنى جزاء لما فعلت فأنت برىء من دمى لأنى أنا جنيت جناية بليغة استحق فيها الهلاك وسوء الارتباك ثم إنها بكت وشهقت بكاء مكر وخدع فأسكتها الملك وقال لها يا أمى أما أنا فقد سامحتك فى كل ما فعلتيه وإن كان مرادك ملك أبى فدونك وإياه فأنا غنى عنه وعن غيره فقالت له يا ولدى إن كنت كما قلت صفحت عن جريمتى وما فعلت معك من جهتى فلا يلزم لوم ولا عتاب اترك ما مضى وسر إلى ملك أبيك ومدينته فأنت احق بالحكم على دولته ورعيته فقال لها وهو كذلك ولكن الليلة تفوت والذى قلت من أعمال غد فقومى وفى البلد فى بكرة النهار أجىء عندك بعدما تعلمين عساكرك وجندك فركبت قمرية مع الأربعة حجاب الذين كانوا صحبتها وسارت إلى محل مملكتها فأول ما صنعت فى جنح الليل من الثواب قتلت الأربعة حجاب الذين راحوا معها للملك سيف وعرفوه وبعد ما قتلتهم قالت فى نفسها كأن فعلى الذى فعلته فى أول الأفعال راح بطالاً وعاد هذا ابن الزنا سالما ويأخذ ملك أبيه منى فإن لم أهلكه وإلا ملك منى المدينة وأعيش انا بقية عمرى حزينة وكانت قمرية فى هذه المدة استخدمت من عساكر العرب

والسودان شيئا كثيرا لايعد ولا يحصى واستمالت قلوب الناس حتى اجتمع عندها عساكر تملأ الفضا وتسد المستوى وسهمهم علا عساكر الملك ذى يزن القدماء وصاروا يفترسونهم بالأذية لكونهم عساكر قمرية وإذا شكوا للقمرية من العسكر الجديد تقول لهم هؤلاء عساكرى وأنا عنهم لا أحيد فالذى يقعد منكم والذى لا يقعد يقصد البرارى والبيد فتركها الناس والتجأوا إلى الجبال وقاموا فى أرغد عيش ويكون لهم كلام وأما الوزير يثرب فإنه لما رأى أفعالها وعلم مقصودها نهاها عن ذلك وقال يا ملكة قمرية إيش ذنب عسكرك القديم حتى أنك تركتيه واستخدمت عسكرا جديدا فقالت له هى مملكتى وهذا العسكر عسكر الملك سيف أرعد ذى يزن وأنا على كل حال اسمى حرمة وخلقى مثل ملك الحبشة الملك سيف أرعد وربما أراد أن يتحرك على أخذ بلدى منى فلابد أن استكثر العساكر احترازاً لمثل ذلك فقال لها صدقت لكن الصواب أن تحتفظى عسكرك الذين هم تحت يدك من قديم الزمان ولهم على المملكة عوائد وإحسان فقالت إنهم مقيمون فنزل من عندها بغير راح وبعد ذلك بأيام شكا له العساكر فراح لها ثانيا ونهاها فلم تنته عما تريد حتى بقى عندها ما ينوف عن خمسين ألفا من عرب وسودان ملكتهم من البلدان والديوان وتركت عساكر الملك ذى يزن للمذلة والهوان فتركوا وطلعوا من عندها وكذلك الوزير يثرب فإنه لما رأى حالها وأنها استحوذت غيره وعلم أنه إن تكلم معها ما ينفع كلامه فرحل عنها وطلب مدينته التى بناها وأقام وأخذ معه جميع ماله ونوقه وجماله وعسكره ورجاله وأقام بفتح اليازوجات وينتظر ما يكون من الأمور المقضيات فظهر له أن ابن ملكهم الذى هو قاعد فى انتظاره فإن أمه رمته فى البرارى والقفار بين الوحوش والأطيار ولكن ينجيه منها الملك الجبار وخالق الليل والنهار وأن هذا المولود يحنن الله تعالى عليه وهو طفل جنين ويرضعه خلاف الآدمين والله يكون له معين حتى يبقى ملكاً وسلطاناً ويحكم على عساكر وفرسان وتطيعه حكماء وكهان ويبقى له جند وأعوان

من الأنس ومن الجان وان يفتح البلاد ويعمر الأرض بالأجناد ويجرى البحر بماء النيل العذاب من بلاد السودان إلى بلاد العرب ويعمر عليها مدائن وقرى وبلدان ويكون هو ودولته من أهل الإيمان هذا بإذن الملك الديان مدير الملك والزمان والأفلاك والأكوان الذى كل يوم هو فى شأن فلما نظر الوزير إلى هذه الإشارات أنشد هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات:

* * *

بدأت بسم الله حى ومقتدر   إله كريم كاشف الغم والضرر
قدير وبرى خلقا ونوعا وصفة   وسوى من الطين العظيم أبابشر
من عبده ألقى عليه نسيمة   فنام وأنشأ منه حوا بلا ضرر
وقد صاغها المولى من أقصر ضعله   بأحسن وصف خالق الخلق والصور
وزوجها رب العباد لآدم   بمهر يؤديه ومعدودا انحصر
يصلى على خير البرايا محمد   صلاة تمام مثل ما جاء فى الخبر
وعدتها عشراً وعشراً على النبى   فصلى عليه سبعة بعدها عشر
ففى نفس تمت وباقى ثلاثة   فكملها يا صاحبى حسبما ائتمر
فكان على هذا المقدم جاريا   وكان المؤجر بعد يا صاح معتبر
فصارت لآدم زوجة وهو زوجها   وأكلهما أثمار من سائر الشجر
سوى حنطة قد حذر من مذاقها   وأكلهما منها ففى أكلها ضرر
فزين إبليس لحواء أكلها   فقالت له كل لا تخف يا أبا البشر
فلما لها ذاقا تساقط عنهما   لباس به صار مشتتى الفكر
ففارق كل جنة الخلد باكيا   طريدا له دمع بخديهما انحدر
فقام سنينا داعى الله طالبا   رضاه ومن خوف الإله قد انذعر
أجاب دعاه خالق الخلق رحمة   وعنه محاما كان منه وقد غفر
حواء وكانت فى أرض بعيدة وفى   وقد ردها المولى إليه بلا غير
عرفات ملتقاه بها بدا   وآثاره فيها إلى الآن تعتبر

وعند اجتماع جاء منهم سلالة   نبى يسمى شيث بالحق قد بهر
ومنه النبيون الذين تقدموا   وآخرهم خير الورى سيد البشر
هو الشادق الوعد الأمين محمد   وأفضل خلق الله من فضله انتشر
وأصل النبى من نور ربى قبضة   فقال لها كونى ومنها النبى ظهر
وقد خلق الأكوان من أصل نوره   وعرشها وكرسيا وما كان يعتبر
وفى آخر الأزمان يبعث هاديا   لكل الورى حتى إلى الجن والشجر
تربى يتيما فى كفالة جده   بمكة يهدى من تولى ومن كفر
يهاجر إلى يثرب ويسكن أرضها   ويدفن لها حقا يقينا كما اشتهر
وأنى لهذى قد بنيت برسمه   يقيم بها مع صحبة السادة الغرر
وهذا دليل جاء فى الرمل صادقا   ولا شك فى هذا وقد صح وانتشر
وإن رسول الله يسكن مدينتى   ويظهر دين الله حقا كما ائتمر
له معجزات باهرات لمن طغت   فأولها نطق الجماد كما البشر
على الرمل يمشى لا بين له أثر   ولكنه يبدو علي أيبس الحجر
وإن سار فى شمس وقته غمامة   حرارتها وانشق من أجله القمر
وضب وذئب آمنا برسالته   كذا جمل دجاء يشكر من الضرر
كذا ظبية قالت له مستجيرة   به من يهوى لها صاد ما عذر
فتضمنها حتى تعود لنسلها   وترضعه فورا وتأتى علي الأثر
فأطلقها من صائد فغدت له   وعادت فلما أن أرى الصائد انبهر
وزاد به الإعجاب حتى هدى به   إلى ديننا الإسلام فورا بلا كدر
وأعجب من ذا كله أن أحمدا   شفيع الورى جميعا إذا ى تحتشر
وإن رمت عدا حاصرا معجزاته   عجزت ولو كان الأنام معى حصر
وإن بلدتى هذى أتاها مهاجرا   وكانت مكاتيبى بصندوق الحجر
فيعلمه المولى بها مع دلائل   فيأتى إلى الصندوق معه الذى حضر
لتقرأ مكاتيبى لعرفان ما بها   فتقرأ له كل الحروف على الأثر

وأعلميه أنى وهبت مدينتى   إليه ومن يتبعه من صحبه الغرر
وأنى على دين النبى سيد الورى   محمدنا من قد محا حزب من كفر
توسلت بالهادى النبى محمد   إلى الله ينجينى من السوء والضرر
وعن ذلتى ويمحو خطيئتى   ويمنحنى توبا نصوحا من فجر
وأسأل ربى أن يقوى عزائمى   على الدين والتقوى وأرغم من فجر
ويجعلنى فى مدة العمر مؤمنا   بمن عنه كل الأنبياء لنا أثر
وإن مت على الإيمان تمت سعادتى   ومجدى وأفراحى يقينا بلا كدر
وأحشر فى يوم القيامة صاحبا   لأمة طه المصطفى أفضل البشر
وإن رمت آباء الحبيب محمداً   فبادر لتنجو من عذابك فى سقر
فإنهم الأمجاد أصل مكارم   فمن نال شيئا حقت له الفخر
وحواء لما أن بنى ادم بها   وكان له نور على وجهه بهر
بدا النور فى حواء إلى أن أتت بمن   يسمى بشيث ثم أرفخشذ ظهر
وبادر قابيل لهابيل قاتلا   غرورا وغدرا قاتل الله من غدر
ونوح أتى من بعدهم حير مرسل   نبى تقى صاحب الهدى معتبر
مض قومه عنه لم يسمعوا له   وأغراهم إبليس تعسا لمن كفر
دعاء ربه نوع عليهم أجاب   وأوحى له أن تصنع الفلك تنتصر
فجاءهم الطوفان يرعب وصفها   ولم ينج إلا مؤمن ربه نصر
حقيقة ذا الطوفان يرعب وصفها.   فماء من التنور ماء من المطر
وأولاد نوح نابعوه ثلاثة   ورابعهم قد ماله البين والقدر
فسام وحام ثم يافث قسموا   لأرض علي ما الرأى قد استقر
وأفناهم المولى نمرود بعدهم   اتى نسل كنعان وبالملك قد فخر
فقد ملك الدنيا جميعا بأسرها   ويعبد أصناما يراها من الحجر
ونجى إله العشر منه خليله   وأهلك نمروذ ومن معه دمر
تزوج إبراهيم حقا بسارة   بعقد نكاح السفاح وقد مهر

وصار مطيعا أمرها غير جائر   وعاشا ولم ترزق بأنثى ولا ذكر
فقالت له خذ هاجر قد وهبتها   إليك عسى تأتى بنسل ويشتهر
فكان كما قالت فطرت لحمها   وجاءت بإسماعيل سيد من غبر
ولما رأته سارة زاد غيظها   وزاد بها الوسواس والكرب والفكر
وقالت له باعدهما عن مكاننا   وقد جد فى الرحال والسير والسفر
فسار خليل الله عنها كما بغت   وصيرهما فى وسط بيدا بلا شجر
إلى جنب بيت الله حط مفارقا   ولكن بحفظ الله لم يحصل الضرر
وأرسل لهم قوما يقيمون معهم   وانبع لهم ما ذلالا من الحجر
وكان لإسماعيل من معجزاته   إذا دب فوق الأرض فالماء له انفجر
ولما أقام القوم صحبة هاجر   أباحت لهم شربا وذا عنهما اشتهر
فهاجر لم تأبى وربت نبيها   وفى وجهه نور النبوة قد ظهر
فصار أمير القوم والكل تابع   مطيع لإسماعيل بدو مع الحضر
وكان خليل الله حقا يزوره   مرارا لها تأويل يروى ويذكر
كان من الوحى المنامى أمره   يذبح فلم يأبى وما ناله كدر
إلى أن فداه الله منا ورأفة   وطاف ببيت اللح إذا حج واعتمر
وقد عمر البيت الحرام كلاهما   وأعطى له الركن اليمان مع الحجر
وسارة قد جاءت باسحق بعده   وكانت مع الأيام قد مسها الكبر
فكان خليل الله أصلا للانبيا   وجاد باسحق عليه لما صبر
ولوط نجا والله دمر قومه   نبيه نجا واعتبر فيمن اعتبر
ومن نسل إسماعيل أنشا قبائلا   وعربان لا تحصى كما ينبت الشجر
ومن صلب إسماعيل حقا جدودنا   خلاصة حمير من على قومه فخر
ومنه أتى اسكندر المالك الذى   ملك سائر الدنيا من البر والبحر
وأيده المولى بأصلح من ذكر   على كافة الالس من البدو والحضر
هو السيد الخضر الجليل الذى له   من الله فضل فى الروايات والسير

وكل مليك أرخ الناس حكمه   وقد جعلت أيامهم بعدهم ذكر
وما زالت الأنباء تنمو وتنقضى   إلى أن أراد ذى يزن قد ظهر
سلالة بنى حمير وأبطال تبع   وكان زحل معبود ليس ينتكر
إلى أن أراد الله وقد طاب قلبه   ومال إلى الإيمان بالله وافتخر
وقد آمنت أبطاله وجيوشه   وحج لبيت الله إذ طافا واعتمر
كسا الكعبة الغراء قزا وغيره   كثيرا من الديباج ما يبهر البصر
وأصلح بالإيمان مولاى شأنه   ودان بدين الله فى السر والجهر
وعمرت هاتيك المدينة بفضله   وسميتها باسمى وسعدون بهاحضر
ولابد أن يأتى النبى أشرف الورى   محمد المختار أسنى بنى مضر
واكتب له أنى وهبته جميعها   وجعل لهذا الكتب صندوق من حجر
وأجعله فى الصور يخفى عن الورى   وأرصده للمصطفى سيد البشر
ومن بعدها سرنا جميعا جيشنا   نزلنا بواد عمه الماء والشجر
وقدامنا ذو يزن سلطان جيشنا   وعسكره من خلفه تشبه المطر
مدنية حمراء الحبش قد بنى لها   ومن حولها أنشا البساتين والزهر
وأشالها صورا وأبراج قد علت   وحصنها حتي غدت تدهش النظر
ولم يعتنى ملك الحبش سيف أرعد   وما عنده فى سيف أرعد من فكر
فلما بلغ ملك الحبش كل ما جرى   تغيظ ولكنه علي الغيظ قد صبر
وقد دبر الكهان فينا مكيدة   وقد أرسلوا بنتا جميلة كالقمر
تسمى بقمرية ومعها ذخائر   هدايا وللمقدور ساعدها القدر
تقبلها ذو اليزن منهم وودها   وأدخلها دارا ومنها قضى الوطر
وقد حملت منه وبان احتمالها   فسر بها لما رأى حملها ظهر
فأوصى له بالملك من بعد موته   إذا كان فى البطن يأتى لها ذكر
وإن كان أنثى كان ملكى لزوجتى   إلى أن تشب البنت جسما وتنشر
ويأتى عليها نحو عشرين حجة   يكون جميع الملك يا صاح منحصر

لبنتي فيه النصف والنصف لأمها ... كذا المال والأملاك من كل ما انحصر
ومن رام تزويجها بها فهو حاكم ... على كل ملكى والأمارة والوزر
وإن كان ما يأتى غلاما فزوجتى ... وكليته حتى يكون قد اشتهر
فيملك ملكى مع متاعى ونعمتى ... ويدعى بسيف ثم ينجو من الضرر
سمعنا وقيدنا جميع ما قاله ... ومن بعد ذاذو اليزن قد مات وانقبر
تولاه مولانا الكريم وهكذا ... جميع البرايا تنقضى ثم تندثر
ولا دائم إلا الذى خلق الدنا ... فسبحان ربى بارىء الخلق والصور
فيا أسفى ذو اليزن قد كان حاكما ... وخصما إذا جيش العدا لنا ظهر
فقد كان خصما يقهر الضد فى الوغى ... ومن هيبته كم جيشاً قد عاد وانكسر
عليه تمم الرحمن أزكى تحية ... وفى جنة يعطى المقاصير والخبر
وقمرية تجزى من الله بفعلها ... فما هى إلا مثل إبليس إذ افجر
لقد ظلمتنا ثم جارت بظلمها ... وقد حكمت فينا الجيوش ومن هجر
ولما رأيت الظلم منها تركتها ... فما أحد يرضى بكيد ولا ضرر
فجاءت بمولد يدين له الورى ... وطابت لها الدنيا وما عندها خبر
وأقمت لدى قومى مليكا معظما ... ولكن فى قلبى من الفاجرة فكر
فصرت لتخت الرمل أصرب كى أرى ... مكايدها وما بباطنها استتر
فشاهدتها تلقى الغلام بقفرة ... تروم بذا اهلاكه خافى الخبر
ولكن لرب العرش فى ذاك حكمة ... فيوهبه عمرا طويلا علي الأثر
وينشأ فى عز ويأتى بجيشه ... فتلقاه فى صنع من المكر معتبر
وتلقيه في سبع مهالك كلها ... ينجيه منها خالق الخلق والقدر
وتهلك عما بعدها قمرية ... على يد أنثى لا تكون من البشر
يحكم هذا الطفل شرقا ومغربا ... بحكم صحيح ثابت الحق منتظر
ويخدمه أهل العلوم لأنه ... يكون له حكم على الأرض يشتهر
ويحكم بالإيمان والصدق والهدى ... ودين خليل الله فى الأرض ينتشر

بعدوة نوح ينفذ الحكم أنه ... يؤده الرحمن بالنصر والظفر
ويجرى بذلك النيل فى أرض قفرة ... ويبنى بها مصرا والأوطان تعتمر
ويعقب أولاد ويحمى حماهم ... وسطواتهم تبقى على كل من كفر
ويفنوا ويخلفهم سواهم وهكذا ... فسبحان من يحى الرمين إذا اندثر
واستغفر الله الذى جل شأنه ... إله تعالى خالق الخلق والبشر
من الكذب والعصيان والنطق بالخطا ... وما جاء فى بالى وذهنى وما خطر
سألت إلهى بالنبى أشرف الورى ... وطه ويس والحواميم والزمر
نبى حياه الله بالصدق والوفا ... وأصحابه أهل التقى السادة الغرر
يكفر أوزارى ويمحو خطيئتى ... ويغفر ذنبى إنه خير من غفر
ويغفر ذنب المسلمين جميعهم ... وينقذنا جميعا من السوء والضرر
بحق ختام الرسل طه نبينا ... وافضل خلق الله سيد من شكر؛
عليه صلاة الله ما طار طائر ... وما هبت الارياح أوورقت الشجر
كذلك على الآل الكرام وصحبه ... وتابعهم والتابعين على الأثر

* * *

(قال الراوى) ثم إن الوزير كتب تلك القصيدة على رقعة من الاديم ووضعها فى صندوق من الحجر وجعله على باب المدينة وكتب فى لوح رخام فوق الصندوق: إن هذا الصندوق فيه تاريخ بناء المدينة ولم يكن فيها خلافة ولعنة الله على كل من فتحه إلا صاحب الشامة والعلامة الشفيع فى الخلق يوم القيامة ص وهو النبى الذى يظهر فى آخر الزمان وينزل عليه القرآن ويأتى بالدليل والبرهان ويدعو الخلق إلى الإسلام والايمان ومن كان على ملته فاز بالغفران ومن خالف ما جاء كتب من أهل النيران وقال الوزير فى آخر اللوح ملعون بلعنة الله من يفتح هذا المكان حتى يأتى صاحب البرهان فهذا ما جرى هنا **(يا سادة)** وأما ما كان من أمر الملك سيف بن ذى

يزى مبيد أهل الكفر والمحن وما جرى مع الملكة قمرية فإنها لما عادت من عند الملك سيف والأربعة حجاج صحبتها ودخلت مدينتها أمرت عبيدها ليلا فقتلوا الأربعة حجاب الذين علموا بتلك القضية وعادت مسرعة إلى الملك سيف تحت أذيال الظلام فلما علم الملك سيف بقدومها سألها عن سرعة عودتها فقالت له يا ولدى مالقيت لك صبر أن أقعد فى المدينة ولا في قصرى لانى أردت أن أنام فما أشعر إلا وأبوك قادم على مناد وقال لى يا قمرية أعلمى أنى تولانى التراب وهذا ولدى الملك سيف وهو ولدى وحشاشة كبدك فسلمية القلعة والمدينة وجميع أموالى وكل ما أخذتيه بعد موتى من الأموال والزخائر فأعلميه به وسلميه إليه فقلت له يا ما ملك الزمان هذا غلام جاهل وأظن أنه ما عنده لياقة ولا يقوم بالمملكة فقال الملك ذى يزن يا قمرية هذا يملك البلاد شرقا وغربا وتخضع له الملوك بعدا وقربا وتطيعه جميع ملوك الأقطار عجما وعربا وينصر العربان على الحبش والسوادن وتنفذ دعوة نبى الله نوح عليه السلام وأنا ياولدى اعتمد أن أعطيك كل ما خلفه أبوك فقم من وقتك وساعتك وادخل مملكتك وأنا يا ولدى ألزم حريمى جعلهم لى أبوك مخصوصين لخدمتى وأيضا يا اعلمك حتى اخلص ذمتى بأن تتسلم أموال الملك وذخائر فانا رفعتها بعد موته على جمال وبغال وخيل وسرب إلى محل فى البر بعيد عن المدينة بمسافة ثلاثة أيام وكل الذى حمل الأموال مئتى جمل حاملة مائتى سحارة هذا كله من صنف الذهب وأما صنف الجواهر والعتيق والزبرجد والزمرد الأخضر والأصفر وحجارة الماس فهو مائة صندوق على خمسين بغل وهذا من الذى خف حمله وغلا ثمنه ولما وصلت بذلك المال والذخائر إلى هذا الوادى المنقطع عن العمار وكنت من شدة حذرى ما أخذت معى مساعدين خلاف أربعين رجل من الحبش دفنته فى الأرض وبعد دفنه عدت بنيلية عدن أرج بالحجر وبعدد ذلك أخذت كل من حضر ذلك الفعل ووضعت لهم الطعام

وجعلت فيه سماً خارقا فما اكلوا حتى هلكوا عن آخرهم وما بقى أحد يعرف طريق مال الملك ذى يزن غيرى فقط فقال لها الملك سيف والله لقد اخطأت بقتل إنفس حرم الله قتلها فقالت قمرية أنا يا ولدى ما قلت إلا علي قدر عقلى بما أنى اعلم أن هذه المدينة بناها أو وأنا صرت زوجته وحاملاً منه وأنا أعرف أنه لابد أن ملك الحبشة والسودان ما يهتدى مع ملك العربان ففعلت تلك الفعال ودفنت المال وقلت فى سرى لربما أن ملك الحبشة يركب على ويأخذ المدينة منى فيبقى هذا المال أنا أعلم به وأنا أحق به من ملك الحبشة وإن ملكت فيه فرصة حاربته وأخذت مدينتى منه وإن لم أجد فرصة يكون مالى عندى أنفق منه كما أحب وأختار ولا يطلب منى الملك سيف أرعد ولا دينار ولكن من حيث إنك ظهرت أنك طيب فقمرية والأجناد والأموال والمدينة بقوا ملكك وفى أى وقت أردت أركب معى وأنا أدلك على محل مال أبيك وألقيإذا علمت به زى وقت طلبت أحضره له والسلام فقال الملك سيف: لابد حالا ولا أبيت إلا وأنا مطمئن عليه فقالت له يا ولدى أنا أحمد الله تعالى الذى أرانى وجهك وتأخذ مال أبيك وبلاده وأنا على ما تريد وأن أردت أركب أنا وأنت من هذه الساعة ولا تدخل المدينة لا أنت ولا أنا حتى أوريك ما دفنت من مال أبوك وذخائره فى القفر والمهاد وكان ذلك من خوفى من الأعادى والحساد فقال الملك سيف وأنا على ذلك عولت معى يا ولدى من هذه الساعة وأنا الكسبانة فى تلك البضاعة فلبست الملكة قمرية عدتها وأخذت معها ولدها الملك سيف بعدما لبس عدته وتقلد بصمصامته وقال لوالدته المكان بعيد فقالت يا ولدى هذا مكان قريب فطلعوا ليلا الاثنين ولم يعلم بهم أحد من العسكرين هذا وقمرية سائرة تحدث الملك سيف بزخاريف المقال وتذكر له سبب جوازها لأبيه وداموا فى المسير مجدين والملك سيف يقول فى نفسه: العادة أن الأمهات يشفقن على أولادهن ولولا أنها ملعونة مفتونة وسائرة به لإتلاف مهجته ولكن الله

تعالى له فى ذلك حكمة-وتدبير حتى ينفذ حكمه وإرادته ولما طال الطريق وامسى عليهم المساء قال الملك سيف يا أماه أنا العمل ببعد المكان الذى تذكريه إلا كنت احضرت معى زاداً للأكل والشرب وها هو مضى النهار وماوصلنا وإنى قد اضرنى الجوع وأنت ما اعلمتينى.

فقالت له قمرية وإن كان طال عليك الطريق فانا ما فعلت إلا الصواب لأنه لو كان محلاً قريباً إلى هنا كانوا اطلعوا عليه اتباعنا وأما هذا الوقت فلم يعلم أحد غيرى أنا وإن كنت محتاجاً إلى الطعام فها أنا احضرت معى طعام على قدر كفايتى أنا وأنت ثم أنها فتحت الخرج وأخرجت منه طعاماً مثل العافية على الأبدان ونزل الملك سيف فيجانب الطريق ونزلت قمرية واكلوا حتى اكتفوا وقلت له قم فركب وسار معها طول الليل إلى الصباح وساروا هكذا إلى المغرب وقدمت له الطعام وأكلت معه ثم أن الملعونة كان قصدها أن تبنجه أو تذبحه أو تطعمه سماً فلم تقدر على ذلك لاحترازه على نفسه وهكذا وهم يسيرون وينزلون وقمرية تشاغله وتصانعه برخارف الأقوال ولما تتعب تقول ياو لدى أنا تعبت من المسير وأريد منك أن تحرسنى حتى أنام لى شيئاً يسيراً فيقول لها دونك وما تريدين هكذا ثلاثة أيام ولما كان رابع الأيام قال لها الملك سيف أنا متعجب من عقلك يا ملكة كيف أبعدتى مال أبى إلى هذا القدر فقالت يا ولدى لولا أنى فعلت ذلك لهجموا على ونهبوه منى وما كنت أقدر أخلصه وأنا حرمة ذات ضلع أعوج ولسان متلجلج وها أنت على كل حال لك همة أكثر من همتى وعزيمة أحسن منى فقال الملك سيف وأنا ما بقى لى صبر المسير فى ذلك البر والهجير حتى استريح لنا ثلاثة أيام ولياليها لم أنم وكل ما نمتى أحرسك وأخاف أن أنام وأتركك تحرسينى فيهجم عليك وحش أو أسد وأنا نائم فما ألحق أقوم إلا ويكون افترسك فقالت له لا تخف إن أردت أن تنام فاقعد عند رأسك حتى تأخذنى هجعة فى النوم ولكن اعرج بنا تحت تلك

الشجرة فأتو نحو شجرة كبيرة أزلية تظل الفارس والمية وهى عالية الفروع كأنها السرادق المحبوك بالأعمد والضلوع فنظر الملك سيف إلى تلك الشجرة وهى أكبر من جميع الشجر وليس لها زهر ولاثمر صنعة من علا فاقتدر فتعجب الملك سيف من خلقة تلك الشجرة ومن صنع الله جل وعلا وهو يعلم يقينا أن الله على كل شيء قدير وتقدموا إليها فوجدوا تحتها عين ماء فشربوا منها ونزلوا عن خيولهم ونزعوا لجمها وتركوها ترعى وقعدوا يتظللون تحت هذه الشجرة وقعدت قمرية تحدث الملك سيف بالكذب والمحال وزخارف القول وتذكر له صفة المدفون وأنهم قربوا من المكان الذى هو فيه والملك سيف مضطجع على الرمال فقالت له يا ولد أما تأكل من هذا الزاد فقال لها أنا قصدى فى الرقاد ولكن حتى أصيد لك غزالة وأذبحها لك واتركك تشوى لحمها حتى أنام وعند قيامى من النوم يكون استوى فقالت له يا ولدى أنا عندى لحم ومعمول فى دهنه ومستوى فإن أردت أن تأكل فدونك وما تريد فقال لها إن أكلتى معى أكلت معك فقالت له أنا مالى نفس فى أكل وإنما بعدما تأخذ راحتك فى النوم نأكل أنا وأنت سواء فعند ذلك اضطجع الملك سيف للمنام ولم يدر ما قضاه الملك العلام فوضعت رأسه علي فخذها إشارة إلى أن ذلك من محبتها له وصارت تحادثه وهو يسمع كلامها حتى ثقل عليه النوم بإذن الحى القيوم وهى باهتة إلى وجهه حتى علمت أنه غرق فى النوم فرفعت رأسه من على حجرها ووضعتها على حجر قريب منها وتأملت فى الشامة الخضراء التى على خده فأخذتها الغيرةوالحسد ورأت وجهه كأنه الهلال إذا كان فى تمامه فزاد قلبها بغضا وضلالا وقالت يا ولد الزنا أنا رميتك وأنت عمرك أربعين يوما فاتيت وأنت قد بلغت عشرين وماهذه إلا مصيبة يا ابن الزنا وتربية الخنا ثم قامت على حيلها وأخذت لجام حصانها فى يدها اليسرى وجذبت السيف بيدها اليمن وجردته من غمده حتى دب الموت فى فرنده وتقدمت إلى ولدها

وقد نزع الله الرحمة من قلبها وضربته بالسيف على رأسه ومما وقع من الاتفاق الذى يحير أرباب العقول أن الملك سيف لما وضعت قمرية رأسه على الحجر تحرك برأسه فنزلت عن الحجر فصادفت الضربة جبهته والحجر بالسوية فانشقت الجبهة فاستيقظ وأراد القيام فعند ذلك ضربته الملعونة ضربة ثانية فوقعت على أكتافه فقطعت إلى العظم وضربته ضربة ثالثة فصاح الملك سيف بصوت كأنه الرعد فضربته ضربة رابعة على صدره فوقع مغشيا عليه فضربته على ظهره فانكسر السيف وظنت أنه مات لما رأته مغشيا عليه والدماء تجرى منه كأفواه القرب فمسحت سيفها فرأته مكسوراً فركبت على حصانها وطلبت البرو سارت تقطع البرارى والقفار حتى وصلت إلى مدينتها رباع نهار وقد فرحت بما فعلت وايقنت أنها بلغت المقصود ولها كلام إذا وصلنا إليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وأما ما كان من أمر الملك سيف فإنه بقى مرميا فى دمه تمام ذلك النهار حتى أظلم الليل بالاعتكار وأفاق من غشيته فوجد نفسه مخضباً بالدماء ولم يقدر أن يتحرك والدنيا كلها ظلام فعلم أنه ليل فرموق بطرفه إلى السماء وقال يا الله اللهم إنى أسألك يا عظيم العظماء يا من بسط الأرض ورفع السماء أسألك يارب بامساك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك يا كريم وأسألك بنبيك نوح وخليلك إبراهيم اللذين اصطفيتهم على خلقك يا كريم ياحليم وبحق أسمائك الرحمن الرحيم اللهم أنت خلقتنى وصورتنى ولا أعلم لنفسى ضرا ولا نفعا فإنك أنت نعم المولى ونعم النصير اللهم إن كان أجلى قد مضى وما بقى لى عودة إلى دار الدنيا أسألك أن تهون على كل أمر عسير إنك على ما تشاء قدير اللهم سبب لى من يداوينى ويبرء جراحى ويبدى صلاحى واجعل لنا يارب من كل ضيق فرجا ومن كل هم وبلاء مخرجا إنك قادر على كل شىء مخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى يا كريم يا حليم ياعظيم يا

من بكل الأحوال عليم **(قال الراوى)** فلما أتم تضرعه وشكواه إذا بطائرين قد أقبلا من البرارى والقفار ونزلا على تلك الشجرة وكل واحد على فرع منها ووجهه ناظر إلى وجه الآخر وأول ما تكلما قالا كلمة الإخلاص المنجية من القصاصا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإبراهيم نبيه وتقيه وخليله ص وكانت هذه الكلمة منهم سوية وبعدها قال أحدهما للاخر أرأيت يا آخى ما فعلت هذه الملعونة قمرية فى ولدها ضربته بالسلاح حتى زثخنته ونحن يا أخى حضرنا هنا ورأينا هذا الحال فما يكون عندك يا أخى من الأعمال فقال الطير الثانى لا تعترض يا عبد السلام على ما حكم به الملك العلام واعلم أن هذه قمرية والدته الكلام وأنها تفعل به سبع مكايد تمام أول مكيدة منها وهو طفل صغير فى البر والهجير ولطف به المولى وهو اللطيف الخبير وارسل له الغزالة فأرضعته والجنية ربته وحنن عليه الملك أفراح حتى أحسن له ورباه ومن أعدائه واراه وجادل عنه خصماه فلا تعجب فى صنع الله وهذه المكيدة الثانية نزلت فيه بالسلاح وتركته فى هذه الأراضى والبطاح فقال له الطير الأول صدقت يا شيخ جياد وهذا فعل أهل الكفر والعناد ولكن الله تعالى له فى خلقه عناية فإن هذه الملعونة أضمرت أنها تعجل هلاكه وفناه وجاءت به إلى هذا المكان وشقته بالحسام وهو نعسان مع ان ها هنا يكون دواه بقدرة من خلقه وسواه.

انتهى الجزء الثانى من سيرة سيف ابن ذى يزن

ويليه الجزء الثالث وأوله قال الراوى.

الجزء الثالث

من سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذى يزن

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وإن هذين الطائرين هما الشيخ عبد السلام والشيخ جياد الذين صادفوه قبل هذا الكلام مدة ماتوجه إلى مدينة قيمر وجاء بكتاب النيل وجرى له منهم ما جرى وماتوا واحدا بعد واحد وكان علي يد الملك سيف وفاتهم وهو الذى جهزهم ودفنهم وهم أحياء الدارين وحضروا فى هذه الليلة ولما حضروا تحدثوا مع بعضهم كما ذكرنا قال الشيخ عبد السلام يا أخى وما هو دواه فقال له اعلم يا أخى أن ورق هذه الشجرة إذا أخذ الانسان منه ومضغه بأسنانه فإنه يصير مثل العجين فيضعه علي الجراح فانه يقطب من وقته وساعته ولو كان مرض سنين وهذه قدرة الله تعالى رب العالمين ولكن جعل الله لكل شىء سبباً وهذا يكون سبب توجهه إلى إخميم الطالب ويبلغ إلى منتهى المآرب ثم قال الشيخ عبد السلام يا أخى منى عليك السلام وتودعوا من بعضهم وسار كل منهم فى طريق كل هذا يجرى والملك سيف يسمع ويرى فقال فى نفسه إن هذا شىء عجيب ولكن أنا علمت أن ورق هذه الشجرة نافع لتقطيب الجراحات وأنا مالى اليه وصول وان مدبت يدى له فلا تطول ويا ليت شعرى إذا كانوا هؤلاء أصحابى فى الدنيا ويعلمون أن ذلك الورق ينفعنى كان الواجب أن يجد فى قضاء حاجتى أحدهم ويجدب لى أوراق أتداوى بها ولكن الأمر بيد الله وصبر علي حاله حتى طلع النهار فضربت عليه تلك الجراحات فرمق بطرفه إلى السماء وقال إلهى وسيدى ورجائى أسألك بحق اسمك العظيم الأعظم إن كنت تعلم أن ورق هذه الشجرة نافع لجراحى فشخص لى بقدرتك من يسقط لى منه ما أتداوى به انك على كل شىء قدير يا نعم

المولى ويا نعم النصير فما أتم الملك سيف دعاءه حتي أرسل الله تعالى ريحا عظيما نزل على تلك الشجرة بقوته فزعزعها وتعتها ورمى كثيراً من أوراقها حتي بقى حول الملك سيف منه شىء كثير فأخذ منه ومضغ ووضعه على جرح فخذه لتأم بقدرة الله العزيز الديان والتحم كما كان وبقى كانه ما انجرح ولا حصل له ألم ولا ترح فصار يأخذ ويمضغ ويضع على الجراحات حتي برئت جميعا وبقى كأنه ما أصيب بشىء أبداً وصار يجس محل الجراحات فلم ير لها آثاراً مطلقاً فسجد شكراً لله تعالى وقام علي قدميه وهو فرحان وصار يتمشى فى تلك الوديان فنظر إلى جواده وهو واقف يرعى فى ذلك المكان وكانت قمرية تركته خوفاً من عساكره إذا رأوا الحصان يسألوها عن صاحبه فعند ذلك تقدم الملك سيف إلى جواده وأصلح شأنه وعدته وركبه وسار ولم يعلم أى طريق يسلك وذلك لأجل قضاء الله وقدره فسار إلى آخر النهار فرأى عين ماء وبجانبها شجرة نبق طارق مستوي فأكل منها حتي اكتفى وأطعم الحصان حتي شبع من ذلك النبق وبات تحت هذه الشجرة إلى الصباح فركب وسار فى البر والقفار إلى آخر النهار فأقبل على غابة وفيها أشجار وأثمار فنزل فيها وأكل من أثمارها فوجد الأرض مخصبة بالحشيش فترك جواده يرعى طول ليلته إلى الصباح وركب وسار وهكذا ليلاً ونهاراً وهو سائر فى تلك القفار يأكل من النبات ويشرب من الأنهار فضاقت حيلته وقلت راحته فرفع رأسه إلى السماء وتوسل بعظيم العظماء وأنشد يقول بعد الصلاة والسلام علي سيدنا محمد طه النبى الرسول ..

* * *

إلهى فنى صبرى ومالى توسل ... سواك أيا من يكشف الضر والبلا
أغثنى فانى لم أطق ما أصابنى ... من الضيق والتشتيت فى واسع الخلا
دعوتك فاسمع يا إلهى تضرعى ... فأنت عليم بالخليقة أكملا
ومن لى يعاوننى ويكشف كربتى ... إذا ضاقت الأسباب والصبر قللا
وها أنا يا مولاى فى شدة العنا ... وأنت غنيت الخلق بالرزق كافلا
فياربنا اهدنى ويارب نجنى ... فانى ضعيف جئت بابك سائلا
وتهت ولم أعلم طريقا أجوزها ... فكن لى ياربى دليلا بذى الفلا
دعوتك يا لبيت العتيق وزمزم ... وبالمسجد الأقصى ومن فيه أنزلا
لتجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ... وتوهبنى نصرا عزيزا مفضلا
وتحفظنى من شر خلقاك كلهم ... ومن شر شيطان ومن جاء عازلا

* * *

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف من ذلك الشعر والنظام وكان ذلك فى اليوم الحادى والستين وهو سائر فى البرارى كأنه مذهول أو مجنون نظر بين يديه فرأى جبلين على يمينه جبل أبيض وعن يساره جبل أحمر فسار حتى قاربهما فرأى بينهما راية مقامة إلى جهة الأحمر الذى على يساره ونظر إلى الجبل الذى على يمينه فرأى قصراً عالياً وهو من أعجب العجائب قام عن التراب وتعلق بأكتاف الغمام والسحاب وبين الجبلين بحر عجاج حائل بين هذين الجبلين وهو عميق وله موج يذهل الناظر إليه فطلع إلى الجبل الأحمر وهو الذى على يساره لكون الجبل الثانى لا يمكنه الوصول إليه بسبب ذلك البحر الذى بينه وبينه فلما صار فى الجبل لقى حصنا من الحجر الرخام وفى وسطه عمود طوله عشرون ذراعاً عليه أسماء وطلاسم ونظر إلى الجبل الثانى فرأى عليه قصراً عالياً فى وسط الجبل عمود مثل الذى فى الحصن والعمودان من بعضهما متقاربان وبالكتابة مرسومان فتعجب الملك سيف غاية العجب وسار فى الجبل الذى عليه الراية حتي

وصل إلى الحصن فلما قاربه أقبل على باب الحصن ونادى يا أهل الحى وياسكنين ذلك الحصن عليكم السلام فسمع قائلا يقول أهلا وسهلا بمن آنس هذه الديار وأوحش أرضه والأقطار الملك سيف بن ذى يزن صاحب الممالك والدول وانفتح له الباب وخرج منه شخص طويل القامة مليح الطلعة وعي وجهه آثار العبادة فلما أقبل علي الملك سيف ناداه بالسلام فرد عليه الملك سيف بالتحية والاكرام وقال له يا هذا من أعلمك باسمى وما أنا رأيتك إلا فى وقتنا هذا فقال له الشيخ ياسيدى أنا محكوم وبقضاء حاجتك ملزوم ولى مدة إحدى وعشرين عاماً فى هذا المكان ومنتظر قدومك يا ملك الزمان حتي أقضى لك حاجتك وأبلغك أمنياتك ولكن حتى أصافى لك ودادى وتأكل معى من زادى فادخل معى إلى هذا المكان حتى تستريح من ألم السفر وكرب الدوران فسار معه الملك سيف حتي بقى داخل الحصن فوجده بدعة لأنه حجر أملس ناعم كأنه الحرير وبين الحجر والحجر إذا أراد أحد ان يسمر الأبرة بينهما لا يمكن فوتها وأبراج وأزقات معقودة صناعة حكماء الزمان فتعجب الملك سيف من ذلك الحصن ومن بنائه فدخلوا إلى مجلس لطيف مفروش بجلد السمور وفى صدره سرير من البلور وفرش من العهن والقطن الأبيض المنسوج فطلع الملك سيف ويده فى يد صاحب المكان لما جلسوا صفق ذلك الشيخ بيده على يد وإذا بكراسى وضعت والأوانى اصطفت ولم ير الملك سيف أحد ينقلها فعلم ان هذا الرجل من أهل الكهانة فالتفت له ذلك الشيخ وقال تفضل ياسيدى جابرنى فى أكل الزاد حتى تتصل المحبة بيننا والوداد وتأكل ما تسد به رمق الفؤاد فقال هل الملك سيف يا هذا أنا لا أقدر أن آكل طعاما مجهولا فان كان قصدك آن آكل معك الزاد ويتصافى بيننا والحب والوداد فأنا أولا أسألك عن الذين وضعوا لك هذا الطعام أو وثانيا أسألك عن سبب اقامتك فى انتظارى مدة سنين وأعوام فقال له الشيخ نعم والله إحدى وعشرون عاما

وكان قبلى حكيم مقيم يرصدك مدة أعوام وتولى عليه الموت وشرب كأس الحمام وأنا التزمت بهذا المقام لأن لنا ملوك تأمر علينا وتنهى وحكام والزمونى أن أتولى هذه الاحكام فقال له الملك سيف ولا شىء ترصدنى ألك عندى ديون تستوفيها ام اثارات تقاصصنى عليها فقال الشيخ يا ملك الزمان أن الملك حام بن نبى الله نوح عليه السلام كان يملك ذخائر مدة حياته وأوصى لك بها من بعد مماته وذلك مما بان له فى الرمل وقد وضع الذخائر فى ذلك المكان وجعل ابى عليها وكيلاً وأنا ورثت التوكيل من بعد أبى برسوم الاقلام وقعدت أنا هذه المدة إلى أن آن الاوان وأتيت إلى ذلك المكان فقال الملك سيف هذا القول الذى تقوله تتحير فيه الأفهام كيف تقول ان حام وكل أبوك وانت ورثت التوكيل فهل ترى ابوك نظر حام فقال لا يا سيدى انا عن أبى وابى عن جدى وهكذا جيلاً بعد جيل واما انا فما خدمتك إلا قليل.

فقال الملك سيف وانت ما اسمك بين الحكماء الاطايب فقال ياملك اسمى اخميم الطالب واكون انا وانت احباب ونسايب فقال الملك السيف وإيش تكون هذه الذخائر التى تذكرها فقال له يا سيدى وانا والله ما رأيتها ولا لى مقدرة امسكها فان كل شىء له صاحب وانت صاحبها ولا احد يقدر غيرك ان يعتدى عليها ولا يأخذها وبعد ان تمضى الليلة هذه ويأتينا الصباح يكون الذى يفعله الملك الفتاح وباتوا تلك الليلة وهم فى عبادة وتضرع للملك الجواد حق مضى الليل باجنحة السواد واقبل النهار بضيائه فقال الحكيم إخميم قم يا ملك سيف فان الملك حام جاعل لك فى هذا المكان اعلام فسر معى حتى ينقطع الشك باليقين ونطلب الاعانة من رب العالمين فسار معه الملك سيف حتى وصلوا إلى برج العمود الذى فى الحصن وقال له انظر إلى ذلك العمود فان أول أمارة فيك أنك تطلع إلى آخر ذلك العمود فقال الملك سيف يا حكيم أنا لم يصعب على الصعود لأنى

أرى درجات خارجة منه وحلقات لو أردت أن أضع يدى علي الدرجة واطلع إلى الثانية وأمسك فى هذه الحلقات لفعلت فقال له الحكيم صدقت وإن غيرك لم ير ذلك لأن الأرصاد لا تكشف هذه إلا لك من دون غيرك فاصعد كما قلت والله تعالى يأخذ بيدك فعند ذلك صعد الملك سيف حتى بقى فوق ذلك العمود فقال له الحكيم إخميم إيش رأيت فوق العمود فقال له رأيت بطرفى الحجر قدمين بجانب بعضهما مثل ما يوثر فى الرمل اقدام بنى آدم فقال له ضع أقدامك فيهم وقف وانظر إلى الحبل الذى قبالك فى البر الثانى فوقف وقال يا حكيم اننى أرى قدامى عموداً مثل ذلك العمود المنقوش عليه قدمان مثل هذين القدمين فنط الحكيم فى جنب الملك سيف ونظر الى قدميه وتبسم وقال له أنت صاحب العلامات وأنت الملك سيف بن ذى يزن بن تبع اليمانى ابن الملك أسد البيدا بن الملك سام أخو الملك حام وجدك نوح عليه السلام وهذه النسبة لم تكن لأحد سواك وأنت صاحب هذه الذخائر الموضوعة فى هذا المكان فهناك الله بما أعطاك فقال الملك سيف يا حكيم وإيش الحكمة فى ذلك فقال له انزل الليلة وعند الصباح ترى يكون إن شاء الله الكريم الفتاح وعاد إلى مكان إخميم وزاد للملك سيف فى الإكرام والتعظيم وباتوا ليلتهم ولما كان آخر الليل قال الحكيم قم يا ملك سيف واصعد إلى العمود فاذا طلعت الشمس فاصعد أنت فوق العمود وضع رجليك فى وسط القدمين كما فعلت فى اليوم الماضى ثم قوى همتك ونط علي العمود بكلتيك حتي تصل إلى العمود الثانى فتنزل بأقدامك فى قدمين مثل هذين القدمين فضع أقدامك فيها فقال الملك سيف يا حكيم إخميم ومن الذى يقدر علي المسافة أن يتعداها وهى مقدار ثلثمائة خطوة فلا شك أن كلامك هذا غير نصيحة ولا شك اننى أقع فى البحر وأغرق فيه فقال الحكيم لا يا سيدى وإنما يلزمك الاجتهاد لأنك تساعدك الارصاد حتى تبلغ المراد ولكن إياك أن تتوانى على

نفسك فقال الملك سيف الأمر بيد الله تعالي وأنا أعلم من نفسى إذا وضعتنى فى منجنيق وحذقتنى إلى جهة ذلك العمود من غير تعويق فما اصل الى ذلك العمود حقيق بل واقع فى ذلك البحر وأموت غريق واعدم السعادة والتوفيق فأنا لا أفعل ذلك ابداً ولا أقدم على الهلاك والردى وإن كان صاحب هذه الذخائر يعطيها لى حتى يغرقنى فى هذا البحر وأموت غريق فما لى فى هذه الذخائر حاجة فلا تكثر على اللجاجة فلما اعلم اخميم الطالب أن الملك سيف آيس من تلك الذخائر فان شرب كأس الحمام رق له فى الكلام لأنه ضجر من طول المقام وقال له لا تخف ولا تحزن أيها الملك الهمام ولا ينالك من ذلك مشقة ولا آلام فان الأرصاد هم الذين يرفعوك وإلى رأس العمود الثانى يوصلوك ولا ينالك من تعب ولا نصب وحق من فى علم غيبة قد احتجب فقال الملك سيف أسلمت أمرى لله الذى أنشأ الشتاء والصيف وطلع الملك سيف حتى بقى فوق العمود فتوسوس قلبه وقال أنا أعلم أن هذا من الجن وأنا من الانس وإيش الذى يلجىء الجنى حتى يدلنى على ذخائر وما هذا إلا أن العمود من الرصاص أوفيه سم وإذا طلعت الشمس يذوب الرصاص أو يسيح لاسم فأهلك ثم إنه نزل فقال له إخميم لأى شىء نزلت يا ملك فقال له يا أخى أنا غريب ومالى فى هذه الأرض لا صاحب ولا قريب وقد خطر لى خاطر وأريد أن أسألك عنه فقال اخميم أنت إيش تعتقد من الأديان هل أنت على الكفر أم على الإيمان فقال له اعلم أنى عبد الملك الديان خالق الانس والجان وأنا علي ملة ابراهيم عليه السلام فقال له إخميم اترك ما خطر ببالك من الكلام وتوكل علي الملك العلام فأنا نصحتك والسلام فأرنا قلب الملك سيف وزال عنه الوجل والخوف وطلع صاعدا إلى لعمود وتوكل على الملك المعبود ولما وضع رجليه في الاقدام التي فى وسط العمود قوى عزمه ونط كما أمره إخميم الطالب فما وجد نفسه إلا واقفاً على العمود الثانى ورجليه محكمة القدمين الذين مثل

الأولين وقدامه منقاسين عليها بالسوية فلما رأى نفسه الملك سيف بتلك القضية خر ساجداً شاكراً لرب البرية والتفت عن يمينه فوجد اخميم الطالب واقف بجنبه كأنه قرينه فقال له إيش رأيت يا إخميم قال يا ولدى أنت الذى دلت عليك أرباب العلوم والأقلام وأنت صاحب الودائع والنعم وأما أنا يا ولدى فخدم لكل من حكم فانزل يا ولدى وفقك الله لما تريد فأنت والله موفق وسعيد فنزل الملك سيف من على العمود فقال له اخميم امش الي هذا القصر الذى قدامك واطرق بابه فاذا سمعت القائل يقول من بالباب تقول لهم أنا سيف بن الملك ذى يزن تبع اليمانى ابن الملك أسد البيد ابن الملك سام أخو الملك حام وجدى نوح عليه السلام فاذا سمعوا منك ذلك النسب يفتحون لك الباب فادخل ولا تخف من شىء وأنت تكرر فى بسم الله الرحمن الرحيم وتقرأ شيئاً من صحف الخليل ابراهيم وادخل إلى وسط القصر والتفت عن يمينك فانك تجد سريراً من الحديد الصينى المصفى الذى لا يعت ولا يذوب لأنه مرسوم بالحكمة فاذا رأيته اقصد اليه فاذا بقيت قدامه ارفع الستائر التى على السرير فإنك تجد آدميا ميتاً ونائماً على ظهره ووجهه مقابل سقف المكان وعلي وجهه سبع لثامات فاترك وجهه ولا تقربه وتأمل إلى يديه اليمين موضوعة على صدره ويده اليسرى ممدودة إلى جانبه وهو طويل على طول السرير فقف على يمينه وقل له يا ملك أنت الذى تجاوزت عن ذخيرتك بعد انتقالك من دار الفناء إلى دار البقاء وقد استخارك مولاك وتركت الدنيا فان كانت نفسك سمحت بما وعدتنى فأعطينى الذخيرة فانه إذا سمع منك ذلك الكلام بيقين رفع ذراعه اليمين فاذا فعل ذلك فانتقل إلى الجانب الآخر وقل له يا ملك أنت كنت فى دار الدنيا سمحت لى بالذخيرة وأنت فى دار الباطل فانجز وعدك وأنت فى دار الحق ولا تبخل بها فانى أستعين بها علي الجهاد فى رضا رب العباد وأنت تحظى من الله بالاجر والثواب فى يوم الدكة والحساب يوم العرض على الله

والتعدية على الصراط المستقيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فانه يرفع يده الثانية بذراعه اليسار فإذا بقى ذراعاه مرفوعين انظر الي صدره تجد لوحا من الذهب الاحمر وله سلسلة من الفضة فى عنق ذلك الملك فاخرج السلسلة وفك كلابها وخلصها من تحت رقبته وارفع اللوح من على صدره وقل له جزاك الله الجنة واخرج من قدامه سريعا ولا تفعل شيئا خلاف ما قلت لك ثم تقدم عندى حتى أعلمك ما تفعل بذلك اللوح فلما سمع الملك سيف هذا الكلام قال له يا عمى ومن هو هذا الميت فقال له هذا سام بن نوح عليه السلام فسار الملك سيف حتى وصل إلى باب القصر وطرق الباب ثلاث مرات واذا به يسمع القائل يقول من الطارق فقال أنا سيف بن الملك ذى يزن بن الملك التبعى اليمانى ابن الملك أسد البيداء ابن الملك سام أخو الملك حام وجدى نوح عليه السلام فقال له الخادم أنت ظهرت يا ملك اليمن فقال نعم فقال أهلا وسهلا ادخل يا سيدى وأرحنا من هذه المحن وفتح الباب فدخل سيف حتى وصل الى السرير وفعل كما علمه اخميم حتى ارتفعت يد الميت وأخذ اللوح وعاد راجعا فالتقاه اخميم الطالب وقال له ما الذى فعلت فقال له فعلت كما أمرتنى وها هو اللوح أخذته كما علمتنى فقال اخميم أرنى اللوح حتى أنظره فقال الملك سيف لأى شيء تأخذه ربما تكون ضامر الى على الغدر فقال إخميم لا وحق الاله العظيم الذى هو بكل شيء عليم فانى لم أقدر لك على غدر ولا تحسب مثلى أن يكون غدارا فناوله الملك سيف اللوح فأخذه من يده فما أخذه حتى وقع اخميم مغشيا عليه وما بقى فيه حاجة تخفق ولا لسان ينطق فاندهش الملك سيف وتحير وخاف أن اللوح يأخذوه الخدام ثانيا فمد يده فأخذه فافاق اخميم الطالب وقال لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله فقال له الملك سيف لأى شيء جرى عليك ذلك فقال يا ولدى هذه الأسماء التى هى مكتوبة على ذلك اللوح لم يطقها أحد من الجان وأنت لولا أخذته من

يدى لكانت الأسماء أشعلت النار فى جسدى وأنا كنت هالكا محالة ولكن ضع اللوح هنا قدامى وعود ثانى مرة إلى القصر فان الملك سام منتظر عودتك تجد يده اليمنى ارتخت على صدره واليسرى مرفوعة لم يضعها مكانها فارفع طرف الفرش الذى تحت جانبه الأيسر تجد حساما فى جرابه موضوع تحت حد الفرش فقل له يا ملك عن إذنك آخذ السيف وأجاهد به فى سبيل الله ولك الثواب من الله فان لم يرخ ذراعه فارفع السيف وتقلد به وعد إلى بسلام ولا تفعل شيء خلاف ذلك وإن خالفتنى فانت هالك فقال الملك سيف سمعا وطاعة ودخل القصر ثانيا فالتقى يد الميت اليمنى نزلت على صدره والذراع اليسار مرفوع على حالة فتقدم إليه كما أمره إخميم الطالب وشال الفرش من تحت جنب الميت وأخذ السيف وتقلد به ونظر إلى جفيره وإذا هو أكلته الأرض وعلاه الصدف فقال فى نفسه هذا الجفير عادم وأنا آخذ السيف وأرمى جفيره فافتض السيف من غمده وهزه حتى دب الموت من فرنده وأراد أن يرمى الجفير وإذا بالصدأ الذى عليه وقع إلى الأرض وانكشف ذلك الجفير وإذا به ذهب احمر كأنه مصوغ فى هذه الساعة ففرح الملك سيف ورد السيف فى الجفير كما كان فتصايحت الخدام التي فى ذلك المكان وقالوا يا ملك لا تجرده بعد ذلك هنا فانه يحرقنا بالطلاسم التي عليه خذه واطلع بارك الله لك فيه فعرف الملك سيف أن حامل هذا الحسام ما يقدرون عليه فوضع يده على قبضة الحسام وإذا به قدره يده لا تزيد ولا تنقص وهو ملء كفه بالسواء ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأراد الخروج من ذلك المكان فوسوس له الشيطان وقال فى نفسه هل ترى ذلك الميت فيه روح يتحرك بها حتى أنه رفع يديه لك حتى أخذت اللوح وثانيا أخذت هذا الحسام ولكن لو كان فيه روح كان يقدر علي الكلام وإن كان ما فيه روح كان بلى لحمى وعظمه وأنا أرى أن بدنه موجود بالتمام ولابد ما أرفع عن وجهه اللثام وانظر هل هو

حل بالصحة والسلام وانما لسانه فقط معجوم عن الكلام أو يكون مات من سنين وأعوام وما بقى منه إلى مراود العظام وتحركاته هذه من جملة الكهانة وعلوم الاقلام وثانيا إذا قلت لأحد ممن اجتمع عليه مثل عطمطم وسعدون وأفراح وغيرهم من الأصحاب أنا وصلت إلى قصر سام ابن نوح وأخذت منه سيف ولوح ربما قال لى أحد هل أنت سرقتهم أو أعطاهم هو لك فان قلت سرقتهم كذبت وإن قلت هو أعطانى يقول الناس إن سام مات من مدة أعوام فانا لا أخرج حتى أنظر وجهه إن كان حيا أو ميتا ثم أنه عاد حتى دخل إلى السرير وكان قد تقلد بالسيف وكان تقلده به سببا لنجاته وتقدم ورفع اللثام الأول والثانى ورفع الثالث فحصل له هيبة فتجلد حتى رفع كامل الأستار وكل لثام وأراد أن يتأمل فى وجه بن نبى الله سام ففتح عينيه شاهقا ونظر الى سيف بعين كأنها الدم الأحمر ونفخ فخرج من فيه شرار ونار وقائل يقول يا قليل الأدب يا أخس العرب بلغ من قدرتك أن تكشف وجه أولاد الأنبياء فى هذا المكان من بعد ما والوك بالجميل والاحسان وتتابعت الصرخات والزعقات وهاج القصر من كل الجهات وخيل للملك سيف أن الأرض انخسفت ووقعت فوقها السماء وقامت عليه الخدام وهدروا كما تهدر أسد الآجام وصار لا يقدر على وقوف ولا قيام ولا قعود ولا ينطق بكلام ولولا أنه متقلد بذلك الحسام لكانوا خدام القصر سقوه كاس الحمام وزاد الصراخ ونما وجروه خدام القصر والحمى ورموه من خارج القصر وهو مغشى عليه فبقى فى غشيته إلى ثانى يوم فى الميعاد الذى دخل فيه فأفاق من غشوته وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله وقعد علي باب القصر فالتقى إخميم الطالب جالس على رأسه وهو فى غشوته يتأسف ويعض علي أصبعه ونظره إخميم لما أفاق وقال له يا ملك سيف أنت كشفت وجه الميت فقال له نعم فقال إخميم أنا نهيتك عن ذلك وحذرتك عن وقوعك فى هذه المهالك وأنا ما تركتك علي غفلتك

ونبهتك وأنت الذى أهلكت نفسك ووقعت بعقلك وتبعت جهلك وأنا وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو كان لى عليك قدرة لأسقيتك كأس الحمام ولكن خليك فى مكانك حتى تموت كمد الم يدر بموتك أحد فإنى نصحتك وما بقى لى خطيئة فى رقبتى ومنى عليك السلام فانى رايح لحالى فقد انقضت أشغالى فقال الملك سيف يا والدى كيف أهون عليك تروح وتفوتنى فى ذلك المكان اصبر لما أعود إلى الحصن الأول فقال له إخميم ياولدى أنا مالى تصرف فى شيء وإنما أنا خدام الخدام ماله أن يتعرض للحكام وأنا استعد لنفسى واركب فان أنت وصلت الى الحصن سالما نجيت وصفق إخميم علي الطالب بيده فطلع قدامه زير من النحاس فركبه وضربه بالسوط فارتفع به فقال الملك سيف اصبر يا عمى لما أجيك فقال له من أين تجيء ما يمكنك الوصول وإنما اطلع على العمود ونط علي العمود الثانى حكم ما فعلت فى الأول فانك ما بقى لك همة أن تنط ولا بقى لك من هذا المكان خلاص فقال له الملك سيف أقسمت عليك بحق السيد سليمان وبحق مانقش علي خاتمه من الأسماء العظام أن تقف مكانك حتى أجرب روحى فان قدرت كان وإلا فافعل ما تشاء فوقف فلما سمع منه ذلك اليمين فصعد الملك سيف حتى صار فوق العمود وانحذف ووضع قدميه مكانهما وأراد أن يجذب نفسه فرأى روحه ثقيلا وارتعدت فرائصه فقال له إخميم يا ولدى لا تتعب نفسك واصبر علي القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر وتركه وسار فى الهواء وبعد قليل غاب عن عينى الملك سيف ونظر الملك سيف نفسه أنه بقى وحيدا فريدا علي العمود وما عنده أحد فبكى وأن واشتكى وتذكر تقلبات الزمان وما تحدث به الليالى من الحرمان فقال أبياتاً حسان تناسب بما هو فيه من الذل والهوان فأنشد يقول صلوا على طه النبى الرسول .

* * *

وعد الإله على الخلائق جارى ... ومنفذ فى السر والإجهار
أنشا الخلائق من بدائع صنعه ... فتبارك الله العزيز البارى
الله يعلم أننى من خلقه ... لا أستطيع تحمل الأضرار
جار الزمان على حتى أننى ... لم ألق من بين الورى أنصار
ولقد بليت بغربة وبكربة ... والله ربى وبى عالم الاسرار
إن شاء أنقذنى وفرج كربتى ... فيبدل الاعسار بالايسار
يا من عوائده الجميل بفضله ... وبجوده يعفو عن الأوزار
كيف السبيل ولم أجد لى راحما ... مما بليت به ودمعى جارى
يا قادراً يا قاهراً يا غافراً ... يا صاحب العظمات والأقدار
أدعوك مطرا فأنت وسيلتى ... كذا مجير لى ونعم الجارى

* * *

(قال الراوى) ثم ان الملك سيف نزل من على العمود وقام وهو غائب عن الوجود بات تلك الليلة وجعل ذكر الله وسيلة حتى مضى الليلة وطلع النهار وانتبه من منامه فلقى قدامه قدحا من الزجاج ملآن من عسل النحل وهو صافى اللون وبجانبه قرصان من خبز الحنطة وقلة ملآنة بالماء فتعجب الملك سيف من ذلك الحال وكان أصبح جوعان فأكل بعد ما سمى بسم الله تعالى وبعد ما أكل وشرب وهو متفكر فى الذى أتاه بذلك الطعام وأقام ذلك اليوم إلى آخر النهار وبات بجانب العمود وأصبح فلقى العسل النحل والخبز والماء فأكل رغيفا وآخر النهار أكل الثانى وبات ثالث يوم ولم يزل هكذا مدة ثلاثة أشهر فضاقت حضيرته وتوسخت ثيابه وبدنه وطال شعر رأسه وأظافره فلما طال عليه الحال قال إن هذه عيشة غبن والأكل من طعام واحد سبب سقم المعدة وأنا لابد لى أن أطلع إلى هذا العمود واحذف نفسى من عليه فإما أن أصل العمود الثانى وأعود من حيث أتيت وأصل إلى الأرض فاكون قد عديت أو أقع فى البحر وأموت غريقا فى الماء واريح نفسى

من هذا العناء وهذا شىء ما منه نفاذ وإن كان أجلى باقيا فلابد لى من النجاة وإن كان الأجل مضى فلا اعتراض على حكم الله ثم إن الملك سيف قام من وقته وساعته وسار إلى العمود وقال سلمت أمرى للملك المعبود ووقف فى محل الاقدام وجذب نفسه بشدة واهتمام فلم يشعر إلا وهو فى قلب الماء فأراد أن يعوم فلم يقدر لثقل ثيابه فقلعها من على جثته ولم يبق عليه غير السروال والعمامة والسيف معلق فى رقبته ولو جاء فى فكره لرماه ولكن ما تفكر فيه ولم يجىء فى باله لأنه من كرب البحر صار فى اشتغال وكان ذا تيار عظيم ثقيل فبقى الملك سيف محدوفا فى الماء كأنه حجر المنجنيق فصار يعوم تارة علي يديه وتارة على رجليه وتارة علي بطنه وكلما أراد أن يميل إلى بر لم يمكنه من شدة جرى الماء وإذا وصل بعد جهد جهيد يجد البر حجرا ناعما ولا يجد محلا يمسك فيه أو يطلع عليه فضاقت حضيرته وذهبت قوته وتعبت مهجته وكادت تخرج روحه من جثته وهو مع ذلك يرمق بطرفه الى مكان يلتجىء إليه فلا يجد وأشرف على الموت فرفع طرفه إلى السماء وتوسل بعظيم العظماء وقال اللهم إن كنت جعلت وفاتى فى هذا المكان أسألك وأتوسل اليك بحق دين الإسلام والإيمان أن تقبضنى بلا مشقة ولا عناء وإن كان فى أجلى تأخير فأسرع بتفريج كربتى إنك علي كل شىء قدير فما تم دعواه وتضرعه إلى مولاه إلا وجبل قد اعترضه ودفعه تيار الماء حتى أوصله إليه ووجد طاقة فى جدار ذلك الجبل والماء داخل منها وله هدير مثل هدير الرعد القاصف وتلك المياه الجارية كلها داخلة من الطاقة ولم يكن لها منفذ غيرها فأراد الملك سيف أن يتأخر فجذبه الماء والتيار قهرا عنه وادخله فى تلك الطاقة فيئس من نفسه قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ومد يده إلى سقف المكان فرآه حجر صوان املس وهو مساوى الماء ولم يجد احد فيه منفسا فسار التيار يجذبه حتى بقى سقف المكان عاليا فشرب نفسه منه وحمد

الله تعالى وجذبه غصباً عنه ولم يقدر على الخلاص منه مطلقاً وطال به المطال مقدار يوم كامل وليلة كاملة وهو لا يعلم إن كان فى ليل أو نهار ولم يعلم أين هو سائر فى ذلك الجرار والملك سيف يتضرع إلى الله الواحد القهار وثقل عليه الماء وغطسه مراراً عديدة وأشرف على تلف مهجته وبعد ذلك نظر على بعد إلى طاقة مثل خرم الإبرة والماء سائر به إلى جهتها وكلما قرب يقرب عليه سقف المكان فأراه ان يحوش نفسه خوفاً من الغرق فلم يمكنه ذلك لقوة الماء وما زال كذلك حتى أنه غطس فى الماء غصباً ودفعه الماء دفعاً حتى أخرجه من تلك الطاقة مغشياً عليه فكان خروجه إلى مكان وعر وهو أحجار وصخور فصارت المياه تقذفه والأحجار تسلخه حتى أن التيار حذفه على وجهه وجذبه اليه ووضعه على البر كأنه من الأخشاب فأفاق على نفسه فوجد نفسه فى واد متسع وكله أشجار وفواكه وشجر مشمش كبيرة وهو مشبوك فى فروعها فكانت سبب نجاته من المياه فزحف وهو متعلق بفروعها حتى صار فى أعلاها وعلم بنفسه أنه تخلص من تلك المياه فخر ساجداً لله تعالى لأنه نجاه وصحا من غشوته وكان جائعاً ولقى فى هذه الشجرة مشمشا الواحدة قدر الرمانة فصار يأكل حتى اكتفى وبعد ذلك نزل من فوق الشجرة جهة البر على أرض حجر وقلع خلقانه وهى السروال والعمامة فقط لأنه ما معه غيرهما فنشفهما فى الشمس ولبس السروال وستر بعمامته جسده وشى فى ذلك الوادى وما زال حتى وصل الى آخره فلقى مدينة كأنها الحمامة البيضاء فقال الحمد لله الذى أوصلنى إلى العمار وما زال سائراً حتى وصل إلى باب المدينة فرآه مغلقاً فتقدم للباب فسمع صياحاً وقائلاً يقول افتحوا البلد واطلعوا اليه ولا تعودوا إلا به فانه غريمنا وجاءت به المياه إلى أرضنا فلابد ان نسقيه كأس الفنا فلما سمع الملك سيف قال والله ما مطلوبهم إلا أنا وعاد ثانيا على عقبه حتى وصل إلى الشجرة وجلس فوقها وتستر بفروعها وبينما هو

كذلك وإذا بباب المدينة انفتح وطلع رجل طويل القامة راكب على جواد من الخيل الجياد وصحبته أربعمائة فارس من كل مدرع ولابس فسار قدامهم وهم خلفه سائرون حتى صاروا أقدام تلك الشجرة ونصبوا له سرادقاً كبيراً وقال للعسكر انصبوا خيامكم حتى ننظر غريمنا فنصبوا الخيام واركزوا الأعلام ونصبوا لمقدم العسكر سريراً فى صيوانه من خشب العرعر وهو بصفائح الذهب وفرشوا فيه فرشاً مفتخراً فجلس ذلك المقدم على ذلك السرير وقال للعساكر فتشوا فى الوادى عليه فساروا يفتشون طول النهار وعادوا وقالوا لم نجد أحدا فقال لهم هذا لا يكون فان أبى لا يضرب رملا إلا على الصحيح ولا يخطىء رمله ولا يكذب ولا يفسد ولا يخيب قط فان كنتم رأيتموه فاتونى به وإن لم تجدوه فلابد أن يأتى سريعا وتعاينوه فقالوا له نحن ما وجدناه وحياة رأسك فقال اتركوه وهو يأتى على مهله فانه لم يبق له خلاص من ههنا ولا مناص وإنما أحضروا لى الطعام فقالوا له سمعاً وطاعة ثم انهم أسرعوا فى الحال وقدموا له سماطاً من جميع الأطعمة والحلوات والفواكه وله روائح كأنها الملك الاذفر وقعد ذلك المقدم ليأكل من ذلك الطعام واحتاطت به الغلمان الخدام وكان الملك سيف قاعدا فوق الشجرة كما ذكرنا ومستتراً بفروعها فخرجت عليه رائحة الطعام مع ما هو فيه من الجوع والألم فكاد عقله أن يعدم وكان قد مضى عليه مدة ايام ما أكل إلا فى المشمش فما زاد إلا جوعا على جوعه الأصلى لأن الفواكه ما تقنع الجوف مثل اللحم والخبز ولما هبَّت رائحة الطعام عليه اراد أن يصيح على الناس ويسألهم أن يعطوه ولكن رجع على نفسه خوفاً منهم أن يقتلوه ورأى الناس بكثرة وما معه عدة يمانع بها عن نفسه إذا هم طلبوه وقال فى نفسه إذا كان هؤلاء القوم أنا رأيتهم يدورون على فكيف اظهر نفسى لهم وإذا رأونى يقتلونى ثم إنه صبر وقد أعياه الجوع ولم يزل صابرا حتى أكلوا ذلك الطعام وشربوا وانشال السماط وناموا جميعا وكان

هذا وقت الظهرفلما كان وقت العصر قام ذلك المقدام من المدام وجلس بين غلمانه والخدام وطلب الطعام فأتوا به بين يديه ووضعوا قدام مقدمهم وداروا حواليه وأرادوا أن يأكلوا فقال المقدم عليهم لا يأكل أحد منكم حتى تدوروا على غريمنا وتقبضوه ويرتاح سرنا فقالوا سمعا وطاعة وأقاموا جميعا وتفرقوا يمينا ويسارا يفتشون فى البرارى والقفار وأما الملك سيف فانه لما دخلت رائحة الطعام فى أنفه ولم يقدر أن يصبر علي قلة الطعام فقال أسلمت أمرى لله الملك العلام عساه أن يرزقنى المنام وانكفأ على الشجرة التى هو فوقها فادركه النوم جل من لا ينام والفرسان قد فتشوا الوادى يمينا ويسارا وعادوا بلا فائدة إلى كبيرهم وقالوا له ما رأينا فى الوادى أحد لا أبيض ولا أسود فقال لهم هاقدموا الطعام فاكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم وناموا إلى الصباح فانتبه كبيرهم ونبه جميع الرجال وقال لهم فتشوا الوادى وانظرواعسى أن تقفوا بالغريم فساروا يفتشون فوق ساعة وعادوا اليه خائبين فقال لهم هاتوا الطعام فاحضروه بين يديه فنزل ذلك المقدام من على الكرسى وجلس علي الطعام وأمرهم جميعا أن يجلسوا بحسن اهتمام وكان الملك سيف قام من نومه عند الصباح ومد بصره إلى الناس جالسين والطعام بين أيديهم موضوع فاشتغل قلبه من شدة الجوع وكان من جملة الطعام شراب التفاح وله رائحة تسلب الأرواح فتعلق قلب الملك سيف بتلك الأسباب وقال إن الانتظار إلى الطعام وعدم الأكل منه ما هو الا أشد العذاب وهو أمر من ضرب الرقاب وأنا أعلم يقينا ما يزيد الأجل إذا كان العمر فرغ والخوف ما ينجى الإنسان من شرب الموت والجزع وأنا لابد لى أن أنزل إلى هؤلاء القوم وأطلب منهم أن يطعمونى وان أرادوا قتلى مانعت عن نفسى حتى يسكنونى رمسى وأنا أعلم أن هؤلاء اربعمائة انسان وأنا اذا كنت راكبا علي ظهر الحصان ويكون بالأكل جوفى شبعان أفنيهم بالسيف والسنان ولم أبق منهم انسان وانما الصحيح

انهم يفترسونى مادمت جوعان فان أعضائى ما لها همة للحرب والطعان ولا معى عدة كنت أحارب بها وألتقى العدا فى هذا المكان ولكن الأمر فى ذلك لله العزيز الديان وأنا أنزل أعرفهم بنفسى وقبل ما أفعل شيئا آكل غصبا من هذا الطعام وأشبع جوفى عيان حتى اذا قتلونى بعد الاكل أموت شبعان ولا أموت جوعان ثم ان الملك سيف صاح بملء رأسه وقال يا أهل هذه البلاد ومن هم محتاطون بهذا الطعام والزاد اعلموا أنى رجل غريب عن ديارى وعن الاوطان وبعيد عن أهلى والاخوان ومفارق للاحباب والجيران ولا لى هنا رفيق ولا صديق الا الله تعالى وهو الملك الديان وأنا لى مدة أيام وأنا قاعد علي تلك الشجرة عريان وجوعان وبردان وأريد منكم أن تطعمونى من زادكم الذى بين أيديكم فلما سمع الناس ذلك النداء تركوا الزاد وقاموا يتجارون حتى وصلوا إلى الشجرة وقالوا انزل وسلم نفسك الينا حتى نوصلك إلى مقدمنا وانت سالم الا أن بقيت على الشجرة وقطعناها إلى حد جدارها وبعد ذلك نقطعك بكل سيف معنا وان سلمت نفسك اخذناك الى مقدمنا فقال الملك سيف فى نفسه انا الذى عرفتهم طريق مكانى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال لهم يا قوم قفوا فى اماكنكم وانا انزل لكم واصنعوا بى ما شئتم فإن اردتم فاقتلونى والا فعند كبيركم قدمونى فقالوا انزل فها نحن واقفون فعند ذلك نزل الملك سيف من فوق شجرة فتقدموا إليه وقبضوه وداروا حواليه وساروا به إلى بين يدى كبيرهم وقدموه وقالوا له انظر هل هذا هو الغريم الذى أنت طالبه الذى اتعبتنا من أجله وقصدك ان تجازيه فإن كان هو فدونك واياه فلما سمع كلامهم قام على حيله ونظر الى الملك سيف وسار يتميز فى رؤيته ساعة زمنية ثم قال له أنت من أى البلاد ومن تكون عربك وحسبك ونسبك اعلمنى بصدق والا علوت رأسك بهذا الحسام فقال له سيف يا فتى أنا رجل غريب وجار عليَّ الزمان بالشقاء والتعذيب وأنت باهذا اراك عاقلا لبيبا والزاد بين يديك

موضوع وأنا اهلكنى الجوع فانعم لى اولا بالاكل من هذا الزاد حتى اسد به رمق الفؤاد وبعد ذلك اسألنى عن كل ما تريد وأنا بين يديك ما بقى لى محيد واعلم يا مقدام ان الطعام يكون قبل الكلام فقال له صدقت يا ابن الكرام دونك وما تزيد من أكل الطعام فتقدم الملك سيف إلى الزاد وقعد على ركبتيه ومد إلى الزاد ساعد يد وجعل يأكل أكل من أيس من دنياه ويقول فى نفسه هذه لقمة من ودع الحياة وتقدمت إلى الموت رجلاه وما دام يأكل حتى اكتفى وبعد ذلك أكل جميع الحاضرين وانشالت آنية الطعام وقدموا الشراب والمدام فشرب معهم باهتمام وغسلت الايدى وابتدأوا الكلام فقال ذلك الفارس للملك سيف ها أنت أكلت فأخبرنا من تكون وما أنت فيه وما سبب مجيئك الى هذا المكان فقال الملك سيف يا هذا أنا رجل تاجر آخذ المتاجر من البلاد وأبيع فى بلاد وأطلب المعاش والمكسب وهذه عادتى فى كل بر وسبب وفى هذا العام بعت لى متجر قماش ونزلت فى مركب مع بعض التجار وقد سافرنا مدة أيام على وجه البحار وبعد مضى سبعة عشر يوما هاج البحر علينا واختلفت الرياح وهاج البحر وماج وتلاطمت الامواج وأرغى البحر وأزبد وعليه الشر قد انعقد واقام علي ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ضللنا عن الطريق ولا نعلم أين نحن سائرون حتى هدأ البحر وسكن هياجه وبطلت أمواجه فقلت أنا للريس انظر نحن فى أى مكان وطمنا على نفوسنا فطلع الريس فوق الصارى وتأمل يمينا ويسارا وبكى وأن واشتكى فقلت له ياريس إيش الخبر فقال ودعوا بعضكم بعض فإنه ما بقى لكم خلاص من تلك الأرض قلت له وكيف ذلك فقال لى مركبنا قد أقبلت على جبل يقال له جبل المغناطيس ولابد للمركب من الغرق لأن الجبل يجذبه إليه ويقلع مسامير من الأخشاب وهذه تكون للغرق أسباب فوعوا بعضكم فان سلمتم فيكون لطول عمركم وإن غرقتم فيكون هذا أجلكم والله تعالى يرحمنى ويرحمكم فما تم كلامه إلا والمركب قد انجذبت إلى ذلك

الجبل وانخبط فيه فصار كل لوح منه فى طريق وكل من المركب صار غريق وتناثرت جميع أصناف الحديد لنحو ذلك الجبل وتفرقنا يمينا ويسارا علي وجه البحار وغرقنا وفارقنا الفلاح والنجاح والبعض تعلق بالألواح وأما أنا فركبت علي لوح من ألواح المراكب وشالتنى الأمواج وصارت ترفعنى وتخفضنى حتى رمتنى الأقدار على جزيرة فى وسط البحر فطلعت إليها فوجدتها واسعة الجنبات واسعة المرعى والنبات فجعلت آكل من اثمارها وأشرب من أنهارها حتى أدركنى المساء فخفت على نفسى أن يأكلنى وحش من وحوش البر أو تبلعنى هائشة من دواب البحر فصعدت إلى شجرة عالية وجلست فى وسطها وأردت أنا أنام عليها وإذا بطير قد أقبل ونزل على هذه الشجرة وهو قدر الجمل خمس مرات فخفت منه على نفسى وإذا به جعل رأسه تحت إبطه ونام جل الذى لا ينام فقلت فى نفسى إن هذا الطير قد أرسله الرب القدير والصواب أنى أتعلق برجليه لعله ينزل بى فى واد عمار يكون فيهم ناس أقيم عندهم ثم انى نمت فى مكانى وانتبهت فى الثلث الأخير وجعلت أرتقب الطير إلى أن طلع النهار وذهب الليل بالاعتكار فافاق الطير من منامه وحرك رأسه ولسانه وفرد أجنحته ولمها وبعده فرد رجليه وتمطى وأفاق علي نفسه وأراد أن يقوم للطيران فمسكت أنا رجليه وسلمت أمرى الى الله وتوكلت عليه فلما أن استحس بى الطير ظن أنى أريد أن أقبض عليه فصعد بى وتعالى إلى الجو الأعلى وأنا متعلق برجليه فتعب من الطيران ومن ثقلى عليه تخذلت أجنحته فما له إلا أن مال برقبته إلى ناحيتى وفتح فاه ومد رأسه إلى وأراد أن يأخذنى بفمه فعلمت أنه يريد أن يلتقم رأسى فأسلمت أمرى لمن خلق الجبال الرواسى وسيبت يدى من الطير وأنا لا أغفل عن ذكر الله تعالى فما أشعر إلا وأنا وقعت فى ذلك البحر وحذفتنى المياه إلى البر فطلعت إلى بستانكم هذا وأنا كما ترونى عريان جوعان بردان ولما دخل الليل خفت على نفسى أن يطلع على وحش

يأكلنى وأنا نائم وإذا دابة من دواب البحر قد طلعت على تلك الشجرة ونامت عليها إلى أن طلع النهار ومن شدة الجوع الذى حل بى لم أقدر أن أنتقل من مكان إلى مكان ولما أحضر تمونى بين أيديكم وبقيت فى دياركم فافعلوا بى مرادكم فلما سمع مقدم العسكر ذلك الكلام ضحك عاليا وقال يا هذا أنت حكيت حكاية طويلة لم يسعها كتاب وأظن يا هذا أن كلامك هذا ما هو إلا كلام كذاب لوجوه عديدة أولا ما أنت تاجر ولا تعرف التجارة ولا لك فيها بصارة وثانيا بحر المغناطيس الذى نزلت فيه فى آخر الدنيا وثالثا المركب تكسرت وماتت الناس والبعض طلع على ألواح كل هذا نعم ينقاس بالعقل والطير الذى تعلقت فى رجليه وصعد إلى الجو أولا لو كان ذلك كانت الأرياح مزقتك والثانى إذا طار الطير وأنت قابض على رجليه كانت اعضاؤك ترجف خوفا وتدوخ من الشيل والحط وهذا كلام شواهده كذب وليس فيه صدق إلا قولك كنت بائتا على هذه الشجرة جوعان وأنما قل كلام الصدق فانه ينجى الإنسان واما الكذب فهو من جملة البهتان **(يا سادة يا كرام)** فعند ذلك بان للملك سيف ان المتكلم انثى لأن أصوات الرجال تعرف من أصوات النساء فقال له وأنا كنت كاذبا أو صادقا يا هذا ايش اغرانى على الكذب حتى أبديه بين الرجال وما أنا اعرفك ولا عمرى قط وقفت بين يديك وما يوجبنى ان اخفى روحى عنك هل انا عندى لك دم تريدان تقتضيه أو دين لك عندى تريدان تستوفيه فقال المتكلم نعم انت غريمنا وابى عمره ما ضرب رملا إلا وقال الصواب وما نطق إلا بفصل الخطاب وإنما قل أنا دخلت قصر ابن نبى الله نوح وأخذت من تحت جانبه السيف ومن على صدره اللوح وبعد ما انعم لك بذلك تعديت عليه وكشفت وجهه وكان قصدك ان تعرف صورته فصعب عليه منك ولولا أنك من ذريته كان اصابك بسخطه ونقمته وما اتيت الى العمود ووقعت فى البحر بعد ما قعدت أياما كثيرة فى ضيافة الملك ابن نوح عليه السلام وبعد ما رميت روحك فى البحر حتى وصلت ذلك

المكان فقال الملك سيف من أين علمت ذلك الحال فقالت له سوف اظهر لك الهدى من الضلال ثم صاحت على عسكره وقالت لهم اقبضوا عليه حتى يحضر أبى وينظر اليه والتفتت إلى من حولها وقالت لهم هيا أحد منكم يمضى إلى أبى ويأتينى فى عاجل الحال فانفرد منهم خيال وقصد إلى المدينة وأما هذا المقدم فانه على حيله وقا ل للملك سيف أما قلت لك أن كلامى حق وكل ما نطقت به فهو صدق فقال الملك سيف وما الدليل على صدقك وبأى شىء اثبت معرفتك فقال له أنا عرفتك بتلك العلامة يا زوج شامة وطامة وسوف أعرف قدرك حتى أخبرك فى أمرك ثم أنه قال له اقعد حتى يحضر أبى فقعد الملك سيف وأما القاصد فانه غاب الى البلد ودخل على أبيها فقال له يا ملك تفضل إلى بنتك فانها قبضت على غريمها وتريد أن تحضر اليها حتى تقضى أمرها ويكون على يديك سرها وجهرها فقام أبوها وهو مجتهد فى همته حتى وصل إلى بنته فقامت له وتلقته وإلى جانبها أجلسته وقالت يا أبى ها أنا أوقعت الغريم ها هو فى قبضتى وقد أحضرتك حتى تنظر حالتى وتسعى فى قضاء حاجتى فقال له احضريه حتى انظر اليه فقالت ها هو جالس فى خيمتى ثم أنها سارت بأبيها الى خيمتها فتأمل إلى الملك سيف وضحك فرحا وسرورا وقال سبحان الذى نجاك وانقذك من الهلاك وأوقعك فى يدنا حتى نأخذ منك حقنا فقال له الملك وإيش حقك الذى عندى فقال له وحق النقش الذى على خاتم سليمان ما أنت إلا الملك سيف بن الملك ذى يزن ولا زيادة ولا نقصان ولأى شىء تنكر نفسك يا ملك الزمان وأنا أحمد الله تعالى الذى انقذك من العذاب والهوان وأتى بك إلى هذا المكان وأنا قاعد فى انتظارك مدة من الزمان فقال الملك سيف ومن أنت من الاخوان والنائب بلّغك الله غاية المطالب فقال له أنا صديقك اخميم الطالب فرفع رأسه الملك سيف وهو فرحان وطاب قلبه وابقى بالأمان وقال له هكذا يا إخميم

تفعل الاخوان تأكل معى الزاد وتخون الصداقة والوداد أخذت اللوح منى وتركتنى غير متهنى وركبت على زيرك وسرت الى حال سبيلك ولم تعلم أن الله ينجينى ومن الممات يحيينى أو يهلكنى ويفنينى والحمد لله قد خلصنى ومن المهالك انقذنى وهو الذى يرعانى ويحفظنى فان الله يعلم بحالى الذى أنقذنى من العذاب الأليم وانت أين اللوح الذى أخذته منى يا إخميم فقال إخميم يا ملك أما من جهة الخيانة حاش لله ان أكون خائنا وأنا كنت ما أخاف من الأرصاد الواقفة لخدمتك يحفظون مهمتك اخاف من الله تعالى الذى خلقك وأحسن صورتك وأنا والله يا ولدى لك من الناصحين وحق الإله رب العالمين ولما نصحتك ما قبلت نصيحتى وتعديت على نفسك لما كشفت وجه الملك سام وهذا عند أولاد الانبياء حرام مثل كشف العورة أيها الملك الهمام وأنا لو كنت اقدر على خلاصك ما تركتك لأن خلاصك ما هو على يدى ولكن ما هان على ان افوتك وأتيت إلى منزلى وضربت تخت الرمل وحققت اشكاله وعرفت ما يجرى عليك من أول الأمر إلى آخره وعدت عندك ثانيا ورتبت لك الأكل والشراب وهو الخبز والعسل النحل كل يوم حتى أنك سئمت من الاقامة وحدك ورميت نفسك فى البحر وجرى لك كل ما جرى وهذه آخر ما جرى من اجتماعك من بنتى فى ذلك المكان والحمد لله على سلامتك من تصاريف الزمان وأيضا يا ولدى لما بان لى فى الرمل قدومك إلى هذا المكان رتبت لك بنتى ومعها تلك الفرسان يرصدون قدومك فى الأرض والوديان حتى أتيت وأكلت وحضرت أنا عندك وتعارفنا فى ذلك المقام فلما سمع الملك سيف كلامه عرف أنه صادق ولو كان قادر على خلاصه لما كان تركه فقال له أنا صدقتك لكن اعلمنى من هذا المتكلم على هؤلاء الرجال وأنا أظن انها انثى من ربات الحجال فقال إخميم صدقت يا زين الأبطال انها بنتى صاحبة الحسن والجمال واسمها الجيزة وأنت على طول الزمان تكون لها بعلا وهى تكون له أهلا وهكذا ظهر

لى فى تحت الرمل ولكن يا ولدى كل شىء يجرى فى اوانه بعونه الله وسلطانه فلما سمع الملك سيف هذا الكلام خر ساجدا لله تعالى على ما أولاه من سوابغ الانعام وقال يا اخميم واين اللوح الذى أخرجته أنا من قصر ابن نبى الله نوح عليه الصلاة والسلام فقال له إخميم ها هو مع زوجتك يا سيد الأنام فقال الملك سيف يا عمى من أين لى زوجة هنا فقال إخميم أنا أو يهالك يا نور العين وصاح اخميم يا جيزة فقالت لبيك يا ابى فقال هاتى اللوح الذى معك فقالت ها هو معلق في ساعدى ولكن يا ابى من هذا الذى قلت لى عنه أنه غريمنا ولما حضرت أنت اليه فعد يعتب عليك وأنت تخضع بين يديه فقال لها يا ابنتى قومى قدام فارس الزمان وملك ملوك الأرض والزمن ومبيد أهل الكفر والمحن مطهر الأرض من أهل النفاق والإحن وهو الملك سيف بن ذى يزن ابن الملك التبع اليمانى هذا الذى دخل قصر الملك سام بن نوح عليه السلام وأخذ اللوح والسيف فقالت له هذا اللوح ابن السيف فقال لها معه يا ابنتى فأين اللوح فقالت ها هو وكشفت عن زندها فبان الملك سيف كأنه قضيب بلور وأخرجت السلسلة واطلعت اللوح وقالت لأبيها خذ يا أبى ونظر للملك سيف إلى الجيزة لما أخرجت اللوح فقال يا اخميم هذا الوحى فقال اخميم صدقت وانت الذى أخرجته من قصر ابن نبى الله الملك سام ولكن يا ملك اصبر حتى أريك فائدة ذلك اللوح ثم ان اخميما الطالب أخذ اللوح من بنته ومعكه بيده وإذا بخادمه صاح نعم يا ملك الزمان ايش مرادك يا حكيم فقال الحكيم اخميم أنت ايش اسمك فقال له أنا عيروض بر الملك الاحمر خادم هذا اللوح من عهد سيدى سام بن نوح فقال إخميم وأنت تعرف هذا الواقف قدامى من هو فقال هذا الملك سيف بن الملك ذى يزن الحميرى وانت عارف أصله وفصله وكل ما يكون من فعله وهو الذى أخرجنى من قصر سيدى سام بن نوح وأخذ من على صدره هذا اللوح وهو الذى يتزوج بنتك الملكة الجيزة على طول

الأيام وقد أعلمتك بذلك والسلام أنت الذى أرسلت طلبتنى بهذا اللوح وقد أحضرتنى فما الذى تريد منى فقال له ما أريد شيئا فى هذا الوقت انصرف إلى حال سبيلك فانصرف عيروض إلى حال سبيله فقال الملك سيف إيش هذا الخادم يا اخميم فقال له عيروض بن الملك الاحمر خادم هذا اللوح فلما سمعت الجيزة هذا الكلام أخذت اللوح من والدها وعلقته وفرحت به فقال لها أبوها إيش مرادك أن تفعلى يا جيزة فقالت لا أفعل شيئا أبدا وأنا أسمعك تقول ان هذا روحى ومن أعلمك أنى أريد لى زوجا ولا مرحبا ولا كرامة ولا سعدا ولا أقيال فقال إخميم هذا بعلك وأنت له من النساء وهو لك من الرجال هكذا ثبت عندى فى تخت الرمل وها أنت أخذت لوحه الذى تعب على خلاصه وقاسى من أجله الاهوال **(يا سادة يا كرام)** ثم ان الجيزة تولعت بحب الملك سيف ولكن أظهرت الجلد واخفت الكمد وقد سكتت على مضض وقالت للخدم هيا هاتوا لنا الطعام فان ضيفنا قد جاع فأتوا بالطعام ومد السماط الخدم ثم وقفوا للخدمة فى ذلك المقام والتفتت الجيزة للملك سيف وقالت له دونك والطعام فكل ما تشتهى وتريد فقال الملك سيف ان الدار لا يحلو إلا بالجماعة فاما أن نأكل سوية أو ترفعوا طعامكم فقالت الجيزة نحن عندنا عادة إذا أتانا ضيف نضع له الطعام ونتركه يأكل منه وحده ونحن لا نأكل إلا بعده ونقف كلنا فى خدمته ويلزمنا إكرامه لغير منزلته ورتبته فصدق الملك سيف كلامها وقعد يأكل واشتغل وكان الملك سيف خوبان لأن له مدة يشتهى هذا الاكل ونفسه مفتوحة فما صدق أن يرى مطلوبه وأما الجيزة فإنها دعكت اللوح فحضر عيروض خادمه فقالت له أنت خادم هذا اللوح بالخصوص قال نعم يا ستى فقالت له ومن الذى حكمك حتى بلغت تلك الخدمة فقال الاصل أنى خادم الملك سام وبعده يكون سيدى الملك سيف بن ذى يزن فقالت هل له أزواج قال يا ستى هذا يأخذ بنت الملك أفراح شامة وبنت الحكيمة عاقلة طامة

وناهد وأنت وجمعا كثيرا ويأخذ منية النفوس فاغتاظت الجيزة وقالت أنا ملكت هذا اللوح وأنت صرت خادمى فقال لها عيروض لاتتعبى نفسك فما لك إلى ذلك مقدرة هذا يخدمه كهان وحكماء وأرباب أقلام وأما أنا فاكون من جملة الخدام وله أخت بنت الملك الأبيض لا تفارقه وتفديه بروحها وكل من عاداه يقهر فقالت الجيزة وأنت مالك قدرة على قتله فقال لها كيف أقتله وتحت إبطه سيف سيدى سام فقالت له انصرف وكان للجيزة رجل من خدامها اسمه غادر وهو رجل شجاع ماهر فقالت له بالاشارة در حول هذا الرجل وهو مشتغل بأكل الطعام فاضربه بالحسام واسقه كأس الحمام فقال سمعا وطاعة وسار خلف الملك سيف ودار حوله وهو فى غفلته وجذب الحسام وضرب الملك سيف وكانت مشبعة تمام وإذا بالسيف فى يد صاحبه دار ووقع علي عنقه فقطعه من الوريد إلى الوريد ونزل قطعتين علي وجه الأرض والبيد والملك سيف مشتغل بالأكل لم يلتفت فنظرت الجيزة فتعجبت غاية العجب ولم تعلم لذلك من سبب وكان ذلك سبب اخميم الطالب أبو الجيزة لأنه شاهد من عين بنته الغدر وانها كرهت الملك سيف لكونها علمت أنه يأخذ غيرها من بنات الملوك وتبقى عنده كمثل صعلوك فاراد فساد ما دبرت وأحضر خادما من الجان وقال له إذا رأيت أحدا تعرض للملك سيف وقدم باذية إليه اقتله ولا تبق عليه ففعل ذلك حكم ما أمره اخميم فكان هذا السبب لأن الخادم أقام ينتظر ما يجرى حتى قدم غادر للملك سيف وجذب حسامه فكان الجنى أقوى منه ورد سيفه إلى عنقه فانقطع وشرب من الموت جره وأما الجيزة فالتفتت إلى خادمها وقالت ويلكم لأى شىء تقتلون بعضكم وتفعلون هذه الفعال فقال لها الرجل والله يا ملكة ما أحد منا تجارى على قتال فقالت ولأى سوء من دونكم هذا الرجل شرب كأس الوبال فقالوا هو الذى جذب حسامه بظلمه واجترامه فعجل الله عليه بانتقامه ولا قتل إلا بحسامه فقالت لهم يا

كلاب أنتم فى حضرتى وتريدون أن تخلصوا حقكم بايديكم فقال اخميم هذا الامر لا يجوز وإنما إذا أحد منكم تعدى على أحد فيجب على المظلوم أن يشتكى ظلامته لمولاته وهى التى تخلص له ظلامته وتنتقم ممن ظلمه على فعلته وكان ذلك من اخميم مكرا وخديعة خوفا من بنته أن تعلم بفعلته وتحترز من عائلته وأما الجيزة فإنها ما تكلمت بل سكتت وكل ذلك والملك قاعد يأكل على مهله وما عنده مما جرى علم ولا خبر وانما صاحب القدرة يدبر ما يشاء فالتفتت الجيزة بعد ذلك إلى بعض عبيدها وقالت له يا عبد الخير مرادى منك أن تمضى إلى ذلك الرجل الغريب الذى يأكل وتغافله وتضربه بالحسام وتقطع رأسه والهام وأنا أجعلك عندى أكبر العبيد والخدام فقال العبد سمعاً وطاعة وسار حتى بقى فوق رأس الملك سيف وجذب حسامه بلا فزع ولا خوف وضرب الملك سيف على وريديه بالحسام البتار وإذا برأس الضارب عن أكتافه قد طار والمضروب لم يعلم بتلك الاخبار ولا عنده اشتغل عن الاكل والافتكار فاغتاظت الجيزة وأمرت رجلا من العرب فكذلك قتل مثل من قتل قبله وهكذا امرت واحدا بعد واحد حتى قتل سبعة رجال على ذلك الحال فقالت الجيزة للرجال شيلوا قتلاكم لارحم الله اباكم هذا رجل محفوظ مسعود بالاكل ولا يعلم بذلك الحال وبعد ان اكتفى من الطعام قام على الاقدام وحمد الله تعالى على جزيل الانعام وجلس بجانب اخميم الطالب وجلست الملكة جيزة قدامهم وهى لا تسأل عنهم مطلقا ولا تخاطبهم بكلام حتى مضى النهار بالابتسام وأقبل الليل بدياجى الظلام فقامت الجيزة بينهم ودخلت خيمتها وغلب عليها النوم فنامت وشتت روحها فى الملكوت سبحان من لا ينام ولا يموت وأما إخميم الطالب فانه انصرف إلى منامه وأعرض على الملك سيف ان يقوم معه إلى محل مبيته وينام عنده فقال الملك يا عمى أنا أنام هنا فى مكانى هذا فانصرف عنه وتركه وأما الملك سيف بن ذى يزن فانه لما

حلا له المكان والوطن تفكر فى نفسه وقال كيف أكون أنا الذى ادخلنى اخميم هذا إلى قصر الملك سام وسار واخرجت اللوح منه باهتمام وحصل لى من أجله مشقة وآلاف وتأخذه هذه الفاجرة الجيزة بنت إخميم وتعبى الذى تعبته عديم ثم أنه تعلقت آماله بباب من أبواب العبارة والمكر والشطارة فقام على حيلة وقال يا حليم يا ستار وتخطى رقاب النائمين ودخل خيمة الملكة الجيزة فوجدها نائمة على سريرها فمد يده بخفة ولطافة وطلب من الله مساعدته وإسعافه فوجد سلسلة اللوح فى رقبتها فخلصها وفك اللوح من زندها وحط السلسلة فى رقبته وربط اللوح على زنده وعاد إلى مكانه وأراد النوم فلم يجد له سبيلا فقعد يبقى ليلة فى هنا وأراح حتى أصبح الله تعالى بالصباح فقام إخميم الطالب ودخل على بنته فقامت إليه وقبلت يديه وأجلسته ووقف فى خدمته .

وقالت له يا أبى أنت تقول أنى أنا أتزوج بهذا الرجل الذى عندنا وأنا علمت أن أزواجه كثيرة وأنا إذا تزوجته أكون عنده مثل الخدم فقال إخميم يا جيزة يا بنتى الله أعلم أنك ما عندى عقل أنا أول من يكون عندها هذا الملك من جملة الخدم فإنه يملك الأراضى والقفار ويخدمه الحكماء الكبار وأصحاب الكهانة والاسعار ويعمر مدائن وأقاليم وقرى صغار أو كبار ويسوق بحر النيل من بلاد الحبش غصبا إلى بلاد الأمصار ويخضع بين يديه كل ملك وكل فارس وكل حكيم جبار فاحذرى منه يا بنتى ولا تغضبيه وكونى له مطيعة ولا تخالفيه فقالت الجيزة أنا لا أقبله ولا أشتهيه ولا أرضى به يكون لى بعلا ولا أكون له فقال إخميم إذا كان هذا شىء سابق فى الكتاب من الذى يقدر يعارض رب الأرباب فقالت الجيزة سألتك يا أبى بحق الملك المجيد لا تذكره لى لا بخير ولا شر فإن قلبى ما يألفه أبدا ولا أشتهى أن أراه مطلقا فقال لها أبوها هذا كلام ما أسمعه فان الجارى فى علم الله لا أحد يمنعه لأن هذا شىء لابد منه وإن كنت ما تقبليه فاعطى له اللوح وخليه

يمضى إلى حاله فقالت له أنا ما أعطى اللوح أبدا ولو شربت كاس الردى فقال إخميم الطالب هذا شىء لا يكون كيف تمانعى قدرة الله تعالى إذا كنت ما تقبليه أعطيه اللوح وأما أن طمعتى فى اللوح فأنا أكتب كتابك عليه علي ملة الخليل إبراهيم عليه السلام غصبا فبينما هم فى الكلام وإذا بالملك سيف داخل عليهم وأبدى السلام وكان سمع ما دار بينهم من الكلام فقال الملك سيف لإخميم الطالب يا أبى لا تشغل نفسك بهذا الأمر واعلم انى قد أقسمت علي نفسى إني لا أتزوج بأحد من النساء قبل شامة بنت الملك أفراح أو ذا قدر الله وكانت بنتك لها نصيب عندى فلابد منه فلا تتعب نفسك فى كل شىء من ذلك فعند ذلك التفت إخميم إلى بنته وقال لها دعيه يأخذ لوحه ويمضى إلى حال سبيله فقالت ما عندى له لوح ولا خلافه فقال لها يا ابنتى بحياتى عليك تعطى الرجل حقه ولا تكونى ممن يصعب عليه فضحكت الجيزة ومدت يدها إلى ذراعها لتأخذ اللوح فما وجدت له خبرا فخفق قلبها وتغير لونها وقالت لأبيها يا أبى اللوح ما هو بذراعى فقال لها أنا ما أعطيته لك لعلمى أنك لا تضيعيه فقالت إنه كان أول الليل فى ذراعى ولما طلع النهار ما وجدته ولم أعلم له استقرارا فلما سمع اخميم الطالب ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ونظر إلى الملك سيف وقال له يا ولدى فقال نعم فقال له بحق دينك وما تعتقده يقينك هل أنت أخذت اللوح الذى كان مع بنتى فقال الملك سيف لقد اقسمت علي باجل الاقسام أنا أخذته حقيقة منها وهى غارقة فى المنام ولذيذ الاحلام وها هو معى وما بقيت افرط فيه بل روحى دونه فالتفت إخميم إلى بنته وقال لها اقسم بالله عز وجل أن الحق لأصحابه قد اتصل ورجعت الامانة إلى أهلها وهذا عين مطلوبى ومرغوبى فماذا تقولين يابنتى فى زواجه فقالت لا كان ذلك ابدا ولو سقيت كأس الردى وإن كان مراده يتزوج فهذا أمل بعيد واما إن كان مراده يمضى إلى حال سبيله فيعطينى اللوح

الذى سرقه منى وكذلك السيف الذى أخذه على يديك وأما مسيره إلى حال سبيله وهما معه فلا يتم فقال إخميم يابنتى انت ظالمة وأنت يا ملك سيف ماذا تقول فقال الملك سيف أنا قبل ما ادخل على شامة بنت الملك أفراح لا أدخل على أنثى ولو كانت مثل كوكب الصباح فلا أبطل قسمى والإيمان ولو شربت كاس الهوى فاغتاظت الجيزة من كلامه غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقالت والله يا سيف ما أدعك تبرح من عندى حتى تتزوج بى وإن لم تفعل ذلك فسلمنى هذا اللوح والسيف وامض إلى حال سبيلك فقال الملك سيف هذا لا يكون ابدا ثم أنه قام من عندهم وعاد إلى مكانه وجلس فيه وهو يحسب حساب ما يجرى وما هو فيه وما زال كذلك إلى أن ولى النهار واقبل الليل بالظلام واراد أن ينام فلم يأته نوم واشتغل باله وأما الجيزة فإنها قالت والله ما أرجع عن الملك سيف حتى أقتله فلما انتصف الليل أخذت بيدها خنجرا امضى من القضاء والقدر وطلبت مكان الملك سيف وظنت أنه نام وغرق فى المنام فسارت حتى وصلت إليه وكان الملك سيف قاعدا علي ركبتيه وهو يقول إن صدقنى حذرى ولم يخطئنى زجرى فان الجيزة تأتينى تروم أن تقتلنى وتأخذ اللوح والسيف منى ولكن إذا كان الأمر كذلك فلا يكون اصوب من المسير إلى حمراء الحبش فبينما هو كذلك وإذا بالجيزة مقبلة فاخرج اللوح ومعكه فقال عيروض لبيك يا ملك الزمان يا صاحب الأمان فما الذى تريد أيها الملك السعيد فقال له أريد أن توصلنى حالا إلى مدينة حمراء الحبش لأنى تركت رفيقى سعدون وعساكره فى ذلك المكان وكذلك باقى الرجال والاخوان فقال عيروض سمعا وطاعة وحمله وقطع به الطريق كالبرق الخاطف أو الريح العاصف هذا ما كان من الملك سيف وأما ما كان من الملكة الجيزة فانها نظرت إلى الملك سيف وهو طائر علي كاهل عيروض فندمت غاية الندم وعادت مسرعة إلى أبيها وقالت يا أبتاه أنا سرت فى هذه الساعة عند سيف وأردت الجلوس

عنده فلما نظرنى خاف منى وطار إلى الجو الأعلى فقال لها إخميم يابنتى لا تحزنى فسوف يجمع الله شملك به فقالت يا أبى أنا ما أريده وما قصدى إلا هذه الذخائر التى معه ويروح هو إلى سبيله فقال إخميم اعلمى أن هذه الذخائر التى معه كلها تبقى تحت يديك ولكن لا تعجلى واعلمى أن كل شىء بأوان والصبر عاقبته حميدة وجعل إخميم يصبر بنته ويمهلها وأمر رجالها أخذ خيامها ودخل المدينة وابنته معه وجلس يتفكر فيما يكون هذا ما كان من إخميم وبنته وأماما كان من الملك سيف فلما حمله عيروض وسار به فى الجو قدر ساعة زمانية قال له يا سيدى أنت بقيت فى أوائل بلادك هل تريد أن أدخل بك مدينة حمراء الحبش التى فيها والدتك قمرية والا انزل بك من خارج أو تروح عند الملك أفراح أو كيف مرادك ها انت الآن فى بلادك فقال سيف يا عروض أنا سامع طبولاً وبوقات وزموراً واسات وضجات وزعقات مرتفعات هل تعلم إيش الخبر فى هذه الحالات فقال عيروض يا سيدى أنا ما أعلم لأنه بقى لى مدة من زمان وأنا فى قلب قصر سام وأنت الذى أطلقتنى إلى هذه البلاد والوديان فقال الملك سيف المراد أن تنزلنى هنا على جبل يكون منيعاً وتاتينى بالأخبار سريعا فقال عيروض على الرحب والسعة والكرامة والدعة ثم أن عيروض وضع الملك على جبل وتركه وسار ليكشف الأخبار فما غاب إلا قليلا وعاد إليه وقال له يا ملك اعلم أن هذا عرس ومهرجان لملك عظيم الشأن وهو ملك الحبشة والسودان والحاكم على هذه الأراضى والبلدان وهو الملك سيف أرعد صاحب مدينة الدور والسبع قصور وهى قصور قريبة من مدينة حمراء الجيش وأما العروس فانها صاحبة العقل الراجح والجمال الفاتن الوضاح والجبين الذى نوره يفوق المصباح واسمها الملكة شامة بنت الملك افراح فلما سمع الملك سيف من عيروض هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وصاح من وجده وما جرى عليه وجرت الدموع من عينيه وحس أن الدنيا قد انطبقت عليه وقال يا

عيروض هل تعلم هذا الكلب دخل بها أم لا فقال عيروض يا سيدى ما دخل بها لأنه لو كان دخل بها لقضى الأمر ولا بقى خلاف وأما العروس فهم دائرون بها للزفاف والدخول لا يكون إلا بعد ذلك فيعلم من حالهم أنه ا دخل بها فقال يا عيروض احملنى وحطنى فى خيمة العروس حتي أخلصها منهم بضرب وحرب يحير النفوس وأجعل هذا العروس علي صاحبه معكوس ولكن أنت لاحظنى من بعيد فاذا رأيتنى وقعت فى أمر صعب شديد فلا تتوانى عنى واحملنى أنا والعروس سواء وطربنا فى الهواء فقال عيروض سمعاً وطاعة ثم أنه حمله وسار به إلى خيمة العروس وأنزله على بابها وتركه وعاد إلى أعلى الجبل وقعد ينتظر الملك سيف وما يفعل والملك لما نزل قدام جعل ينصب من خلف الخيمة ليسمع من شامة كلامها حتى يتحقق عنده هل زواجها للملك سيف أرعد برضاها أو كان هذا على غير هواها وغصباً عنها وعن الملك أفراح أباها فوجدها تسرف بالدموع الغزار وتبكى من شدة ما بها من الاضرار وتنشد هذه الاشعار وتقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

* * *

الدهر دوماً لا يزال غادرى ... وحكمه فى الناس حكم الجائر
لا يرحم الصمت المعنى رأفة ... وطبعه التفريق بالتكدر
قد كان لى الفا بأيام مضت ... والوقت صاف والحبيب ناظر
وكان حام أرضنا من العدا ... وقاسما ذا البغى والكبائر
فغاب والأعدا علينا قد بغوا ... ظلما وقد حل الحمى مع ناصرى
هل مبلغ عنى السلام سيدا ... سيف بن ذى يزن المليك الحمير
لعله يأتى وينظر حالتى ... منهوبة وليس لى من ناصر
يا هل ترى يعلم حالى سيدى ... يذب عنى بالحسام الباتر
أو هل تراه ساليا أو ناسيا ... أو عاقه عنى قضاء القادر
منى السلام عليه فى طول المدى ... عد النجوم وكل غصن زاهر

* * *

(قال الراوى) وبعد ذلك بكت شامة حتي بلت أرداتها وقالت يا ملك سيف ما آن أوان التلاقى حتي ادهمتنا أيام الفراق يا سيدى لو اعلم مكانك لسافرت خلفك فى البيد أو كنت افديك يا سيدى من البؤس والردى فما تمت كلامها إلا وسجاف الخيمة قد ارتفع ودخل من تحته شخص وقال لها شامة أنا والله ما انساك ولا أهجرك ولا اسلاكى وأنت نور العين والروح التي بين الجنبين فتأملته الملكة شامة وقالت سيدى الملك سيف وقامت على حيلها ورمت عليه روحها وقبلت يديه وعارضته واعتقدت أنها خلصت من اعدائها وأن الملك سيف بن ذى يزن يخلصها من بلائها وقالت له يا سيدى الملك أين كانت سفرتك أما تعلم كيف أصابنى فى غيبتك والحمد لله علي سلامتك فقال لها وإيش جرى لك حتى جئتى إلى تلك الخيمة فقالت له يا سيدى إن الملك سيف أرعد خطبنى من أبى وكان ذلك بواسطة الحكيم سقرديس وحلف بزحل إن لم يزوجنى به أبى وأنا عزيزة مكرمة وإلا أركب عليه واخرب بلاده وأهلك عساكره واجناده ويسبينى سبى الأمة وكان ذلك علي يد الحكيم سقرديس فقال لأبى زوجه بها وإن جاء سيف بن ذى يزن تقل له منك له إن طابت لك شامة خذها وإن طابت لسيف أرعد يأخذها ونحن نتبرأ من الفريقين وساعدهم على ذلك القول الحكيم سقرديون وقال لأبى إن سيف بن ذى يزن ما بقيت عمرك تراه لأن قمرية قتلته فى البر والفلاة فمن خوف أبى انعم وأجاب وخاف من سيف أرعد أن ينزل به العذاب وعملوا الولائم والدعوات وأنا ابكى واتحسر علي ما فات ودام الأمر على هذه الحالات حتى أتيتنى أنت فى هذه الساعة وهى ابرك الساعات وأنت يا سيدى أين كانت غيبتك وما الذى رأيت وأين كانت سفرتك فابتدأ الملك سيف يحدثها بما فعلت والدته والشجرة الذى أخذ منها الورق وطيب جراحه ورواحه إلى قصر الملك سام وأخذ اللوح والحسام ثم انهما فى الكلام وإذا بالملك أفراح قد أقبل وكان داخلاً على بنته يجهزها لزواجها فلقى الملك سيف

قاعداً عندها فأراد أن يتقدم ليسلم عليه فقال له الملك سيف ابعد عنى يا كلب الملوك يا غادر يا خائن كيف تزوج بنتك لغيرى بعد ما أخذت مهرها سعدون الزنجي وحلوانها كتاب تاريخ النيل الذى مات بحسرته كل ملك نبيل ثم إن الملك سيف جذب الحسام وهجم علي الملك أفراح فخاف منه علي نفسه فهرب من بين يديه وطلب الفرار وهو هائم علي وجهه فتخيل له أن الدنيا كلها سيوف ورماح فطلب خيمة الملك سيف أرعد وهو لا يصدق أن يصل اليها والملك سيف عاد إلى الملك شامة يحدثها وتحدثه وما عندهم من خبر الملك جاء زوراح وأما الملك سيف أرعد فدخل عليه الملك أفراح وهو يستجير به من الملك سيف فقال له وأين هو قال رأيته عند ابنتى وهو جالس معها ولما رآنى جذب حسامه وطلبنى ولولا أنى هربت لقتلنى فلما سمع الملك سيف أرعد صاح فى رجاله ونبه رؤس أبطاله وقام وقصد الخيمة وهو يصيح ويزعق وروحه كادت أن تزهق وامر الرجال أن يحتاطوا بخيمة العروس من اليمين والشمال وقد قطعوا أوتاد الخيمة وأرادوا أن يفعلوا بالملك سيف بن ذى يزن أفعالاً ذميمة ويأخذوا منه الملكة شامة وينزلوا به الذل والندامة وتصايحوا فى البر والهضاب ونبحوا نبيح الكلاب وسمع الملك سيف بن ذى يزن هذه الأحوال فجرد فى يمينه سآمة الفصال وتهيأ للحرب والقتال وإذا بالدنيا أظلمت والغبائر خيمت وظهر شرار ونار ورجم بالأحجار وارعاد وأبراق وصياح وزعاق وأسود الجو والآفاق والدنيا قامت على قدم وساق ووقع رجم بالأحجار وتزلزلت الاقطار وانعقد الغبار ووقع بالناس الانبهار وكل من الناس طلب الهرب والفرار واشتعلت الدنيا كلها بالنار ودام الأمر على ذلك الغبار إلى وقت الاصفرار وانجلت تلك الزوابع وانكشف البر والبلاقع وعرف الناس بعضهم واهتدوا إلى أرواحهم وقال الملك سيف أرعدها توالى العروس الذى من أجلها جرى هذه العكوس وانظروا سيف البيضان وهاتوه من أى مكان فساروا إلى الخيمة فلم يجدوا

الملك سيف بن ذى يزن ولا الملكة شامة فعادوا وأخبروا الملك سيف أرعد فقامت عليه القيامة فقالِ للحكيم سقرديس إيش رأيت يا حكيم الزمان فى هذا الأمر والشأن وحق زحل فى علاه ما كنت طالب زواج وأنت الذى اغريتنى على هذا اللجاج فقال له اعلم يا ملك إن هذا كله من تدبير الملك أفراح وكل أفعاله من أول الأمر معك قباح وسوف يعود فعله عليه بالتدمير وأنت لك التدبير لم يكن له نظير فقال لهم وهذا الذى جرى من الشرار والنار ورمى الأحجار وأخذ شامة علي أى شيء كانت هذه العلامة فقال يا ملك لا نعلم ولكن نحن نكشف الأخبار ونحقق لك الآثار فقال افعلوا ما بدا لكم هذا ما جرى هنا وأما الذى فعل تلك الفعال فعيروض لأنه لما أوصاه الملك سيف ودخل هو الخيمة وجرى ما جرى وجاء سيف أرعد فقال عيروض أنا أفعل ما أمرنى به سيدى ثم نفخ علي تلك العساكر بالنار وحدفهم من فوق الجبل بالأحجار حتى ضاقت على الناس الأقطار ونزل من الجبل وأخذ شامة والملك سيف وتركهم فى شدة الوجل والخوف ولما قعد علي الجبل الملك سيف وشامة قال يا عيروض هات لنا خيمة انصبها لنا فى هذا المكان وهات لنا طعام من سائر الألوان وهات لنا شراباً وكلما نحتاج ويكون من عند سيف أرعد حتى يزيد عليه اللجاج ويكثر على الحكماء الذين عنده الاحتجاج وأقاموا لهم كلام **(يا سادة يا كرام)** وكان السبب فى هذه الفتنة كلها وبيانها من أصلها هو أن الملك سيف أرعد لما كان أرسل الملك أفراح وسيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى إلى قمرية وكان ذلك من تدبير الحكماء وأرسل لهم الحاجب والعساكر كما ذكرنا وجرى بينهما الذى جرى وجاءت قمرية إلى ولدها وأعلمته أنها أمه وهو ولدها واحتالت عليه وأخذته تحت الشجرة وصبرت عليه لما نام وضربته بالحسام حتى جرحته الجراحات البالغة كما تقدم وأشرف منها علي العدم وتركته مرمياً مخضباً بدماه وقد ظنت أنه فارق الحياة وخرج من دنياه وعادت حتي وصلت إلى مدينة الدور

وسألت عن الملك سيف أرعد واستأذنت عليه في الدخول فاذن لها فدخلت وقبلت الأرض بين يديه وسلمت عليه فقال الملك سيف أرعد ويلك يا قمرية يا خائنة يا ملعونة ما الذى أتى بك عندى فى هذا الوقت أظنك اتيت هاربة من الرجال الذى ارسلتهم الي قتالك وحربك ونزالك بعد ما كنت عاصية واحتويت يا كلبة علي مدينتك وجعلت روحك بحكم نفسك أما تعلمى أني أقدر علي مدينتك أخربها من الجدار وأرمى حجارتها فى البحر تظنى أن مدينتك تحميك منى يا فاجرة حتى تقطعى الحبل ولا يكون لك أسوة بغيرك من الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار فقالت له قمرية يا ملك الزمان وحق زحل فى علاه أنا ما عصيتك وأنت تعلم أنى جاريتك وأنت الذى ارسلتنى الى الملك سيف بن ذى يزن وعلمتنى ما أفعل من الفعال فما خالفت لك مقال ودغرت له السم كما علمتنى وفعلت كل ما به امرتنى حتى مات وانقطع منه الامل وراح إلى نعلة زحل فكنت حاملة منه وبعد انقضاء أيام الحمل وضعته مولوداً واحتويت علي ماله وجلست علي تخت المدينة فى يوم مسعود وطاعتنى العساكر والجنود بسبب ذلك الولود ولما بلغ لمولود اربعين أخذته ورميته فى الفلا بين الوحوش والطيور وقلت لعله يكون مقبور ورجعت فأقمت هذه المدة فما اشعر إلا وهو مقبل مع حاجبك وسعدون الزنجى يريدون حربى وقتالى وعلمت أن سيفاً هذا هو ابنى فاحتلت عليه وعرفته أنا والدته وهو ولدى حتي أحضرت له بعض دولة أبيه وشهدوا له بذلك وتحقق أنى أمه فامن خائنتى وعملت عليه حيلة وأخذته إلى مكان بعيد وجلست معه حتى نام ونزلت عليه بالحسام حتى اسقيته كأس الحمام وتركته مرمياً فى البرارى والآكام وأتيت اليك يا ملك الزمان استجير من الأعداء الذين أرسلتهم وأنا ما حصل منى يا ملك ذنب ولا مخالفة حتى أرسلت لى حاجبك وسعدون الزنجى يحاربونى وإن وقعت فى أيديهم فما يبقونى وأنت يا ملك لو أرسلت لى وطلبتنى إلى خدمتك وتعطى المدينة

لغيرى فهو أحب إلى قلبى لأن خدمتك والنظر اليك أحسن لى من كل الدنيا فقال لها سيف بن ذى يزن مات قالت تعيش يا ملك وتبقى فان عظامه صارت رفات فلما سمع الملك سيف أرعد أبدى الضحك والابتسام وقال لها أحسنت فيما فعلت ومثلك ناصح لدولتى وزكت فيك تربيتى وفى هذا الوقت إيش مرادك أن تفعلى من الفعال فقالت له أريد من الملك أن يرسل معى مكتوباً إلى الحاجب الذى عندى ومن معه من الحجاب والعساكر ولأصحاب وتأمره فى الكتاب بطاعتى ويكون تحت أمرى ويسمع كلمتى وأنا احتال على سعدون الزنجى وأقبض عليه وعلى رفقاه وأقدمه بين يديك تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وتعود اليك جميع البلاد ولا يبقى لك أعداء ولا أضداد لأن من المعلوم أن هذه الأرض والبلاد كلها لآبائك ولأجدادك وأما البيضان ما لهم نائب ولا العربان فلما سمع الملك سيف أرعد من قمرية هذا الكلام زالت عن قلبه الاسقام والآلام وفرح الفرح الشديد الذى لا نكد فيه ولا تنكيد وقام من وقته وساعته وكتب كتاباً إلى الحجاب وكان اسمه أبا الهول فى الكتاب من حضرة ملك الحبشة والسودان وسائر الأراضى والبلدان الملك سيف أرعد البطل المهول إلى الحاجب أبى الهول اعلم يا ولدى أنى لما أرسلتك سابقاً مع سعدون الزنجى وسيف البيضان فكان ذلك حيلة منا دبرناها علي أعدائنا لخيان لأنك تعلم أن سيف بن ذى يزن مراده أن يتغلب علي ملكى ويتقوى على بسعدون الزنجى وخلافه من الأبطال الشجعان فعملت حيلة وأرسلته للملكة قمرية علي أنه ياربها ويأخذ بلادها وأرسلت بلها أعلمها سرا بمطلوبى فقضت حاجتى وأهلكت سيف بن ذى يزن بالتدبير والآن ما بقى فاضل إلا سعدون الزنجى ومرادنا القبض عليه حتى أخلى مدائنى من الأعادى الذين يتغلبون على أرضى وبلادى فاذا قرأت هذا الكتاب تكون مساعدا لقمرية وتطاوعها فى كل ما تقول لك عليه بالكلية حتى تقبض عليسعدون الزنجى ونخلص من تلك القضية والخدم ثم الحذر

من المخالفة وسلام زحل عليك وختم الكتاب وأعطاء للملعونة قمرية وعادت على عجل وكان وصولها فى الليل فسارت فى صوات الحاجب واستأذنت منه فى الدخول فاذن لها فدخلت وهى فى زى رسول فلما دخلت عليه سلمت فقال الحاجب إيش مرادك يا قمرية بالسلام وحضورك عندى فى الليل الظلام أبلاك الله بنار الاضطرام فانك خائنة وبنت حرام فناولته كتاب الملك سيف ارعد وقالت له هذا كتاب الملك الكبير اقرأه واجتهد معى فى التدبير فلما أخذ الكتاب وقرأه وعرف رموزه ومعناه قال لها يا قمرية افعلى ما بدا لك فقالت له إذا طلع النهار ارسل جماعة من عندك إلى سعدون الزنجى يقولون له تفضل كلم الحاجب فاذا حضر بين يديك فقل له أنا مرادى أن أعمل سلالم وطلاقات وعرادات حتى أنى أملك أسوار هذه البلد فان التطويل يضيق الصدر وتكون جماعة من جبابرة الحبش كاملة عندك والامارة بينهم وبينك إذا صفقت بيدك على بعضها يهجمون علي سعدون ويكونون علي أهبة فيأخذوه قبضا بينهم بالأيدى والأكف وترسله ليلا أو نهارا إلى الملك سيف أرعد ويكون أحسن ما تقول له هل تعلم يا مقدم سعدون ما سبب غياب أستاذك الملك سيف وانظر ماذا يقول فانه يخبرك بما يخطر بباله وأنا أكون مختبئة بين الرجال ولا يرانى إلا بعد القبض عليه اجتهد كما أمرتك ولا تتوان عما قلت لك فقال الحاجب سمعا وطاعة وتركته قمرية وعادت إلى بلدها وأخبرت قومها بما فعلت بالملك سيف وما دبرت من الاحتيال وأما الحاجب فانه رتب الرجال وجعلهم كامنين كما علمته قمرية بنت الاندال وأرسل إلى المقدم سعدون جماعة وقال لهم امضوا إليه وقبلوا الأرض بين يديه وقولوا له كلم الحاجب أبا الهول فإنه يريد أن يشاورك فى أمر عرض له فساروا جماعة وقبلوا الأرض كما علمهم وقالوا له يا مقدم سعدون إن الحاجب يدعوك لأمر يريد أن يعرضه عليك فقال سعدون سمعا وطاعة وقام معهم ولم يعلم ما خبىء

له فى الغيب حتي وصل إلى الحاجب فلما رآه قام له قائماً على قدميه وضحك فى وجهه وأجلسه فى أعلى مقام وطلب له فى الحال الطعام فقدمه الخدام فأكل سعدون الزنجى مع الحاجب وارتفع الطعام وقدموا بعده المدام فشربوا ولذوا وطربوا وكان سعدون أتى وحده ولا معه أحد من رجاله وجنده فحادثه الحاجب بطيب الكلام حتى لعبت الخمرة فى رؤسهم فصفق الحاجب بيديه فخرجت الكماء إلى سعدون الزنجى وداروا حوله وهو سكران لا يعقل عقل الانسان فقبضوه قبضا باليد ووضعوا فى رجليه القيد الثقيل فقال للحاجب لأى شيء فعلت هذه الفعال وغدرت وفعلت فعل الاندال فقال له الحاجب يا مقدم سعدون لا تعب على فانى عبد مأمور والملك سيف أرعد هو الذى أرسل لى كتاباً يطلب منى قتلك وارسال رأسك أو إرسالك حيا اليه وأنا ما رضيت أن أقتلك فان إرسالك حياً أحب إلى لعل أن يكون فى أجلك تأخير فقال سعدون وأنت معذور وعذرك مقبول لكن والله الذى لا إله إلا هو لو كنت أعلمتنى لأخذتك معى إلى قلعتى وكنت أحميك من سيف أرعد ومن كل من كان عنده وكنت أهلك عساكره وأجناده واهجه عن بلاده وأما الملك سيف إذا كان حاضرا فما يقوم لسيف أرعد قائمة أبدا ولابد أن يسبقه كاس الردى فقال الحاجب اعلم يا مقدم سعدون أن الملك سيف الذى تقول عنه كات وانقضى نحبه ولا بقيت تراه ولا يراك فانه شرب كأس الهلاك فقال سعدون ومن الذى قتله ومن الذى أعلمك بقتله ومن أخبرك بهذه القضية فقال الحاجب الذى قتل الملك سيف والدته قمرية وهاهى واقفة قدامك فالتفت المقدم سعدون إلى قمرية وقال لها يا ملعونة أنت رميتيه وهو طفل جنين فنجاه رب العالمين قتلتيه ثانيا هكذا تفعل الأمهات بالبنين ولكن والله يا ملعونة لو اكون أنا مطلق اليدين لجعلتك بالحسام نصفين ولكن سوف ترى عاقبة البغى إذا ذلت بك القدم وتندمى على فعالك ولا ينفعك الندم فاغتاظت قمرية من كلامه وقالت للحاجب

خذه أنت وسر إلى الملك سيف أرعد وسلمه إليه يعذبه العذاب الشديد وأما أتباعه فانا القاهم وأطحنهم طحن الحصيد ولابد لى أن أخلى منهم البرارى والبيد فقال الحاجب سمعاً وطاعة وقام الحاجب فصاح علي عسكره وهد خيامه وأخذ سعدون وارتحل بالليل ولم يعلم برحيله أحد إلا قمرية فإنها عادت إلى بلدها وجلست فى مرتبتها وأما توابع سعدون فانهم لما أصبحوا دخلوا مكان سيدهم سعدون فما وجدوه ونظروا مكان الحاجب فرأوه رحل فعلموا أنه قبض على سيدهم وسار به إلى سيف أرعد فركبوا خيولهم واعتدوا بسلاحهم وهجموا علي قمرية يريدون هلاكها فمنعهم رجالها ووقع الحرب بين الفريقين وزاد الخصام وقل الكلام وهشمت العام وغنى الحسام الصمصام وداموا علي ذلك المرام إلى أن دخل الليل بالظلام وافترقوا عن الحرب والخصام وباتوا إلى الصباح وتقابلوا للحرب والكفاح وجرى الدم وساح وتكومت العالم قتلى على وجه الأرض وتقدم كل فارس جحجاح وأما الجبان فانهزم وطلب الرواح هذا والناس بين غالب ومغلوب واهب ومنهوب وسالب ومسلوب وعاطب ومعطوب حتى دنت الشمس للغروب وداموا علي ذلك الخصام مدة ثلاثة أيام ثم زاد العدد علي عساكر سعدون وأشرفوا على شرب المنون وعلموا أن قتالهم نافلة واياديهم غير واصلة لانهم بلا مقدم مثل الغنم التى بلا راعى ولسعتهم عبيد قمرية بالرماح كلسع الافاعى ولما رأوا ما حل بهم من العذاب والاضرار فما لقوا لهم اصوب من الهرب والفرار فان طعم الموت مر ما يرضاه لنفسه لا عبد ولا حر فولوا الادبار وطلبوا أرضهم والديار فأمرت قمرية بأخذ خيامهم وسلبهم وما خلفوه من رحالهم وجعلت ذلك غنيمة لها وارسلت للملك سيف ارعد تعلمه بكل ما جرى وتجدد فلما وصل الخبر فرح واستبشر وايقن بالنصر والظفر وقامت قمرية فى مدينتها بين اتباعها وجماعتها واما الحاجب فانه أخذ المقدم سعدون وسار برجاله الى مدينة الدور ودخل على

سيف أرعد وسلمه إليه بعد ما قبل الأرض بين يديه فضحك الملك سيف ارعد لما رأى المقدم سعدون والتفت اليه وهو مثل المجنون وقال له وقعت يا ملعون فقال له سعدون ما هو أنا الملعون والملعون الذى يأخذ الناس بالخداع والمحال من عجزه عنهم فى الحرب والقتال وأنت أى فخر لك بين الملوك حتى تسفه علي وأنا مكبل فى الحديد ولو كنت قلت لى كلمة وأنا مطلق اليدين كنت جعلتك على الأرض نصفين ولكن الملك العاجز مثلك يتحايل علي الأبطال يقبضهم بالخديعة والمحال وأنت الآن قبضتنى وبقيت عندك أسير فاعلم أنك إذا أطلقتنى ومن هذا خلصتنى لابد لى من قتلك ولو تعلقت بالنجوم أو غطست فى الأرض تحت التخوم فاغتاظ الملك سيف أرعد من كلامه وأمر بضرب رقبته قدامه فقام إليه رجل سياف وجذب الحسام وأقبل على سعدون وأراد أن يقطع رأسه ويخمد أنفاسه فما هان علي الوزير بحر قفقان الريفى فقام واثباً على الأقدام وتقدم إلى الملك سيف أرعد وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان إيش فعل معك هذا البطل العرمان وهو سيد الفرسان وقتله يا ملك ما هو صواب وان كان صعب عليك قلة أدبه فى حضرتك فهو معذور من وجوه عدة أولاً أنت الذى أمرت سيف بن ذى يزن أن يأخذه الحاجب ويحارب قمرية فانفسد الحال وفعلت قمرية بولدها ما فعلت وعادت قبضت على سعدون بالمكر والاحتيال مع أنه ما كان عاصياً حتى قبضته واتت به من محل عصيانه بل كان مرسولا فى قضاء حاجتك هو وسيف بن ذى يزن كانوا فى خدمتك ولو أرسلت له كان أتى اليك وقدم بين يديك وثانيا لما بقى بين يديك قلت له وقعت يا ملعون هو أولا ما كان عندك ولا راح لقمرية إلا من بلدك ونحن يا ملك محتاجون إلى مثله فانه بطل من الأبطال وفى الحرب يحصى الرجال وموته خسارة يا ملك الزمان وبعد هذا وقبله أنت يا ملك اهدى إلى طريق الصواب فقال الملك والآن ماذا نصنع فيه لأننا قبضنا عليه وما بقى يمكن إطلاقه إلا بطريقة

حسنة فان نفسه حامضة فقال الوزير يا ملك الصواب إنك تأمر له بالوضوء فى السجن حتى تهدأ نفسه وبعده تعمل طريقة على اطاعته وخدمته عندك يا ملك فانه ينفع وللعدو يدفع فأمر الملك سيف لسعدون فى السجن والغيظ كان يعمى بصره وكثر غيظ المقدم سعدون لكونه بلغه موت سيده الملك سيف بن ذى يزن فهذا الذى أنزل به الغيظ والمحن وضاق صدره غاية الضيق وزاد بقلبه نار الحريق فتنفس الصعداء وأبدى لوعة وكمداً ولما اختلى فى السجن بنفسه أنشد أشعاراً تقتضى ما حل عليه وعلى الملك سيف من الاضرار وقال هذه الابيات بعد الصلاة والسلام علي صاحب المعجزات :

* * *

خاننى الدهر مع صروف الليالى ... بفعاله العدوان شر الفعال
ورمانى الزمان بالجور عمداً ... بعد فوزى بغاية الآمال
ليت شعرى وكيف تلك اللعينة ... تتمكّن من نيل سبع الرجال
سيدى سيف فارس الطعن والضرب ... مبيد الابطال عند المجال
كان قرما وشهما ليوم الرزايا ... متلاف كل الامار الثقال
يا عيونى جودى عليه بكاء ... بدموع تجرى كما السلسال
ليتنى كنت حاضراً أفتدته ... بسواء ومهجتى ثم مالى
كنت معه بغاية الامن دوما ... لست أخشى من طارقات الليالى
فرمانى الزمان فيه اغتيالا ... بخداع النسوان ذات الحجال
وأنا بعده أقاسى بلاء ... ورمانى بالقيد والاغلال
ان هذا الزمان الذى قضاه إلهى ... قد قضاه على القرون الخوالى

* * *

(قال الراوى) ثم إن سعدون الزنجى أقام فى السجن يستوفى مكتر به من القضاء والقدر الذى ما لأحد منه مهرب ولا مفر. وامتثل للقضاء وعلم أن فيه لله رضاء. وأما الملك سيف أرعد فانه بعد سجن المقدم سعدون جلس بين رجاله وأحدقت به جنوده وأبطاله فبينما هم كذلك إذا بالرسول الذى أرسلته الملكة قمرية أقبل وتقدم وقبل الأرض وأعطاه كتاب قمرية فلما قرأه وجد فيه اعلم يا ملك الزمان أنى حاربت عساكر العبد سعدون الزنجى ونصرنى عليهم زحل واحتويت علي مالهم ورجالهم وهجوا منى فى البرارى والقفار وأنا لابد أن الحقهم إلى قلعة الثريا وأهلكهم جميعا بالكلية فلما قرأ الملك هذا الكتاب ضحك فقال الوزير لعل ضحكك على خير يا ملك الزمان فقال يا وزير الملكة قمرية نصرها زحل علي رجال سعدون وأسقتهم شراب المنون واحتوت على أموالهم وأسلابهم وأرسلت تعلمنى فى ذلك الكتاب فقاله له الوزير هذا أبرك الاخبار قد بلغك زحل ما تحب وتختار ولكن الوزير قل صبره وجلده وصعب عليه سعدون الزنجى وما جرى عليه وعلى رحاله وقال فى نفسه: "اللهم أنت أعلم بما هم فيه عبادك فانصرهم على أعدائك يا خير الناصرين برحمتك يا أرحم الراحمين هذا ما جرى وأعجب ما جري للملعون سقرديس أنه لما شاهد ما فعل الملك سيف بسعدون الزنجى فرح ولما أتت أيضا أخبار قمرية وفعلها برجاله زاد فرحه وسروره واطمأن فى جميع أموره. ولكن صعب عليه قتل سعدون فانه كان قصده قتله فما بلغ أغراضه فصبر إلى الليل وصار إلى السجن ليقتله فالتقاه ما هو نائم يقظان وعنده من السجن فزع فعاد وهو مغتاظ وأتاه أخوه فى تلك الليلة وسلم عليه فحكى سقرديس لأخيه سقرديون ما جرى وقال فى آخر كلامه: وكان قصدى قتل سعدون فما أمكننى فقال سقرديون اصبر يا أخى وأنا ارمى لك فى غداة غد فتنة يعجز عنها كل أهل الفهم والفطنة وباتوا إلى أن أصبح الله باصباح وجلس الملك السيف ارعد على

كرسيه وأحدقت دوالته حواليه وإذا بالحكيمين أقبلا عليه وهما سقرديس وسقرديون فقام لهما فى الحال علي قدميه ورحب بهما وأجلسهما الي جانبه وسأل سقرديون عن سبب قدومه فقال يا ملك الزمان أنا جئت أزور أخى وأخبره بما عندى من الاشتياق إلى رؤيته ولما أن حضرت إليه أخبرنى بما فعلت الملكة قمرية من قتل ابنها والقبض علي سعدون وكيف أنك أردت قتله فمنعك الوزير من ذلك وأنا قد دبرت لك تدبيراً وهو أحسن المسالك فقال الملك وما هو يا سقرديون فقال يا ملك هل أنت نسيت بنت الملك أفراح شامة التي لها بين البنات للجمال علامة وأنت تعلم يا ملك أن سبب خراب مملكة الحبشة إذا تزوج سيف بن ذى يزن شامة بنت الملك أفراح لأنه له علي وجهه شامة وأنا لى عم من مدة حام بن نوح وهو شيء مثبوت إذا اجتمع صاحبا الشامتين خربت بلاد السودان وهذا لا شك فيه يا ملك الزمان وإن قتل سيف اليزنى كل يوم ألف مرة لابد أن يعود إلى الدنيا ثانيا وتنفذ علي يديه دعوة نوح عليه السلام وهذا شيء لا نقض فيه ولا إبرام ولا يبطل امكانه على طول الدوام وأنا يا ملك أعلمتك بكل ما يجرى من الاحكام وان كانت قمرية تقول إنها قتلت ولدها سيف المذكور فهذا لا يدخل عقلى ولا أصدقه وإن رأيته مقطعا فأنا أعلم أن زحلا يجيبه ثانيا لاجل نفاذ الدعوة وإن أردت يا ملك إفساد ذلك فاخطب شامة أنت وخذها لنفسك واتصل بها فذلك إذا صارت زوجتك لم يقدر أن يتعرض لها أحد. وبذلك لم يبق يذكر دعوة نوح فينا ولا غيرها وأيضا اعلمك بسبب كل بلية جرت لبلاد الحبشة من الملك أفراح وهذا سيف هو الذى يعاونه على كل البلاوى لأنى أول مرة قلت له اقتله ولا تخل هاتين الشامتين يجتمعان مع بعضهما فما رضى يطاوعنى وثانى مرة لما خلص بنته من سحاب المختطف المارد قلت له اقتله فما رضى وأنا اعلم أنه متى اقترن صاحبا الشيمتين نفذت دعوة نوح والآن يا ملك إن كانت قمرية أراحتنا منه وقتلته فلعل ان يكون بلغنا

زحل ما نريد بقت شامة خالصة لك . أيها الملك السعيد وهى أجمل أهل زمانها وتفوق فى الملاحة اقرانها اما تنظر الى سيف اليزنى وإما جرى عليه من أجلها ولما طلبنا منه كتاب النيل يسعى فيه ليجعله حلوانها وخاطر بنفسه اليزنى وما الزنجى يأتى به يجعلها مهرها إلا أن فات ما فات والرأى عندى أنك ترسل إلى الملك أفراح كتابا من عندك تأمره باحضار بنته فى الحال وتحذره من المخالفة والإهمال وهذا الذى أريد. أيها الملك السعيد فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام قال هذا هو الصواب وتولع الملك سيف أرعد إلى الملك أفراح حال وقوفك علي هذا الكتاب تحضر بنتك وتأتى بها عندى من غير تأخير وان خالفت أرسلت لك عساكر إلى بلدك تهدمها وتترك قتيلا غفيرا ويأتوا بك إلى أسيرا وقد نصحتك وأنت أخبر على نفسك بالتدبير وختم الكتاب وأعطاه للنجاب فأخذه وسار به إلى مدينة الحديد ودخل علي الملك أفراح وقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب فباسه وحطه علي رأسه وقرأه وعرف رموزه ومعناه واعرضه على ارباب دولته ووزرائه فقالوا له يا ملك هذه من جملة السعادة والاقبال إذا كان ملك الحبشة زوج ابنتك وتعلو بين الملوك رتبتك ومنزلتك وإن خالفت يا مولانا ركب عليك وعلينا وأهلكنا جميعا وأخذها غصبا بعدما يشتتنا شرقا وغربا. فقام الملك أفراح ودخل علي زوجته وشاورها فيما يفعل فقالت له كل أنثى لابد لها من ذكر ومثل هذا يكون كفئاً لبنتك فأمرها أن تصلح شأنها وتجهزها بأحسن الزينة والملبوس فقامت أمها وفرحت بذلك وجهزت بنتها بأكمل الملابس الغالية وأصلحت أمرها.

فقالت شامة يا أبى إيش هذه الفعال أنا ما أريد زواج أحد من الرجال إلا زواج الملك سيف المفضال فقال لها أبوها يا بنتى الملك سيف فقدوما بان كانه ما كان وهذا الذى طلبك ملك الحبشة والسودان وصاحب المدائن والبلدان لا يمكن أحد يعصاه فإن البلاد كلها بلاده وأنا من جملة نوابه

فاشكرى زحل فى علاه الذى رزقك بهذا الملك العظيم وطاوعيه ولا تكلفينى تعبا وعناء فمن يبقى مثلنا إذا كان الملك صهرنا ويرتفع به قدرنا ويشيع ذكرنا فقالت له شامة يا أبى والملك سيف بن ذى يزن كيف كانت قتلته وما أعلمك بذلك الكلام فقال الملك أفراح ما أعلم وإنما هو مات بقى زوجك هذا الملك الهمام ثم إنه شد لها هودجا علي جمل بازل وأركبها هى وأمها فى هودج ثان وأخذا معهم أرباب الزف والمغانى وساروا جميعا يقطعون الجبال والبرور حتى اشرفوا على مدينة الدور وأنفذ الملك أفراح من عنده مبشرين الملك سيف أرعد بقدومه فلما علم الملك سيف أرعد أمر دولته ان يركبوا ويطلعوا فى البرارى والبطاح ويتلقوا الملك أفراح وبنته الملكة شامة ست الملاح سيف فركبت الفرسان وتلقوهم من أبعد مكان وساروا بهم حتى دخلوا مدينة الدور فأمر الملك سيف أرعد بنصب قبة الزفاف علي نشر عالٍ وسط الرياض وأما الملك أفراح فنزل فى أطيب مكان وترك رجاله تنصب الخيام وراح للملك سيف أرعد لأجل السلام فلما رآه قام له على الأقدام وأخذ بيده وأمر له بالجلوس إلى جانبه وأمر رجاله بالضيافات والاقامات والعوفات والاطعمة الفاخرة ودارت الولائم علي الناس من أكل الطعام وشرب المدام مدة اربعة أيام رتع فيها الخاص والعام واليوم الثامن أمر الملك سيف أرعد بنصب قبة خارج البلد للزفاف وانتقلت شامة من قبة أبيها إلى قبة بعلها وفرح بذلك أبوها وأمها وجميع أهلها وتزينت البلد وكان يوما لا يعد من الأعمار لما فيه من أفراح وطيب المنادمة وراحة الأسرار ولبس الملك سيف أرعد أفخر ملابسه وركب فى موكبه الخاص وأكابر دولته ركبت وراءه وداروا حول البلد وكان قصده فى وسط الليل يصل إلى قبة الزفاف ويدخل علي الملكة شامة ولا بقى خلاف وفى تلك الساعة أقبل عيروض كما أمره الملك سيف يكشف الخبر لما سمع الطبول والزمور كما ذكرنا وجرى من الأمر ما قدمنا والملك أفراح نظر الملك سيف

وعاد إلى سيف أرعد وأعلمه وأتى بالعساكر ليقيم الحرب فعيروض أخذ الملك سيف وشامة وطار بهم كما قدمنا ونزلهم عيروض علي قارعة الجبل وحكت شامة للملك سيف كل ما جرى بالتمام فخر ساجدا لله الملك العلام والتفت الى عيروض وقال له أنا مرادى أقيم فى ذلك المكان أتفرج علي ما يفعل ملك الحبشة والسودان وأريدك تأتينا بزاد فإنى جائع وشامة أيضا جائعة فقال عيروض اعلم يا ملك ان سيف عامل سماط فيه خرفان قممات وطيور محشيات وحلاوات وفطورات فقالت شامة هات ذاك لنا يا عيروض فقال سمعا وطاعة وسار عيروض ورفع كل ما كان فى السماط من أطيب المأكول ووضعه قدام الملك سيف اليزن وشامة فاكلوا بقدر كفايتهم وعيروض أكل الباقى وقعد الملك وشامة يتحدثان مع بعضهما وأما ما كان من الملك سيف أرعد فانه تعجب وقال لوزيره اما سمعت ان قمرية قتلت ولدها وها هو حضر وأخذ شامة عروسته وسلط علينا الجان أ ملكوا جندنا والاعوان فقال له الوزير لا تعجب من هذا الحال فان هذا حكم الملك المتعال وإن كانت قمرية ضربته ضربات خفيفات فداوى نفسه وأتانا يحاربنا أيكون ذلك الوادى معموراً بالجان فترافق معهم وأعلموه بما نحن فيه وتسأل الهك زحل ينصرك عليهم فقال له سيف ارعد أما أنا فقد ضاق صدرى ولا بقيت اقعد عن أخذ شامة فانى قد قل صبرى ثم صاح على الحكيمين سقرديس وأخيه سقرديون فلما حضر قدامه قال لهم رأيتم ما حل بنا من سيف اليزن وقمرية. إنها تقول إنى قتلته وها هو قد أتى الينا ورأيتم ما حل بنا ! فقالوا يا ملك هذا تدبير الملك أفراح لو أراد مساعدتنا علي قتلك ما كان بعد عليه وكلما نطلب منه ذلك يمتنع ونحن قد رميناه فى مهالك كثيرة ويعود منها بخيرات ومكاسب وقد زاد شره . وعساكرك يا ملك الزمان ما لها قدرة ان تقاتل الجان فان اردت أن تقهره فأرسل له رسولا يقول له يبطل كتاب الجان وأخرج انت الى الميدان ان كنت تريد أن تبقى

ملكا علي القري والبلدان فقال سيف أرعد كونوا انتم الرسل اليه وكلما تعرفوا إنه موافق فاعرضوه عليه فقالوا له سمعا وطاعة ثم ان الحكيم سقرديون أخذه سقرديس وسار به إلى ان صار تحت الجبل الذى قاعد عليه الملك سيف والملكة شامة وبادروه بالسلام فرد عليهم سلامهم وقال لهم واتيتمونا وما الذى تريدون؟ فقال له سقرديون اعلم يا ملك ان البغى عاقبته ذميمة ويجب على الانسان أن لا يمشى إلا على الطريقة المستقيمة لأن من حاد عن طريق الانصاف لا يأمن علي نفسه من الاتلاف. وإن الملك سيف أرعد تزوج الملكة شامة من أبيها وأنت أتيت من أين ما كنت وأخذتها وأقمت بها فى هذا المكان وهذا من البغى والعدوان وعادة الملوك ان تحارب بعضها فى الميدان بالسيف والسنان وأنت تعاونت علينا بقتال الجان وهذه طباع السحرة والكهان فان كنت تحاربنا حرب الآدمين نقاتلك حتى نفنى أجمعين أو ينصرنا زحل عليكم اجمعين ولأنك انت والملك أفراح من الطاغين الباغين وان عجزت عن الفرسان واعقدت علي انك تستعين علي أعدائك بحرب الجان فالملك يرسل يحضر لك السحرة والكهان فاختر لنفسك يا ملك الزمان فقال لهم الملك سيف أما قولك أنا أستعين بالجان فهذا شىء لا جرى منى ولا كان وأنا لا أستعين إلا بالملك الديان فان كان يبارزنى فارس لفارس أتلقاه وأصبر على بلاه وإن كان يغدر ويحمل كل عساكره كل راكب عنان فأنا أيضا آمر الجان أن يهرسوهم على الأرض والصحصحان. وأما الملكة شامة فان أول الناس أنتم تعلموا أنكم طلبتم منى مهرها رأس سعدون الزنجى وسرت إلى بلاد الزنوج ودخلت قلعة الثريا وصبرت علي كل بلية وبعد ذلك طلبتم منى حلوانها كأنها ضاعت والتقيتها وصارت زوجتى تحت مملكتى فان يطلبها الملك سيف أرعد ينزل بنفسه إلى الميدان فان قهرنى بالسيف أو بالسنان يأخذها غصبا وأعود أنا ندمان أو يجعلنى قتيلا علي وجه الأرض والصحصحان وأنا إن قدرت عليه

فرجت عليه الحبشة والسودان وملوك العريان وأعمم رأسه بالسيف اليماني وأكسيه من دمه حلة وأرجو ان تعودوا إليه واعلموه بما سمعتم مني من الكلام اليقين ودبروا له لما ترحوا لئلا تنعدموا بالسيوف الماضية ولا ينفعكم سيف أرعد ولا غيره من المحبين فقالوا له يا ملك ما على الرسول إلا البلاغ المبين ثم انهم عادوا من قدامه راجعين حتى وصلوا إلى عند الملك سيف أرعد وأعلموه بكل ما جرى وتجددوا وما قال لهم الملك سيف من الكلام فقال الملك سيف أرعد حتى أسمع كلامه منه فقال لواله قم معنا فقام معهم مختفيا حتى بقى تحت الجبل فقال عيروض للملك سيف اعلم أن القادم مع الحكيمين هو الملك سيف أرعد فقال الملك سيف اليزني يا ملك سيف أرعد ما يلزم أنك تختفي ان كنت طالبا شامة تجعلها لك زوجة بعد ما تقتلني وأنا قلت لتوابعك ولابد ما أعلموك فان كان فيك نخوة رجال فانزل أنت بنفسك ودونك وما تريد وأن تعمد علي غيرك أيضا فالله على ما أقول شهيد فقال الملك سيف أرعد بكرة يكون الحرب والطعان وعاد إلى خيمته الملك سيف أرعد وأما سقرديون وسقرديس فانهم عادوا وكل منهم فرحان يجرى كأنه السرحان ويقولون للحبشة والسودان لا تخافوا من حرب وطعان فما عليكم إلا حرب سيف البيضان وقد امتنع عنكم حرب الجان ولما أصبح الله بالصباح اصطفت أبطال السودان على خيول كأنها العقبان ولما رآهم الملك سيف على ذلك الحال قال لعيروض ائتني بجواد وعدة حرب وجلاد حتى أبرز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وكل من نزل من هؤلاء الحبش والسودان ضربته بحد الحسام اليمان وكسيته من دمه حلة أرجوان فقال عيروض سمعا وطاعة أنا آتيك بما طلبت فى هذه الساعة وغاب عيروض وعاد بعدة حرب وجلاد من خزينة الملك سيف أرعد وأما الجواد فانه حصان أدهم كأنه ليل مظلم فنزل الملك سيف من أعلى الجبل وبقى فى الأرض والمهاد ولبس العدة وركب

الجواد وبرز إلى مقام الحرب والجلاد فبقى كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو قضاء الله إذا نزل وبرز إلى الميدان وتقلب علي ظهر الحصان حتي أذهل بفعله عقول الفرسان ونادى هل من مبارز يا أبطال السودان هل من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بى خفا أنا الملك التبعي الحميري سيف بن ذى يزن دونكم والقتال ومعافاة الأبطال فالتفت الملك سيف أرعد إلى فرسانه وقال لهم كل من أتى به أسيرا له عندى مائة دينار ذهب وجارية حبشية واخلع عليه خلعة سنية تساوى ألف دينار ملوكية وأجعله وزيرى ومديرى ومشيرى فلما سمع كل من كان حاضرا من الفرسان طلب أن يكون السابق للميدان فقال الملك سيف أرعد لا تتدافعوا بل تقارعوا فكل من طلعت قرعته ينزل الى الميدان فطاوعوه وتقارعوا فوقعت القرعة علي فارس يقال له قرقور ففرح بوقوع القرعة عليه وكان حاجبا من الحجاب الكبار وهو بطل مغوار فبرز إلى حوامة الميدان حتى بقى قدام الملك سيف وجرد حسامه وأطبق علي الملك سيف فتلقاه الملك سيف وتقاتلا قتالا شديداً يشيب لهوله الطفل والوليد فأطبق عليه الملك سيف وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالسيف علي عاتقه وخرج يلمع من علائقه فنزل إليه أخو المقتول فما خلاه يصول ولا يجول بل قتله فى الحال وأخلى منه المنازل والطلول ونزل فارس ثالث فما أمهله ورابع فعجل مرتحله وما زال يقتل فارسا بعد فارس إلى نصف النهار فقتل ثلاثين وجعلهم على الأرض مطروحين فعند ذلك تأخرت عنه الرجال وامتنعوا عن المجال فقال سيف أرعد يا ويلكم ليخرج منكم عشرة بالتمام والكمال فأطاعوه وخرج عشرة إلى المجال فصال عليهم وجال فى الميدان ثم ضرب كل واحد بحد الحسام اليمان فجعله نصفا وما مضى غير ساعتين حتى بقوا عشرين فنزل له غيرهم ففعل بهم مثل الذين قبلهم وهكذا عشرة بعد عشرة حتى تنادب عليه سبعون وقتلوا أجمعين

وأقبل الليل وأمسى المساء وعاد الملك سيف بن ذى يزن من الميدان بالسلامة فتلقته الملكة شامة وقالت له مثلك من يحمى الحريم ويفعل فعل الكريم كل ذلك وعيروض يقول له والله يا سيدى لو تأمرنى ما أبقيت من هؤلاء العداد لا أحداً أبيض ولا أسود فقال له هات لنا أنت الطعام فقام وها هو حاضر قوام فأكل سيف وشامة وعيروض قد أخذ الجواد يسيره حتى نشف عرقه وأتاه بعليقة ووضعه قدامه وحفظ عليه وعاد إلى الملك سيف والملكة شامة وقعد يؤانسهم ويباسطهم وأما الملك سيف أرعد فانه تضايق من الملك سيف بن ذى يزن وما فعل من الحرب الأكيد واغتم الغم الشديد وطلب الحكماء وقاولهم إيش رأيتم فى تلك الحال قد قتلت الرجال وفنيت الأبطال ولا بلغنا مرادنا من خصمنا فقالوا له يا ملك الزمان إن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فإن كان فى هذا اليوم النصر له يكون فى غداة غد النصر لنا فقال لهم ها أنا صابر حتى انظر إيش يكون الآخر وبات إلى أن طلع عليه الصباح ورتب العساكر للحرب والكفاح فهنالك برز الملك ابن ذى يزن وطلب القتال فبرز إليه فارس شديد كانه برج مشيد ولطم الملك سيف فتلقاه الملك الفارس الكرار وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وطال الملك سيف على خصمه وأتبعه وأضجره وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فأخرجه يلمع من ظهره ونزل الثانى فأرداه والثالث فأفناه والرابع فما خلاه وهكذا إلى آخر النهار حتى قتل منهم مائة وسبعين واليوم الثالث كذلك هذا وسيف أرعد يكوم المال قدام الرجال ويقول كل من قتل سيف البيضان يأخذ منى ما يكفيه من ذلك المال والخلع الحسان وأعطيه من الجوار الحسان وكلما تنظر الفرسان إلى ذلك المال يأخذهم الطمع وينزلوا للمجال علي تلك الحال وكل من نزل القتال لم يبلغ الآمال ودام الأمر علي ذلك المرام مدة عشرين يوما تماما فتضايق الملك سيف أرعد من ذلك الحال وأما الملك سيف ففى جميع الأوقات يزداد قوة ونشاطاً وعجزت جميع

الأبطال عن الملك سيف بن ذى يزن وقاسوا منه أشد البوائق والمحن وكل من نزل الميدان عدم رأسه من على الأبدان وأما سقرديس وسقرديون فتفطرت كبودهم ونشف بقهم وأحضرهم الملك سيف أرعد وسألهم ما يكون الرأى فى ذلك الفعل الذى تجدد وسيف بن ذى يزن أبلانا بالمصايب والمحن وأوقع فى رجالنا القنا .

فقال سقرديس يا ملك الزمان اصبر عليه حتى يبرز الى الميدان وأطبق عليه بالحبشة والسودان وجميع الرجال والفرسان فيقطعونه بكل سيف يمان وكل رمح سنان فقال الملك يا سقرديس هذا الذى رأيته من الجواب لأجل أن يكون هو صادق وأنا كذاب ورأيك ما فيه صواب ولا نبلغ به الأراب فان الشراط الذى وقع فى المحاربة بيننا أن يكون كل فارس لفارس بالسيف والقنا وأخيرا جعلنا نأمره كل مرة أن يحمل عليه عشرة فامتثل وقاتلهم وما حصل عنده فشل وأنت تقول أن آمر العساكر يحملوا عليه مرة واحدة وربما إذا فعلنا ذلك وخالفنا الشرط يأمر العفاريت أن يحاربونا وبالأحجار والصخور يهشمونا وبعد ذلك جميع الملوك يعايرونا ويقولون فارس واحد عجزت عنه كل عساكر الملك سيف أرعد من حبش وسودان وعريان أما حسبتم حساب ذلك الشأن وهذا عار لا يمحى طول الأزمان فعند ذلك قال له الوزير بحر قفقان الريفى يا ملك أنا أدلك علي تدبير به يهون العسير فقال الملك وما هو أيها الوزير فقال له اعلم أن هذا سيف بن ذى يزن فارس جليد وفى قتاله صعب شديد فان كان قصدك أن تبلغ منه ما تريد فأنزل له فارساً مثله صنديداً لتظفر بمقصودك وتفى بأيمانك وعهودك فان ما للحديد إلا الحديد فقال الملك سيف أرعد ومن عندنا يقوم مقامه ويثبت فى الحرب قدامه فقال الوزير ما له إلا سعدون الزنجى أيها الملك الرشيد فقال الملك اعلم أن سعدون صاحب سيف بن ذى يزن وهو مرافقه فكيف نمن عليه نحن ونطلقه ولم تعنى ببطل غيره مما تختاره وتراه فقال يا ملك

ما عندك أحد سواه وهو الذى يأتيك به إما قتيلا أو أسيرا أو السودان ما لهم صاحب ولا يعرفون إلا المال والمكاسب وسيف بن ذى يزن لما أخذه من الميدان ما كان بشجاعته وإنما وقع السلاح من يده فعدم صبره مع جلده فقال الملك إذا كان الأمر كما ذكرت فسر أنت اليه وعده عنى بكل جميل عسى أن قلبه الينا يميل وإن قتل سيف بن ذى يزن أو أتانى به أسيرا فإنى أجعله لدولتى وزيرا فقال الوزير السمع والطاعة وقام وسار إلى المدينة ودخل الى المطمورة التى هى مسجون فيه المقدم سعدون فدخل عليه فوجده قاعداً مغبوناً ومن شدة تعبه أشرف علي شرب كأس المنون فقعد قدامه وسلم عليه أحسن سلام وآنسه فى الكلام وصار ينقله من كلام إلى كلام حتى انتهى معه إلى ذكر الملك سيف بن ذى يزن وذكر اجتهاده ومروآته وهمته وشجاعته وثباته فى الميدان وجسارته علي الحرب والطعان وقال الوزير يا سعدون أظن أنه لم يكن له نظير فى ذلك الزمان فبكى سعدون الزنجى لما سمع بذكر سيده وتجسر وسال دمعه على خده وتحدر وقال يا وزير الزمان وحق الاله الرحمن خالق الانس والجان لو كانت الملعونة قمرية قبل ما تقتل سيف بن ذى يزن قتلت روحى أنا وتبقيه لرضيت بذلك ولا كنت أفرط فيه فعلم الوزير أنه صادق فى محبته فمال اليه وساوره فى أذنه وقال له إن أستاذك طيب بخير وعافيه وما جرى له شىء جملة كافية والذى سمعته عنه كذب محال وهو محاصرنا على مدينة الدور وقد عجز عنه كل فارس مذكور كل عشرين يوما يحاربنا وحكى له على ما جرى من قدومه وأخذا شامة من البرارى والقفار ورجه الناس بالأحجار وشراب النار فقال سعدون أحق ما تقول أيها الوزير أما أنت تضحك علي وتستهزئ بهذا القول النكير فقال الوزير أنا كل كلامى حق ما فيه ضلال وتزوير وحق الملك العليم القدير فلما سمع سعدون ذلك القسم همهم ودمدم وفرح وتبسم وكاد أن يطير من الفرح وزال عن قلبه الهم والترح وقال له يا وزير أنا لو أكون مطلوقا

كنت أتقدم اليه وأقبل يديه ورجليه وأحارب كل من هصى عليه وأجعل روحى له الفدا ولا تشمت بى ولا به العدا فلما سمع الوزير بحر قفقان من سعدون ما يبديه فقال له وأنا ما أتيت إلا لأطلقك من الاعتقال وأعتقك من ذلك الوبال حتي تطلع لأستاذك على أكمل حال ودبرت تدبيرا مايعرفه إلا من كان بالأمور خبيراً أو تعجز عنه صناديد الرجال أن أنت قلت ما أقول لك من المقال وأريد منك اذا وقفت قدام الملك سيف أرعد أن تتأدب وتقبل الأرض بين يديه فاذا قال لك أريد منك أن تخرج إلى هذا الفارس الذى اسمه سيف بن ذى يزن ولد الزنا وتربية أمه الخنا تأتينى به قتيلا أو أسيرا وأنا أزوجك بنتى وأقاسمك فى نعمتى فقبل الأرض ثانيا وقال له نعم يا ملك الزمان أنا لى عليه ثأر وأنا ما كنت ساير الا ومرادى أن أبلع منه فرصة وأجرعه من الموت عصة أى غصة وافعل ما أريد والآن يا ملك بلغنى زحل ما أريد وسوف آتيك به أسيرا واجعله علي الغبراء قتيلا عفيرا فاذا الغبرا قال لك أخرج اليه فاخرج وافعل ما بدا لك ولا ترجع السودان ولا تنظرهم وعاون الملك سيف علي قتالهم وإذا وصلت اليه فأقرئه منى السلام. فقال سعدون سمعا وطاعة يا وزير جزاك الله عنا كل خير ثم إن الوزير خرج من عند المقدم سعدون الزنجى وسار عند الملك سيف أرعد وقال له لك البشارة أيها الملك السعيد وبلغك زحل كل ما تريد واعلم ان سعدون الزنجى أجابك علي أنه يقتل الملك سيف بن ذى يزن وينزل به الرزايا والمحن فقال ائتنى به فأحضره الوزير وأوقفه قدام الملك فقبل الأرض وتأدب فقال له الملك سيف أرعد يا سعدون أنا ما جئت بك عندى إلا لأجل أن أخرجك إلى سيف بن ذى يزن تقتله أو تأتى به عندى أسيرا فقال سعدون السمع والطاعة سوف أخرج اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وأذيقه كأس العطب واجعله مثلا يضرب وأعود بعدها اليك واجتهد فى الخدمة بين يديك فقال له الملك إن أنت قتلته زوّجتك ابنتى وقاسمتك نعمتى فقال سعدون يا ملك هذا أقرب ما

يكون فهون علي نفسك ما لا يهون وسوف ترى ما يسرك من عبدك سعدون فأمر الملك باطلاقه وأمر له بخلعه سنية وضعت عليه فقال سعدون اعلم يا ملك أني ما أستاهل هذه الخلعة ولا ألبسها حتى آتيك برأس الخصم بين يديك وأسقيه من الموت غصة فاني الآن قد بلغت منه فرصة وإذا بارزته وأتيت به بين يديك ففى هذا الوقت تلزمك الخلعة وتكون حقى وأستاهلها فقال الملك إذا فعلت ذلك جعلت أموالى وخزائنى لك مباحة تأخذ منها كل ما تريد دونك يا سعدون أعانك زحل على خصمك ولكن لا تخرج حتى تأكل معى طعامى وتشرب مدامى ثم ان الملك أمر باحضار الطعام فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وانشالت الاوانى وغسلت الأيدى فأمر الملك لسعدون بعده كاملة آلة حرب وشاملة وحصان من أفخر خيول الحبشة والسودان فقام سعدون ولبس عدته وتقلد لأمته فصار كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو قضاء الله إذا انحدر ونزل وسار الى الميدان وقال فى نفسه أنا لما قابلت الملك أول مرة غلبنى وقهرنى وعفا عنى ولكن أريد أن أجرب روحى معه وأقاتله حتى لا يبقى فى قلبى شك فى فروسيته ثم انه صار الى الميدان ومحل الضرب والطعان وقد جعل علي وجهه اللثام وحمل علي الملك سيف حملة الاسد الضرغام فاستقبله الملك سيف بن ذى يزن بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرأ من تيار البحر إذا زخر وتقابلا قتال من له على خصمه ثأر وتطاعنا بالاسمر الخطار وانعقد علي رأسيهما الغبار وانطبقا والتصقا وافترقا وتناصلا وتباعدا وتقاربا واتصلا وانفصلا وتارة يكونان فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة يجرى بهما الخيل خيال تارة قهقرة وصار الحرب بينهما كالنار المسعرة وداموا على ذلك العيار من أول النهار حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وسعدون رأى من الملك سيف الغلبة وإن ثبت قدامه يسقيه النكبة فعند ذلك رمى الرمح وترجل عن ظهر الجواد الي الأرض والمهاد وقال يا ملك الزمان ثبت يديك ما أنت إلا فارس

الزمان وأشجع كل من ركب على ظهر الحصان يا سيدى لا تؤاخذنى بما بدا منى من النقصان فما كان قصدى إلا أجرب روحى معك فى الميدان ثم أنه كشف لثامه عن وجهه وقال له يا سيدى أنا عبدك سعدون وما فعلت ما فعلت إلا من باب الجهل والجنون وأنا عبدك سعدون ثم أنه تقدم وقبل رجله فى الركاب وقال له الحمد الله علي سلامتك يا أعز الاحباب لو تعلم ما جرى على فى غيبتك فقال الملك سيف يا سعدون وما أريد منك كلام فى هذا المقام إلا إذا انفصلت هؤلاء الأقوام وهذا الضرب بالحسام ما هو وقت كلام خذ أنت ميمنة القوم وأنا الميسرة فقال سعدون سمعا وطاعة وانحرف يمين العسكر وكذلك الملك سيف بن ذى يزن أخذ اليسار ونادوا الله أكبر وكان لسعدون صوت عال جهورى فنادى ابشروا يا كلاب السودان بقلع آثاركم وخراب دياركم وفنائكم ودماركم وهانحن قد جمع شملنا وخلصنا من ايديكم بلا تعب ولا عناء وسوف ينزل بكم الفنا فليبرز منكم كل فارس منتخب حتى يذوق الويل والحرب ويشرب من حدود سيوفنا شراب العطب فلما سمع الملك سيف ارعد ذلك غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد والتفت إلى الوزير وقال له انظر سعدون اتفق مع سيف بن ذى يزن صاحبه لما كل من طعنه ومضاربه فقال الوزير لا شك أنه كان غالبا فخاف أن يسقيه كاساً عطبه فانضاف اليه خوف أن يغضب ويجعل عليه فقال الملك ما بقى إلا أن يخرج الى الاثنين كل من كان فى المدينة من الرجال والشجعان والابطال حتى يحملوا عليهم في القتال ويأتونى بهم فى عاجل الحال لئلا تعايرنى الملوك كل غنى وصعلوك ثم أن الملك صاح فى كامل رجاله فتبادروا إلى الميدان من حانب ومكان كأنهم فروخ ان فتلقاهم الملك سيف وسعدون كأنهم العقبان وغنى السيف اليمان وسارت القتلى كيمان وانصبغت الأرض بالدماء كالارجوان وكان ذلك إلى وقت آخر النهار فأرادوا الانفصال فما مكنهم الملك سيف أرعد بل إنه صاح فى رجاله ويلكم

خذوهم وبأسيافكم قطعوهم أما أنتم رجال وفرسان المحا وهذان اثنان قدامكم فى القتال شيلوهم على أسنة الرماح العوال وقطعوهم بكل حسام فصال فتناخت جميع الابطال وتصايحوا أشد صياح وهاج الملك سيف بن ذى يزن فارس الكفاح وسعدون الزنجى ليث الحرب والرماح ومازالوا على ذلك الرواح حتى برقت غرة الصباح وبانت الوجوه الملاح من الوجوه القباح وتعب سعدون ومل من كثرة الكفاح فأراد أن يأخذ له راحة فما مكنهم سيف أرعد من ذلك وصاح فى السودان وقال يا ويلكم اهجموا عليهم واقتلوهم فقد تعبوا من الحرب والقتال فعند ذلك صاحب الرجال وهزت الرماح والعوال وكثر الهياج وقوى العجاج وصاروا يرمون القتلى أزواجاً وأفراد ودام الامر على ذلك العيار الى آخر النهار هذا وسيف أرعد واقف علي الرابية يصيح فى سودان وينخيهم للحرب والطعان ويقول يا ويلكم هما اثنان وأنتم عددكم كثير وياويلكم اطبقوا عليهم من كل جانب وقطعوهم بالسيوف القواضب واتبعوا خيلهم فاذا قتلتم الجوادين قتلتم الفارسين لأنه ما يبقى فيهم عزم للوقوف واشرفوا على شرب الحتوف ودام الأمر على هذا المرام ثلاثة أيام تمام ليلا ونهارا حتى أن الفارسين كلا من كثرة الصدام وايقنا بشرب كاس الحمام وعجزا عن الحديث والكلام بينما هم على ذلك الحال وإذا هم بصرخات وضجات عاليات وزعقات ثائرات وقعقعة نازلة من الجو على الملك سيف وسعدون واختفى الاثنان وكان الذى خطفهما عيروض وطار بهما فى الجو وما زال سائرا بهما حتى نزل بهما عند الملك شامة وهناهم بالسلامة فقال الملك يا عيروض لماذا فعلت هذه الفعال وأنا شرطت على نفسى أن الجان لا يقربونا فى المجال فمن امرك بالقتال معنا فقال عيروض أكنت أتركك تروحون غلطا فلولا أنى أدركتكم لكنتم مشرفين علي الهلاك وسوء الارتباك وقتالكم هذا على غير صواب أما شامة فهى معك وقد خلصت من الاعداء وكذلك صديقك سعدون فاخبرنى عن

هذا القتال عن أى شىء يكون فقال الملك سيف بن ذى يزن والله يا عيروض إنك صادق وهذا هو المرام ولكن أريد أن توصلنى الي المدينة الحمراء عند أمى قمرية لأنى تركت عبيد سعدون محاصرين مدينتها وقصدى أعاتبها على فعلها وأجازيها على مكرها وعبارتها فقال عيروض السمع والطاعة واحتمل الثلاثة على كاهله وهم الملك سيف وشامة وسعدون وسار بهم من تلك الساعة وما زال سائرا بهم إلى المدينة الحمراء وانزلهم على سن جبل وغاب ساعة وعادلهم بخيل مسومة مسرجة ملجمة بمراكب ذهب بفصوص جوهر أنواره تلتهب وقال لهم اركبوا سوف ترون العجب فقال له المقدم سعدون يا أخى اعمل معى جميلا وانظر رجالى أين هم وائتني بهم فقال له عيروض اعلم يا أخى أن رجالك الذين كانوا معك لما ثقل عليهم العدد فى حرب قمرية تجمعوا واقاموا فى هذا الجبل وتحصنوا فيه وإذا احتاجوا الى طعام أو خلافه فينزل أحدهم .يدخل البلد ليلا ويأخذ كل ما احتاجوه بالسرقة والعيارة ولهم مدة علي ذلك الحال فلما سمع سعدون من عيروض ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وسار هو والملك سيف وشامة حتى وصلوا إلى العبيد فلما رآهم العبيد قاموا اليهم وتلقوهم وهم متأهبون للقائهم وظنوا أنهم اعداؤهم فصاح سعدون عليهم وقال لهم أنا سعدون كأنكم ما تعرفوننى فقالوا له أهلا وسهلا وتقدموا وسلموا عليهم وقبلوا أيادى سيدهم وأيادى الملك سيف وهنوهم بالسلامة من البؤس والندامة ثم تقدموا للملك سيف وشكوا له ما جرى لهم من قمرية وكيف دهمتهم بكثرة العساكر وقالوا كان مرادها أن تنزل بنا الموت المعجل فتحصنا منها بذلك الجبل وذلك لغيابكم عنا فلو كنتم خلف ظهورنا لكنا بذلنا بين أيديكم أرواحنا ونقاتل حتى تلعب حوافر الخيل برؤسنا ثم حكوا لهم من أول الأمر إلى آخره وكشفوا لهم عن باطنه وظاهره فقال لهم سعدون ما هذا وقت كلام اركبوا الآن خيولكم واعتدوا بنصالكم

ودونكم وأخذ الثأر من عدوكم فقالوا له حبا وكرامة ثم انهم ركبوا خيولهم واعتدوا بنصولهم وركب المقدم سعدون فى أوائلهم كانه الموت الاحمر والبلاء المصور وعيناه تتقدم بالشرر وساروا من هذا الجبل كانهم القضاء المنزل واحتاطوا بمدينة قمرية وهى حمراء الحبش التي بناها الملك ذو يزن وهم يصيحون يا أهل المدينة أبشروا بالدمار وخراب الديار وقلع الآثار فلما سمعت قمرية هذه الأخبار طار من عينها الشرار وسألت عن الخبر فقال لها رجالها اعلمى أيتها الملكة الكريمة أن عبيد سعدون أقبلوا الينا يريدون قتالنا فصاحت فى رجالها وقالت يا ويلكم اخرجوا اليهم واهجموا عليهم واقتلوهم وعلى الأرض جندلوهم فعند ذلك ركبت الرجال علي ظهور الخيول العوال وطلبوا الحرب والقتال والطعن والنزال وطلعت هى فى أوائل العسكر فسمعت الملك سيف وهو ينادى بصوته الجهور ويقول الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر وحيانا بالنصر والظفر فلما تحققت قمرية تلك الأمور المقضية نزلت عليها الرزية وأيقنت بكل بلية وقالت فى نفسها يا ليتنى قتلت ولد الزنا هذا بيدى فإنه الان طاب وعاد إلى محاربتى وكيدى ولكن أنا أخدعه وبالحيلة والمكر أصرعه ثم إنها فى عاجل الحال صاحت فى عساكرهم وقالت يا ويلكم ارجعوا على أعقابكم وادخلوا مدينتكم كيف تقاتلون ملككم وابن ملكتكم فقالوا لها أنت التي امرتينا بالنزول اليه فقالت أنا ما عرفته ولو كنت عرفت أنه ولدى كيف آمركم بقتاله وحربه ونزاله فعاد العساكر وأما قمرية فتقدمت إلى الملك وسلف وبكت وقالت له يا ولدى اسحب حسامك واضرب رقبتى وأنت برىء من دمى وخطيتى فلا كانت الدنيا بعدك فانت يا ولدى عندى أعز من كل الدنيا وها أنا يا ولدى ظلمتك وتعديت عليك فدونك اشف فؤادك منى واسحب سيفك واقتلنى حتى تكون أخذت تارك وأرحت عنك عارك ثم انها بكت بكاءً شديداً وتمسكت بالخداع الذى يلين الحديد وكشفت صدرها ورخت عبرتها علي

صدرها وصاحت واولداه واثمرة فؤاداه فعند ذلك رق قلب الملك سيف بعد الغضب وتعجب من ذلك السبب وقال لها يا أماه هذا شيء مقدور والحمد لله الذى جعل عاقبته سليمة وطرائقه مستقيمة وحصل لى ذخائر عظيمة وفوائد جسيمة فقالت له يا ولدى وما هذه الذخائر العظام فقال لها أتيت بلوح عيروض بن الملك الأحمر وصار لى خادماً وأتيت بالحسام وهو سيف الملك سام بن نوح عليه السلام وحتويت على تلك الممالك والانعام وأتيت وأنا سالم بأمر الملك العلام فلما سمعت قمرية منه ذلك الكلام زاد بها البلا والوجد والهيام ولكن أظهرت الفرح والابتسام وأخفت ما بها من نار الاضرام فقال لها وإن اللوح ما يحمله إلا كل طاهر فإن خادمه من أولاد ملوك الجن الأفاضل فقالت قمرية بمكرها والخداع والحمد لله على سلامتك أيها البطل الشجاع والقرن المناع ادخل يا ولدى برجالك إلى مدينتك واجلس علي تخت أبيك فى مملكتك فإن الدولة دولتك وأما أنا فكنت موكلة عليها حتى كبرت ثم إنها سارت قدامهم إلى داخل المدينة وأمرت أهل البلد بالأفراح والزينة ودخل الملك سيف وسعدون الزنجى معه وكذلك الملكة شامة طلعت إلى أعلى مكان وهى فى غاية الفرح والأمان وصارت قمرية تضمها إلى صدرها وتفرح بها وتقول لها يا ملكة شامة كما أن الملك سيف ولدى فأنت عندى عزيزة لأجل خاطره فانى ما رزقت ولدا غيره ومعتمدى ما يكون إلا عليه هذا والملك سيف وسعدون الزنجى قد جلسوا علي كراسى الديوان ودار بهم الوزراء والحجاب والخدام وجميع أرباب الديوان وقاموا فى أمن وأمان ولهم كلام.

(قال الراوى) وأما الملك سيف أرعد فإنه لما نظر إلى ما جرى ورأى أخصامه قد راحوا من قدامه وهلك خلق كثير من عسكره وأربابه فما كان إلا أن عاد إلى مدينة الدور وجلس فى مملكته وكانت عساكره قد عادوا قدامه مكسورين ومما أملوه خائبين وبعد ما أقام فى مدينته التفت الى

الوزير وقال له إيش رأيت يا وزير فى هذا الأمر العسير فقال له الوزير بحر قفقان يا ملك أنا أرى أن هذا الولد قويت شوكته وبقى ملكا مثل الملوك ويفتح مدينته ويحكم على دولته ورعيته فان غفلت عنه ما تأمن على نفسك منه وأنا ما قلت له إلا حقا ولا تكلمت إلا صدقا فأحضر حكماء مملكتك ودعهم يديرون فى هلاك أعدائك وإلا فلا تنال غرضك فعند ذلك أمر الملك سيف أرعد باحضار الحكماء سقرديس وسقرديون فلما حضروا قال لهم إيش رأيتم يا حكماء فى هذا الحال الذى قد جرى علينا وها هو سيف البيضان انتصر علينا وكسرنا وهرب من بين أيدينا وأخذ شامة بنت الملك أفراح وما بقى لنا فيها براح فقال له الحكماء يا ملك وحق زحل فى علاه ما هذا إلا تدبير الملك أفراح ومن الرأى الصواب أنك تقبض عليه وتقتله وترتاح منه ومن دواهيه فإنه مادام طيباً علي قيد الحياة لا تأمن أنه يغرى سيفا علي قتالنا وتعاونه الجان على خراب ديارنا وقلع آثارنا ولا يغرك أن الملك أفراح لك حبيب وما هو إلا عد ورقيب فاقتله لترتاح من غائلته فإنه هو الذى يقوى سيف بن ذى يزن علي غدره وخيانته فقال الملك سيف أرعد صدقتم ثم أنه أحضر الملك أفراح إليه وأمر بالقبض عليه فقال الملك أفراح أنا إيش عملت حتى استحق ذلك فقال له سيف أرعد أنا ما اعرف ذنبك وانما الحكماء الزمونى بقتلك ولا يمكن أن اعاديهم من أجلك ثم أنه أمر بضرب رقبته فقام السياف علي رأسه وجذب بيده الحسام وأخذ الدستور فقال له سيف ارعد اقطع رأسه حتى نرتاح من شره وبأسه فرفع الملك أفراح رأسه الي السماء وتوسل بعظيم العظماء وصار يقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات .

* * *

يا من يرى حالى ويعلم ما أنا ... فيه وما قاسيت من ذاك العنا
يا من يرانى فى يدى أعدائه ... فى ذلة الاسر الشنيع موهنا
انى دعوتك خائفا يا سيدى ... ممن يريد يذيقنى كأس الفنا
ادعوك مضطرا وأنت وسيلتى ... وعليك معتمدى عسى القى الهنا
يا رب بالبيت العتيق ومن غدا ... بجواره من خوفه مستأمنا
انعم عليّ وفكّ أسرى عاجلا ... فرحا لنا ومذلة لعدونا

* * *

وصار الملك أفراح يدعو بتذلل وابتهال وخضوع لقدرة الله الملك المتعال فما اتم دعاءه حتى أظلم الجو ونزلت فقعة من الهواء مثل الرعد القاصف وكان هذا النازل عيروض بن الاحمر وصرخ فى وسط ديوان سيف أرعد فكاد أن يزلزله وانقض علي الملك أفراح وحمله وكان السبب فى ذلك أن قمرية أخذت شامة واطلعتها الي قصرها فنظرت الى القصر وقالت للملكة قمرية ائتنى بسيدى الملك اسأله عن حالى فنزلت قمرية الى الملك سيف وقالت له يا ولدى كلم زوجتك شامة فان حالها ما هو مستقيم فقام الملك سيف وطلع إلى شامة وقال لها ما الخبر فقالت له يا سيدى انك انقذتنى ومن سيف أرعد أخذتنى ولكن أبى عند سيف أرعد أخاف عليه أن يضام وأن سيف أرعد ينتقم منه غاية الانتقام ولو كان لى قدرة لكنت أسير اليه واخصله من بين يديه وأنا ما اعتمد فى خلاصه الا عليك وها انا قد شكوت قصتى اليك فعند ذلك قال الملك يا عيروض امض الى الملك أفراح وائتنى به عاجلا فقال سمعا وطاعة فسار عيروض واختطف الملك أفراح وسار به حتى وضعه قدام الملك سيف وأما الملك سيف ارعد فقال إيش رأيتم فى هذه الفعال فقال الحكيم سقرديس يا ملك ما ترى هذه الافعال الجان ونحن ما لنا على فعل الجان طاقة ولا لنا على حربهم استطاعة ولكن يا ملك بحسن التدبير يهون كل امر عسير هذا ما

جرى هنا وأما الملك سيف للوضع عيروض الملك أفراح بين يديه فتح عينه فرأى شامة بنته ورأى الملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى والملكة قمرية فقال أين أنا فقال الملك سيف أنت عندى يا جاهل يا قليل العقل تزوج بنتك لسيف أرعد وأنا موجود وتنكر المواثيق والعهود ولكن أنت لك عندى شافع عظيم وهى الملكة شامة صاحبة الوجه الوسيم واللفظ المبلح الرحيم والحسن والجمال المقيم فقام الملك أفراح للملك سيف بن ذى يزن وقبل يديه واعتذر إليه من ذنبه فقال له ما قلت لك ما فعلته محمود منك ولا ترى منى إلا الخير والسلامة اكراما لما ربيتنى فى نعمتك وأيضا لأجل خاطر الملكة شامة بنتك فقال له الملك أفراح والله يا ولدى أنت عندى أعز من أولادى ومن روحى ومن فؤادى وأما هذه الفعال التى تجرى والأحوال فما هى إلا من أولئك الحكماء أولاد الانذال فقال له الملك سيف يا ملك أفراح أنا لما خطبت بنتك فى الأول طلبت رأس سعدون الزنجى وأتيت به وهى على قيد الحياة وأنت قلت المهر وصلنى بقدومه هل جرى ذلك أم لا فقال نعم فقال الملك سيف وثانيا طلبت منى حلوانها كتاب تاريخ النيل فاتيت به هل هذا صحيح ألا فقال الملك أفراح نعم كان ذلك فقال الملك سيف وهذا الوقت هل بقى لك على حجة تحتج بها فى زواج بنتك شامة لى فان لم يكن لك غرض فى ذلك فاعلمنى فقال الملك أفراح معاذ الله يا ولدى والله أنا وأولادى وبلادى وأجنادى كلهم بحكمك وأنا خادمك وبنتى أمتك وما كان أحد يلقى بيننا الفتن والتأسيس إلا الحكماء سقرديون أو سقرديس وإن أردت فى هذا الوقت أن أكتب لك كتابها علي ملة أبينا الخليل ابراهيم واجعل لك فرحا عظيما وتدخل عليها فى أى وقت أردت فلا مانع ولا يدفعك عنها دافع فقال الملك سيف إن كان قولك صادقا وما فيه مخادعة ولا تحته حيلة فيكون فى هذه الليلة يكون الفرح والسرور ويكون علي أنا اتمام الأمور وامرت بديوان عموم حضرت فيه أرباب الدولة جميعا ودخلت قمرية وأحضرت

عشرة عقود جوهر كل عقد يساوى الفى دينار أو أكثر قدمتهم الي الملك أفراح وقالت هذا مقدم صداق شامة بنتك سيدة الملاح واعطت لشامة عقداً أربعة عشر فصا من الجوهر كل فص يساوى ألف دينار وأخرجت لها بدلة كنوزية كلها بتفاصيل الابريسم الخالص منسوجة بشرائط الذهب وخلعت علي الوزراء والحجاب الخلع السنية وفرقت علي الخدم عشرة آلاف دينار وأقامت الأفراح سبعة أيام والناس يهرعون الي أكل طعام وشراب مدام وعقد الملك سيف على شامة عقد النكاح وذبحت عند ذلك الاغنام وكسيت الارامل والأيتام وقامت الأفراح سبعة أيام ولما كانت الليلة الثامنة دقت الطبول ونعرت البوقات ودار سماع أغانى والآلات المطربات وانجلت الملكة شامة على الملك سيف وتم له بها الزواج بلا مانع ولا احتجاج وقام الملك سيف وسار الى محل الاختلاء فلما أتى إلى باب القصر عارضته أمه فى الطريق وقالت له يا ولدى ويا قطعة من كبدى هذه الليلة ابرك ليالى الزمان التى تغيظ العدو وتفرح الاخوان وأنا أرجو من الله تعالى ان تغتلبها بالمقدرة والجاه والمال هى أيضا تغلبك بالأولاد والعيال وتعيشوا متمتعين على أحسن حال فشكرها على مقالها وقبل يدها وقال هذه ببركة دعائك فقالت له يا ولدى أنا قلبى يحدثنى بالخوف عليك من جهة هذا اللوح الذى أنت حامله وأنت قلت لى ما يحمله الا كل طاهر وهذه ليلة دخلتك فاحترس عليه من أعدائك فانه من أحسن الذخائر وماتت بحسرته الملوك وأنت يا ولدى أخذته بلا مشقة ولا تعب فيجب عليك التحفظ عليه من النجاسة وأنت داخل علي زوجتك لتزيل بكارتها فربما يعتريك عذر الجنابة وأنت حامل ذلك اللوح فيحصل لك من ذلك ضرر فقال الملك سيف يا أماه أنا محترس عليه غاية الاحتراس ولا أفرط فيه أبدا ولكن قولك صحيح وأخشى من العذر يعترينى وهو معى ولكن أريد منك أن تأخذيه وتحفظيه ولا تفرطى فيه حتى أقضى أنا من زوجتى وطرا وآخذه منك بعد ما أسقط عذرى ويرتاح

بالى وفكرى فإنك تعلمين أن هذا اللوح لا أفرط فيه ولا آمن أحدا غيرك عليه فقالت له يا ولدى أن أحفظه لك ما بين جفونى واجعله معادل عيونى فشكرها على قولها وفى تلك الساعة أجليت الملكة شامة وأدخلوها إلى محل الخلوة وقام الملك سيف ودارت به أكابر دولته وسار حتى دخل المكان فقامت الملكة شامة علي حيلها وقبلت يده ومد يده فكشف وجهها واراد أن يتقدم حتى يزيل بكارتها وإذا بأمه دخلت عليه وجلست بجانبه وقالت له يا ولدى هناك الله بالعروس ورزقك منها الاولاد الذين بهم تُسَرُّ النفوس وجعل الله كعبكما مباركا علي بعضكما واعلم يا ولدى ان الله أعطاك مرتبة لم يبلغها إلا نبى الله سليمان وهى حكم الانس والجان وانك منصور على سائر الملوك والاقران ثم انها أنشدت تقول هذه الأبيات صلوا علي صاحب المعجزات:

* * *

هنيت يا ولدى بما قد نلته ... وبلغت فى الايام ما امّلته
وبلغت قصدك بالزواج بشامة ... بنت الملك أفراح إذ ناسبته
من بعد ما قاسيت كل شدائد ... صعبت وعنك الحزن قد صرفته
ولقد رميتك رميتين وغرنى ... إبليس من رميى وقد طاوعته
حقا ونجاك الكريم بفضله ... ووصلت بيتا للمليك دخلته
واللوح من عيروض حزت وسيفهم ... ماتوا بحسرتهم خلافك وانتهوا
ولقد غدا قلبى بحبك صافيا ... وندمت من قبح اليك فعلته
وأخاف أن تحظى بعرسك سيدى ... واللوح معك تكون قد آلمته
فاجعله عندى يا بنى أمانة ... ومن الصباح تراه أين طلبته
وتفوز بالذكر الجميل على المدى ... ويكون عيروض خديمك سمته
الله يعطيك المسرة والهنا ... والسعد والتوفيق ما أملته

* * *

(قال الراوى) فلما سمع الملك سيف من أمه ذلك الكلام ورآها فرحانة بزواجه فى هذه الأيام مع ما أخرجت من الأموال والانعام ورآها تندمت علي فعلها فظن أنها حقيقة عليه شفيقة وقال فى باله إن الوالدة هى الرؤوفة وظن فيها خيرا كما قيل.

* * *

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

* * *

وكان الملك سيف صافى النية قال بعضهم فى مثل ذلك :

لا يكن ظنك إلا شيئا ... إن سوء الظن من أقوى الفطن

* * *

(قال الراوى) فقال لأمه يا أماه أنا ما أطلب من الدنيا إلا رضاك لأن الأم إذا كانت راضية على ولدها فإن الله يرضى عليه فقالت يا ولدى أنا راضية عليك وبروحى ومهجتى ومالى أفديك فقال لها امى اريد منك ان تأخذى اللوح وتحفظيه معك حتى ابتكر عروستى واطهر من معذرتى فقالت له سمعا وطاعة يا قرة العين فقام الملك سيف وخلع بسلسلة اللوح من ذراعه باهتمام واعطاه إلى الملعونة قمرية ولم يحسب حساب تلك الرزية ولا القضاء النافذ بالكليه وذلك لأنه مشغول قلبه بدخوله على شامة ولم يحسب حساب تلك الندامة ولما دخل على شامه وجدها كأنها عروس الكنز مما عليها من الحلى والحلل فضمها إلى صدره وعنقها وقضى منها وطرا فوجدها درة لم تثقب ومطية لغيرة لم تركب فأزال بكارتها وفى الوقت اقترنت الشامتان على بعضهما فى ذلك الحمى كما اراد رب الأرض والسماء فكان كما قال القائل :

* * *

ومليحة تنفى الهموم بجسنها	ومهفهف يزرى الغصون بقده
ملست فاطربت الغلام بحسنها	وبشجوها لعب الغرام بسعده
فدنا يقبلها ويرشف ثغرها	مما اعتراه فاسرعت فى رده
لطمت عوارضه بقوة يدها	فى جبهة وتنكرت عن ورده
فاخضر آس عذار من كفها	واحمر باطن كفها من خده

* * *

(قال الراوى) وتعانقا وكانت لهما ليلة من أبرك الليالى اجتمعنا محبين عاشيق متيمين فى مكان خال كما قال بعض المتيمين فى مثل هذا المعنى صلوا على طه الرسول :

* * *

زر من تحب ودع مقالة حاسد	ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا	من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا	مُتوسدين بمعصم وبساعد
وإذا صفالك من زمانك واحد	نعم الصديق وعش بذاك الواحد
وإذا تألفت القلوب مع الهوى	فالناس تقطع فى حديد بارد
إن الحبيب إذا تكامل ودهُ	فى كل ما أهواه كان مساعدى

* * *

وبعد ذلك وضعا رأسيهما على وسادة المنام وكل منهما نام هذا ما جرى للملك سيف بن ذى يزن وزوجته شامة **(وأما ما)** كان من الملعونة قمرية فانها أخذت اللوح وسارت به إلى مقصورتها ودخلت واغلقت بابها وجلست على فراشها ودعكت بكفها وإذا بعيروض قد حضر اليها وهو يقول نعم يا ملك الاسلام فقالت له أنت عيروض فقال لها نعم يا ستاه فقالت أريد منك حاجة وتكون مسرعا فى قضائها فقال سمعا وطاعة وما حاجتك فقالت صف لى الأراضى كلها والدنيا وجبالها فصار يصف لها أراضى ووديان ومن جملتها أراضى الغيلان ووادى الطودان فقالت له خذ ولدى سيف وارمه

فى اراضى الغيلان وأما شامة فخذها وارمها فى وادى الطودان فقال لها يا ملكة هذا ولدك وما فعل شيئا فيك يستحق به تلك الرمية وهو بطل شجاع وقرن مناع وإذا فعلت ذلك فإن الغيلان يأكلوه ولا يرحموه فقالت له امرتك والسلام ارمهما وأتنى سريعا فقال علي الرأس والعين وخرج عيروض ودخل مكان الملك سيف واحتمله هو وزوجته على كاهله وصعد بهما إلى الجو الأعلى وهما متعانقان مع بعضهما فى لذيذ نومهما فانتبه الملك من منامه وكذلك شامة أفاقت فوجدا أنفسهما طائرين بين السماء والأرض والهواء يزمر فى آذانهما فتأمل الملك سيف إلى الذى هو حامله وإذا هو عيروض فقال له يا عيروض عله ترسخ علي قلبك ما الذى تريد والى أين تسير بنا؟ فقال أرميك أنت فى وادى الغيلان وأرمى شامة بوادى الطودان ويبقى كل منكما فى مكان واتركهما وأعود إلى سيدتى التى تحكم على فقال له ومن امرك بذلك فقال امرتنى الشفوقة الحنونة الكاهنة المفتونة وهي أمك ستى قمرية الخائنة الملعونة فقال يا عيروض أمى كانت ندمت علي فعلها وصفا لى قلبها فقال له نعم وأنت ملكتنى لها وحكمتها علي وأنا ما شكيت لك ولا مليت من خدمتك فقال خفت من الاعذار فقال له هيهات أن تصفو أمك عليك وهيهات الندم علي ما فاتها أنت عملت بعقلك وضيعت تعبك وأما كلام أمك فانه زور وبهتان فندم الملك سيف غاية الندم وبكى علي نفسه وقال عيروض أنت ما تقدر ترمينا سوية فى مكان واحد فقال لا يمكننى ذلك فان الأسماء التى على اللوح تحرقنى وأنت ما بقيت تكلمنى ولا كلمة واحدة فإنك فرطت فى لوحى ولا عرفت بقيمتى وضيعتنى عندما تتعب سرى وتشغل قلبى ثم سار بهما إلى أن وصل إلى مقابل أرض الطودان وانثنى بهما حتى أن وصل إلى الأرض وألقى شامة عن كاهله وصعد بالملك سيف إلى الجو وسار حتى ألقاه الآخر فى أرض الغيلان وترك الاثنين وعاد إلى حال سبيله هذا ما جرى لهما وأما الملكة قمرية فإن عيروض عاد

اليها واعلمها بما فعل فقالت له الآن هدأ سرى وسكن روعى فامض أنت إلى حالك حتى أطلبك واطمأنت قمرية وفرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد هذا ما جرى لقمرية وأما الملكة شامة فإنه لما وضعها عيروض فى ذلك الوادى وهو وادى الطودان بقيت حائرة فى هذا البرارى والوديان فاحتارت فى أمرها وهى وحدها وعلمت أن زوجها أخذه عيروض وبقيت وحدها وطلع عليها النهار وهى فى البرارى والقفار فصارت تمشى وتتعثر فى ذلك البر والمحجر ولم تعلم كيف تصنع وتمت سائرة وهى تبكى بدموع غزار حتى علا النهار وتصاحى وزاد الحر وهاجر عليها البر فتفكرت وحدتها وفراق أهلها وبعلها وديارها فأنشدت تقول هذه الابيات:

* * *

تفكرت فيما الله من أمرى ... وانى قد أصبحت فى مهمة فقرى
وهذا قضاء الله ما منه مهرب ... ومن ذا الذى يدفع مصادفة القدر
وعاندنى الدهر الخؤون بجهله ... ولم اعلم المكنون فى ذلك الدهر
أنا كنت فى قصر منيع مشيد ... فما فقت الا كنت فى ذلك البر
وما أسقى الا على سيف سيدى ... تشتت ومثلى بالمكايد والغرر
فياهل ترى حيا سليما من الفنا ... وإلارماه البين فى ظلمة القبر
وأهلى جميعا فى البلاد تركتهم ... وفى سيف ما يسووا قلامة الظفر
فياليتنى كانت حياتى له فدا ... وأهلى وناسى من رقيق ومن حر
فيا رب بالبيت العتيق وزمزم ... وما حولها والمعشرين وبالحجر
تفرج كربى يا إلهى وسيدى ... وتنقذنى من ضيقة العسر باليسر
فإنك يا مولاى تعلم حالتى ... وما نابنى من شدة البأس والضر
إلهى لقد نجيت موسى من الغرق ... وأغرقت فرعون الذى مات فى الكفر
ونجيت إبراهيم من نار قومه ... وفاق على النمروذ بالفتح والنصر
فيا رب مالى غير بابك مقصد ... فأنت لطيف الصنع فى النهى والأمر

* * *

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب إن الملكة شامة لما فرغت من دعائها وابتهالها لمولاها تجارت الدموع من عينيها والله يعلم سرها ونجواها وإذا بعشرين خيالا خارجين عليها من بين الجبال وهم رجال طوال وقد انحدروا عليها فى البرارى الخوال فخافت منهم ولكن مالها إلى الهرب سبيل فسلمت أمرها للملك الجليل فانفرد واحد منهم ومد يده وخطفها بلا حديث ولا كلام وعاد إلى رفقته وقال لهم انظروا إلى هذه العجيبة هذه مسخوطة من ولد آدم فقال له رفقاؤه صدقت لأنها ما تجىء قدر بنت من بناتنا ولكن سيروا بنا إلى ملكنا ليتفرج عليها والذى يأمرنا به نفعله معها وساروا بالملكة شامة وهم يتفرجون عليها حتى أوقفوها أمام ملكهم وقالوا له هذه لقيناها فى الخلاء فقال لهم ولأى شىء جئتم بها عودوا من هنا إلى محل ما لقيتموها واذبحوها وادفنوها لأنها مسخوطة وإن أقامت عندكم يخليكم إلهكم مثلها فسمعت شامة وقالت يا سيدى ما أنا مسخوطة أنا كاملة الخلقة فقال لها ولاى شىء ما انت قدرنا وهذا دليل على أنك عاصية عن عبادة إلهنا فقالت لهم ان الهكم خلقنى صغيرة كما ترون بمعرفته وقصد بذلك أن يولينى خدمته وهو الذى اتى بى إلى هذا المكان فقال الملك هذا لا أسمعه خذوها كما أمرتكم فقالت شامة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأراد الرجال أن يسحبوها وإذا ببنت الملك أقبلت وكانت اسمها صادقة ولكنها جميلة فى ذاتها فنظرت إلى شامة فرأتها جميلة مثلها لكنها صغيرة الجثة عنها فقالت لأبيها إيش مرادك أن تفعل بهذه الحرمة الغريبة فحكى لها فقالت له الاله يخلق الصغير والكبير ومن حيث أن هذه صغيرة نجعلها عند الاله تخدمه فانها لم تعلم عن الزواج فتجعلها له خدامة أحسن من قتلها وكانت بنت الملك هي التى تخدم الاله فأرادت بذلك أن تستريح هي وتجعل شامة مكانها فلما طلبت من أبيها شامة قال لها خذيها فان أراد الاله ورضى بخدمتها

خدميها وان لم يقبلها فاقتليها فأخذتها وسارت بها الى قبة من حجر
الرخام مليحة الهندام وفتحتها وقالت لشامة ادخلى يا غريبة الي سيدك
فدخلت شامة فوجدت خروفا كبيرا فى هذا المكان فلما رأى شامة صاح
فقالت صادقة لشامة ان الاله يسلم عليك وفرح بك لما رآك ورضى بك أن
تخدميه فهذا الحوض ملان ماء حلوا إذا أراد أن يشرب فاملئى له هذا
السطل من حوض الماء وضعى له فيه من هذا السكر ومن هذا الورد
واسقيه وهذا الحوض ملآن من اللوز والفستق والسمسم المقشر
فاطعميه أنت وأما أنت فجرايتك كل يوم قرص من الشعير فقالت لها
سمعا وطاعة فقفلت عليها الباب وتركتها وكانت الملكة شامة جيعانة
فلما رأت ذلك اللوز والجوز والفستق قالت وأنا أسد جوعتى والله تعالى
يعلم سريرتى ثم أكلت وشربت وحمد الله تعالى على ما جرى وانقذها من
حال الى حال فتبارك الله الكبير المتعال واطعمت الكبش من ذلك المأكول
كما علمتها بنت الملك وبعد ذلك رأت القبة ملآنة بالعفش وهى قذرة
الرائحة فقامت على حيلها وكنستها ونظفتها واصلحت الفرش لأجل
قعودها عليها وباتت تشكر الله تعالى وعند الصباح جاءت لها بنت الملك
صادقة فرأت القبة رائقة نظيفة ففرحت وقالت لها أحسنت يا غريبة
وفعلت كل خير اعلمى ان هذا إلهنا وعليه اعتمادنا واتكالنا وإذا خدمتيه
بصدق النية فانه ينجيك من كل بلية ولعله يردك الى أهلك وبلدك وارضك
فاجعلى عليه اتكالك واعتمادك وكان الكبش هذا كبشا كبيرا مليحا
ومطوقا بالذهب الاحمر وفى الطوق فصوص من خالص الجوهر فقالت
شامة فى بالها إذا انكرت عليهم فعالهم وجحدت هذا الخروف فانهم
يقتلونى واشرب شراب الحتوف ومالى إلا الصبر حتى يقضى الله قاض فلا
راد لحكمه ولا اعتراض فقالت لها صادقة يا غريبة فاذا بال الاله فاستلقى
بوله فى هذه الطاسة الذهب واحفظيها للملك يغسل بها وجهه كل

صباح وأما اذا ازبل فاحفظى زبله فى هذه الطاسة الفضة فانها تنفع
للبخور وكل من أخذ زبلة خذى منه فيها دينارا فان زبل الإله له منافع كثيرة
فقالت شامة سمعا وطاعة فتركتها واقفلت عليها باب القبة وجاءت فى
اليوم الثالث أخذت منها بول الكبش وزبله وفرحت بخدمتها له وانصرفت
ولما كان فى رابع الأيام جاءتها كذلك وأخذت الماء والزبل وقالت لها أنا
قصدى أرتب لك مأكولا كل يوم دجاجتين تاكليهما أنت لأن الإله لم يقبل
أكل اللحم جميعه وأرتب لك كل يوم قرصين من الخبز الحنطة فقالت لها
يا سيدتى افعلى ما تريدين فرتبت لها ذلك الترتيب وصارت كل يوم تدخل
عندها وتزورها حتى عرفت أنها تمرنت على خدمة ذلك الكبش معبودهم
وتركتها بعد ذلك علي حالها ولا بقى لها شغل إلا أن ترسل لها بعض
الجوارى بمأكولها ومشروبها وما يحتاج اليه الكبش ميعام البول فلا يبول
ولا الكبش إلى يوم من الأيام نظرت شامة الى الكبش فرأته وزبل علي
الفرش وكان عندها عصا فمالت عليه بها حتى أهلكت بدنه وثانى يوم
كذلك حتى عرف الكبش وشامة كل يوم ترسل لها زبل يزبل حتى تأتيه
بالطاسة وتأدب من شدة الضرب وصار له راتب الصبح والمغرب وأكله من
فضلتها وهى تأكل من تلك المكسرات والدجاجتان المرتبتان لأكلها يوميا
يأتون بهما اليها وأقامت فى ذلك المكان علي هذا الحال هذا ما جرى
للملكة شامة. وأماما كان من الملك سيف بن ذى يزن فانه رماه عيروض فى
وادى الغيلان فأقام الي الصبح وطلع النهار فرأى نفسه فى تلك الأرض وإذا
هى أرض واسعة الجنان كثيرة الزرع والنبات ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار
توحد الملك الغفار وروائح الأرض كأنها المسك الأذفر وفيها من الفواكه
كل شيء مفتخر فأكل من أثمارها وشرب من أنهارها وتفرج فى جنابها وما
زال مشغولا بالفرجة حتى أقبل الليل ومضى النهار فخاف على نفسه أن
ينام فى ذلك لما يعلم أنه وادى غيلان فقصد شجرة عالية وتعلق بها وصعد

حتي بقى فى أعلاها وتوكل علي الذى خلق النطفة وسواها وما زال حتى
مضى الليل وهو تارة نائم وتارة يقظان حتى أصبح وبان بقدرة الملك الديان
وقام الملك سيف وقعد على فرع من الشجرة يتفرع عن تلك الأراضي
والصحراء فرأى شيخا مقبلا إلى نحو تلك الشجرة من دون الأشجار فتأمله
الملك سيف وإذا هو شنيع الخلقة له وجه مدور كدائرة الترس وأما حنكه
وأنفه فهما فى وجه قدر حنك وأنف الجاموس وخارج له أنياب كأنها كلاليب
وآذانه كبار كأنها المطارح وله أظافر كأنها الخناجر وعلي بدنه شعر مثل
شعر القنفد عيناه مشقوقتان حمر الألوان كأنهما النيران وهو كريه الرائحة
والمنظر ووجهه يتوقد شرراً فلما رآه الملك سيف علي هذه الحالة استعاذ
بالله تعالى وتوسل بسيدنا ابراهيم عليه السلام وقرأ شيئا مما يحفظه من
صحف ابراهيم وتوكل على الله السميع العليم قال وكان هذا غولا من
غيلان ذلك الوادى وقد عرف رائحة الملك سيف وهو علي الشجرة فأقبل
عليه وقصد أن يفترس به ويأكله ولما وصل الي الشجرة ووقف تحتها باهتا
فى وجه الملك سيف ساعة زمانية وتركه ورجع الى الطريق التي أتى منها
فلما نظر الملك سيف الي ذلك حمد الله تعالي على رجوعه عنه وقعد
وظن فى نفسه أنه ما بقى يعود إليه ذلك الغول وإذا بالغول تباعد مقدار
ساعة وعاد ومعه جماعة مثله كلهم غيلان مقدار أربعين وما زالوا مقبلين
حتى بقوا عند الشجرة التي عليها الملك سيف بن ذى يزن واحتاطوا بها من
كل جانب ووقفوا وتأملوا الملك سيف ونظروا الي بعضهم البعض وتكلموا
بكلام غريب لا يفهمه عاقل ولا لبيب وبعد ذلك انصرفوا جميعا الي حال
سبيلهم فحمد الله الملك سيف وزال عنه الخوف وبعد ذلك عادوا مرة
ثالثة ومعهم عجوز شمطاء بشعر أبيض مثل اللبن الحليب وبدنها
كالقطن المندوف هذا وقد أقبلت العجوز الى تلك الشجرة ونظرت الى
الملك وهو فوقها وتاملته وحققته والتفتت الى قومها وكلمتهم بلسانها

امتثلوا أمرها ومضوا الي حال سبيلهم وجلست هي تحت الشجرة وبقى
الملك سيف فوقها قاعدا ينظر لها الى آخر النهار فاشارت له بيدها يعنى
انزل عندها فقال لها أنا لا يمكنني النزول فان الذى ينزل عند الغول يكون
هالكا إما مقتول وإما مأكول فضحكت الغول ونطقت له بلسان عربى
فصيح وقالت له انزل يا ملك سيف ولا تخف من الغيلان فانا كبيرتهم وأنا
احميك منهم لأنى الحاكمة عليهم ولك منى الأمان ومن جميع الغيلان
فاطمأن الملك وقال لها يا هذه أنا ما أصدق أن مثلك غولة تؤمن بني آدم
هذا أمل بعيد وصعب الأخطار فان العقل لا يعطى أمانا لغار فقالت له لا
تخف فانى قاعدة لك فى الانتظار فقال الملك سيف توكلت على الله
الملك العزيز الجبار خالق الليل والنهار فقالت له العجوز وهذه الشجرة ما
تحميك فانى لو أردت أكلك كنت أمرت الغيلان يحدفوك بالاحجار حتى
يهلكوك وتقع لهم يأكلوك ولا يبالون بك ان كنت ملكا من الملوك أو فقيرا
صعلوك فانزل فان الليل دخل وأنت لابد جيعان وان تركتك ورحت مكانى لابد
ما يدركك النوم أو تنزل من علي الشجرة فيأكلك هؤلاء القوم فنزل الملك
سيف إلى الأرض وهو خائف من هذه العجوز ولما بقى تحت الشجرة سارت
وقالت له اتبعنى فتبعها إلى أن أتت به الى جبل وصعدت وقالت له اطلع ولا
تخف فطلع الملك سيف خلفها وما زال تابعها حتي انتهت الى مغارة
ودخلت فيها وقالت له أدخل يا ملك سيف فدخل إلى تلك المغارة فقالت
له اجلس فجلس وقالت له أنت جيعان فقال لها نعم فقالت خليك مكانك
وقامت وأتت له بنصف غزالة ميتة وقالت له تعش بهذه فقال لها يا هذه
هذه لا يجوز أكلها ولا لى نفس أن أكلها فقالت له تأكل النبق فقال طيب
فقامت الي شجرة نبق فى ذلك الوادى وهزتها حتي رمت طرحها ثم صارت
تجمع فى يديها وتأتى له حتى اكتفى وقعدت هى وأكلت اللحم الذى كان
عندها فقال لها يا أمى هذه نجاسة عظيمة وأنا أراك تفهمين كلام بنى آدم

وإيش السبب فى معرفتى ومن أين أنت وما تكون هذه الغيلان فقالت له يا سيدى أما الغيلان هذه فان لهم سببا عجيبا وهو أنا أبانا كان حكيما من حكماء ذلك الزمان وكان صاحب فهم وإدراك وكانت مدينته مدينة السحر الأسود وكان أبى حاكما وملكا عليها ورعاياه كلهم أقارب أولاد عم وحبايب فوقع بينهم مخاصمة وكلام وأرادوا أن يتكبروا عليه وصاروا يقطعون الطرقات ويخونون السبيل فبلغه ذلك فقبض علي جماعة منهم فتعصبوا عليه جميعا وأرادوا أن يهلكهم فلما رأى نفسه لا يقدر عليهم وإنهم لا يوقروه ولا يبقون عليه رحل هو وزوجته وجماعة عشيرته وصار الى أن وصل الى هذه الأرض وعمر فيها ثم بنى أماكن وسكن هو وأهله جاره فبالأمر المقدر والقضاء الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر ابتليت زوجته بداء الحكة فى فرجها وببرد عليها وفى بعض الأيام لأجل تمام الاحكام كان أبونا أنشأ بستانا فى هذا المكان وغرس فيه فواكه من سائر الألوان وكانت زوجته تأتى فى كل يوم الي ذلك البستان وتنام فيه من شدة ما بها فيوم من الأيام قاعدة فى ذلك البستان ساعة الظهر فتحرك عليها ذلك الداء فى فرجها مثل العادة فأخذت عودا من الحطب اليابس وصارت تحك به فرجها فلم يزدد إلا آكلان فكادت أن تقتل نفسه ومن شدة ما هى فيه نامت على ظهرها ورفعت رجليها الى شجرة وهى مرفوعة الدليل تريد بذلك برد الهواء لأجل الراحة فهب عليها النسيم فنامت على ذلك الحال وارتاحت من غليان فرجها فجعلت هذه الفعال دابها وبقيت كل يوم تأتى وحدها ممنوعة عن الرجال لا أحد ينظرها وأعلمت أبانا بذلك وهل ذلك البستان برسمها وخرج على الناس لا يدخل فيه أحد غيرها وأقامت كذلك مدة فاتفق أن ذئبا دخل البستان فنظر اليها وهى نائمة على تلك الحالة فتقدم اليها وجامعها وأمنى فيها وكانت أفاقت والذئب معها فى الجماع فيه تقدر أن تتحرك خوفا من الذئب ان يهلكها ولما نزل عنها وراح قامت على رجلها وكتمت

سرها وفى تلك الليلة قعدت تصنع طعاما فى بيتها فتحرك عليها الداء من صهد النار فأخذت عودا من الحطب وكان قدام النار وحكت فرجها فدخل الدخان ومنى الذئب فى فرجها وفى ذلك الوقت دخل عليها أبونا وجامعها فاجتمع مني الذئب والدخان ومني أبينا فحملت منهما بارادة باسط الأرض ورافع السماء وكمل أوقات حملها فوضعت اثنين ذكرا وانثى علي تلك الصفة التى تراها من شناعة الخلقة وكراهة الرائحة فلما نظر أبى الي ذلك أراد قتلهما وهو حكيم فضرب تخت رمل ليكشف خبرهما فرأى ذلك الوادى موعودا بهم ويسمى باسمهم وانهم يخلفوا فيه وتكثر ذريتهم وينمو فيه الي أن يمتلئ الوادى منهم وهلاكهم على يد شخص يقال له سيف اليزل بن الملك ذى يزن الحميرى التبعى اليمانى وسبب مجيئه هذا المكان أنه يكون ليلة دخلته على أول نسائه ويكون معه لوح له خادم فيعطيه لأمه فحال ان تمسك هذا اللوح تحضر خادمه وتأمره أن يرمى ولدها - وهو سيف - فى هذا المكان وهو الذى ينظف هذا الوادى من الغيلان فلما رأى ذلك اصطنع لك حكمة بالغة تهلكهم واجعلنى انا وكيلة عليها وقال لى يا بنت أنت ما تهلكى معهم لأن هذا الشيء بارادة الله تعالى وإذا أتى هذا الرجل فتكرميه فان الله يمحو عنك هذا الحال وعلي يديه يبقى أكلك حلال وتساعديه على تنظيف هذا الوادى من الغيلان واصطنع لك الذى تهلكهم به وأعلمنى باسمك وصور لى صورتك وكسمت ومات أبى من سنين وأعوام وأقمت أنا أنتظرك الى هذه الأيام حتى أتاني الغيلان فانهم يطيعون أمري لانهم من صغرهم الى كبرهم متردون على فلما أتي الغيلان ورأوك فوق هذه الشجرة أرادوا يكسرونها ويأخذوك من عليها ويأكلوك لكن أنا علمنى أبى أني القاك عليها وكنت أنام كل يوم تحتها فلما عرفوا رائحتك وأرادوا يأخذونك فما قدروا يكسرون الشجرة لكونها شجرتى فأتوا إليّ وأعلمونى بك وقالوا لى رأينا آدميا تحت شجرتك

فأتيت معهم ورأيتك فعرفتك فقلت لهم هذه شجرتي ولا يمكنكم أن تكسروها ولا هو من خوفه أن ينزل لكم فاذهبوا أنتم وأن أقعد تحت شجرة حتى يدركه الجوع والعطش وينزل من على الشجرة فأنا أقبض عليه وآتي به اليكم تأكلونه فامتثلوا قولي وراحوا وقعدت أنا وعرفت أنك صاحب الامارة وكلمتك ونزلت الى هذا المكان وهذا الذى جرى يا ملك الزمان فقال لها الملك سيف وما هى الحكمة التي اصطنعها لى أبوك.

فقالت له قم واصعد إلى هذا الدرج وسر فيه حتي تصل الى أعلاه وتظهر على رأسه فتأمل عن يمينك فتجد روحك تخفق خفقا عظيما وتجد حرشا عظيما مدورا فادخله ولا تخف منه فتجد فيه عالية فاجعل ظهرك لباب القبة وقس بقدمك واحداً وستين قدماً وفى آخر القياس افحر فى الأرض نصف قامتك وانزل فى ذلك الفحت تلتقى رخامة مدورة فيها لولب من النحاس الاحمر فدوره ثلاثة دورات فيرتفع الرخامة وينفتح لك باب طابقة وتجد فيها درجا بعد الدرجات التي طلعت منها إلى أن تنتهى الى أسفله فتلقى مكانه مثل قبر وعليه درابزين من الرخام تجد قبرا وفيه تابوت فتأتى الى باب المقصورة وتتلو حسبك ونسبك فينفتح لك بابها فادخل فيها تجد بجانب التربة الأيسر لولبا فافركه على جهة اليسار مرة واحدة فانه ينكشف لك بالتربة وتجد التابوت قد ارتفع غطاؤه فمد يدك الي التابوت تجد فيه أبى نائما وهو ميت فاقرأ عليه شيئا من صحف ابراهيم ومد يدك تحت رأسه حقا موضوعا من الحكمة مكتوبا عليه اسماء وطلاسم كدبيك النمل فخذه وافتحه قدام أبى تجد فيه حبا من الذهب مثل حب القمح فضعه فى جيبك ورد كل شىء مثل ما كان حتى تطلع من الدرج ورد تلك الرخام كما كانت واردم الحفرة التى حفرتها بالتراب مثل ما كانت وانزل من الدرج الذى طلعت منه حتى تأتى عندى واياك أن تخلف ما قلت لك عليه كما خالفت عندما أخذت سيف سام وأردت أن تنظر وجهه وجرى لك ما جرى

فلا تغير ما قلت لك عليه تكن من الهالكين واعلم يا ولدى انى لك من الناصحين فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام قال لها وما اسمك فقالت اسمى غيلونه لكونى رافقت الغيلان فى هذا المكان وربيت معهم الى ذلك الزمان فعند ذلك قام الملك سيف وتوكل على الله فوجد كل ما ذكرته غيلونه صحيحا أول ما طلع من الدرج ورأى القبة ومشى تحت الأرض ونزل للرخامة ورفعها كما أمرته وهكذا حتى أخذ الحق وفتحه ونظر لحب القمح وغطاه كما كان ووضعه فى جيبه وعاد مثل ما دخل وأتى الي العجوز وأراها الحق كما قالت له فلما رأت ذلك فرحت وقالت له بقى عليك أن تدخل الى صدر ذلك المكان فتلقى فيه مكانا متسعا من داخل طاقة فاعبر من الطاقة الى وسط ذلك المكان فانك تجد قفصا معلقا فى صدر المكان فاذا رأيته فتقدم اليه تجد بابه مغلقا فاتل حسبك ونسبك فيظهر لك الباب وتجد لولبا من الحديد الصينى فدوره ذات اليمين مرتين فينفتح الباب وتجد فى قلب القفص ديكا مثل ديك الدجاج واقفا ورقبته ملوية تحت إبطه فمد يدك اليمنى وسم باسم الله تعالى واخرج رقبته من تحت ابطه واعدها الي مكانها وأنت تسمي باسم الله تعالى ولا تزل ماسكها حتي أن الديك تلبسه الروح ويؤذن بقوته وهو كالرعد فاذا صاح أول مرة والثانية لا تخف واحذر أن يصيح الثالثة فانه يطير ولا تلحقه بعدها أبدا وأنت تعدم نفسك فارم له من ذلك الحب فانه يخرج من القفص ولا يصيح ولا يتكلم فارصده وهو يلتقط الحب وامسكه ولا تخف واغلق الباب واترك القفص وكل شىء مكانه وائت الى حتى أقول لك كيف تصنع وما تفعل بذلك من عمل فقال سمعا وطاعة وسار الملك سيف كما امرته حتى أتاها بالديك وقال لها ياماه فعلت كل ما أمرتينى فماذا أصنع بذلك فقالت له اعلم يا ولدى انك تأخذ ذلك الديك وتروح الى حال سبيلك فاذا أصبح الصباح فإن الغيلان جميعا يأتون خلفك منجذبين وأنا معهم أيضا لأنى ما أقدر أظهر

لهم شيء من ذلك فإذا لحقوك فاسحب ريشة من ذلك الديك وارمها عليهم فتخرج الريشة من يدك مثل الحربة ولها شرر ونار فمهما وقعت بينهم أهلكت كل من نظرها منهم لأن كل من رآها يخرج عليه منها شهاب فيجعله ترابا وهم خلق كثير فاذا رأوا ذلك يهربون ثم يجتمعون ثانيا فانهم ما لهم صبر ما دام ذلك الديك معك ويلحقونك ثانى مرة فارمهم بريشة أخرى ولا تزل تفعل بهم كذلك الى أن تقطع مسير ثلاثة أيام فتكون فرغت من وادى الغيلان فانهم اذا رأواك خرجت من الوادى هجموا عليك جميعا فارم الديك عليهم كله مرة واحدة فانهم يموتون عن آخرهم من وقتهم وساعتهم ولا يبقى بعد ذلك إلا أنا وحدى بمفردى واجعل بعدهم على الله معتمدى فقال الملك سيف ذو يزن لأى شيء تقيمين فى الوادى وحدك وأنا صرت ولدك وفعلت معى هذا الجميل فأنا لا افوتك ولا أفارقك فكونى معى اينما أسير ونتوكل على اللطيف الخبير وهو يهون علينا العسير فقالت له وأنت ترضى بصحبتى فقال لها نعم ولو اشرب من أجلك كأس البلاء والنقم فقالت اشرط عليك شروطاً فان رضيت بها سرت معك فقال لها اشرطى ما أردت فقالت له إن أنت نمت أحرسك واذا جعت أطعمك وإذا تعبت فى الطريق أحملك فان أعجبك هذه الشروط أسير معك وإن لم ترض بهذه الشروط فالأمر اليك فقال الملك سيف يا أمى وأى شيء من ذلك يضرنى والله إن شروطك كلها نافعة ونعمت هذه الصحبة والشطارة فانها على مكسب وليس المشيئة والتدبير فقالت له ومن بعد هذا الكلام فما لنا مقام قم بنا نسير ونتوكل على الملك العلام فساروا من الوقت وكانوا نصف الليل فقالت له أنت مالك عزم على قطع هذه الطريق تعالى على كتفى ونشلته سريعا على كاهلها وسارت به سير الجواد العرنى وما داما على ذلك المسير حتى أتى الله بالصباح فانزلته على عين تحت شجرة جوز هندى وقامت الى الشجرة وكسرت منها فرعاً ملآناً بالجوز المستوى

وكسرت له من الجوز وقالت له كل من هذا حتى آتيت بغزالة وطلبت البر مثل الهجين الجارى وما غابت الا قليلا وأقبلت ومعها غزالتان قالت له يا ولدى اذبح احداهما بمعرفتك واترك واحدة على اسمى أنا فانى اعلم أنت ما تاكل من أكلى فقال لها يا أمى أريد حطبا فقالت له على الرأس والعين فقامت تأتيه بالحطب وكان الملك سيف قد ذبح الغزالتين وسلخهما وكان معه بعض نوم فجعل يمنعه ويتسلى بسلخ الغزالتين فأقبلت غيلونة فرأته فعل ذلك فظنت أن قصده يأكل الغزالتين فقالت له تريد غيرهما اتيت به فقال يا أمى كنت أريد من الله شيئا من الملح فقالت له كل هذه الأرض ملح وقبضت من الأرض قطعة حجر وأعطتها له فاذا هي ملح فقال لها اضرمى النار ففعلت ما أمرها حتى صار الخشب كله فحما دفنت الغزالتين فيه فكانت غيلونة أرادت تعدو فى البر وتأتى بغيرهما فرأته مشغولا بالنوم فقالت له نم وأنا أصلح لك الطعام فنام الملك سيف قدر ساعة وافاق من نومه فوجد اللحم قد استوى فطلعه وقال لغيلونة هيا يا أمى تفضلى نأكل فقالت له هذا أكلك أنت وأما أنا فأحضر من البر غيره لأنك شويته وتعبت فيه فقال لها يا أمى وأنا ما أطيق أن آكل الا نصف الغزالة فقط اقعدى كلى معى وبعد فراغ الحاضر اذهبى وهاتى غيره فعند ذلك تقدمت فامسك الملك سيف الغزالة وقال بسم الله توكلت على الله فقالت غيلونة كما قال فلم يقدر الاثنان على أكل غزالة واحدة وشبعت غيلونة وقالت يا ملك سيف أنا كأنى مريضة لأن عادتى أن آكل غزالتين بغير شوى مع أن المشوى أحلى مأكولا ولم اقدر على أكل غزالة واحدة وأظن السبب فى ذلك أنى قلت عند الأكل مثل ما قلت فقال الملك سيف يا أمى لله تعالى اسماء تنزل القنع فى جوف الإنسان ويبقى دائما شبعاناً ريان فقالت له صدقت يا ملك الزمان وكان أضحى النهار وطلعت الشمس على الاقطار فهم على ذلك الحال وإذا بغبار قد علا وسار وسد جميع الأقطار

واقبلت الغيلان كأنهم افراخ الجان وكان السبب فى قدومهم انهم لما أصبح الكل اجتمعوا مثل عادتهم وأتوا إلى محل غيلونة علي عداتهم فلم يجدوها ولا وجدوا الملك سيف فدخل الرعب فى قلوبهم فساروا الى الطاقة فلم يجدوا الديك فى القفص فنزلت عليهم الغصص وقالوا إن غيلونة أخذت الديك والآدمى وسارت من هذا المكان وقصدها بذلك أن تخرب وادى الغيلان ولابد من اتباعها هى وذلك الشيطان هيا بنا نلحقهما وبأنيابنا نسحقهما ونأكلهما ونمحقها ثم انهم ساروا تابعين أثرهما حتي أدركوهما وكان الملك سيف كما ذكرنا أكل فنام واستراح فلما نظر الغيلان وقد أقبلوا حط يده علي قائم السيف وكان معه سيف الملك سام بن نوح عليه السلام فلما جرده وأراد أن يعود علي الغيلان قالت له غيلونة إيش قصدك أن تفعل وإيش جهد ما تقاتل فى هذه الخلائق الذين ما لهم عدد ولا يحصى لهم مدد فقال الملك وإيش يكون العمل فقالت له يا ولدى اقلع ريشة من جناح الديك الأيمن وارم بها عليهم فانك ترى العجب فعند ذلك أخذ الملك سيف ريشة ورمى بها على هؤلاء الغيلان فخرجت من يدها كأنها شهاب نيران ونزلت على هؤلاء الغيلان فصار يخرج منها شهب وشرر هلكت خلائق لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصا ولما رأى الغيلان ذلك ارتعبت قلوبهم ورجعوا علي أعقابها وولوا الأدبار ففرح الملك سيف بذلك الحال وقال لغيلونة سيرى بنا يا أماه نقطع هذه البرارى والتلال فقالت له على بركة الله الملك المتعال وسارا وهم فرحين بهذا الحال وما داما يقطعان البرارى الطوال حتي طلبت الشمس الزوال وإذا بالغيلان لحقتهم من كل جانب ومكان وكل واحد كأنه شيطان ولهم صريخ ارتجت له الوديان وهم يقولونه يا غيلونة يا خائنة يا ملعونة أخذت الديك وجعلت هذا الرجل شريك، أين تنجون من الهرب ونحن وراءكم فى الطلب فقالت له غيلونة يا سيف يا ولدى ارمهم بريشة من جناح الديك اليسار وتوكل على العزيز الغفار فخلع

سيف ريشه ورمى بها على الغيلان فخرجت منها شهب نيران فأهلكت كثيرا من هؤلاء الغيلان فلما رأى الغيلان ذلك عادوا هاربين فتركتهم غيلونة والملك سيف وزال عنهم الفزع والخوف وساروا بقية يومهم الى المساء فانزلته غيلونة فى مكان خضر نضر واذا بالغيلان أقبلت من كل الجهات فقالت غيلونة يا ملك سيف ارم عليهم ريشة فكل من أصابته الريشة يموت منها ولا يعيش فصار الملك سيف يقطع من الريش ولكن بالخلاف واحدة من اليمين وواحدة من اليسار حتي نظر الغيلان ورأوا أرواحهم قد فنيت ولم يبق الا القليل فطلبوا الهرب وساء بهم المنقلب فقالت غيلونة يا ملك سيف أنا قصدى الخروج من الوادى حتى يبقى سرنا من هؤلاء الغيلان هادى لكن يا ولدى حتى نأكل شيئا ثم أنها خلعت له شجرتين ناشفتين وقالت اضرم النار حتى آتيك ببعض الأرانب وعمدت غيلونة إلى وكر فإذا هو ممتلئ أرنب فصارت تطلع واحداً بعد واحد والملك سيف يذبح حتى ذبح الجميع وغيلونة تسلخها سريعا ودعكها الملك سيف بالملح وركبتها على النار حتي استوت فتعشى سيف وغيلونة ونام وغيلونة فوق رأسه حتى مضى ثلث الليل فأفاق وقعد يذكر الله فنامت غيلونة الي جانبه الى أن طلع النهار فساروا فى القفار واذا بالغيلان تبعوهم فقال الملك سيف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قالت غيلونة ارمهم بريشه فانهم يهلكون فقال لها ما بقى للديك ريش وما هو الا لحم خالص وكل ريشه قلعته والى الغيلان حدفته فقالت له حذفته فقال لها نعم فقالت له احذف الديك عليهم فقال سمعا وطاعة وحذف الديك على الغيلان فوقعوا جميعا موتى ولم يبق منهم انسان فتعجب الملك سيف من قدرة الله الملك الديان فقالت غيلونة يا ملك لا تعجب من هذه الفعال يا ملك سيف هذه آخر أيامهم من الدنيا سر بنا الى حال سبيلنا ورزقنا على الذى خلقنا فعند ذلك ساروا فى البرارى والقفار ولم يعلما الى أين يذهبان والله

يدبر لهما ما يكون ولكن هذه غيلونة كلما رأت الملك سيف يتعبد ويتجهد تفعل مثل ما فعله واذا سمعته يذكر الله تعالى تقول مثل أقواله حتى نقلها الله تعالى من حال الى حال وبان عليها درجة الكمال وتركت أكل لحم الوحش بغير شيء وأعطى لها الله تعالى الحيل والقوى وسارت مع الملك سيف اذا نام حرسته واذا جاع أطعمته واذا عطش سقته واذا طال الطريق وتعب منها حملته وساروا على ذلك الحال ولهم كلام.

(قال الراوى) وأما ما كان من الملكة شامة لما أقامت فى القبة فى مدينة الطودان وكل صباح تضرب ذلك الكبش وبعد ذلك قالت فى نفسها يعنى يا شامة هذا الكبش ما هو الا حيوان وإيش يعرفه العبادة يعنى اذا كان بدل ما يعبدوه يذبحوه ويأكلوه من الذى يمنعهم عنه ولكن ماله ذنب الكلية ومنعت عنه الأذية وسارت تتدلل على أهل البلد فى المأكول لأنها كانت حامل من الملك وأتاها وحم النساء فصارت كلما قالت لهم إن الإله يطلب فواكه يأتونها بما تقول حتى أوفت أيام الحمل وأدركها الطلق كما يشاء خالق الخلق فبكت نفسها ووحدتها وغربتها وعدم أحد يكون معها يباشرها فقطعت العلائق من الخلائق وتوكلت علي مولاها الكريم الخالق ورفعت طرفها الى السماء وتوسلت بعظيم العظماء وقالت الهى وسيدى ومولاى لا تخيب رجائى وانقذنى من بلواى انك على ما تشاء قدير يا نعم المولى ونعم النصير وبكت مما حل بها وجرت دموعها على خدودها فألهمها الله التيسير وزال عنها التعسير لأنه قدرته يجبر الكسير وطلقت طلقة قوية فكادت أن يغمى عليها وتشرب شراب المنية فوضعت غلاما ذكرا كانه فلقة القمر اذا تكامل وابتدر فى ليلة أربعة عشر وعلى خده اليمين خال أخضر كأنه قرص عنبر وله عيون تبارك من خلق وصور وحواجب كأنها قيسان تتحرك فأعانها الله تعالى على ولادتها وهداها حتي قطعت سرته وكانت مدة اقامتها مع الكبش أتاها كساوى مرتين فصنعت لولدها

اثوابا من قديم ملبوسها فأحضرتها وألبسته وقالت فى بالها لو كنت وضعت هذا الولد وأنا عند أبى الملك أفراح كنت نلت الصلاح والنجاح وايضا لو كان الملك سيف حاضرا ونظر ولادتى كان فرح وفرحت أنا وزالت حسرتى ولكن أتانا هذا الطفل ونحن فى غاية التدمير وأنا مشتتة عن أهلى واوطانى وكذلك بعلى لم يعلم مكانى ولابد لهذا الولد عن اسم به يذكر سأنا أسميه دمر والله تعالى بحاله وحالى أخبر وهو على نجاتنا يقدر ومادامت ترضعه من ثديها وحنها عليه وبها وهى صابرة مدة من الأيام الي ليلة من الليالى وقد قعدت شامة ترضع ولدها والشمعة موقدة ففرغت فأتت بشمعة غيرها ولعتها منها ورمت القديمة من طاقة شباك القبة فوقعت علي جانب حلفة ناشفة فاشتعلت الخلفة وكان بجانبها كرار فيه زيوت وديانات ومن خلفه مكان فيه أخشاب فاتصلت النار من مكان الى مكان وسار لها قتار ووهجان وكان بجانبها أفيال كثيرة فأحست بالنار فقطعت سلاسلها وهجت يمينا ويسارا وزادت النار وأحرقت الأماكن العمار ووصلت البروج والأسوار ووقع العياط والصراخ وركب ملك الطودان وكان اسمه الملك عقيل وصاح على الناس واجتهدوا فى الهدم حتى جعلوا البيوت والأماكن كلها كيمان ردم ولكن الذى فيه الكبش لم يصبه شيء أبدا ولما طفئت النار قام الملك علي حيله ووقف فى الديوان وقال للعسكر من فيكم تعدى وظلم أحدا من الرعايا حتى غضب إلهنا وانزل بنا هذه القضايا فقالوا له يا ملك ما حد جار عليه فقال أنا أعلم أنه إذا أخذ أحدٌ شيئا من أحد غصبا أو أحد أساء إلي أحد وتعدى وجار فان إلهنا ينزل على بلدنا النار وان سألتكم فقلتم ما احد تعدى فمن إيش حصل لنا هذا وانما ادخل القبة أسأل عن هذه النكبة وقام الي القبة وفى تلك الساعة قالت شامة بعد ما ربطت الكبش وزبل اما يعتقنى ربنا من خدمتك ويريحنى من النظر الي صورتك وأخذت عصا ونزلت عليه وهو يقول باع وهى لا ترحمه

حتى دخل الملك عليها فوجدها تضرب الكبش فقال لها هكذا تفعلين هذه الفعال ما بقى لك امان يا بنت الأنذال انا جعلتك تخدميه وانت تضربيه حتي أحرقت بلدنا يا ملعونة نحن نقول لك اخدميه واطعميه وانت تضربيه ثم صاح علي الرجال وقال لهم امسكوها ومن شعرها اسحبوها ومن قبة إلهنا اخرجوها وانصبوا لها خشبة وعليها اصلبوها وبعد صلبها احرقوها ثم انه أحضرها بين يديه وسألها عن هذا الولد من أين لها فأعلمته أنه ولدها فقال لها أنت لما أتيت عندنا ما كان لك ولد فقالت له رزقني به الله وهو الخالق لما يشاء فقال لها اعطاك ولدا ولم تشكريه حتى انك بالضرب تجازيه ثم صاح علي الخدم اصلبوها علي باب القبة فأخذوا الولد منها وجذبوها ليصلبوها فتذكرت بعلها ووحدتها وغربتها وفراق بعلها وانها لم تعلم له مكانا فصارت ترثى حالها بالأشعار ودموعها على خدها غزار فأنشدت تقول بعد الصلاة والسلام علي طه النبى الرسول :

* * *

يا دهر ما نصفتنا	إذا بالردى جازينا	عذبتنا من قبل أن
تبدى الينا ذنبنا	الم يكن فى الناس من	عاديته إلا أنا
يا دهر قد فرقتنا	من بيان جمعتنا	غيبت بعلي وهو بى
كان شفيقا محسنا	سيف الهمام التبعى	الحميرى موطنا
فأين أفراح أبى	والأهل مع أحبابنا	فرقت عنى جمعهم
وجئت بى إلى هنا	وبعد هذا جاءنى	طفل صغير فى هنا

اما لديك رحمة	يا دهر إذ اهلكتنا
يا سيدى سيف انتبه	واتبع آثارنا
عساك قبل صلبنا	تدرك ان تنقذنا
وان سمعت فى الدجا	نوح حمام المنحنى
فاعلم يقينا انما	بكاء رحمة لنا

* * *

(قال الراوى) هذا والرجال أرادوا أن يسحبوها وإذا هم بشخصين قد اقبلا من البر وهما قاصدان ناحيتهم وكانت أراضى الطودان لم يرد عليها احد طارق غير أهلها لأنهم كبار عمالقة فقالت الناس لبعضهم انظروا الي هؤلاء الغرباء فتركوا شامة من يدهم وصبروا حتي أقبل هذان الشخصان وتأملوهما فلم يجدوهما من أرضهم ولا من بلادهم وإذا هما الملك سيف وغيلونة وكان الملك سيف ناظرا على بعد فرآهم ساحبين امرأة للصلب فأحس قلبه وقال أخاف أن تكون زوجتى شامة وكانت غيلونة قالت له فى الطريق إن هذه الأرض اسمها أرض الطودان فأقبل وهو مشغول القلب على زوجته حتى نظرها بالعيان وعرف أنها زوجته بصدق وإيقان فكاد يغشى عليه لكن صبر نفسه ووقف قدامها وغيلونة علي يمينه كانها الجبل الشامخ فقال لهما العساكر من انتما ومن أين اقبلتما فقال الملك سيف نحن ناس جائزون للطريق فقال لهما الا تسيرا هنا حتى نعلم بكما الملك عقيل فقال لهم الملك سيف اذهبوا واعلموا ملككم وها نحن واقفون فمضى جماعة للملك وقالوا له عبر علينا اثنان من الغرباء فقال على بهم فعادوا وآتي واحد للملك سيف وقال له أجب الملك أيها القصير فقال الملك سيف أما أنا فما أمضى اليه فان كان له حاجة عندى فليأت الى وأما أنا فلا اقدم عليه فقال رجل منهم امش للملك بلا غلبة لا شك أنت رجل قصير وغليظ اللسان ومالح الرقبة وكان الملك سيف نظر الى شامة لما قدمنا وعرفها كما ذكرنا فقال للذى يكلمه لأى شىء تريدون قتل هذه المرأة وإيش فعلت من الفعال فقال له لا تسأل عما لا يعنيك بل اجب الملك فقال الملك سيف اما قلت لك انى لا أسير معك ولا أريد ان اتبعك فأراد ان يقبض عليه فوضع يده في الحسام وضربه على وريديه فأطاح برأسه من على كتفيه وضرب الثانى فجعله مثله والثالث والرابع والخامس والسادس فبقوا على الأرض نواكس وما زال يقاتل ويضرب عن شمال ويمين حتى قتل منهم

أربعين وبقوا علي الأرض ملقحون وأما غيلونة فكانت بسلاح فصارت تقبض علي الرجل وترفعه على قوائم زندها وتضرب به الآخر فيموت الاثنان وعلى ذلك الحال قتل خلق كثير وألقى الرعب فى قلوب الطودان وكل منهم نظر الموت بالعيان فولوا الأدبار وركنوا الى الهرب والفرار وتركوا شامة علي هذه الاقامة فأدركها الملك سيف وكان حالها تغير مما جرى عليها من العبر ولم يعرفها الملك سيف وشك فيها ولكن أراد أن يفكها من كتافها وإذا الملك قد أقبل بباقى الرجال وصاحوا على الملك سيف وغيلونة وقالوا لهما أين تنجوان بالهرب ونحن وراءكم فى الطلب وصاح الملك فى الرجال وقال اقلتوهما ولا تبقوهما فصاح الملك سيف يا كلاب الكفر هذا يوم الافتخار والجهاد فى الكفار الفوز بالمغفرة من الملك العزيز الغفار وجرد ماضى حسامه وهجم على الأعداء بقوته واهتمامه وسار يضرب الضرب المنكر ويطير الرؤوس كانها الأكر والكفوف كانها أوراق الشجر وغيلونة فى جانبه كانها الأسد الغضنفر ولها قتال لا يبقى ولا يذر هذا وقد غنى الحسام وانفلق الهمام وانهشمت العظام وعادت الرؤوس تحت الأقدام وقاتل الملك سيف بن ذى يزن وغيلونة بقيت فى الحرب كالمجنونة فقاتلت وما قصرت الي آخر النهار فلاجل القضاء الكائن فى علم الله تعالى جاءت رجل الملك سيف على رقبة قتيل فوقع وأراد أن يقوم فتكاثروا عليه وأخذوه قبضا باليد وأوثقوا منه الكتاب وقووا منه السواعد والأطراف وسلموه الى عشرة رجال شجعان أفيال وأمروهم بحفظه ونظرت غيلونة الى ذلك وأيقنت بالمهالك وصاحت واولداه واسيداه وجعلت تقاتل وحدها حتي عدمت جهدها وقبضوها الى جانب الملك سيف ووضعوها بعد ماكتفوها وقد ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال الملك فادخلوهم فى القبة مكتفين حتى يطلع النهار وتنصب لهم ثلاثة جذوع نصلبهم عليهم ووضع ولد المرأة معها ففعلوا ما أمرهم وداخلوهم القبة الملك سيف وغيلونة وشامة وولدها

ولما ادخلوهم القبة كانت شامة بالجملة مكتفة فأقعدوها ووضعوا ولدها الى حجرهم وأغلق عليهم الباب وطلع الرجال يجتهدون فى عمل الأخشاب لاجل أن يصلبوهم وينزلوا بهم العذاب وأما الملك سيف بن ذى يزن فإنه لما استقر به الجلوس أدخلوا له غيلونة مكتفة اليدين فقالت له يا ولدى أنا خائفة أن يهلكونا كما أهلكنا الغيلان فضحك الملك سيف من كلامها وقال لها الامر لله العزيز الديان ثم التفت الى شامة وقد أشكل عليه جمله امرها لما نظر الغلام علي حجرها فقال لها وأنت ما سبب وقوعك عند هؤلاء الكفار فقالت يا سيدى الاقدار فانا يا سيدى بنت ملك اسمه الملك افراح صاحب مدينة الحديد فقال لها أنت شامة فقالت نعم فقال لها وها انا سيف بن ذى يزن أهنا رماك عيروض فقالت نعم فقالت غيلونة يا ملك سيف تعالى لما أقرض كتافك وأنت حلى كتافى فقال لها افعلى ما بدا لك فقرضت كتافه وحل كتاف شامة وكتاف غيلونة فعلمت غيلونة أنه يحبها وحكت شامة للملك سيف ما جري لها من حين رماها عيروض الى وقتها هذا وكذلك الملك حكى لشامة ما جري له من حين أخذه عيروض والذى جرى من مبدئه الي هذه الساعة ثم ان الملك سيف قال يا ملكة شامة ومن أين هذا الطفل الصغير الذى معك فقالت له يا سيدى ما هو إلا ولدك وولدى وقطعة من كبدك وكبدى فانى حملت منك على دم الافلاح وعلقت منك بإذن الملك الفتاح ولما أتيت هنا وكان ما كان وضعته فى هذا المكان بقدرة العزيز الديان فقام الملك سيف وأخذه فى حضنه وصار يقبله ويضمه وفرح به الفرح الشديد ونسى ما هو فيه من الحبس والتنكيد قال يا شامة هل عندك هنا شىء من الزاد فقالت له عندى كثير وهم ثلاثة حواصل مملوءة من الجوز والفستق والسمسم الذى كان يأكل منه الكبش الذى يعبده هؤلاد الكفار فقال لها هاتى لنا شيئا منه نأكله فقالت شامة وهي فرحة بزوجها وأتت له بشىء من ذلك الحاصل فأكلا وأكلت غيلونة من تلك

المكسرات وشربوا من ذلك الماء الممزوج بماء الورد والسكر النبات وحمدوا رب الأرض والسموات ثم ان الملك سيف قال لها هل عندك أحجار قالت نعم عندى فى صدر القبة مكان فيه جانب أحجار صوان فقام الملك وراءها وقال لغيلونة هيا انقليها خلف باب فنقلتها وسدت بها ظهر الباب وتركوا دهليز المكان وصعد الملك سيف وزوجته وغيلونة الي سطح القبة وجلسوا فيه وجعلوا يتحدثون حتى طلع النهار فاقبلت الرجال وكانوا ليلتهم يقطعون ثلاثة جذوع ونحروها وعملوا فيها الابكار والحبال ولما فرغوا من أشغالهم طلع النهار فأتوا الي القبة ليأخذوا هؤلاء الثلاثة فوجدوهم فوق رأس القبة خالصين من الكتاف وليس عندهم فزع ولا مخاف فعادوا الي الملك وأعلموه بأن الغرباء الثلاثة حصنوا الباب وصعدوا علي سطح القبة ورمونا بالأحجار فاغتاظ الملك من الكلام وصار الضياء فى وجهه مثل الظلام ولطم على وجهه وزادت بليته وأمر العساكر أن يرجعوا عليهم وصار قدامهم الى القبة حتى نظر الملك سيف وشامة فوجدهم فوق سطح القبة فاغتاظ وقال لدولته إذا كسرتم الباب فان ربنا يغضب علينا ويرمينا بصواعق العذاب ولكن الصواب أن تحاصروهم مدة أيام حتى يفرغ ماقدامهم وما عندهم من الطعام ويسلموا أنفسهم إلينا من غير حرب ولا طعن ولا صدام فاذا قبضناهم نسقيهم كاس الحمام فقالوا له سمعا وطاعة وداروا حول القبة من تلك الساعة وأقاموا فى الحصار مدة عشرين نهاراً وفرغ من عندهم المأكول وتعبوا تعبا شديدا ما عليه من مزيد وثقل عليهم العطش والجوع فقالت شامة للملك سيف وكيف العمل ومالنا على الجوع والعطش محتمل فقال الملك سيف خطر ببالى خاطر فقالت شامة وما هو فقال اذبح هذا الكبش فقالت شامة يا ملك اذا أردت ذلك فيكون قدام هؤلاء الاعداء فانهم إذ رأوا ذلك يبادروا له بالفداء لأنه عندهم عزيز قال الملك سيف وهذا رأى جيد ثم قال لغيلونة ائتينى

الخروف يا أماه فنزلت غيلونة وجاءت به واوقفته بين يديه فنظر الطودان اليه وقالوا له على إيش عزمت أن تفعل يا قصير فقال عزمت علي ذبح هذا الكبش حتى ارتاح منه قالوا له ألا تخاف من نقمته فقال لا بل أنا آكله بعد ما أشويه على النار فقالوا له وإيش فعل معك من الفعال فقال لهم وإيش فعل معنا ما فعل شيء وانما نحن جائعون وهذا شيء يؤكل عندنا فان كان قصدكم أن تفدوه فأتوا بطعام ومشروب فقالوا له اصبر حتى نعلم الملك فقال لهم عجلوا قبل ان أذبحه وما أنا صابر حتى تأتوا لأجل خاطركم وإن غبتم ذبحته فتجاروا للملك وصاحوا بالويل والثبور وعظائم الأمور وقالوا أدركنا يا ملك فقال إيش الذى جرى عليكم فقالوا له الرجل القصير الذى حاصرته مراده أن يذبح إلهنا الكبير وينزل بنا الذل والتدمير فقام الملك وقعد وأرغى وأزبد وقال لهم أما تعلمون لأى شيء يتجارأ علي ذلك الحال الشين فقالوا يقول إنه وأصحابه جائعون وإن كنت خائفاً علي معبودنا فارسل لهم طعاما من عندك أو من عندنا فقام الملك وسار الى القبة وقال للملك سيف يا قصير لأى شيء تذبح إلهنا وتحل غضبه علينا وكان الملك سيف أسند الكبش ووضع رجله علي رقبته فلما سمع من الملك كلامه قال له يا ملك هذا عندى موته خير من حياته فإنه ما هو أهل للعبادة ولا رأنى أنا ورفقتى طعاما علي حسب العادة وها أنا وأصحابى جوعى وعطشى فان لم يأمركم أن تأتونا بطعام وإلا ذبحته والسلام فقال له الملك أنا آتيك بطعام ومشروب وأزيل عنك الكروب ثم التفت الملك الي من حوله وقال لهم هيا أعطوهم من عندكم طعاماً يكفيهم عشرة أيام فقالوا له يا ملك سمعا وطاعة وفى الحال تسارعوا من كل جانب ومكان وأتوهم بتمر ودقيق ولبن وسمن وشيء كثير وبعدها أتوهم بالماء الحلو حتي ملؤا كل حوض عندهم وكل زير كبير فعندها أكل الملك وشامة وغيلونة وقال للملك اعلم إلهك جائع ومغموم ومراده أن تأتيه بشيء من اللحوم فقال له سمعا

وطاعة واحضر له أربعين فرخة دجاج فى تلك الساعة واقاموا علي تلك الحال مدة أيام وليال حتي فرغ ما عندهم وقال لغيلونة قدمى لى الكبش فقدمته قدامه فصاح عليه الطودان لا تفعل فقال أريد الطعام فقالوا له سمعا وطاعة وصارت هذه عادة كلما فرغ الطعام يأتوه بغيره علي ذلك الحال وهكذا مدة شهرين كاملين فتضايق كل من ذلك الحال وشكا حاله للوزير وطلب منه التدبير فقال له الوزير يا ملك الزمان إن هذا الفعل الذى تفعلونه ما هو فعل الرجال لكونكم تعطون طعامكم لأعدائكم هم قاعدون يأكلون ويشربون وينامون فايش فى ذلك من فائدة فقال الملك وما الرأى عندك اتخلى الهنا يذبحونه ويأكلونه فقال الوزير إلهنا يا ملك ما يمكنهم من ذبحه وإذا أرادوا به سوءاً فهو يحمى نفسه منهم وأنا أعلمك يا ملك إذا طلبوا منك طعاما فلا تطعمهم وقل لهم إن الهنا لا تقدرون علي أن تذبحوه وإن كان يمكنكم من نفسه فاذبحوه واعلم يا ملك أنه يقدر أن ينزل عليهم صواعق من السماء فيهلكهم عن آخرهم فاتركهم على حالهم ولا تخف من أفعالهم فقال الملك صدقت أيها الوزير وأنت نعم المدبر والمشير وان إلهنا لا يمكن أحدا من نفسه لا كبيرا ولا صغيرا ثم انهم صبروا الي يوم من الايام وقد فرغ من عند الملك سيف وجماعته الطعام فأتته غيلونة بالكبش علي حسب العادة وقال تأتونى بالطعام وإلا أذبح إلهكم بالحسام فلم يرد عليه أحد لا أبيض ولا أسود فلما رأى ذلك تعجب وقال يا عباد الكبش تأتونى بطعام وإلا أذبح إلهكم وأنزل به الهلاك والشناعة فلما سمع أعوان الملك ما قاله الملك سيف من الكلام تقدموا الي ملكهم وقالوا له يا ملك اعلم ان الرجل الغريب قصده أن يذبح الهنا وينزل به الهلاك والفنا فقال لهم أنا أتقدم اليه ثم تقدم الملك اليه وقال له يا مجنون أنت تظن ان الهنا يمكنك من نفسه فهذا شىء لا يكون فان أردت ان تفعل به شيئا من الضرر فانه يريك العبر وينزل بك الهلاك الأكبر

ويخسف بك الأرض فقال الملك هذا القول لا اسمعه وإن لم تأتنى بطعام مكنت منه الحسام وشويته على نار الاضرام وآكله بسلام فلا تطل يا ملك الكلام فقال الملك أنا لا أرسل لكم طعاما ولا شرابا فقال فان كان يمنك قتل هذا الاله فدونك أنت وإياه فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام صاح على الملك وقال له ما أنت إلا رجل كذاب أنت وقومك ومن عندكم من الأصحاب اعلم ان هذا كبش يذبح ويؤكل ولا يعبده إلا كل جاهل مثلك يا قليل العقل فانه لا يعبد إلا الله عز وجل وسوف اريك ما أصنع أنا بهذا الكبش ثم ان الملك سيف قدم الكبش ونكاه وأطلعه على سور القبة وذبحه واهرق دماه وسال الدم على حيطان القبة وانزل علي القوم النكبة وأى نكبة فلما نظر الملك الي ذلك الفعل المنكر صاح صيحة تكاد تفلق الحجر وتقلع الشجر وقال لهم سوف ترون ان يخسف بكم الأرض أو ينزل عليكم صاعقة عذاب من السماء ويأتيكم الويل والعمى فقال له الملك سيف كذبت وفى ذلك القول ما انصفت والله لو طلعت إلينا لذبحتك مثله وفعلت بك أكثر مما فعلته به فلما سمع الملك عقيل من الملك سيف ذلك الكلام زاد به الوجد والهيام وصاح علي رجاله فى الحال وقال لهم بادروهم بالقتال واكسروا عليهم الباب واضربوهم بالنبال والنشاب وكل سيف قرصان ولا ترجعوا عنهم حتي تقبضوهم وبين يدى تقدموهم حتي اذبحهم بيدى واشفى منهم نار كبدى فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم ركبوا خيولهم وجزبوا سيوفهم ونصولهم وزحفوا الي نحو الباب وارادوا أن يكسروه فما امكنهم من الحجارة التي خلفه فاحتالوا علي الأسوار بالمعاول حتى تمكنوا منها وارادوا أن يهدموها فقال الملك سيف شيلوا الأحجار فقالت غيلونة أنا أفتح لك باب القبة فبعد ما رفعت الأحجار وفتح الباب وأرادوا الدخول جذب الملك حسامه وكانت شامة سلخت الخروف وأضرمت النيران ووضعت طعاما وصارت تناول الملك سيف وهو يأكل

ويضرب فى الاعداء بالسيف وقال الله أكبر فتح ونصر وخذل من اللئام من كفر وصار يرمى الرؤس كالاكر والكفوف كأوراق الشجر وأجرى الدماء علي الأرض مثل المطر وصار يقسم كل من دخل باب القبة نصفين بالحسام فعند ذلك تزاحمت عليهم الناس هذا وغيلونة تخطف الرجل وتضرب به الآخر فيقتل الاثنين ودام الأمر كذلك حتي اثخنت غيلونة بالجراح وكذلك الملك سيف وهو واقف فى صدر العدو كأنه أسد البطاح وشامة واقفة خلفهم وولدها علي يديها وعقلها طائر خوفا من الافتضاح ولما رأت هذا الحال وأن الاعادى كثروا على الملك سيف فى القتال واشتدت الاهوال رفعت رأسها الي الله الكبير المتعال ودمعها علي خدها جارٍ سيال فأنشدت تقول الصلاة علي طه الرسول :

* * *

يا رب طالت غربتى ... حقا وضاقت حيلتى
ووقعت فى أيدى العدا ... مأسورة فى ذلتى
يا من عوائده الجميل ... ومن إليه فاقتى
يا خالقى يا رازقى ... يا عالما بسريرتى
إنى دعوتك يا كريم ... وسامعا للدعوة
بحق زمزم والحطيم ... بالصفا والمروة
وبحجر إسماعيل ... ثم الركن ثم الكعبة
اقبل سؤالى يا جليل ... وفرجن من شدتى
وانظر دمر ولدى بعين ... تلطف وبرحمة
وانظر لسيف سيدى ... فى شدة مع كربة
قد قاتل الاعداء أهـ ... ـل الشرك والضلالة
وأذل مهجة نفسه ... فى الحرب دون مهجتى
ونحو رضاك طائعا ... ومحاولا لحمايتى
فأنت رب قادر ... وحاكم الخليقة
فرد كيد المعتدى ... عنا بأحسن سيرة

الانبيا والاتقيا ... الصالحين السادة
بحق ما يتلى من الـ ... ـكتاب والصحيفة
ومن عليهم أنزلت ... فرج بفضلك كربتى
وفك أسرى عاجلا ... وسر من بصحبتى
ردا جميلا ردنا ... بالنصر والغنيمة

* * *

(**قال الراوى**) فلما أنشدت الملكة شامة هذه الأبيات ودموعها على خديها جاريات كان ولدها دمر علي يديها وهو طفل جنين لا يفرق بين الشمال واليمين والملك سيف بين يديها يضرب ضربات قاطعات ويصرخ علي العالم الذين بين يديه صرخات هائلات واشتد عليهما الجوع والعطش وأما غيلونة فلم يضرها شيء من الجوع لأنها صارت تهبر من لحم القتلى وتأكل كما كانت أولا فى وادى الغيلان وأما الملك سيف بن ذى يزن وشامة فإنهما قاسيا غصص الجوع وداما علي هذا الحال وقد أيقنوا بدنو الأجال فبينما هما كذلك وإذا بصاعقة من الجو نازلة بشرر ونار ورجم بالاحجار ونزلت دخنات متتابعات ونيران مولعات ويد أمسكت بشامة وولدها فى حضنها وقائل يقول لها أمسكى ولدك جيدا واليد الثانية أمسكت الملك سيف بن ذى يزن وارتفعوا فى البر وتعالوا حتي سمعوا تسبيح الاملاك فى مجارى قبب الانلا يا مؤمن برب العباد وحد من لا ينساك ونشرت غيلونة إليهم وبهتت فعند التفاتها نزل عليها السلاح من كل جانب وضربها العدا بالسيوف القواضب ونفذت فيها أحكام الله الملك الغالب وأما الملك سيف بن ذى يزن فصاح علي حامله وقال له أنت عيروض فقال ما أنا عيروض أنا عاقصة ما أسرع ما نسيتنى يا أخى فقال لها يا أختى أين كانت هذه الغيبة وما السبب فى مجيئك عندى فى هذه النوبة مع أنك ما جئتينى إلا وقت الحاجة إليك وكنت أشرفت أنا وشامة علي الموت ونجاتنا علي يديك فقالت له عاقصة اعلم يا أخى انك لما تشاجرت معى وحصل الذى حصل

فى مدينة الحكماء وكنت طلبت أن تتفرج على الاقاليم وأنا ما رضيت أن أفرجك ورددتك الي مدينة الملك قمرون وحلفت ان وقعت أنا فى يدك تقتلنى فمن ذلك خفت على نفسى منك وسرت الي بلدى وصممت علي أنى لا أجىء إليك ولا أسأل عنك الى أن كانت هذه الايام فكنت أنا مقيمة فى قصرى فاتانى أبى وقال لى يا عاقصة يا بنتى عيب عليك إذا جحدتى الجميل والاحسان فانه يبقى عيب على طول الزمان مع أنى وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو أعلم أن هذا الرجل تقضى له حوائج علي يدى ما كنت أبدا أتأخر عنه ولا ساعة واحدة وكنت دائما له فى المساعدة فقلت له ومن هذا الرجل يا أبى الذى من أجله تكثر لومى وعتبى فقال لى كأنك نسيت الذى خلصك من سحاب المختطف وقتله بالحسام المرهف فقلت له هذا أخى الملك سيف بن ذى يزن ابن الملك تبع اليمانى فقال لى إذا كان هو الذى خلصك من الهلاك فلأى شىء لم تسالى عنه وبالجفا والهجر عاملتيه ثم قال لى أخبرنى الملك الاحمر أن الملك سيف بن ذى يزن أخذ لوحاً فأخذ الملك سيف ورماه فى وادى الغيلان ورمى زوجته شامة فى وادى الطودان ثم كان خلاص الملك سيف من وادى الغيلان بعد ما هلكوا على يديه وراح إلى بلاد الطودان واجتمع بالملكة شامة وهاهى مشرفة على الصلب وقد صار بينه وبين عساكر الطودان حرب والملك وزوجته قد أشرفوا علي الهلاك والوبال وعيروض ناظر اليهم ولا يقدر أن يخلصهم بلا أمر لكونه مأمورا فى اللوح بالخدمة فلا يقدر أن يفعل شيئا إلا بأمر الذى هو حاكم عليه فمن ذلك أخبرنى وهونى وأنا أخبرتك فان كنت يابنتى ياعاقصة تحفظى الجميل الذى فعله معك فقومى الحقيه وخلصيه مما هو فيه فان الملك سيف بن ذى يزن ما يضيع عنده الجميل وأنت أخبر بذلك فقلت له يا أبى على الرأس والعين وقمت من مكانى وسرت إلى أن وصلت وادى الغيلان فرأيتهم جميعا موتى فتبعت أثرك الى هذا المكان ورأيتكم فى أضيق الخناق فنزلت عليهم

عجلت لهم اللحاق وقد أخذتك وأخذت شامة وفرحت بولدها وهذا الذى جرى والسلام فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أختى أكثر الله خيرك ولكن سعينا على ذلك الجبل فان غيلونة هناك تقاتل أعداءنا فهاتيها لنا قبل أن يهلكوها فقالت سمعا وطاعة وأنزلتهم على الجبل وعادت عاقصة الى محل القتال فرأت غيلونة مقطعة فدفنتها والسبب فى ذلك أن عساكر الطودان لما هدموا سور القبة وكانوا أشرفوا علي أخذ الملك سيف فما شعروا إلا والدينا انقلبت ونزل عليهم أحجار وشرار ونار وجرى ما جرى ونظروا الى الملك وشامة لما ارتفعوا فصاروا ينظرون اليهم حتى غابوا عن عينهم وتهيأ لهم انهم دخلوا فى السماء أو ركبوا علي ظهر الغمام ولم يعلموا بتلك الاحكام فقالوا لملكهم انظر يا ملك وحكوا له علي صعود الأعداء الى جهة السماء من غير طريق ولا سلم وقالوا له بعد ما هدمنا القبة ووقع الحرب بيننا وبينه ثلاثة أيام بثلاث ليال حتي فنيت رجالنا والأبطال واشرفنا علي قبضه ورمى علينا شرار ونار وأخذ رفقاءه وطار بهم الي السماء وهذا الصغير بعد ما ذبح إلهنا الكبير وشواه على نار السعير وأكله هو والذى صحبته وها هو صعد للسماء فقال الملك أما صعوده الي السماء فان إلهنا غضب عليه وعلى من معه وارسلهم الى السماء ليطيل عذابهم ثم إن شاء قتلهم وإن شاء غفر لهم فقال الوزير يا ملك إن هذا الفعل ما هو غضب هذا رضا فلربما كان إلهنا فى الأصل هو الذى أتى من السماء وبعد ذلك أراد أن يعذبهم فسلط عليهم وبعدها أخذها عنده فقال الملك أما ذبحوا الاله وأكلوه فقال الوزير يا ملك لا تقل ذبحوه وانما هذا يتهيأ لنا شىء نراه حتى يرينا ذلك وينظر اعتقادنا وأما هؤلاء القصار فما هم إلا ملائكته جاء بهم ففعلوا ذلك الفعال وصور لكم هذا التصوير ثم أخذهم وطلع بهم الي السماء ليكون قريبا من ملائكته وأعوانه (**يا سادة**) استغفر الله العظيم واشهد أن لا اله الا الله الكريم الحليم واشهد أن

سيدنا ونبينا محمداً ﷺ النبي الكريم - فلما سمع الملك من وزيره هذا الكلام سكت وامتثل لتلك القضاء والاحكام وقال لعساكره روحوا ادفنوا قتلاكم واذهبوا الي أشغالكم ونحن نبني القبة فان رجع الذى كان فيها ونزل ودخلها فلا بأس وإلا نتخذ إلها غيره وفى ذلك الوقت أقبلت عاقصة تروم أخذ غيلونة فلقيتها مقطعة فدفنتها ورمت عليهم جانبا من الأحجار حتي أهلكت خلقا كبيرا وعادت للملك سيف وقالت له يا أخي غيلونة ماتت وأنا دفنتها فقال الملك سيف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذا كان آخر أيامها من الدنيا تهم الهمم ويسعى القدم لعمر دنا أو لرزق انقسم فقالت عاقصة يا أخي كان الذى كان وأنا مرادى أنك تقول لى على راحتك فقال الملك سيف يا أختي أنا لى مدة وأنا تعبان وجوعان وقد أشرفت علي العدم فى ذلك المكان فالمراد ان تأتيني بشيء من الزاد حتى اسد به رمق الفؤاد فقالت له سمعا وطاعة وراحت عاقصة وغابت قليلا وعادت له بغزالتين من البر فذبحهما الملك سيف وطلب الحطب فأتت له بما طلب وروجوا لهم طعام وأكل الملك سيف وشامة وأخذوا الراحة على ذلك الجبل ثلاثة أيام قال لعاقصة يا أختى إذا كنت سائرا أنا وزوجتي شامة علي الطريق هل ترى نصل الي بلادنا فى كم من الأيام فضحكت عاقصة وقالت إذا كنت راكبا علي النجب البخاتي تصل فى عشرين عاما وأما اذا سرت على سير القوافل والجمال فانك تصل فى عام ولكن ياخي الآن مضى ما مضى وهذا الوقت بقيت أنت وزوجتك وولدك فى أمان الله فقل لى إلى أى أرض اوصلك لتقيم فيها فأنا فى خدمتك لا اتأخر عنك أبدا فقال الملك ما أريد الا حمراء الحبش بلادى أقيم بها فقالت له أمك فيها وان علمت بك أرسلت عيروضا يذهب بك الى بلاد أبعد مما كنت فيها وأنا ما يهون على انك تتشتت كل يوم من مكان وأبقى أنا من أجلك على مقالى النيران ولست بقاضية لك يا أخي بل إني أحب أن أقعد فى مكاني بين أهلى واخوانى فقال لها وصليني

الى قريب من بلادى وروحي الي حال سبيلك فحملته وزوجته وابنه معه وصعدت بهم الى الجو الاعلى وسارت تقطع الدنيا فى الجو طول الليل الى أصبح الصباح فقال الملك سيف لعاقصة يا أختى نزلينا نزيل ضرورة فانزلتهم على جبل وقالت لهم تحدثوا حتي آتيكم بما تأكلون وما تشربون ثم ان عاقصة غابت وعادت لهم بصينية من الفضة وعليها أربع أقراص من الخبز الخاص وأربعة أصحن من الذهب مليانين طعام يصلح شفاء الابدان وهو أطعمة مختلفة شتى يلتذ منها الآكل فلما نظر الملك سيف لهذا الطعام أكل هو وشامة حتي اكتفيا وبعد ذلك جاءتهم بخمر مكرر صافي اللون ورائق كأنه دموع العاشق فلما نظر الملك سيف الى ذلك قال يا عاقصة نحن فى أى البلاد ومن أين تأتينا بهذا الطعام فان هذا لا يأكل منه الا الملك الذى له خدام وغلمان ويكون صاحب أقاليم وبلدان فقالت له بعد نعم هذا ملك هذه الأرض والبلدان وهو من جملة الملوك الذى يحكم عليهم الملك سيف ارعد واسمه الملك ابوتاج وبينك وبين بلادك التي فيها أمك مسافة ستة أشهر ولكن أنا اذا حملتك أوصلك فى مدة ثلاثة أيام فقال لها خلينى فى هذه البلاد حيث انها مملكة الحبش والسودان ولكن يا اختى ائتنى بسيف قاطع ودرع مانع فقالت له عاقصة أنت يا أخى كان معك سيف سام ابن نوح فقال يا أختى فُقد منى مع اللوح فان أمكنك أن تأتينى به فافعلى فان هيبته ترد عن حامله العدا وتمنع عنه الردى لأن الانسان يا أختى ينبغى له أن لا يأمن فى قعوده وقيامه من الوحوش تكون من ورائه وقدامه ولا ينفع الإنسان شيء إلا حسامه فانه يرد به أعداءه وأخصامه فقالت له يا أخى أمك محتفظة به ولا تفرط فيه فقال لها يا أختى هذه حاجتى عندك والسلام فقالت له سمعا وطاعة وطارت عاقصة الي الجو وغابت عنهم مدة يومين واتت لهم ثالث يوم ووقفت قدام الملك سيف وقبلت يديه وقالت له يا أخى خذ سيفك فأخذه منها وهو فرح به وكأنه

ملك الدنيا شرقا وغربا وقال لعاقصة يا أختى شكر الله فضلك وإحسانك
فامضى يا أختى الى حال سبيلك وسلمى لى على أبيك وأمك فقالت
عاقصة إيش هذا الكلام كيف أتركك هنا وبينك وبين أهلك أشهر طوال
وأيابا فقال الملك سيف يا أختى نزلنا بلاد العمار وأنا مرادى أن أقيم هنا مدة
أيام فانه ما بقى علينا خوف ولا فزع فقالت له تأكل وتشرب من أين وإن أردت
المسير إيش تركب أنت والملكة شامة فقال لها صدقت أريد منك أن تأتينى
بحصان على أى وجه كان اركب عليه شامة وابنها دمر وانا امشى بجنبهما
فقالت له احضر لك حصانين اركب واحدا منهما والثانى تركبه زوجتك فقال
لها أنا يا اختى ليس قدامى بلاد اسافر اليها وانما أريد محلا يكون فيه
زروعات وخضرة ،نبات حتى استريح فيه انا وزوجتى وولدى لأن الاقامة فى بلاد
الأعداء اتعبتنا فقالت له عاقصة إن كان قصدك ذلك فها هو خلف ذلك
الجبل مطلوبك وهو مدينة عامرة وقريب منك روض زاهر وخضر نضر فقام
الملك سيف وأخذ زوجته معه وسار يتمشى حتى صار فوق سن الجبل
فنظر الي مغار واسع نقر فى الجبل فادخل شامة فيه وولدها معها وسار
يدور فى الجبل فنظر الى غزال على بعد منه فأخذ نبلة واوترها فى قوسه
وضربها فرمى غزالة ولحقها فقبض عليها وذبحها وأتى بها الي المغار
فقامت الملكة وأخذتها منه وسلختها وأتاها بأحطاب فأضرمت النار وشوت
تلك الغزالة وأكلوا منها وباتوا فى ذلك المكان وعند الصباح أخذ زوجته
وانحدروا حتى نزلوا من خلف الجبل فرأوا جماعة من بنى آدم محتاطين فى
ذلك المكان وهم رجال فرسان ورأى بينهم أسدا هائل المنظر وقد فرق
شملهم فى البر والأقفر وهو يهمهم ويهدر وهو قدر الثور وأكبر يطير من
عينيه الشرر ويقلب الوادى إذا همهم وهدر وله أنياب أحد من القوائب
وأظافر كانهما الكلاليب والفرسان دائرة به من اليمين والشمال خائفين من
شرب كأس الوبال وإذا أرادوا أن يتركوه ويسيروا الي حال سبيلهم يصرخ

عليهم فيفرق شملهم وإذا عادوا اليه اهلكهم وما زالوا معه حتي أهلك
منهم خلقا كثيرا وما بقى لهم طريق ينجون منه للمسير لأن الأسد
حصرهم فى ذلك المكان وصار يصول ويجول عليهم كما تفعل الفرسان
والرجال لم تقدر ان تتقدم عليه والخيل كلما شمت رائحته نفرت من بين
يديه والناس جميعا خائفون وخيولهم جافلة فلما نظر الملك سيف الى
ذلك الحال ظن أن هذه قافلة سائرة فى البرارى والتلال فسار حتى قرب
منهم وكان ترك شامة فى مغار تحت لحف الجبل وقال لها اقعدى هنا
حتى ذلك الحال ثم سار حتى قرب من القوم وجرد سيف سام فى يده وهزه
حتى دب الموت فى فرنده وأدار أذياله فى منطقته وانفرد الي ذلك الأسد
الغدر يطلب منه الحرب والقتال فصاح ملك المدينة اليه وقال له ارجع يا
غريب عنه ولا تعرض نفسك للهلاك والوبال وأنت ليس لك أحد تعرفه بين
هذا فلم يلتفت الملك سيف اليه بل تركه وسار طالبا ذلك الأسد الهدار
وشاهرا فى يده حسامه البتار فلما رآه الملك ثبت مكانه وهو قادم اليه
تجمع للوثبة عليه حتي صار مثل ثلثيه وانفرد حتى صار كمثليه فلما رآه
الملك سيف ثبت مكانه ولم يتحرك ولا أخذه خوف ولا فزع ولما رأى الاسد
هاجما عليه ورأى الشرر طائرا من عينيه حكم الحسام فى وسط جبهته
واستعان بقدرة الله وعظمته وضرب الاسد بالسيف بحدته فوافق حد
السيف وثبة الاسد مع عزم الضارب وهمته فخرج السيف من بين فخذيه
ووقع الاسد شطرين وقضى عليه كأنه انقسم ببيكار أو انتشر بمنشار
ونظر ملك هذه العساكر الي الملك سيف بن ذى يزن وكان اسمه الملك أبو
تاج فقال لمن حوله من رجاله وجنوده وأبطاله ما هذا الا فارس همام وبطل
ضرغام وعلي جميع الأمور جسور وهجّام ثم صاح علي من حوله وقال لهم
ائتونى به فتجارت الحجاب الي الملك سيف بن ذى يزن وقالوا له يا فارس
الاقطار إن ملكنا أرسلنا اليك يطلبك أن تحضر بين يديه فقال الملك

سمعا وطاعة وسار مع هؤلاء الجماعة وقال اعلموني ما اسم هذا الملك بين الملوك فقالوا له هذا ملكنا واسمه الملك أبو تاج وهو حاكم على هذه الأراضي والفجاج وهو من نواب الأراضي والبلدان التي تحت يد الملك الكبير المصاب صاحب الجنود والأعوان الملك سيف أرعد ملك الحبشة والسودان وأنه لما رآك قتلت الاسد وكان ناظرا قصد أن ينعم عليك فقال الملك سيف بن ذى يزن وكيف يحكم عليه الملك سيف أرعد وبينهم مسافة ستة أشهر فقالوا له يا هذا اعلم أن ملك الحبشة والسودان طول ثلاث سنين تمام فتعجب الملك سيف بن ذى يزن وقال الملك لله العزيز العلام هذا وسار الملك سيف بن ذى يزن صحبتهم بلا خوف ولا فزع ولا انزعاج حتي صار قدام الملك أبو تاج فلما صار بين يديه زمزم وترجم وأفصل لسانه وتكلم ودعا له بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم وبداه بالسلام فلما نظر اليه الملك قام له على الاقدام وأخذ يديه وأجلسه بجانبه فى أعلى مقام وقبله بين عينيه واكرمه غاية الاكرام وقال له اهلا وسهلا بالفارس الهمام والبطل الضرغام ثم أنه طلب الطعام فقال الملك سيف يا ملك لا تؤاخذنى فإنى لا يدرك لى أكل الطعام فإن لى زوجة وغلام فلا يجوز ان اتركهم فى المغار وهم من اجلى فى الانتظار علي مقالى النار فقال له ولأى شىء أنت مقيم فى هذه البرارى والقفار وتارك المداين والعمار وأنت فريد وحيد بلا رفيق ولا نصار وواضع زوجتك وولدك فى مغار فهذه الفعال لا يفعلها إلا وحوش البرارى والقفار فقال الملك سيف أنا لى سبب عجيب وهو أنى يقال لى الملك سيف بن الملك ذى يزن الملك تبع اليمانى وأن لى والدة تكره صوتى فوضعت معها لوح خدامى ليلة دخولى علي زوجتى فأغراها الشيطان علي هلاكى فمعكت اللوح وأمرت الخادم بتشتيتى وتشتيت زوجتى الي بلاد الغيلان وبلاد الطودان وأعاد عليه كل ما جرى وكان فتعجب الملك أبو تاج من حكايته وأمر له بحصان وقال له أنت وحريمك

وولدك يا ملك تكونون عندى فى أمان حتى تبلغ قصدك والبلاد بلادك وأنا فيها نزيلك فشكره الملك سيف وقال له يا ملك الزمان أنا مقصدى التوجه الى ديارى والأوطان فقال له الملك أبو تاج لا يصح ذلك حتى تضيفنا وتأكل يا ملك زادنا ثم أرسل قدامه الحجاب يزينون البلد بما يكون من أحسن الملبوس وقام الملك سيف وأحضر زوجته وولده فأمر الملك بجوادين يركباهما وسار الملك سيف مع الملك أبو تاج حتى دخل المدينة ثم دخل البشير يبشر بقدوم الملك ومن معه ففرحت أهل البلد ولما علموا بأنه حضر مع الملك فارس قد قتل الأسد الذى كان قاطع الطريق وخائن السبيل فرحوا غاية الفرح ودخل الملك أبو تاج الي مدينته والملك سيف بصحبته فأمر للملك سيف بمكان منفرد به مع زوجته وولده ورتب لهم كل ما يحتاجون اليه من فراش وملابس ومأكول ومشرب وجعل ذلك برسمهم وقال للملك سيف يا ملك اعلمنى بكل ما تحتاج اليه وهاهو مالى بين يديك ولا ابخل بشىء عليك وأنت الحاكم مثل ما تريد ونحن لك خدم وعبيد فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن ذلك الكلام قام واقفا علي الأقدام وشكر الملك أبو تاج واطمأن على زوجته وهدا سره وزالت عنه حسرته (يا سادة) واعجب ما وقع فى ذلك الديوان من العجائب الغريبة والأمور المطربة العجيبة أن الملكة شامة لما اقبلت مع الملك سيف وركبت هي وولدها علي الحصان نظرها الملك أبو تاج فى ذلك الوقت ولما رأى ما فيها من الجمال الفتان تعلق قلبه بها وخالط ذهنه حبها ولكن كتم ذلك لعلمه أن الملك سيف ملك همام وبطل ضرغام وقبيح عند الملوك اذا تكلموا فى حريمات الملوك بكلام أو تذكروا بحديث الهوى والغرام وكتم سره ولكن الشيطان زين له أن الملكة أحسن من كل من عنده من المحاظى والجوارى الحسان هذا والملك سيف مقيم عند الملك أبو تاج وهو يكرمه ويرفع قدره ويعظمه وصار يحدثه بطيب الكلام ويتذاكرون الملوك وأرباب الانعام

والفرسان أصحاب الحرب والصدام وكذلك ارباب الولايات والاحكام وكلما فتح الملك أبو تاج للملك سيف شيئاً من المآثر يلقاه فى كل شىء من ذلك حافظا وماهراً ويجمع الأمور عارفا وخابراً فعند ذلك ذكر الملك أبو تاج سيرة النساء وما فيهن من الجمال ولذة الجماع والرجال وما فيهم من الجبان والشجاع فقال الملك سيف يا ملك اعلم ان الرجال أصناف فيهم من أعطاه الله تعالى شجاعة وقوة ومروءة وسماحة نفس وكرما وعفة وفيهم من هو بضد ذلك ويكون جبانا وذليلا وطماعا وحسودا بخيلا وفيهم من هو كريم جبان وأهل مروءة وضعيف الجنان لا يقدر أن يحمى جاراً ولا يدفع عن نفسه أضراراً وفيهم شجاع وصاحب مقدرة وحاله متيسر ولكن مثل البحر المالح إن تنزل فيه شىء ابتلعه وليس فيه نفع من خلق الله تعالى لأحد وفيهم من يكون كريما ولكن ما عنده شىء يتكرم به وفيهم غير ذلك.

وأما النساء يا ملك فما هن إلا مواعين لتربية النطفة حتى تتكامل فى ظلمات الأحشاء ومنها يخلق الله تعالى ما يشاء يعنى أنثى أو ذكر وأما الجمال وغير الجمال فهو علي حد سواء فان كلاً منهن تحمل وتضع فلا فرق بينهن وبين كل الاناث من الحيوان والطيور والوحوش والدواب وجميع الاشباح التي تسكنها الارواح وهذا دليل علي قدرة الله الملك الفتاح فإن الحركة والسكون صنعته وهو الذى يدير كل شىء بمعرفته فالتجم الملك أبو تاج بلجام لما سمع من الملك سيف ذلك الكلام .

فقال له يا ملك وهذه السيدة التي صحبتك هل هى لك قريبة أو أخت أو من بنات الاعمام فقال له يا ملك هذه زوجتى وأم هذا الغلام وهو ولدى وقطعة من كبدى فقال الملك ومن أبوها فقال له أبوها الملك افراح ملك مدينة الحديد الذى ربانى وكنت طفلا صغيرا عيال حتي كبرت وبلغت مبالغ الرجال وخطبتها وحصلت حزازات وفتن حتي تزوجت بها فى ذلك الزمن فقال

اد الملك أبو تاج أنا اسمع عن الملك أفراح إنه من جملة الملوك النواب من تحت يد ملكنا سيف أرعد الملك المهاب فصار يجب علينا إكرامها إجلالا لقدر أبيها وبعلها وولدها ولقد تشرفت أرضى وبلادى بنزولكم عندى فى ذلك المكان وإقامتكم عندى هو غاية قصدى ومرادى ثم إن الملك أبو تاج صبر على الملك سيف حتي وصل الى مقصورته آخر النهار وقعد مع زوجته الملكة شامة ثم أحضر بدلتين أحدهما للملك سيف وهى قميص من الديباج مطرز الأكمام وجبة وسروالاً على هذا المثال وعمامة من القصب العال وصدرة من الزرد ودرعاً داوودياً من صناعة نبى الله داوود وخوذة من البولاد مطلية بالذهب ومنطقة وسيف وترساً ورمحاً مكعباً وقدم ذلك للملك سيف وسأله فى قبولها فقبلها منه. والثانية من ملابس النساء منسوجة ولكن كلها من الابريسم وشرائط الذهب الأحمر نورها يأخذ بالبصر وقال للملك سيف اعلم يا ملك انى فى الأول تهاونت فى حقك وحق زوجتك لأنى ما كنت أعرفك ولا أعرف زوجتك وها أنا علمت بكم وعرفت قدركم فلا تؤاخذنى فيما مضى منى من التقصير واقبل منى العذر أيها الملك الكبير فشكره الملك سيف على ذلك الكلام.

وقال له والله يا ملك ما أنت إلا نعم الصديق والخل الشقيق فلا زلت موفقا سعيدا ولا زال عدوك فى قهر وتنكيد فعند ذلك قال الملك أبو تاج قم يا ملك البس بدلتك قدامى حتي يتم فرحى على حسب مرادى وكذلك زوجتك تلبس بدلتها حتي يتكامل سرورها وفرحها فقام الملك سيف بن ذى يزن ولبس تلك البدلة وأسبل الدرع علي جثته وتمنطق بالمنطقة وتسرول حتى صار وكأنه قلة أو قطعة فصلت من الجبل أو قضاء الله تعالي إذا انحدر ونزل فنظر اليه الملك أبو تاج وهو على ذلك المثال فعلم أنه بطل لا تقاومه الأبطال وكذلك الملكة شامة لبست بدلتها وتكاملت فرحتها ومسرتها فزادت محاسن على محاسنها وزينة علي زينتها وطلعت شامة

وهي لابسة تلك البدلة وقبلت يد زوجها ويد الملك أبو تاج وهي فى فرح وابتهاج ونور جبينها أذهب ظلام الليل الدياج وفاق على نور الشموع والسراج فنظرها الملك أبو تاج فاشتعل فى جوفه جمر وهاج فكتم ذلك ولم يقدر أن يقوم ولا يخرج من عندهم وبات تلك الليلة معهم حتي طلع النهار وقام الي محل ملكه ونار الغرام فى فؤاده فكاد أن يهلكه ومن شدة ما أصابه من ذلك الامر العسير شكا حاله للوزير وهو اسمه الهضام وله علي القيادة قوة واهتمام فقال له يا ملك الزمان إن هذا أمر يسير لأن الجارية وزوجها فى بلدك وتحت يدك وفى نعمتك فافعل ما أردت بهما وليس مانع يمنعك عنهم فقال الملك أبو تاج صدقت ولكن أخاف من العار والشنعة والشنار تقول عني الملوك إن الملك أبو تاج أضافه رجل غريب فأرغده فى نعمته وبعد ذلك غدر عليه وخانه وأخذ منه زوجته وهذا غاية ما يكون من العار والذل والشنار وانما يا وزير أريد منك أن تدخل عليها أنت وتتخضع لها وتوعدها عني بكل ما تريد من المال والنوال والملك وحسن الاحوال حتي تلين عقلها بالمقال لعلها تلين وأبلغ منها الوصال واتملى بحسنها والجمال فقال الوزير يا ملك سمعا وطاعة أنا اجتهد فى ذلك من غير شناعة وقام هذا الوزير وقعد قدام مقصورة الملك سيف وهو مخف يرصد نفسه الملك سيف حتى يخرج من عند الملكة شامة وكان الملك سيف من وقت ما خرج من عند الملك أبو تاج نام فى مكانه حتى تضحى النهار وأفاق وأكل شيئا من الطعام وقام قاصدا محل الملك أبو تاج فى ديوانه فلما دخل عليه قام الملك أبو تاج إليه وأخذه فى حضنه واعتنقه وأجلسه على التخت بجانبه كأنه من بعض أقرانه هذا ما جرى وأما الوزير فلما رأى الملك سيف قد خرج دخل هو على الملكة شامة وقبل الأرض بين يديها فقالت له من تكون أنت فقال يا ملكة أنا الوزير الهضام وزير الملك أبى تاج ملك هذه الأراضى والآكام.

فقالت له وما الذى أدخلك فى هذا المقام وأنا امرأة قاعدة وحدى وما عندى غير ولدى وبعلى غائب فعد من حيث أتيت إن كان عندك رأى صائب فقال لها وأين سيدى الملك سيف فإنى ما أتيت إلا من أجله حتى اتحدث معه فقالت له إنه خرج وما هو حاضر وامض أنت الى حالك واترك كل كلامك وسؤالك فقال لها هل يأتى سريعا حتى انتظر قدومه فى هذا المقام فقالت له لا تطل فى الكلام واذهب من عندى حتى يأتى بعلى والسلام لأن الظاهر فيك أنك لست من أبناء الكرام فبينما هو معها فى الكلام وإذا سيف بن ذى يزن داخلاً فوجد الوزير عند زوجته فزادت لوعته وقال يا وزير إيش أتى بك الي هذا المكان وأنا كنت عند الملك فى الديوان فإذا كان لك شيء فلم لا أعلمتنى ودخلت مكانى واستغفلتنى هذا يدل على أنك من أشر الناس الذين لا لهم أصل ولا فرع ولا أساس فقال الوزير يا ملك أنا أتيت أسأل الملكة شامة إن كان الطعام المرتب يكفيكم وإن كان قليلا فنحن نزيده لكم ونوفيكم فقال الملك سيف نحن من الطعام اكتفينا وما بقينا نريد طعاماً فقد ضاع التعب معك ولا حاجة بالملال فامض الى حال سبيلك بسلام ودع عنك زخارف الكلام فطلع الوزير وهو لا يصدق بالنجاة لأنه لما نظر الي وجه الملك سيف بن ذى يزن أيقن بالموت الفجاء وسار حتى وصل الي الملك أبو تاج وقبل الأرض بين يديه وحكى له ما حصل من الفعال وما قالت الملكة شامة من غيظ الكلام وأن الملك سيف دخل عليه وقبح عليه أعماله ولو رق له فى الكلام ما كان رثى له بل كان قطع أوصاله فقال الملك أبو تاج يا وزير اعلم أن السودان أحب ما عندهم لنا حريمهم وبناتهم وأما البيضان فهم عرب لا يرضون أن أحدا يدوس أرضهم لا يتكلم مع حريمهم فانهم عرب وعرضهم عندهم أغلى من الفضة والذهب وهذا الذى أنا طالبه ما أملكه إلا بالمشقة والتعب فقال الوزير يا ملك أنا أدبر لك تدبيراً يكون أعظم من الاكسير فقال الملك وما هو يا وزير فقال له

اذا كان الديوان متكاملاً فاطلبه حتى يحضر بين يديك وقل له إنى أريد منك أن تعير لى زوجتك شهرا كاملا حتى أقضى منها وطرا وأردها عليك فاذا سمع ذلك الكلام استحى منك وأجاب وإلا فيكون ذلك سبب الفتنة والخراب فقال الملك هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فلما كان ثاني الايام واجتمعت العساكر والوزراء والحجاب أرسل الملك أبو تاج الى الملك سيف فلما حضر قام اليه وأجلسه وأكرمه وعظمه ولما طاب لهم الحديث والكلام قال الملك أبو تاج للملك سيف يا أبيض أنا لى حاجة أريد أن تقضيها الي فقال الملك سيف مرحبا ولو كانت فى فم الأسود أو فى قاع اللحود آتيك بها وأعود بقدرة الملك المعبود .

فقال الملك أبو تاج حاجتى عندك وهى أنك تعيرنى زوجتك شهرا من الزمان حتي أقضى منها وطرى بعد ذلك أردها اليك وهذه تبقى جميلة عندى ولا أحد غيرى يتعدى عليها فقال الملك سيف أما تخشى يا ملك أن تقول هذا الكلام ولكن أنت ما أنت من الملوك الكرام وهذا دليل على أنكم ناس لئام غيركرام والرجل منك ينكح أخته وأمه وبنته ولكم على ذلك همم وعزائم ما كأنكم إلا مثل البهائم وهل أنت سمعت طول عمرك فى الدنيا أن ملكا من الملوك أو رجلا فقيرا صعلوك له زوجة ويعطيها لأحد وهى زوجته وحليلته ولكن والله الذى رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض علي ماء جمد وهو الله الذى لا إله إلا هو الواحد لولا أننى أكلت من زادك ورعيتنى بواردك كنت قلت لى قبل أكل الطعام هذا الكلام لقطعت رأسك بهذا الحسام ثم إن الملك حط يده علي قائم سيفه وقام وعيناه فى وسط رأسه كجمر الاضرام وسار الى مقصورته المنفردة له ولزوجته وقال لها قومى يا ملكة شامة نرحل من هذه الأرض والبلاد فان أهلها ناس أوباش وأوغاد ليس لهم افتخار إلا بالخناق والفساد ثم أنه أحضر الجوادين وأراد أن يركبها علي واحد منهما وابنها معها ويركب هو الجواد الآخر ويطلب بهما البر الأقفر فرأى

حول المقصورة رجالاً كأنها الجراد المنتشر فى البرارى الخوال أو النيل السيال أو الحصى الرمال وهو عسكر لا يعد ولا يحصى كلبه الرمل الحصى فقال الملك سيف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم نادى عليهم وقال لهم يا مغرورون ما الذى تريدون علي اجتماعكم ووقوفكم ابيض أرواحكم وقطع اعماركم فانه ما يتعرض لى إلا كل من منيته حانت وروحه عليه هانت وأما أنا وزوجتى فان الله تعالى قادر علي نصرتى وحمايتى فعودوا علي أعقابكم ولا تتعرضوا لهلاككم ووبالكم إتلاف أرواحكم فكان المجيب له الوزير .

فقال له يا أبيض إعلم أنك لما تطاولت على الملك فى الديوان وطلعت عنده وأنت غضبان فقال لى يا وزير الحق هذا الأبيض فى مكانه فإن سلمك زوجته الملفة اعتقه وإن أبى التسليم وفأسقيه المنهل الوخيم واقتله واجعله علي وجه الأرض وهذا الذى جرى قلت لك عليه فإن أردت النجاة لنفسك فسلم لنا زوجتك نؤدها للملك وإلا دونك وما نريد فى هذا الهول الشديد فلما سمع الملك سيف هذا المقال وبان له الصدق فى المقال وقف علي باب المقصورة وأوقف شامة وابنها خلف ظهره ووقف هو على البسطة التي للمقصورة وحط يده علي السيف وجره من غمده وهزه حتي دب الموت من فرنده فإن أول من تقدم إليه فارس من السودان كأنه من أولاد الجان واسمه صخر بن صوان وهو جبار من جبابرة السودان فتقدم الى الملك وأراد أن يكلمه فما قارب اليه حتى ضربه الملك سيف ابن ذى يزن على وارديه وأطاح رأسه من على كتفيه والثانى ألحقه بالأول والثالث والرابع كانوا لبعض توابع والخامس والسادس كل منهم بقى علي الأرض ناكساً والسابع والثامن والتاسع والعاشر جعلهم كلهم دواسر وهكذا كل من طلع عنده يقتله وعلي وجه الأرض يجندله حتي تساوت البسيطة التي هو فوقها بالقتلى والأرض بعد ما كانت سهلا بقيت جبلا وهذا من جثث الموتى

فلما رأى الملك أبو تاج ذلك الحال صاح فى رجاله والأبطال وقال لهم دوروا بالمقصورة من كل جانب واضربوا حيطانها بالقزم والمصارت واهدموا الحيطان والأسوار وخربوا هذه الدور والحيطان والجدران واقبضوا على هذا الأبيض حتي أشرب دمه وأعجل هلاكه وأعدمه فاحتاطوا بالمقصورة أجمعين من الشمال واليمين ودقوا بالمعاول فى الحيطان فهدموها والجدران وشرمطوها وكان الملك سيف كلّ وملّ ووهى عزمه واضمحل فأومأ بطرفه الى السماء وتوسل بعظيم العظماء وقال :

* * *

يا خالقى يا رب يا معتمدى ... يا منقذى من كربتى يا سيدى

يا من به آمالنا تعلقت ... دون البرية كلها خذ بيدى

قد طالما أشكو إليك حاجتى ... وكربتى من العذاب السرمدى

يا من إذا ضاقت علينا سبلنا ... أنت الذى ترجى لكشف الشدد

إنى دعوتك يا إلهى خاضعا ... وقد بلغت من العداء بالعددى

وأنا فريد بين جمع زائد ... وأنت تعلم حالتى يا صمدى

فرج بفضلك كربتى يا ذا العلا ... ورد كل خصم معتدى

* * *

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف بن ذى يزن من ذلك الشعر والنظام وما قال من الكلام وإذا بقعقعة عظيمة نزلت من الجو الأعلى واختطفت الملك سيف وزوجته شامة وابنه دمر وارتفعت بهم الى الجو الأعلى فقال الملك سيف أنت من يا من أسمعتنى تسبيح الاملاك فى مجارى قبب الأفلاك علمنى بحق من سواك وخلقك ولم ينسك فقالت له يا أخى أنا عاقصة فقالت لها شامة والله يا ستى عاقصة إنك ما جئت إلا فى وقت حاجتك ولا حصل لنا إلا بركتك وهمتك ومروءتك فقال الملك سيف يا أختى ومن أين أقبلت فقالت له للآن ماروحت وإنما لما قلت لى روحى فما هان علي أن أفوتك ولا قدرت أن أخالفك لئلا يصعب عليك فقعدت انتظرك لما اتفقت

انت وهذا الملك أبو تاج ورأيت وجهه منافقاً فقلت ما أروح حتى أطمئن على اخى وبعد ذلك رحت أتسلى فى جهة الشام وأخذت جانبا من أثمارها من خوخ وفواكه ورجعت فرأيتك علي هذا الحال فنزلت إليك وأخذتك وأتيت بك الي هذا المكان ومرادى أن آخذك معى إلى قصرى وأجعل زوجتك وابنك عندى حتى تقضى هذه الأيام وتكون عندى فى غاية الاكرام فقال لها يا أختى مرادى أن تطعمينى من فاكهة الشام فقالت له سمعا وطاعة وقامت من عنده وجاءت له بجانب زبيب ونقل وتمر وفواكه قدر ما يحمل الجمل مرتين ووضعته قدامه وقعدت تباسطه وتلاعبه حتي أكل وقال يا أختى هاتي لنا حصانين حتى اركب أنا وزوجتى ونمشى الي محل ما يد الله لنا ولكن تكون الخيل جياداً فقالت سمعا وطاعة وغابت وعادت بحصانين وركبت شامة واحداً وابنها معها وركب الملك سيف الحصان الثانى وقدمت لهم عاقصة شيئا من الزاد يكفيهم مدة شهر ووضعته علي حصان ثالث وقالت له هذه الطريق توصلكم الي مدينة الملك أفراح وإن أراد قلعة الثريا فادخل عند سعدون الزنجى فانها فى طريقك وأنا مني عليك السلام وودعته وسارت وسار الملك سيف إلى آخر النهار وبات بجانب جبل وعند الصباح قام الملك سيف وأركب زوجته وولده بعد ما أكلوا وشربوا وساروا على بركة الله تعالى وإذا هم بالخيل أدركتهم من بين أيديهم ومن خلفهم والمقدم عليهم الملك أبو تاج والسبب فى ذلك أنه من هلوسته بحب الملكة شامة نظرها لما اختفت هى والملك سيف فنظر الى خيالها فى الشمس وهو علي جبل فقال ما راحوا البيض إلا من هذا المكان ولابد من اتباعهم أين ما كانوا فان لحقناهم أخذناهم وإن لم نلحقهم عدنا وليس علينا فى ذلك من ضرر وسار كما ذكرنا فالتقى بالملك سيف وزوجته فصار ينادى بصوته ويقول أين ينجيكم الهرب وأنا وراءكم فى الطلب وحق زحل فى علاه والنجم وما سواء لابد لى من قتلك إذا لم تسلمنى زوجتك فقال له الملك

سـيف يا جـاهل يا قـليل الأدب إيش لك عندى حـتي تطالبـنى به والله لقـد رميت نفسك وعـسـاكـرك فى بحـر الهلاك ولا بقـى لكم منه فكاك ثم أنه أوقف الملكة شـامة بجـانب الجـبل والتفت فـرأى مـغارا فـقال لهـا ادخلى بولدك هذه فدخلت وأمـا الملك سيف فجرد حـسامه من غمـده وهزه حتى دب الموت فى فرنده وحمل علي عسـاكـر أبى تاج وثار عليهم الغبار والعجاج ورماهم أفـرادا وأزواجا وقطع منهم الأعناق والأوداج حـتى بقى النهار كـالليل الداج وقد بطل الاحـتجاج ومزج لهم كـأس المنية غاية الامـتزاج وهو ينادى الله أكبر فـتح ونصر وحيانا بالنصر والظفر ودام الأمـر علي ذلك الحال حتى ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال ولما دخل الظلام وخفيت مواضع الاقدام انفـصلوا عن ضرب الحـسام وقتل الملك سـيف من الأعداء ثلثمائة انسان وجعل أجسادهم كيمـان وعاد وقصد علي باب المغار وطلعت الملكة شامة وأعطته شيئا مـن الذى عندها وهو الفطرة والفاكهة فأكل علي قدر الكفاية وقال يا شامة اعلمى أن هذا الحـصان تعب فى ذلك اليوم فاقطعيه من ذلك الطعـام الموجـود حتي فى غـداة غد يكون للجـولان صبـورا شـديدا فقـالت له سمعا وطاعـة وكان بجوار الجـبل عين ماء فـجلب الملك سيف منها ما سقى به زوجته وسقـى الـخيل وشرب وبات الى الصباح هذا ما جرى للملك سـيف منها بن ذى يزن وأمـا ما كان أمـر الملك أبى تاج فانـه لما نزل وبخ عـسكره بالمـلام ثم قـال لهم هذا رجل واحـد وكـيف يفـعل بكم هذه الفعـال لا سيما أنه من البـيضان وما هو من ابطال الســودان فكيف لو كان معه عشـرة فرسان فما كان أبقى منكم ولا إنسان فـقالوا له يا ملك الزمان هذا رجل لا كـالـرجال وبطل لا كـالأبطال ولـكنه اليوم كل ومل واضـمحل ولا عنده شـيء من الزواد إذا بات علي تلك الحـال ففى غداة غـد نبلغ منه الأمال وباتوا تلك الليـلة وثانى الأيام طلبـوا الحـرب والصدام فـخـر عليـهم الملك سيف وجـعل يومهم أسـوداً ودام يضرب فـيهم بالجـسام حتي أقـبل الليل

بالظلام ثم عـاد الي عـين المـاء الذى حول الجـبل فـرآها ناشـفـة وكـان قـد شربها عـسـكـر أبى تاج فدخل وهو مـغـتـاظ فـحكى لزوجتـه فقـالت له يا سيدى لا يضيق صـدرك يصبرنا علي الظمأ الذى رفع هذه السمـاء فقال لها عاشت ثم قال لها هل عندك شـيء من الزاد نسـد به رمق الفـؤاد فقالت له لا وحق رب العـبـاد من كسـا الليل حلة السـواد ولكن يقـيـتنا الملك الجـواء الهـادى الي طريـق الرشـاد ونحن نبـات هذه الـليلة علي الطى ونسـتـعـين بالخـالق الحـى فقال لها نامى أنت وولدك حتى احرسك فقالت يا سيدى لهه انت تعبان نم أنت وأنا احـرسـك فقال لها هذا لا يكن فـقـامت الملكـة شامة والملك سيف بات يسامـر النجوم ويرجو الاعانة من الحى القيـوم ولما كان الصباح تأمل للحصا فرآه كأنه الأسد الغضبان وكانه ما قاسى من حرب ولا جولان فركب وبرز الي الميدان وطلب من الأعـداء البراز فعند ذلك كان الملك ابو تاج يرتب عساكره وأمرهم أن يبـارزوه فارساً لفارس فألقـى الله الرعب فى قلوبهم وخرج فـارس أمـهر الى المـلـك سيف وقال له دونك والقـتـال إن كنت من الأبطال فانـقـض عليه الملك سـيف وضربه على رأسه فـشقـه الي حد لباسه والثانى والثالث وهكذا .... فلمـا رأى الملك ذلك أمر عشرة أن يخرجوا اليه مـرة واحدة فلما رآهم عشـرة دخل معهم تحت الغـبرة فأهلك سبـعـة وجرح ثلاثة فـتوقف عنه الفرسان وألقى الله الـرعب فى قلوبهم فلما رآهم الملك سـيف توقـفـوا نادى بأعلـى صـوته هيـا يا بنى حـام ودونكم الـحـرب والصدام إن كـنتم مـن الفرسان الكرام فلم يبـرز إليه أحـد لا أبيض ولا أسود فحمل علي يمين القـوم وأهلك سبـعـة أبطال وطلع الى المـيـسـرة فأهلك منها تعسة وعاد الي وسط الميدان ونادى يا ملك أبا تاج أما أنت ملك القوم وعليك العـتب واللوم وأنت الذى اتبـعـتنى وعن طريقى عـوقتنـى فهـلا تنزل الـمـيـدان حـتى افرج عـليك هذه الفـرسـان واجـعلك قـتـيـلا علي الرمل والصـحـصـحـان والـبـسـك من دمك حلة أرجـو ان يا أخس الـملوك وأنحس

السودان فلما سمع أبو تاج هذا الكلام صار الضياء فى عينيه كانه ظلام وقال أنا أبرز إلى هذا الشيطان وأقتله بسيفى هذا الهندوان ثم انه ركب الحصان وبرز الى حومة الميدان ولطم الملك سيف بن ذى يزن لا خائف ولا فزعان وصاح عليه وقال إنه ملك هذه البلاد دونك والحرب والجلاد فانطبق الاثنان بعضهما علي بعض وجالا طولا مع عرض وخرجا من الهزل الى الجد وأوسعا المجال الممتد وسارا تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة تجرى بهم الخيل خببا وتارة قهقرياً وانعقدت علي رأسيهما الغبرة ورأى كل منهم ما بهره هذا والملك أبو تاج رأى من الملك سيف شيئا ما كان له فى حساب وعلم أن خروجه له ما هو صواب وأيقن لنفسه بالهلاك والذهاب وندم حيث لا ينفعه الندم وقد ذلت به القدم وانتقل من الوجود الي العدم فحار ولحقه الانهيار وحدثته نفسه بالهرب والفرار ولا يبالى فى اللوم لا بالفضيحة والشنار ولكنه أراد أن يعمل حيلة تكون لنجاة نفسه من الهلاك ووسيلة فصار يدفع ويتأخر وقصد أن يصل الي العسكر ويطلب منهم المعاونة فعرف الملك سيف بن ذى يزن منه ذلك فصاح عليه فأدهشه وهجم عليه ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وما زال معه طعان وضراب حتى حك الركاب بالركاب وصاح فيه صيحة الأسد الوثاب فاندهش الملك أبو تاج وغاب عنه الصواب فتقدم اليه وأمسك خناقه وعصر عليه حتى كاد أن يطير أحداقه ورفعه علي قائم زنده وأراد أن يعود به من الميدان فهاجت عساكره وانطبقوا علي الملك سيف بن ذى يزن وملئوا الأقطار والدمن فخاف الملك سيف علي نفسه من العد أن يسقوه شراب الردى فرفع ساعد باعه وشاله على ذراعه وجلد به الأرض فرض عظمة أعظم رض وتلقى بوادر الخيل وأنزل عليهم البلاء والويل وكالهم كيلا وأى كيل وأجرى دماءهم مثل السيل هذا والملك أبو تاج ما صدق بخلاص نفسه حتى خرج من المعمعة ونظرت السودان .

انتهى الجزء الثالث من سيرة سيف ابن ذى يزن
ويليه الجزء الرابع أوله ملكهم

الجزء الرابع
من سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذى يزن

ملكهم فاطمأنت قلوبهم وقاتلوا إلى آخر النهار وانفصلوا عن القتال وباتوا وهم فى أسوأ حال واجتمع الملك أبو تاج بالوزير وقال له إيش بقى عندك من التدبير أما هذا الفارس الأبيض فما أقدر عليه ولا على مبارزته ولا أكون طالبه ولا طالب زوجته وقد أردت أن أقول يرحل عنا بسلام ويكفينا شره بغير خصام فقال الوزير يا ملك الزمان أنا أبرز له فى الميدان وأقاتله بالسيف والسنان ولا أرضى أنه يخرج من بلادنا فى سلامة وأمان ويقول إنه كسر عسكرنا وبدد شملنا فى البرارى والوديان وهذا عار علينا لا ينسى على طول الزمان فقال له الملك يا وزير هو بطل جبار ويرجع علينا الدرهم بقنطار فقال الوزير يا ملك أناله كفاية ولا بد أن أريه من الهلاك آية فقال الملك إذا أتيتنى به وهو أسير كنت أعذبه العذاب النكير هذا ما جرى وأما الملك سيف فإنه لما عاد إلى الملكة شامة قامت إليه واعتنقته وبالسلام هنته فقال لها يا شامة هل عندك شيء من الزاد فقالت له جمعت أعشابا خضراء من جانب المياه وأنت فى الحرب فأكلت بعضها وأبقيت لك منها جانبا ثم قامت وأحضرت له وكان شيئا كثيرا من السعد فأكل وأعطى الباقى للخيل ثم صبر حتى أكلت الخيل وقال لزوجته إلزمى باب المغارة حتى آخذ لى هجعة من أول الليل وأنام قدر ساعة وأفاق وأمر الملكة شامة فنامت إلى الصباح واصطفت الصفوف وركب الملك بن ذى وبرز إلى الميدان وطلب البراز فانحدر إليه الوزير وهو راكب على جواد أشقر عال مضمر ولابس عدة كاملة وساق حصانه بلا فزع ولا خوف حتى قام الملك سيف وقال له يا أبيض انظر ما بين يديك ولا تظن أنك وحدك تملك الدنيا بيدك فهذا أمل

بعيد والوصول إليه صعب شديد وإن أردت السلامة فانزل عن حصانك وسر معى إلى الملك أبى تاج حتى آخذلك منه الأمان وأصالحه عليك فإن تفعل ذلك وإلا تشرب كأس المهالك فقال له سيف أما أنت الوزير الذى آتيت إلى زوجتى كان قصدك أن تقودها إلى الملك أبى تاج وأنا وبختك ومنعتك عن هذا المنهاج والآن أردت أن تبرز لى فى مقام الهياج وأنت إلى ذلك الشىء ما أنت محتاج وهذا ما هو مقام الكلام بل هو مقام الخصام والحرب والصدام فاترك هذا الكلام ودونك واشرب كاسات الحمام فقال له الوزير جئتك.

وانطبق الإثنان بعضهما على بعض ودوى أصواتهم مثل الرعد وخرجا مع بعضهم من الهزل إلى الجد ووسعا المجال طولا وعرضا وداما فى حرب مع قتال حتى عول لنهار على الارتحال وأقبل الليل وأرخى على الخافقين سرران ونظر الوزير الهمام من الملك سيف شيئا ما رآه أبدا من أحد فاشتد به الوجد والكمد فصار يقاتل ويروم أن يستجره إلى جهة العسكر والملك سيف عرف قصده ومطلوبه فصاح عليه وأتعبه وأكر به وضياقه ولاصقة وسد طرقه وطرائقه وشربه بالسيف على عاتقه فأخرجه يلمع من علائقه فمال للأرض وهو صريع يمج العلقم والنجيع وكان الملك أبو تاج واقفا يرى المعمعة وعينه للوزير متطلعة فلما رآه قتله وعلى وجه الأرض جندله صاح واوزيراه! والتفت إلى العساكر وقال لهم كل من يقتله أعطيه وزن رأسه ذهبا فلما سمع منه فرسانه ذلك الكلام دخلهم الطمع فخرج إليه فارس من الجيش يقال له حبش بن حبشى وانقض عليه طمعا فى أخذ المال فما خلاه فألحقه به والثالث والرابع فما تم النهار حتى أهلك خلقاً كثيراً وعاد الملك سيف آخر النهار فتلقته الملكة شامة وهنته بالسلام وقالت له الله يبلغك النصر والتأييد على كل طاغ وعنيد وكان عندها جانب من أعشاب من الذى جمعته بالنهار فقدمته له فاكل وحمد الله تعالى وشكر ونام ساعة وشامة تغفره وقام وهو يراقب النجوم ويتضرع لله الحى

القيوم حتى طلع النهار فركب الحصان وبرز إلى الميدان ونادى يا كلاب الحبشة والسودان هلموا إلى الحرب والطعان وحتى أهلك كباركم وصغاركم وأخرب أرضكم وأمصاركم فصاح الملك أبو تاج فى رجاله وقال لهم احملوا عليه كلكم أوبارزوه والذى تقدرون عليه افعلوه إما أن تقتلوه وإلا تأسروه وإلا بالجرح امتحنوه وإلا على رؤوس الأسنة شيلوه فقالوا له يا ملك الزمان لأى شيء جعلتنا هدفا لهذا الجزار والقيتنا للهلاك والبوار أما انت ملك وهو ملك اما أن تبرز أنت إليه وتأخذ روحه من بين زوجتك فلما تقتله وتعدمه مهجته تحتظى لنفسك وبزوجته وإن قتلك وعجل منيتك يأخذ منك زوجتك فلما سمع ابو تاج من عسكره هذا الكلام هاجت فى رأسه النخوة الأبوية وبرز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى على الملك سيف وقال له دونك واالميدان فلما رآه الملك سيف بن ذى يزن لم يرد عليه جوابا ولا أبدى له خطابا دون أن حمل عليه حملة الغضب وعبس فى وجهه وقطب وقال له يا كلب السودان ايش الذى بينى وبينك كان حتى تريد لى الهلاك بالظلم والعدوان ولكن سوف ترى ما يحل بك من القتل والهوان بإذن الملك الديان ثم إن الملك سيف حاذر ان يأسره قدام عساكره فما يمكنه العساكر من أخذه ويحملون عليه جملة كما فعلوا فى المرة الأولى فصار يستجير ويظهر له الكسل والتقصير حتى ابعد به عن العساكر إلى البر والهجير وطلب النصر من العلى الكبير وهو الله الذى لا إله إلا هو وإليه المصير وهو على كل شيء قدير فصاح الملك سيف الله أكبر الله أكبر فاندهش الملك أبو تاج وتحير وفى دهشة انطبق عليه وتمكن من خناقه وعصر على اطواقه وجذبه فاقتلعه من سرجه وكان الليل أقبل والنهار ولى وارتحل فعند ذلك سار سيف ابن ذى يزن بخصمه إلى الجبل وضرب به الأرض فكاد أن يطحن عظامه بعضها على بعض ونزل إليه وشد كتافه وقوى منه السواعد والأطراف وصبر به إلى أن قوى ظلام الاعتكار وسار به إلى المغار

ودخل به على شامة فقامت إليه وهنته بالسلامة وقالت لأبى تاج يا ملك ايش اغراك على فعل القبيح الذى يؤدى إلى الهلاك وفى هذا الوقت تشرب كاس الحتوف وأنا وسيدى نقطعك بالسيوف بعدما كان لنا مأكول زادك وشملتنا نعمتك ووداك وإيش الذى أغراك على هذا الضلال حتى ترمى نفسك فى أشد النكال فقال الملك أبو تاج يا ملكة شامة أنا أريد منك أن تسامحينى وأنا فى عرضك أن تطلقينى وتشفعى لى عند ذلك الرجل حتى يعتقنى ومن الكتاب يطلقنى وأنا أتر ككما تمضيان إلى حالكما فقالت الملكة شامة أنت الذى تعديت علينا طلبت منى الخنا ودعوتنى إلى الزنا فدع بعلى يقتلك ونبدأ بك قبل أن تبدأ بنا فقال يا ستاه أنا أحلك أنى أطلقكما ولا أتعرض لكما بل على الطريق أدلكما وأعطيكما من الزاد والدقيق وأسلك معكما أحسن طريق واشفعى لى عند الملك سيف فيما بدا منى إليه ولا يؤاخذنى وأنا أكون له من جملة الأصحاب ونترك اللوم والعتاب ثم إنه أقسم وشدد فى الاقسام وقال وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه والفلك الذى دائما يدور وإلا يكون من أهل الجنة ويحاور الولدان والحور ويحرم فى الآخرة من لبث النار والنور أنه قط لا يخونكما ولا يتعرض لكما طول الأعمار وكانت هذا الأقسام عند السوادن أعظم ما يكون وعلم الملك سيف بن ذى يزن أنه صدق ولا يغدر ولا يخون فقام إليه فى الحال وحله من الشد والاعتقال وصفت قلوبهما وتصافحا وتصالحا وقعدا يتحدثان. هذا ما جرى ههنا (وأما ما) كان من العساكر فإنهم لما أسر ملكهم ما كانوا حاضرين فلما أظلم الظلام وأن الملك سيف تعلق بالجبل فداروابه وقالوا يمكن أنه أخذ ملكنا أسيراً وربما يقتله كما قتل الوزير ولكن نحن نصبر للصباح ثم ننظر ما يفعل هذا الفارس الجحجاح ان نزل إلينا حار بناه وعن ملكنا سألناه وإلا نجمع مراكبنا وسلمنا ونتعلق كلنا بدائرة هذا الجبل حتى نخلص ملكنا من هذا البطل فقال العقلاء منهم ملكنا

طماع والطمع ما ينتج إلا عن ضرب الرقبه وباتوا فى أشد الخوف والفزع حتي مضى الليل بظلمائه وأقبل النهار بضيائه هذا ما جرى هاهنا وأما الملك فإنه لما قعد يتحدث مع أبى تاج فى جنح الليل الداج وإذا بقعقعة من الجو بدت ويد وضعت فيه وأسمعته تسبيح الأملاك فى مجارى قبب الأفلاك يا مؤمنا برب سواك وحد من لا ينساك فقال الملك سيف من أنت وظن أنها عاقصة فقال له أنا عيروض فقال الملك سيف عيروض فقال له أنا عارض اركبك لأن أنت السبب فى تعب نفسك فقال ولم ذلك يا عيروض فقال عيروض يا أخس الأنس ويا قبيح الجنس أرسلتنى إليك أمك الحنونة الكاهنة المفتونه فقال له عيروض أنت الذى اعلمتها بى فقال عيروض الذى اعلمها أنت بنفسك لأنها دخلت أودة السلاح فلم تجد سيف سام بن نوح عليهما السلام فسألت عنه خازن السلام فقال يا ملكة لم أعلم له خبرا فعند ذلك أحضرتنى وسألتنى عنه فلم أقدر أن أخالف أمرها لما أن روحى معها وأخاف من الأسماء تحرقنى فأخبرتها أن أختك عاقصة أخذته إليك فلما علمت بك أنك أنت الذى أخذت السيف قالت وكيف عاد من أرض الغيلان؟ فأعلمتها أنك أهلكتهم عن آخرهم ونجوت منهم فقالت لى أين تكون هذه عاقصة العاهرة وأنا الزمتك أن تأتينى بها فقلت لها ما هى من الإنس بل هى من الجان وما أحد يحكمها ولا لى مقدرة على ذلك فإن تعرضنا لها فإن أباها يحرقنا لأنه سلطان كبير وعنده مثلى خدم كثير فلما سمعت ذلك قالت لى وأين سيف بن ذى يزن ولد الزنا فقلت لها فى ملك البنجار عند الملك أبو تاج ومعه شامة زوجته وولده دمر وهو غلام ذكر كأنه القمر فقالت لى اذهب إليه وخذه وارمه فى أرض السحرة وفج النار فقلت لها سمعا وطاعة ولا أقدر أن أخالف فتحرقنى الأسماء التى على اللوح فى الوقت والساعة فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام انكسر قلبه وغاب صوابه ولبه وقال يا عيروض أنا أسرت الملك أبو تاج وهو يريد أن يأخذ زوجتى

فما يكون العمل فى ذلك فقال له عيروض يا ملك أنا لا أعلم بشىء من ذلك فأنك أنت الظالم لنفسك حيث أعطيت اللوح لأمك فقاس بنفسك طويل همك ولا تطل معى كلامك وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو كان غيرك ما أكلمه ولا كلمة واحدة ثم أن عيروض سار به كما أمر هذا والملك سيف أيقن باتلاف مهجته مع تذكر شامة زوجته وشتاته ووحدته وتحكم والدته وعدوته فبكى وتحسر وفاض دمعه وانحدر وأنشد يقول:

* * *

إن جور الزمان صعب شديد	وعلينا كم يعتدى ويكيد
وكذا الدهر لا يزال خؤونا	غادرا خائنا خبيثا عنيد
كلما أرتجى من الدهر خيرا	يتمادى بفعل شر يزيد
كنت غراً بحادثات الليالى	وصروف الأيام عنى تحيد
أنا أمى سبب كلى وبلائى	وشتاتى فى كل قطر بعيد
وفراقى من زوجتى وغلامى	فهو ذمر نعم الغلام الرشيد
لكن الصبر للقضاء جميل	يفعل الله ما يشا ويريد

* * *

(قال الراوى) وسار عيروض بالملك بن ذى يزن قاصدا به وادى السحرة وفج النار هذا ما جرى ههنا وأما ما كان من أمر الملك أبى تاج فإنه لما نظر إلى تلك القعقعة وقع مغشيا عليه إلى الأرض ولم يعلم الطول من العرض لأنه رأى شيئا عمره ما رأى مثله ولم يعلم بحال عيروض وأما الملكة شامة فهطلت عيناها بالدموع وتأسفت من فؤاد موجوع وبقى ويلها نفسها وولدها وعرضها وتشتيت بعلها ولم تعلم إلى أين راح زوجها فى النوبة وأيضا إذا علمت ما بيدها ضرر ولا نفع ذلك صارت حائرة ولم تدر كيف العمل حتى أفاق الملك أبو تاج من غشوته وظن فى باله أن هذه أهوال القيامة والتفت إلى المغار فلم يجد فيه إلا الملكة شامة على حجرها ابنها

والدموع تنحدر من عينها فصبر عليها حتى وعت مما هى فيه على نفسها **(قال الراوى)** وأما عيروض فإنه سار إلى الملك سيف بن ذى يزن حتى وصل إلى وادى السحرة وفج النار ونزل عليه بالقرب لأن عيروض ما يطيق دخوله فوضعه قريبا منه وقال له هذا المكان الذى أمرتنى أمك أن أرميك فيه وأنا قد رميتك ومنى عليك السلام والله يا سيدى وحق النقش الذى على خاتم سليمان لو أنى أعرف أن مصير هذه الشقاوة تنمحى عنك وما أكسبه منك لكنت رميتك من الجو العالى وما كان يصل من لحم بدنك ولادرهم إلى الأرض وفى قلبى منك غيظ والام وأورثتنى بلاء وسقام ولكن لله فى خلقه قضاء نافذ و أحكام وكان هذا الجبل الذى وضعة عليه عيروض جبلاً عالياً شاهقاً كأنه بالسحاب متلاحق ودائرة فروع وقرون من الصوان مثل فروع الشجرة ولم يكن له طريق يصل إلى الأرض مطلقا لا من أطرافه ولا من وسطه بل إنه واقف على هيئة النخلة ومسافته طولا ثلاثة أشهر وعرضه أيضا مثل طوله ولما نزل عليه الملك سيف لم يجد الا الصوان قطعة واحدة والسماء من فوقه ولم يجد شيئا غير ذلك فى هذا المكان فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فسار يمشى فيه طول ذلك النهار حتى أمسى عليه المساء وهو فى حالة الضرر والأسى ويعلل نفسه بلعل وعسى وبات تارة يمشى وتارة يقعد وتارة ينام وهكذا حتى خفت منه نفسه من الجوع والعطش فرأى فى وسط ذلك الجبل فجاً عظيماً وهو شر فى وسط الجبل مشقوق عميق ولم يوجد له قرار وطلع من ذلك الفج دخان كثير فتعجب الملك سيف بن ذى يزن ووقف يتفرج عليه إلى الليل فتغير ذلك الدخان وخرج شرار ونار.

فقال الملك أعوذ بالله من هذا الجبل والقفر ولقد رمتنى أمى في مهلك عظيم وقليل الخلاص منه بعد العذاب الأليم فرفع رأسه إلى السماء يقول:

يا لطيفا بخلقه ⋆ أنت تعطى وتمنع

يا إلهى وسيدى ⋆ دلنى كيف أصنع

فبينما الملك سيف كذلك وهو ينتظر الفرج من صاحب الفرج وإذا هو بشيخ مقبل عليه من كبد البر وهو طويل القامة وعريض الهامة دنس الثياب طويل الأظفار والأسنان شنع المنظر كريه الرائحة منتن الفم له عينان مثل الجمر فلما رآه الملك سيف على هذه الحالة خاف منه خوفا شديدا وجعل ينظر إليه وهو عنه بعيد ومتدارى فى حجر عال وهو يقول فى نفسه ياهل ترى يأتى هذا الرجل إلى عندى أم لا ولم يزل يرصده خوفا منه أن يراه ولكن الملك سيف معتمد على أن ذلك الجبل لم يكن فيه طريق لأحد يطلع منها مطلقا وأما ذلك الشيخ فلم يزل سائرا والملك سيف بن ذى يزن باله معه حتى بقى تحت ذلك الجبل فذهب من الملك سيف الحيلة ولم يدر كيف وأما الشيخ فأنه عزم وترجم بكلام لا يفهم وإذا به انثنى وانفرد وانبرم وارتفع حتى بقى فوق ظهر الجبل وقام على حيلة كأنه النمر الأنقط أو الثعبان والأرقط وتأمل يمنيا ويسارا كل هذا يجرى والملك سيف لابد بين الأحجار وأما ذلك الشيخ فمشى حتى وصل إلى ذلك الفج ونظر إلى الشرار وصبر حتى قرب من تلك النار وسجد لها كفراً واعتراراً دون الملك الجبار خالق الليل والنهار ولم يزل فى السجود قدر ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه من السجود والتفت إلى يمنيه فرأى الملك سيف قاعداً على الجبل فنظر إليه طويلا وميزه ولعب شاربيه.

وعزم بشفتيه وأشار إلى الملك سيف بيديه فما يشعر الملك سيف إلا والدنيا انطبقت عليه وتخشبت جميع أعضائه ولم يجد فيه نفس ولا همه ونزلت عليه أثقال كأنها الجبال فما أفاق إلا وقد وجد يديه ورجليه مكتفة من غير رباط لا تتحرك أبداً وكذلك لسانه انعجم ولم يبق فيه شيء يتحرك إلا لسان بلامنطق وعين تنظر وتحقق ونظر الملك سيف إلى ذلك الملعون

فما سأله ولا كلمة بل سار إلى حرف الجبل وعزم وترجم وانبرم فصار أسفل وترك الجبل وراح إلى سبيله

فقال الملك سيف الحمد لله أذهب عنى هذا الرجل ولا شك أنه سحار مكار ساكن فى تلك الجبال وهذه الأحجار وهو يعبد تلك النار ثم أراد أن يقوم من مكانه فلم يجد له قدرة ولا همة بل وجد نفسه هو والجبل قطعة واحدة فكاد أن يغشى عليه ولم يبق فيه غير لسانه وعينه فصار ينظر يمينا وشمالا ولسانه لا يفتر عن ذكر الله الملك المتعال وما زال على هذه الحال حتى ذهب النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فبينما هو كذلك وإذا باللعين الكاهن قد أقبل ومعه ثمانون ساحرا مثله فمازالوا سائرين حتى وصلوا إلى تحت الجبل فعزموا وترجموا تكلموا وانبرموا إلى أن صاروا فوق الجبل ومشوا جميعاً إلى تلك الفج وهو فج النار فرأوا النار صاعدة فسجدوا لها من دون الله تعالى ولم يزالوا فى سجودهم إلى نصف الليل ولما نظرهم الملك سيف خاف على نفسه منهم وقال لاشك أنهم يقتلونى أو بفعلهم يسحرونى فاعتمد على تسبيح الله عز وجل وصار يحمده ويشكره وقلبه يرجف لما وقع به من الخوف ويقول فى نفسه إذا كان واحد منهم جعلنى هكذا فكيف حالى إذا جاءنى هولاء الثمانون ولكن الأمر لرب العالمين فهو كذلك وإذا واحدأقبل من الثمانين وقد سار إليه وكان ذلك دونهم رفع رأسه فرآهم جميعاً ساجدين وعلى وجوههم راقدين فتركهم وجاء للملك سيف فلما رآه مقبلا أرتعدت فرائصه فأقبل ذلك الرجل فرآه على غاية من الخوف والوجل فلما رآه قال أهلا وسهلا ومرحبا بك يا من أوحشت أرضك وبلادك وآنست أرضنا وبلادنا سيدى الملك سيف بن ذى يزن المنزل على أهل الفكر وصواعق المحن فلما سمع سيف بن ذى يزن كلامه أطمأن قلبه وهدأ روعه وقال له يا عمى ومن أين تعرفنى وتعرف اسمى وما يكون اسمك أنت الآخر ياأخى فقال لا تخف من هذا الأمر فأنا أبقى صديقك

واسمى برنوخ الساحر وأنا كبير هؤلاء الثمانين ساحرا وأما سبب معرفتى بك وباسمك فهو سبب عجيب وهو أنى مدة حياتى أسجد للنار ذات الشرر وأعبدها من دون الله تعالى خالق البشر ومنشئ الصور وفى ليلتى هذه أتيت مع السحره على حسب العادة وسجدت معهم فأتانى فى سجودى شخص مهول الخلقة شنيع المنظر لم تر عينى أقبح منه منظراً وفى يديه حربة من النار ففزع على بها وقال لى يابرنوخ إلى متى ,أنت فى ضلالك وتعبد النار ذات الشرار وتترك عبادة الملك الجبار العزيز الغفار خالق الليل والنهار وعبادتك التى عبدتها بطول حياتك لم تكن نافعة بشيء وكل من عبد النار دخلها ويبقى بينه وبين الجنان سور من الحديد فلا يشم لها رائحة وإن لم تنفق عن عبادة النار فى ساعتك هذه وتمضى إلى هذا الرجل الذى القيت عليه الأسحار وتخلصه من هذه الأضرار

وتدخل دينه وتتبع يقينه وتفوز معه فى الآخرة بالنجاة من النار المحرقة إلا طعنتك بهذه الحربة طعنة سابقة تكون روحك لبدنك مفارقة فماذا تقول فقلت له يا سيدى ومن هو هذا الرجل الصالح وما اسمه حتى أخلصه وأدخل فى دينه وأكون له ناصحاً فقال اسمه سيف بن ذى يزن التبعى الحميرى فأفق من منامنك من قبل أن أسقيك كأس حمامك ثم صاح على فانتبهت من منامى ولذيذ أحلامى وجئت إليك كما ترانى فبحق ما تعتقده من دينك ما أنت الملك سيف بن يزن فقال له نعم هو أنا فقال له وما أقول أنا حتى أبقى من حزبك وأهل يقينك وأدخل فى دينك فقال الملك سيف قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله.

فقال برنوخ مثل ما قال وآمن بالقلب حقا وباللسان صدقا وكشف الله عن قلبه الغفله وعرف أن الله واحداً لا شريك له وصدق برسالة إبراهيم خليل الله وانمحت عنه الشقاوة وصار من أهل التقوى فلما عرف الملك سيف بن ذى يزن منه ذلك فرح به فرحا شديدا ثم إن برنوخ أخذ قليلا من

الرمل ورش به الملك سيف فأفاق فى نفسه ونهض قائما على قدميه ووجد لذلك خفة عظيمة وقال الحمد لله علي كل الأحوال ثم إنه قال لبرنوخ اعلمنى يا برنوخ ما هذه الكهنة وما هذا الفج وما سببه وأنه فى النهار يخرج منه دخان وفى الليل يخرج منه شرار ونيران فقال له يا ملك هذا له سبب عجيب ولكن هذا ما هو وقت كلام فسر الآن بنا من هذا المقام مادام الله عز وجل قد ألقى على هؤلاء الأعداء المنام ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى جانب الجبل وحمل الملك سيف فى حضنه وتكلم وعزم وإذا بالجبل انبرم له وصار تحت الجبل والملك سيف معه كما ذكرنا وقال الحمد لله على السلامة ولكن اصبر حتى آتيك بجواد تركبه ثم غاب وعاد ومعه جوادان شديدان فركباهما وسارا طالبين البرارى والقفار والسهول والأوعار وما زالوا سائرين وفى الفلوات مجدين حتى أصبح الصباح واضاء الكرين بنوره ولاح وساروا على حالهم إلى أن تضحى النهار فبينما هما سائران وإذا هما بغبار علا وثار والثمانون ساحراً مقبلين وهم ينادون ويتصايحون بالنار ذات الشرار أين تنجون منا ونحن خلفكم فى الطلب ابشروا بالوجل والعطب فما بقى لكم خلاص من شيق الاقفاص فلما قربوا منه ونظرهم برنوخ تعجب وقال للملك سيف إيش أخذنا نحن من هؤلاء الملاعين حتى أتوا خلفنا طالبين هلاكنا فقال الملك سيف يا والدى أنا لهم كفية وحق رب البرية فقال يا ملك قف أنت مكانك ولا تقرب وتفرج أنت على حربنا بالكهانة والسر فقال الملك سيف أفعل ما تريد وارتكن الملك سيف فى معزل عنهم وكان السبب فى مجيء هؤلاء السحرة أنه لما أفاقوا من سجودهم كان ثانى الأيام فلم يجدوا برنوخ وهو كبيرهم هو الذى أتى بهم فى الأول وقال لهم واحد منهم رأيته عند المعبد الأكبر وأريد أن أجعله قربانا للربة الكبرى فهذا كان سبب مجيئهم ولما أصبحوا ولم يجدوه استجوبوا خدمهم فقالوا لهم إن الكاهن برنوخ هو الذى أخذ الغريم وسار به من عندنا ودخل

دينه وتبع ملته ويقينه ونحن كان قصدنا أنّ نجعل هذا السنى قربانا لولا كبيرنا خلصه وملك به البرارى والقفار حتى وقعت العين على العيم وتأخر الملك سيف كما أمره برنوخ ووقف ينظر إليهم وكان برنوخ القى عليهم بابا من أبواب السحر وهو باب الرعشة فأبطلوه ورموا عليه باب الدهشة فأبطله ورمى عليهم باب السكتة وما زال يأخذ منهم ويعطيهم وهم يأخذون منه ويعطونه إلى آخر النهار يابرنوخ فقال يفعل الله ما يريدو أما أنا فلم أفعل شيئاً ولكن ببركة دين الإسلام ينصرنا عليهم الملك الغلام هذا ما كان وأما السحره الثمانون فإنهم رجعوا آخر النهار وقالوا لبعضهم كيف يكون الحال وها نحن ثمانون من الرجال وما ظفرنا بشخص واحد فى القتال فقال واحد منهم الصواب أننا نرسل نعلم الملك بما نحن فيه فلعله أن يأتينا بعساكره ويدركنا لأن برنوخ صاحب نشاط وهمه وقوة وعزيمة فقال باقى الرجال لقد أصبحت فى ذلك المقال ثم أرسلوا واحدا منهم إلى الملك فسار فى الحال ودخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وأعلمه بما كان فقال الملك عجب عجيب ولكن فى غداة غد ألحقكم برجالى وأنزل فى الميدان وأهلك برنوخ والذى معه وأجعله إلى النار قرباناً فامتثل الرسول كلامه وعاد إلى السحرة وأخبرهم بما قال الملك ففرحوا واطمأنوا وباتوا فى هناء وأفراح - هذا ما كان منهم - وأماما كان من الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ فإنهما صارا يتحدثون وببعضهما يأتنسان وقد سأل الملك سيف برنوخ الساحر عن سبب هذا الفج والنار فقال له برنوخ يا أخى قبل ما أحكى لك أريد منك أن تحكى لى ما الذى أتى بك إلى هذه البلاد لأنك تقول إنك من بلاد الحبش واليمن ووادى اليمن والحبش من هنا مسيرة تسعة أعوام وإيش أتى بك إلى هذا المقام فحكى له الملك سيف على فعل أمه أعاد عليه أول منشئه من أوله إلى آخره وكشف له عن باطنه وشاهره وخدمة عيروض وعطيته اللوح لأمه وأن الذى رمانى فى هذا المكان

عيروض بأمر والدتى فقال برنوخ هذه حكايتك يا ملك غريبة واعلم أن كل شيء له سبب ولابد أن يكون مجيئك إلى هنا لتتفرج على هذه الأرض ويكون لك فيها إبرام ونقض واعلم يا ملك سيف أن مدينتنا هذه يقال لها مدينة الأشخاص وكان بها ملك يقال له الملك شخاص وهو ملك من الملوك الكبار وكان له بنت ذات حسن وجمال وبها كمال وكان هذا الجبل ساكنا به ملك ساحر اسمه الكاهن حابس الوحشى وكان له ولد ذكر مثل البعير أو فحل البقر وكان علمه السحر والكهانة وعلون الأقلام وما زال ذلك الولد ينشأ ويتربى فى الدلال حتى بلغ مبالغ الرجال فصار يقتنص الوحوش من وسع الرمال وطلب من أبيه أن يزوجه فخطب له أبوه بنت الملك أشخاص وأرسل يقول له يا ملك أشخاص بلغنى أن لك بنتا وأريد منك أن تزوجها لولدى واطلب منى كل ما تريد من أموال وجمال وخيل وجواهر وخدم وعبيد فأرسل يقول له أنا ما عندى بنات تصلح للزواج فلا يكثر اللجاج فغضب الكهين حابس لأجل ذلك غضبا شديد ما عليه من مزيد وأرسل يقول له إن لم أفعل فيك مكيدة يتحاكى بها الخلق جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل وإلا فما أكون أنا حاسبا الوحشى ثم إنه احضر فرقة من جنده من الجان الذين يدور يده عليهم وأمرهم أن يطلعوا هذا الجبل ويفجرواذلك الفج العميق فحفروه بوسط ذلك الجبل فى ظروف سنة كاملة ليلا ونهار عشية وابكاراً حتى صار هكذا كما أنت ناظره وجعلوا فيه عقدا من أسفله واسكن الجان فى ذلك الفج فسكنوا كما أمرهم بالرغم عنهم وامرهم أن ينفخوا فتصعد أنفاسهم في النهار درخانا وفى الليل شراراً ونيرانا وقعد فى ذلك الجبل وهو ينظر فى ذلك الفج وجعل يسجد للنار وجعل ذلك الفج معبدا وتضرع إليه وسجد واحضر كل من كان هناك من بنى آدم يفعلون كفعلة ويعبدون النار دون الملك الجبار وصار لهم بذلك عادة مستمرة آناء الليل وأطراف النهار ثم إن الكهين حابس جمع أهل بلده وأهل الجبل جميعا وقال

لهم أعلموا ان بقيت هذه الربة الكبرى لكم وهى التى تنجيكم وتنفعكم فلا تستغضبوها عليكم بل استرضوها فى كل الأوقات وقدموا إليها قربانا من المأكولات فقالوا له وما يكون القربان الذى نقدمه لها فقال لهم قدموا لها أعضاء بنى آدم وقولوا لها هذا قربان إليك منا فخذيه فداء عنا وارضى عنا فقالوا له ومن يقدر أن يأتى ببنى ادم يحرقه فى النار فقالوا لهم افعلوا ذلك باعدائكم واجعلوا للنار قربانا فداءكم فقالوا له ومن هم اعداؤنا فقال لهم أهل هذه المدينة هم آعداؤكم فلما سمعوا كلامه وعرفوا قصده ومرامه صبروا إلى الليل وهجموا على المدينة بأجمعهم فأمسكوا أهلها وكتفوهم أشد كتاف وقووا منهم السواعد والأطراف وأتوا بهم إلى ذلك الجبل من غير خلاف وقالوا إذا مسى المساء وحضرت الربة الكبرى قربناهم إليها قرباناً وطلبنا منها العفو والغفران واتفق رأيهم على ذلك الأمر والشان ولما أقبل الليل بظلامه وارتحل النهار بإبتسامة تجمعوا إلى ذلك الفج وأحضروا الطعام وأكلوا وشربوا ولذوا وبعد الطعام أحضر المدام وشربوا ولما دار بينهم المدام غلبت عليهم الخمر فقاموا كأنهم قتلى وكان الملك شاخص من المأسورين ونظر إلى ذلك الحال فقام قائما على قدميه وسار إلى ذلك الفج ووضع كتافه على حرارة النار حتى انحرقت الحبال وتمطى فى كتاف يديه فقطعه وفك باقى قومه وأخذهم وسار بهم من ساعته وترك القوم سكارى بالخمر والنوم ولم يقدر أن يدخل المدينة خوفاً من أن يأتوهم ويأخذوهم منها ثانيا فسار بهم فى البرارى والقفار والسهول والأوعار مدة عشرة أيام وليال تمام فأشرفوا على واد كثير الأشجار والأنهار وسكان الوادى راكبين على خيول من نحاس. وهم يتسابقون مع بعضهم فلما رآهم الملك شخاص وجماعة تعجبوا منهم فتقدم إلى واحد منهم وقال ما تكون هذه المدينة وما اسمها ما يكون اسم ملكها فقال له هذه مدينة السحرة وملكها اسمه شمشرون الساحر وهو بأمر السحر عالم و

خابر فقال له وأين مكانه فقال له مكانه على تلك العين وأشار له فسار إليه وقبل الأرض بين يديه وقال له أنا جئتك مستجيراً أيها الملك الكبير فقال له ممن فقال له من رجل يقال له حابس الذى فى جبل الدخان وفج النيران والجب العميق إنه ظلمنى وأخبره بما فعل معه من الأول إلى الاخر فقال له الملك شمشرون وصلت وفى حمانا دخلت فخذ من رجالى ثمانين ودعهم فى أرضك ساكنين وفى مدينتك قاطنين فإذا كانوا عندك فلا تخف من هؤلاء الملاعين ثم قال خذ فلانا وأعطاه الثمانين وجعل عليهم رئيسا وأمرهم بالمسير إلى جبل الدخان مع الملك شاخص فساروا وقد رجع معهم إلى المدينة وأقاموا فيها وزال عن قلب أهل المدينة الخوف والفزع وأما أهل الجبل فلما أفاقوا من نومهم فلم يجدوا أخصامهم فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا أين ذهب هؤلاء الملاعين فقال لهم كبيرهم حابس اعلموا أن الربة الكبرى قد قربتهم لنفسها بنفسها وحرقتهم بنورها ولذلك لم نرلهم أثراً فلا تسألوا عما فعلت الربة الكبرى وتركوا هذا الأمر وداموا على فعالهم من سكرهم وسجودهم إلى أن أقبل هؤلاء السحرة وأهل المدينة ودخلوا مدينتهم ولما استقربهم الجلوس قام كبيرهم واحضر أشخاصا من الطين الطرى وعزم عليهم وأخذ بيده شيئا من الأرض وضرب هؤلاء الأشخاص فوقعت اعناقهم فلما جرى ذلك ووقعت رؤوس الأشخاص ووقع فى سكان الجبل الأنقاص وماتوا عن آخرهم ولم يبق منهم باقية بعد مدة يسيرة أرسل الملك شمشرون يكشف خبر قومه فارسلوا له خبر ما وقع على سكان الجبل. أنهم هلكوا عن آخرهم من شدة السحر والعمل ففرح بذلك غاية الفرح ثم إنه أتى على ظهر حصان من النحاس وبصحبته قومه راكبين مثله وطلع الجبل وتفرج على ذلك الوادى وذلك الجب فأعجبه واقتضى نظره أن يعكف على عبادة النار وأمر أتباعه أن يكونوا على عبادة النار من تلك الساعة فأجابوه بالسمع والطاعة وساروا

يطلعون من المدينة ويجيئون إلى ذلك الفج مع السحر ويسجدون للنار ولم يزالوا على ذلك حتى تناسلوا جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل ومات الجدود وفعلت ذراريهم كما فعلوا وكل الرعايا والجنود وما زالوا حتى انتشينا نحن وطلعنا مثل آبائنا وجدودنا وآن الأوان والله سبحانه وتعالى ختم بالإيمان لنا وكان ذلك على يدك وأنت السبب فى تحصيل الخير إلينا وهذا هو الأصل والسبب وسنرجع إلى كلامنا ومازال برنوخ الساحر يحدث الملك سيف حتى مضى الليل بالعلس وبدأ الصبح يتنفس وإذا هم بالثمانين ساحرا قد اصطفوا إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وأراد برنوخ أن ينزل إلى السحرة يتحارب معهم بعلوم الأقلام وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان عن الملك صاحب المدينة ومعه سائر عساكره والأبطال وهم ينادون يالنار ذات الشرار يا برنوخ يا سحار يا مكار يا غدار أخذت عدونا وهربت به فى البرارى الخوال والاودية والرمال بعد ما كنت نويت أن تجعله للربة الكبرى قرباناً يا غدار يا خوان وها نحن أتيناك نعجل دمارك ونخرب ديارك وكان السبب فى ذلك؛ أن الملك لما راح له الرسول الذى كان أرسله هذه السحرة بعدما تحاربوا مع برنوخ وعاد من عنده بعدما وعده أن يلحقهم وإذا لحق الملك سيف وبرنوخ بمحقهم وما صبر ولا ساعة بل ألقى النفير فيمن له من الجماعة وركب فى خمسمائة خيال وألف قراب وبعضهم على النجب ولحق الساحرين كما ذكرنا ووقعت العين على العين وكانت هاتان الطائفتان اللتان اجتمعتا قاصدين برنوخ الساحر والملك فقط ولم يكن له أعاد غيرهم فلما رآهم برنوخ الساحر التفت إلى الملك سيف وقال له يا ملك نحن وقعنا بين مرضين خطيرين وما نعلم نداوى أيهما أولا أنى إذا حاربت الملك وعساكره أخاف عليم من السحرة أن يغتالوك وإن قدروا عليك أهلكوك وإن حاربت السحرة فإن أخاف عليك من الملك وجنوده فإنهم جبار عنيد وشيطان مريد فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أخى أنا

التزم بحرب ذلك الملك الجبار وما معه من الجنود والأنصار وتكفل أنت بهؤلاء الثمانين أرباب الكهانة والأسحار فإنى لم أعرف مثلك فى علوم الأقلام ولولا ذلك الضرب فى الجميع بالحسام وأسوقهم بين يدى سوق الأغنام وأطلب النصر عليهم من الملك العلام خالق الضياء فلما سمع برنوخ من الملك سيف بن ذى يزن هذا الكلام قال له افعل ما تريد فأنا عن رأيك لا أحيد وانفرد برنوخ الساحر للسحرة. وأما الملك سيف بن ذى يزن فإنه جذب حسامه من غمده وهزه حتى دب الموت من فرنده وصاح الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من طغى كفر وخالف أمر الله تعالى من البشر أبشروا يا كلاب الكفر بقطع آثاركم من هذه الدمن وقطع أعماركم فى هذا الزمن وما بقى لكم خلاص من قدامى وأنا ملك أرض اليمن أنا التبعى الحميرى سيف ابن ذى يزن مبيد أهل الكفر والمحن وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء كحل المشركين بمراود من الغى وأبلاهم بالقيل والقال والذى والخبال وغنى الحسام البتار وقلت الأنصار ولحق الجبان الانبهار والندل حار لا يرى إلا دماغ طائر ودم فائر وحصان بصاحبه غائر وتفرقعت المرائر وكانت وقعت هائلة بالهول والكبائر وتجلى عليها الملك العظيم القادر ولله در برنوخ الساحر فإنه مارس الكفار وعاملهم بالأسحار والأقلام ودام الاثنان على هذا العيار إلى آخر النهار لكن الملك سيف بن ذى يزن وحدة ثقل عليه العدد وزاد المدد وخيم عليه الغبار وانعقد وقل منه الصبر والجلد وبرنوخ الساحر مع الثمانين يتجرع من الأعداء كأس الأنين وبكثرتهم عليه صاروا فائقين فصار يدافع عن نفسه وقد ايقنت أنه ما بقى له عن أعدائه محام ولا شافع وزاد على الاثنين العطش والظمأ وتحسروا على شربة من بارد الماء وأيقن الملك سيف وبرنوخ بالويل والعمى فبيناهم على هذا الأمر فى شدة الكرب حتى عدموا وإذا بقعقعة نزلت عليهم من كبد السماء واختطفتهما ورفعتهما من هذه الحروب وأنقذتهما وأسمعتهما تسبيح الأملاك وفى

مجارى قبب الأفلاك يا مؤمن برب سواك وحد من لا ينساك وعلى الحقيقة كانوا عادمين وما صدقوا بنجاتهم من العذاب المهين فقال برنوخ يا ملك سيف من الذى خطفنا فقال الملك سيف هذه أختى عاقصة الله لا يحرمنى منها والله يا برنوخ كم مرة أقع فى كل محذور وهى تنجدنى وتخلصنى من أضيق الأمور وأنا والله ما أنسى جميلها ولا أقدر على مكافأتها..

فقال برنوخ ومن الذى أعلمها بحالنا حتى أدركتنا وخلصتنا فقال له هى دائما خلفى تقتفى أثرى ثم قال يا عاقصة من الذى أعلمك يا أختى بحالى فقالت يا أخى أنا كنت مقيمة فى قصرى فأتانى عيروض بن الملك الأحمر خدامك وقال لى يا عاقصة أدركى أخاك الملك سيف بن ذى يزن فإنه وقع فى أمر عظيم وخطب جسيم وأمه غدرت به وشتتته النوبة الرابعة وأمرتنى برميه فى وادى النار وجبل الاسحار والفج العميق ولما رميته هناك أتاه كبير السحرة برنوخ وأراد هلاكه ونجاه الله تعالى منه وأسلم برنوخ وصار من جملة أصحابه وأدركهم السحرة وهم ثمانون وأدركهم ملك المدينة بجنوده أجمعين وهم الآن فى حرب عظيم وقتال جسيم فأدركهم وإلا شربوا كاس الحميم فلما سمعت ذلك عنكم آتيت إليكم وأخذتكم فقال برنوخ الحمد لله الذى جعل نجاتنا على أحب الناس إلينا وأنت يا ملكة عاقصة شكر الله فضلك فقالت عاقصة اعلمنى فى أى محل أوديكم فقال سيف قصدى مدينة أبى تاج فإن شامة وولدها هناك لا أعلم أيش جرى لهم فإن عيروض أخذنى من عندهم فقالت له سمعا وطاعة وهذا ما جرى وأما السحرة الذين كانوا يحاربون برنوخ فإنهم صاروا كلما يحدفوا بابا لم يرتد عليهم وبرنوخ غطس من بين أيديهم فقالوا لبعضهم أمسكوا عليهم باب الكشف فإن برنوخ مسك بابا الأخفاء فمسكوا باب الكشف فما بان لهم برنوخ فقال البعض يكون غاص فى الثرى امسكوا عليه باب الإرتفاع فلم

يظهر فقالوا يكون طار امسكوا عليه باب القبض وهكذا فلم يجدوه فقالوا لبعضهم يا جماعة أنتم تعلمون أن برنوخ واحد زمانه فى علوم الكهانة والذى يعرفه يعجز علينا ونحن تعرضنا له بقلة عقولنا فارجعوا بنا على أعقابنا ثم أنهم عادوا إلى الجبل والفج وأما الملك وجنوده فإنه لما أظلم الظلام وهو فى الحرب والصدام يظنون أن الملك سيف بن ذى يزن يقاتلهم فصاروا يقاتلون بعضهم وكل من رأى أحد قادما عليه فيظن أنه الملك سيف فيضربه بحربة أو بسيف هذا ما جرى بينهم طول ليلتهم حتى طلع النهار وبان للنظار ونظروا إلى بعضهم فلم يجدوا خصمهم قدامهم فقالوا لبعض يا ويلكم دوروا عليه حتى نقدم عظمه قربانا للربة الكبرى ففتشوا فى القتلى فلم يعرفوا عظمه من عظم غيره فقالوا لبعضهم نقدم جميع العظم لها أولى من تركه للوحوش فإنها أحق بأبدان عبادها وأبدان أعدائها قربانا لها ثم أنهم جمعوا أجسام المقتولين منهم وعادوا إلى ربتهم وأعطوا لها جثثهم وأقاموا فى أماكنهم وعبادة ربتهم هذا ما جرى هنا **(وأما ما)** كان من الملكة شامة فإنها لما ارتفع الملك سيف من عندها وهى قاعدة مع الملك أبى تاج فى المغارة وقالت ما قالته من الأشعار ونعت نفسها وزوجها وبكت على ولدها لكونه أنه بقى مثل اليتيم على يديها وبعد ذلك أفاقت على نفسها وقالت فى بالها هذا رجل فاسق ويحبى قد استهان وإذا علم ما جرى على بعلى طمع فى وصلى وهذا رجل قليل الدين وما له إلا المحال وإلا إذا لم أقدر له على حيلة فتكون نوبتى معه طويلة ثم أنها أخفت الكمد واظهرت الصبر والجلد وبطلت البكاء وصبرت حتى أفاق الملك أبو تاج من غشوته فلقى شامة قاعدة وحدها والملك سيف لم يكن معها ولا عندها فقال لها أين مضى الملك سيف يا شامة فقالت له يا سيدى إيش أقول على الملك وما يريد أن يفعل فإنه معه لوح خادمة عيروض فأتى إليه كما رأيت فقال له ودينى إلى بلاد حمراء الحبش حتى آتى بعسكر

وأجىء إلى هذه البلاد آخذ مدينة الملك أبى تاج وأجعل الأرض كلها عمارة ودمن من هنا إلى حد بلاد اليمن فإنى تخاويت أنا وأبو تاج ولا بقى لى عن مصاحبته احتجاج وقدركب على كاهل المارد وراح إلى بلاده قاصداً ولابقى يعود إلى برفقته وأبطاله وعشيرته فقال أبو تاج وكم يكونوا رفقته فقالت له ينوفون عن عشرين ألفا من الفرسان فقال أبو تاج وكلهم مثل بعلك هذا فى الحرب والطعان فقالت له هو أقل ما فيهم إذا اصطفت الأبطال والفرسان وكل منهم إذا نزل الميدان وترنح على ظهر الحصان تجده نارا لاتسطلى وجبلا كلما صعدت عليه شمخ وعلا فسكت أبو تاج حتى طلع النهار الداج ونزل إلى عسكره وأخبرهم بما جرى للملك سيف بن ذى يزن وماقالت الملكة شامة من القول فلما سمعوا أرباب دولته كلامه قالوا له يا ملك هذا رجل جبار وفى الحرب ما عليه عيار وأنت تذكر لنا أنه له أعداء كهان سحار وخطفوه بعزم الجان والعمار أو يكون له خدام وأعوان وراح يأتى بعساكره والأعوان ويأتينا على ذلك الشان وإن فعل ذلك فما نحن إلا على حظر فحاذر يا ملك على نفسك وعلينا غاية الحذر واحتفظ على زوجته وأكرمها غاية الإكرام واحفظ قدرها والمقام حتى يحضر إلينا فى هذا المقام فإن افترسته وغلبته وقهرته فعند ذلك افعل ما تريد وأن رأيت نفسك ما أنت من رجاله ولا تطيق حملته فاشتر نفسك منه باكرام زوجته وهو أيضا إذا أى منك لزوجته الاكرام يعدها لك منه انعام ويبقى لك عنده قدر ومقام فقال لهم صدقتم فى ذلك الكلام وعاد إلى الجبل ودخل على شامة فى المغارة وقال لها يا شامة اعلمى أن بعلك غاب فى ظلام الاعتكار وتركك عندى فى ذلك المغار.

وأنا أظن أن له أعذاراً فى غيبته وإلا فما كان يمضى يترك زوجته وأنا مرادى آخذك إلى بلدى وتقيمين أنت وولدك عندى حتى يبان خبره ويأتى فيأخذك على أى وجه كان ولك على الذمام والأمان لا أكون غداراً ولاخوان

فقالت له افعل بنا ياملك ما تريد وأنا أسلمت أمرى لله الحميد المجيد وهو على كل شىء شهيد وقامت معه إلى العسكر وأمر لها بحجز انثى من الخيل لأجل الراحة فى المسير وولدها معها وامر العساكر حالاً بالرحيل والجد والتحويل وسار فى ركبته حتى وصل إلى مدينته وأدخل شامة فى مقصورتها التى كانت أولا فيها مع الملك سيف زوجها ورتب لها كل ما تحتاج إليه من طعام وشراب وأقامت الملكة شامة فى قصر الملك أبى تاج وعندها كل ما تحتاج مدة أيام قلائل وكان الملك أبو تاج تولع بمحبتها وزين له فعل الخنى وبقى يمانع نفسه حتى فاض به الأمر ولا بقى يجد له عن الملكة شامة صبراً وأيقن أن زوجها مات وانقبر وبقيت له مباحة من دون البشر فقام ودخل على شامة وكانت هذه المدة التى مضت فى قلق وضجر ولم تذق المنام حتى أضربها السهر ولما دخل الملك أبو تاج قامت إليه وقبلت يديه فأمرها بالجلوس فجلست بين يديه فقال لها يا شامة قالت له لبيك فقال لها ها أنا قد جئت إليك يا هل ترى إذا أردت لك سوءاً من الذى يقدر يخلصك منى فقالت يا ملك لا تغير بالمحال ولا تفعل فعل الأنذال ولا تترك الحق وتتبع الضلال فإنك إذا أردت أن تفعل بى أمر وبال يخلصنى منك ربى وهو الله الملك الكبير المتعال الذى خلق الإنسان من صلصال وقدر الأرزاق والآجال فقال إذا كان دينك قويماً وإلهك عظيما فاطلبى منه الخلاص منى وأنا لا بدلى أن أجعلك ضجعى وهجم عليها وأراد أن يقتنصها فرفعت رأسها إلى السماء وقالت يا عالم الأسرار يا من كل شىء عنده بمقدار أنقذنى من هذا الظالم الغدار ومن كيد أهل الشرك الملحدين الكفار فما أتمت كلامها حتى قبل سؤالها مولاها وأرسل الله الطواشة إلى أبى تاج فارتمى كأنه من بعض أولاد النعاج وارتمى على الأرض وزاد به الخوف والإنزعاج فتركته شامة وقعدت فى حالها وهى تسبح مولاها وخالقها فالتفت أبو تاج إليها قال لها أنت ساحرة فقالت والله لا ساحرة ولا ماكره

وما أنا إلا متوسلة برب الدنيا والآخرة صاحب العظمة والمقدرة.

فقال يا ملكة شامة أما فى جيرتك أن تسأليه أن يعفو عنى وينجينى فما بقيت أتعرض لك ولا آذيك ولا تؤذينى فقالت له إن كان كلامك صادقاً بلا محال ولا تزوير فأنا أدعوه يخلصك فإنه على ما يشاء قدير ثم أن شامة رفعت طرفها إلى السماء وقالت يارب أنت تعلم ما أنا فيه من غربتى وذلى وكربتى وحننت على هذا الرجل لأجل حفظى وكفالتى ولكن أغراه الشيطان وأنت تعلم يا رحمن وقد تاب وانتهى فلا تؤاخذه بما جناه وأنقذه يا خالقى من بلواه يا من لا يقال لغيره يا الله فما أتمت شامة كلامها حتى أفاق أبو تاج وذهبت آلامه ووجد فى جسمه رمقاً فقام إلى شامة وعليها زعق وأراد أن يحضنها فصاحت أعوذ برب الفلق الذى خلق الإنسان من علق اللهم إنى أسألك بكل لسان يذكرك نطق ولكل قلب لهدايتك وطاعتك خفق تجيرنى من كل مخلوق خلق إنك على كل شيء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير فعند ذلك وقع الملك أبو تاج وانتفخ وزاد نهاجاً وخوفا وانزعاجاً وألقى الله عليه الحى ولا بقى له منها انفراج فبكى على نفسه وأيقن بحلول أجله وسكون أمسه فقال يا شامة سألتك بما تعتقدين من يقين؛ أن تدعى ربك يخلصنى وأكون صديقك وقرينك وأنا تسامحينى من ذلتى فقالت له أنت تظن أناك ملك وحاكم والله تعالى بسريرتك شاهد وعالم فتب إلى تعالى فقال لها أتوب ولا بقيت أفعل ذنوباً فرفعت رأسها إلى السماء وقالت يارب يا كريم اعف عن هذا الرجل السقيم فأنك أنت السميع العليم فطاب أبو تاج وزال عنه ما كان أصابه من الاختلاج فعاد إلى أول منهاج ولزم مع الملكة شامة باب اللجاج وقام إليها وقال لها هذه أفعال أسحار وأنا لم يدخل على مكرك يا بنت الأشرار وجذب حسامه عليها وقال وحق زحل فى علاه إذا لم تسمحى لى بوصالك لأقطعن بهذا السيف أوصالك وأذبح قبل ذلك ولدك وأحرق عليه مهجتك وكبدك.

فقالت له اصبر يا عدو الله حتى ترى قدرة الله ثم إنها قالت فى نفسها اللهم مكّن من هذا الرجل انتقامك والعقاب وصب عليه أشد العذاب فإنه لا يخاف من سطوتك ويرتاب وأنت رب الأرباب فما تمت كلامها حتى وقع أبو تاج ثالث مرة واشتد به الألم والمضرة وقد صار وارم بتوريم ماسخ وله أشاير منتنه وروائح مكرهه قذرة وانتفخ حتى بقى كالدن الكبير الذى هو ملآن فى دماه وقد جسمت أعضاه واشتدت وبقيت كالخشب لا تتحرك مطلقا واحمرت وتجدرت وفى الحال تنفست وفتحت وقد تهبرت اللحوم والجلود وكل ذلك فى ظرف ساعة واحدة بقدرة الله الخلاق المعبود بأقل الأشياء من العدم إلى الوجود ونظر فى نفسه على هذا الحال فأيقن على نفسه الزوال.

وظن أنه ماله عودة إلى الحياة بعد ذلك الضر الذى قد اعتراه ولاحت فى شامة عيناه وبقى عبرة لمن يراه وقال ياملكة شامة سألتك بحرمة ولدك الذى هو على يدك أن تسألى ربك يزيل عنى هذا البلاء المبين حتى أتبع دينك واليقين وأكون لربك من الطائعين وآمن بالله رب العالمين فقالت له شامة وقد رقت لحاله ورحمته عند إذ لا له ياملك ألم تعلم بأن الله لا يخفى عليه خافية وأنت افتريت وكذبت فانتقم الله منك غاية الانتقام وأبلاك بهذه الجراحات والأورام وسوف تموت على ملة الكفر محروما من الإسلام ومطرودا من رحمة الله الملك العلام وأنا نصحتك عن الفعل الذميم فاتبعت الجهل وأنت عليه مقيم وغرك وأضلك الشيطان الرجيم فسلط الله عليك العذاب الأليم وكتبت من أهل الشقاوة والتحريم وتموت بهذا البلاء والتسقيم وتسكن بعد موتك فى نار الجحيم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فبكى الملك أبو تاج وقال لها يا ملكة شامة أنا ما عتدى أحد أحتمى به وأسوقه عليك إلا ولدك هذا فاسألى الله تعالى يزيل عنى ما أنا فيه وأتوب لله رب العالمين وأتبرأ من كل ملة تخالف الإسلام وأنا فى عزك والسلام فقامت الملكة شامة على قدميها ورفعت إلى ربها مقلتيها وبسطت

لنحو السماء يديها وهى تقول يا من كرمه لايحد وقضاؤه لايرد وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد إلهى سألتك بالدين القويم والصراط المستقيم أنت تعلم ما فى نية هذا الشخص المريض السقيم فإن كنت تعلم فيه خيرا فأعده إلى الوجود بعد العدم حتى يعود كما كان فى قالب مستقيم إنك قادر على أحياء الموتى بارئ النسيم يا مولى الفضل والاحسان العلم والحكم بحق بيتك المحرم وبحق مقام الخليل ومنى وزمزم إنك على كل شىء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير فما فرغت الملكة شامة من هذا الدعاء حتى أفاق الملك أبو تاج من غشيته ووجد فى بدنه رائحة التحرك بعد السكون بقدرة من يقول للشىء كن فيكون وحصل الشفاء وتلحمت الجراحات بقدرة الله تعالى صاحب الارادات وما كان إلا قليل حتى عاد الملك أبو تاج إلى ما كان حتى بقى كأنه ما أصابه صائب ولا نظر إلى أهوال ولا عجائب فقال قائما على الأقدام وتقدم للملكة شامة وارتمى على قدميها ويديها وصار يقبلهما وطلع إلى محل مخازنه واتى لها ببدله كأنها سرقت من كنز أحسن من التى اعطاها لها أولاً وقال لها يا ملكة علمينى حتى أدخل معك فى دين الإسلام واعبد الله الملك العلام خالق الضياء والظلام فقالت له هذا أمر قريب غير بعيد أطلق الأربع وأقم الأسبع وقل أشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له وأشهد أن إبراهيم نبيه وخليله جاء بالحق وأتى بالصدق فقال الملك أبو تاج كما علمته الملكة شامة وصار له فى دين الإسلام علامة وفاز بالرضوان والأمان يوم القيامة ولكن من خوفه من عساكره وغلمانه وجنوده وأعوانه كتم إيمانه حتى يأتيه النصر والتأييد من الملك المجيد وترك شامة ونزل ثانى الأيام إلى ديوانه وجلس على كرسيه يتعاطى الأحكام على عادته بين قومه ورعيته ولكن نور الإسلام ظهر على وجهه ورؤيته وكان وزيره يقال له الصدام وهو أخو الهضام الذى قتله الملك سيف وهو يكره

شامة لكون أن زوجها قتل أخاه وهو لا يشتهيها ولكن لكونها جميلة أراد أن يجعل لوصاله وسيلة فقال للملك أنت يا ملك الزمان واصلت شامة فقال له نعم ياليتك يا وزير تواصل كما واصلت أنا فقال الوزير وكيف ذلك فقال الملك أنا اطلب أنك أنت وكل من فى بلدى من عسكرى ورعيتى أن يتصلوا مثلى فقال الوزير ائذن لى يا ملك أن أدخل عندها لعلى أن أنال وصلها كما أنت واصلتها فقام الوزير فقال لها أريد الوصال كما فعل الملك أبو تاج المفضال فقالت له اقعد فقعد فقالت له قل أشهد أن لا إله إلا الله فقال لها هكذا قال الملك قالت نعم فقام الوزير وخرج إلى الملك وقال له يا ملك أنت تركت دين زحل ودخلت إلى دين العرب واعتمدت على فساد ديننا بهذا السبب فقال له ومن قال ذلك الكلام فقال شامة أيها الملك الهمام فقال الملك كذبت وحق زحل هذا المرأة كذبت وكان ذلك الوزير جباراً ويحب الجور والاسراف ويكره العدل والانصاف فقال يا ملك احضرها قدام دولته حتى نسألها دولته وهى تخبرنا بالصحيح فأرسل الملك إلى شامة رسولا فوصل إليها وقال لها إن الملك طالبك يسألك عما قلت فقالت سمعا وطاعة ثم إنها قامت حتى وقفت قدام الملك فقال لها الملك أنت قلت للوزير إن الملك أبا تاج دخل فى دينى وصار من أهل يقينى فقالت أنا ما قلت ذلك فقال الوزير أنت ما قلت فقالت لا وأن الملك على دينه الصحيح ولا عنده شك ولا تلويح فقال الوزير يا ملك ومن حيث أن هذه المرأة ما هى على ديننا فلأى شىء لا تقتلها فقال الملك هذه امرأة غريبة وهى عندى مقيمة كيف أقتلها وأن زوجها ملك يأتى يطلبها منى وما الذى أقول إذا قتلتها وأنت يا وزير أهل الديوان تعرفون ما هو عليه من الشجاعة والقوة والبراعة فالتفت الوزير إلى شامة وقال لها أنت ما قلت لى إن الملك أبا تاج هذا صار على دينك فقالت لا ما قلت لك ذلك أبدا فقال لها خذى سيفى هذا واضربى به رقبة هذا الملك بما أنه على غير دينك فقالت شامة

وأنا إيش لي بذلك وإيش الذي يحملني على قتله وإيش ذنبه معي حتى أقتله وانا لا أفعل ذلك أبدا فقال الوزير ما أنتم إلا منافقون وعلى دينكم عاكفون هيا يا بني حام دونكم وإياهم واسقوهم كأس الحمام فعندها جذبت العساكر سيوفهم وهجموا على الملك أبي تاج فأخذ شامة من خلف ظهره وتلقاهم بصدره وصاح فيهم وقاتلهم وقاتلوه وهلل وكبر وطلب من الله النصر والظفر ورمى رؤوسا كالأكر وكفوفاً كأوراق الشجر وضرب فيهم ضربا لايبقى ولا يذر فزاد على الملك العدد وقل منه الصبر والجلد ولكنه اختار الموت على الهرب ولم يسلم في الملكة شامة ولو شرب كاس العطب فهو كذلك وإذا بقعقعة من الجو أقبلت وشرار ونار ورحم باحجار فلما رأوا العساكر هذه الحال ولوا هاربين وإلى النجاة طالبين وأول من هرب الوزير وواسع في القفار وهو يتعجب من تلك النار ولم يبق في الديوان إلا الملك أبو تاج وشامة ودمر للملك سيف وبرنوخ الساحر حتى وضعتهما على قصر الملك أبي تاج ونظر الملك سيف إلى ذلك القتال قال لعاقصه إيش الخبر فاعلمته أن الملك أبا تاج يقاتل في عسكره وشامة وابنها من خلف ظهره فقال لها اهلكي هذه الأعداء وشتتيهم في واسع البيداء فرمت عليهم الأحجار ونفخت عليهم بدخان ونار حتى هربوا في البراري والقفار وهلك منهم خلق كثير ونزل الملك سيف بن ذي يزن وبرنوخ الساحر ونظروا للملك أبي تاج ففرح بقدومهم وهنا هم بالسلام وتقدم الملك أبو تاج وسلم على الملك سيف وعلى برنوخ وجلس الملك أبو تاج وبرنوخ الساحر والملك سيف بن ذي يزن سلم على زوجته وانسروا برؤيته ولدة وطفى بنظره نيران كبده وبعد ذلك دخلت شامة مقصورتها وجلس الملك سيف بن ذي يزن وبله نوخ وسألهم أبو تاج عن غيبة الملك فحكى له الملك حكايته وكذلك برنوخ الساحر وفرحوا باجتماع الملك سيف على زوجته وحكى الملك أبو تاج للملك بسيف أنه أسلم على يد شامة واعاد عليه سبب

اسلامه ثم قال الملك أبو تاج يا سيدي أما أنا فما بقي لي مقام بين هؤلاء القوم اللئام فدعنا نرحل من هنا بسلام فقال الملك سيف يا ملك أنا أريحك من هذا الباب ثم امر عاقصة أن تأتيه بالوزير فخطفته وجاءت به بين يديه فلما وقف قدام الملك سيف ابن ذي يزن وقال يا كلب الوزراء فإنا لله وإنا إليه راجعون ودين الإسلام حق وأنت لما علمت أن الملك أسلم عارضته وعصيت اهل البلد عليه ولكن كان الذي كان وأنت إيش تقول في دين الإسلام فقال ما اعرف غير زحل فما اتم الكلمة حتى ضربه الملك بسيف أطاح رأسه في الحال ونزلت عاقصة وقفلت أبواب البلد ونادى الملك سيف كل من كان على دين الإسلام نجا و من كل على دين زحل قتلناه فأسلمت البلد عن بكرة أبيها وكانوا خلقا كثيرا فقال الملك سيف بن ذي يزن نحن نريد أن نرحل من هذه البلاد ونسكن غيرها فقالوا جميعا نرحل معك فأمر الملك أبو تاج بتعمير مراكب على قدر عساكره فصار التعمير حتى تكاملت فكانت ثمانين مركبا ونزلت العساكر جميعا وكلهم مستبشرون بدخولهم دين الإسلام وصحبهم الملك سيف باطنا وظاهرا ونزل الملك أبو تاج في مركب كبير من أحسن المراكب ونزل معه الملك سيف بن ذي يزن وبرنوخ الساحر وباقي أرباب الدولة والأكابر وادخلوا الملكة شامة وابنها دمر في مقصورة من الغليون مخصوصة لها ولولدها واعطاها الملك أبو تاج جماعة لخدمتها فقالت لزوجها الملك سيف يا سيدي اجعل إقامتي مع حريم الملك أبي تاج لأجل أن نأتنس ببعضنا كما انكم تأتنسون ببعضكم فقال لها إذا أرادوا الدخول عندك وأنت تدخلين عندهم فلا مانع وأنه لابد أن يكون لك محل مخصوص لنفسك ويكن ولدك معك وخدامك تتبعك

وكذلك حريم الملك أبو تاج لأنه لابد لكل منا أن يدخل عند حريمه سراً وجهاراً إن كان في الليل وفي النهار فقالت له صدقت يا ملك الأقطار وسافرت المراكب على وجه البحار وطلبوا التسهيل من الله العزيز الغفار

ولمـا تمادى بهم المسيّر ولله المشيئة والتدبير والملك أبو تاج وبرنوخ الساحر افرح الخلق بدين الإسلام ومصاحبة سيف بن ذى يزن عن الملك الهمام فصاروا يحكون لبعضهم ما جرى لهم فى مدة عمرهم وحكى الملك سيف بن ذى يزن أصل منشئه ورباية الملك أفراح له وطلب سعدون الزنجى وكتاب تاريخ النيل وبعده انتقل إلى اجتماعه وأخذ اللوح منه وتشتيته ودخوله قصر سام وأخذ اللوح والحسام وزواجه بشامة وحيلة أمه وأخذ اللوح منه وتشتيته بأمرها إلى هذا الوقت وتعب عاقصة اخته وهى تدور خلفه من جهة إلى جهة وكل ما تعلم أنه خلص من جهة ترميه فى جهة غيرها .

فلما سمع برنوخ الساحر هذا الكلام اغتاظ من قمرية غيظاً شديداً وقال للملك سيف يا ملك وحق دين الإسلام لابد أن أبذلك المجهود مع هذه اللعينة قمرية وأنزل بها كل مصيبة ورزية كانت عاقصة ذلك الوقت لما عرفت أن الملك سيف بقى عند أبى تاج وانقلبت البلد إسلام وبقى الحاكم على الجميع سيف تودعت منه وانصرفت ولما حصل هذا الحديث وتكلم برنوخ الساحر وقال ما قال له الملك سيف سيف بن ذى يزن يا أخى أنا أعطيك أجازة بذلك لكن بشرط أنك لا تقتل أمى إن ظفرت بها بل تسلمها إلى أفعل بها ما أريد فقال برنوخ وهو كذلك ثم أنه قال على حيله وتودع منهم وقال لهم يكون اجتماعنا فى المدينة الحمراء بإذن الله الذى له المشيئة والقدرة ونزل فى البحر وغطس فما بان كأنه ما كان وان الحكيم برنوخ له من الجن خدم وأعوان فاحتمله أحدهم حتى وضعه قدام جبل وهو مقابل للمدينة الحمراء وقال له يا سيدى إذا ركبت ذلك الجبل تبقى مدينة حمراء الحبش بين يديك فقال له امض أنت إلى حالك تحت الطلب ثم احضر خادما آخر.

وقال له أريد منك صفيحة من النحاس وقلما من البولاذ فقال له سمعا

وطاعة وغاب له بما طلب فأمر الخدام جميعا أن يفحروا له مغاراًفى الجبل مقابل باب المدينة وينصرفوا ففعلوا ما أمرهم ودخل برنوخ فى قلب المغار ونقش بالقلم البولاد فى النحاس صورة أنثى وكتب عليها قمرية ووضعه فى قصبة من الرصاص وصبر إلى الليل وقام إلى باب المدينة ودفن تلك القصبة ووكل عليها الخدام وأمرهم بالتوكيل بعذاب قمرية ليلا ونهارا وعاد إلى المغارة واختفى عن اعين النظار هذا ما كان من برنوخ. أما قمرية فإنها كانت مقمية فى تلك الليلة وأصبحت وما عندها فكرة فى شىء من أمور الدنيا وإذا قد اعتراها النوم فنامت قدر ساعة واذبها قامت فزعة وهى ترتعش كالسعفة فى يوم ريح عاصف وقلبها يخفق ورأسها تضرب وسكن فى جبهتها الداء وزادت عليها شدائد الأوجاع وكادت روحها تخرج من غير نزاع وقد غرقت فى بحر من العرق وبرد بدنها حتى بقى مثل الرصاص وبقيت ساعة تكون مثل النار إذا اشتعلت وساعة تصير كأنها قطعة من الثلج إذا جمدت ولابقى هنا لها قيام ولا قعود ولا منام وامتنعت عن الشراب والطعام فلما أعياها الحال ومعكت اللوح فأتاها عيروض وقال نعم يا ستاه فقالت له هات لى حكيماً فقال سمعا وطاعة وطلع من عدنها فرأى أربعة حكماء قادمين من الهند إلى بلاد اليمن فحملهم جميعا وأتى بهم إليها وقال يا ستاه هؤلاء أربعة حكماء فقالت لهم انظروا حالى فأمسكوا نبضها وقالوا لها مابك شيء ظاهر ولا عرفنا بك شيئا من الأوجاع فقالت لهم انصرفوا إلى حالكم فانصرفوا فقالت يا عيروض إن الذى بى ما هو من الإنس وأنا أظن أنه شغل الجان فقال لها نعم ياستاه وإنه فعل رجل ساحر يقال له برنوخ والذى أرسله لك ولدك الملك سيف لأنه أسلم على يديه ولما رميتيه فى وادى النيران وجبال الدخان والفج العميق فقالت وولدى سالم قال لها وكل ما ترميه فى مهاك تخلصه أخته عاقصة فقالت له امرتك أن تاتينى بالإثنين وهم عاقصة وبرنوخ حتى أقتلهما فقال لها ما أقدر لأن برنوخ يحرقنى

وعاقصة لم يقدر أحد على قبضها فقالت له ولماذا فعلوا معي هذه الفعال فقال لها من أجل ولدك فقالت له اذهب إلى ولدى وودبه خلف جبل قاف وعد إلى سريعا بلا خلاف فقال سمعا وطاعة وخرج من عندها مثل الشهاب الثاقب وأقبل على الملك وهو قادم مع أبى تاج كما ذكرنا فى المراكب فلما أراد النزول علم به الملك سيف فقال له عيروض اتبعنى ياقطعة الإنس وقد اتيت إليك لألقيك فى مهلك وأنت إن سلمت من جميع المهالك ما بقيت تسلم من هذا فقال الملك سيف بحياتى عليك يا عيروض لا تفضحنى قدام الناس فقال له كيف العمل وأنا مأمور بأخذك فقال له أنا أنزل واحملنى ومشنى على وجه البحر فقال له آفعل ما تريد فعند ذلك قام الملك سيف وقال أنا قصدى أمشى على وجه البحر ونزل من المركب ومشى حتى خفى عن أعين الناس هذا والملك أبو تاج يتعجب وشامة عرفت المضمون ولكن كتمت عن الناس وسكتت وهى باكية العيون هـ دا وعيروض اقلع به إلى الجو وسار **(قال الراوى)** وأما قمرية فإنها زاد عديها السقم وشرفت على العدم فحركت اللوح بكفها فحس عيروض بالنار على بدنه فأنزل الملك سيف فى جزيرة وعاد إليها فرآها فى غاية المرض فقالت له إيش فعلت يا عيروض فقال لها أخذت ولدك وسرت به فطلبتنى فوضعته فى جزيرة ورجعت إليك خوفا من الأسماء تحرقنى وأنت لأى شيء طلبتنى فقالت له أنا زاد مرضى فهل لك أن تمضى إلى الحكيم سقرديس وأخيه سقرديون وتأتينى بهما فقال لها لا أقدر على ذلك من برنوخ الساحر فإن أردت ذلك فأرسلى لهما غيرى فعرفت أنه صادق فعند ذلك أحضرت بعض الخدم وأمرته أن يسير و يأتيها بالحكيمين الاثنين سقرديس وسقرديون فسار القاصد من عندها طالباً مدينة الدور (قال الرواى) وأما ما كان من أمر برنوخ الساحر فإنه ضرب تحت الرمل ورأى كلما حصل ومء هو قادم عليه وصار ينظر أخبار الملكة قمرية وهو يرصدها إلى أن أرسلت هذا

القاصد فعرف مقصودها وقال مالى حيلة أوفق من هذه الحيلة لأنها أرسلت هذا القاصد يأتيها بحكيمين من بلاد الحبشة ثم ضرب الرمل وحققه ونظر أشكاله ودققه وعرف المضمون وصار يدبر أمرا يريد أن يفعله (قال الراوى) وأما قمرية فزادت بها الأمراض فقالت يا عيروض ائتنى بحكيم من الجازيداو بنى فإنى أقول الإنس عاجزون عن دوائى فقال أنا ما قلت لك إن الذى بك ما هو من الجان إنما هو من شغل برنوخ الساحر فقالت له أرنى مكانه فقال لها سمعا وطاعة فعندها نهضت قمرية فى الحال وركبت هى وقومها ولم يزالوا كذلك إلى أن وصل بهم عيروض إلى الجبل الذى فيه برنوخ الساحر فوجد برنوخ قد أخفى نفسه عن أعين الإنس والجان فقالت له هل تقدر أن ترصده وتعلمنى به أو تأتينى به فقال لها أما قلت لك ان برنوخ يحرقنى فقالت له أنا أقعد له وأرصده وامضى لحالك وصرفت العساكر لحال سبيلهم وقعدت هى ترصد برنوخ نفسها وكان برنوخ باله معها وعرف قصدها وعلم أن القاصد سار من عندها يطلب لها سقرديس وسقرديون فقال فى نفسه وحق من هدانى إلى الصراط المستقيم وعرفنى نبيه الخليل إبراهيم مالى أوفق من هذه الحيلة وأن الله العالم بالسر والجهر دبر لى ذلك الأمر وأخفى نفسه وسار إلى أن بعد عن المدينة وعزم وترجم وهمهم فحضر إليه من الجان خادم كبير فقال له قف فى ذلك المكان وارصد القاصد الذى يأتى الملك سيف أرعد وعرقله ولا تدعه يدخل المدينة الحمراء إلا بعد أن أقضى حاجتى ثم إنه عزم على نفسه فصار على صفة الحكيم سقرديس ومازال سائرا وهو طالب المدينة الحمراء حتى أتى إليها فلما رآه أهل المدنية قاموا له وسلموا عليه وأرسلوا إلى الملكة قمرية واعلموها بقدوم الحيكم سقرديس ففرحت وزال عنها التعكيس وآتت إليه وقبلت يديه ودخلت به المدينة واجلسته على سريرها واضافته احسن الضيافات ومازال معها وهو يمازحها بالكلام وقد شكت له ما أصابها فألقى

عليها باب النسيان فلم تذكر له كلاما حتى أقبل الظلام وطلبت الأعين الراحة بالمنام ونام الحكيم فى مكانه وعند الصباح أحضرته وقالت يا حكيم أتدرى ما أصابنى وما الذى أرسلت لك من أجله فقال لا وحق زحل فى علاه غير أن القاصد قال لى إنك مريضة ولا أعلم بسبب مرضها فقالت له يا حكيم إنى اعترانى مرض من فعل برنوخ الساحر ثم أخبرته بقضيتها وسبب اللوح وتشتيت ولدها المرة بعد المرة فقال لها قد أمسكه الملك سيف أرعد يضيفه وأنا أرسلنى إليك شفقة منه عليك على سبيل العجلة فقالت له يا حكيم داونى فإنى اشرفت على الهلاك والعدم وشرب كأس النقم فقال لها إذا كان الأمر كذلك فقومى معى إلى الجبل وأنا ادلك على المكان الذى فيه ذلك العمل فتطلعيه بيدك ولا يلحقك منه ضجر والملل ففرحت فرحاً شديداً وسارت هى وبرنوخ وهى تظن أنه الحكيم سقرديون ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الجبل وسار برنوخ يلتفت يمينا وشمالا وهو ينظر إلى الأرض ذات الطول والعرض وبعده نزل عن جواده وأتى إلى مكان هناك وصار يهمهم ويزمزم وإذا بالقصبة التى فيها السحر قد ظهرت فلما نظرتها قمرية فرحت فرحاً شديدا وقالت وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه ما فى الدنيا مثلك ثم إنها أخذت القصبة بيدها ورمتها إلى الأرض و.أمرت بعض الغلمان بحرقها ففعلوا ما أمرتهم فعادت قمرية إلى صحتها كأنها لم يصبها شيء وصارت كالحية الرقطاء وأمرت للحكيم بالخلع العالمية السنية فالقيت عليه وهى تظن أنه سقرديس وأخذته وعادت إلى قصرها وهى تشكره وتثنى عليه وتقبل يديه وتكرمه ولا تفارقه طرفة عين وقد جعلت عندها مكانا برسمه من داخل قصرها وترتبت له كل ما يحتاج إليه وهو يرصدها حتى تظهر له فرصة وأقام على ذلك الحال عندها (قال الراوى) وأما القاصد الذى أرسلته قمرية للملك سيف أرعد فإنه سار إلى أن توسط الطريق وإذا بالمارد الذى أوقفه برنوخ قبض عليه وقال له إلى أين

تسير فقال له إلى الملك سيف أرعد من عند الملكة قمرية فقال له أقم عندى هنا فإنى مأمور بالقبض عليك وإن تحركت من مكانك هدمت أركانك فقال سمعا وطاعة ووقف مكانه وله كلام.

(قال الراوى) وأماما كان من أمر الملك سيف بن ذى يزن فإنه لما تركه عيروض فى الجزيرة كما ذكرنا صار يتمشى فى تلك الجزيرة فرأى طابقا مفتوحا فقال لاشك إن هذا كنز ونزل فى ذلك الطابق على درج قطع فى الحجر حتى انتهى إلى اخره فوجد عين ماء جارية تخرج من مكان وتدخل فى مكان آخر ونظر إلى جانب العين رجلا جالسا ولكن طول الملك سيف اربع مرات عريانا من ثيابه مكشوف الرأس وهو ينظر إلى ذلك الماء الخارج من العين فسار الملك سيف عنده فلما رآه ذلك الرجل قام على الأقدام وصاح أنا فى جيرتك يا بطل الزمان فقال له الملك سيف:

وقد تعجب من خوفى وفزعه عليك الأمان لا تخف يا إنسان.لكن أخبرنى لأى شيء أنت قاعد فى ذلك المكان وتنظر فى الماء الجارى بالأعيان فقال له الرجل أنت إنسى أم جنى من قبل أن أعلمك بذلك الشان فقال له وإيش رأيت من صورتى أو تشابهت بالجان فقال له لأنك قصير وعمرى ما رأيت مثلك لاصغير ولا كبير فقال له الملك سيف ما أنا إلا خلقة الملك القدير مثل ماخلقك طويل خلقنى قصيراً وأنا إنسى من المؤمنين أعبد الله رب العالمين وأنا على دين الخليل إبراهيم وأنا رجل سواح أسير من مكان إلى أن انيت إلى هذا المكان وهذه حكايتى وأنت لأى شيء قاعد هنا وتجردت من ملابسك فقال وهذا السبب عجيب وأنا إنسى مثلك وجنسى من جنسك وانا مؤمن بنوح وإبراهيم عليهما السلام وأعبد الله الملك العلام فقال له الملك سيف وما سبب قعودك هنا وانظارك إلى ذلك الماء فقال له أخاف أن اخرج فتقطع أرزاقنا وتحرمنا من صيدنا فقال له الملك سيف لا تخف والله لا أتعرض لك بشيء إتلاف فقال له اعلم يا أخى إن هذه العين من

ابتداء السنة أول إذر ويتغير ماؤها من البياض إلى الحمار وبعد الحمار إلى الخضار وإلى الصفار وإلى السواد إلى عشرة ألوان وبعد ذلك يخرج منها سرطان فيه العشرة الالوان وأنا اقعد انتظر خروجه فأقبض عليه واسير به إلى قومي وندخره عندنا إلى أن تأتينا التجار المتعودون علينا ومعهم مراكب موسوقة من بضائع وقماش وسبب من كل الأجناس فنعطيهم هذا السرطان ونأخذ كل مافى المركب موسوقة من بضائع قماش وسبب من كل الأجناس فنعطيهم هذا السرطان ونأخذ كل ما فى المركب من جميع البضائع والألوان ونعيش بهذه من العام إلى العام وهذه شيمتنا وخلقتنا فقال له الملك سيف وإيش النفع فى هذا السرطان فقال منفعته إذا كان إنسان أعمى من مدة الزمان ولو عشرين عاما وأخذ شيئا منه وسحقه بماء الورد البكر العام ووضعه على عينيه زال ما به من العمى ونظر فى الوقت والحال بإذن الله الملك الكبير المتعال فلما سمع الملك سيف ذلك المقال اختار فى نفسه وقال ليتنى ما حلفت له وكنت آخذ هذا السرطان وأجعله ذخيرة على طول الزمان ولكن إذا الزمان ولكن إذا طلع هذا السرطان آخذ منه قطعة والسلام فبالأمر المقدر كان ذلك اليوم الذى أتى فيه الملك سيف هو التاسع من شهر آذر فمكث الملك سيف ثلاثة أيام إلى تمام العاشر من الأيام وإذا بالماء تماوج وأرغى وأزبد وظهر فى وسط الماء سرطانان اثنان سوا بقدرة من على العرش قد استوى فقال الرجل يا قصير انظر صنع الله تعالى فإنه أرسل سرطانين فنحن نأخذ واحداً وأنت تأخذ الثانى وهذا دليل على وحدانية الله تعالى الملك الجليل فمد الملك سيف يده إلى السرطان فوجده يتحرك مثل الثعبان فلما قبض عليه لم يبق فيه شيء من الحركة فتعجب الملك سيف وأخذه وربطه على تكة لباسه والرجل اخذ السرطان الثانى وقال الملك سيف للرجل قم بنا من هذا المكان فما بقى لنا شغل فقال صدقت يا بطل الزمان وقام الإثنان وخرجا

إلى ظهر الجزيرة وسارا على جانب البحر وإذا برجل ثان يزيد فى الطول عن الأول قد أقبل إليهم فى مركب من وسط البحار ومعه قطعة من الخشب يجدف بها ويدفع المركب جهتهم فلما اقبل على البرصاح على رفيقه وقال له قضيت الأشغال فقال نعم فقال له ومن هذا الذى معك يا أخى وأنا منه خائف لأنه ما هو من جنسنا فقال له اطلع ولا تخف فإنه أعطانا أمانا فأقبل إليهم بالمركب فنزلا فيها وقعد واحد منهم فى مقدمها والثانى فى مؤخرها والملك سيف قعد بينهم فبقى كأنه طفل صغير وكانت تلك المركب قطعة خشب واحدة منقورة فصاروا يجدفون حتى أتوا بها إلى البر فنظر الملك سيف إلى جماعة كلهم كبار فلما نظروا الملك سيف ألقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا هاربين وإلى النجاة طالبين فناداهم رفيقاهم الذين فى المركب وقالا ارجعوا ولا تخافوا ولا تفزعوا فقالوا لهما ومن هذا الرجل القصير الذى معكما فحكى لهم رفيقهم صاحب السرطان حكايته وكيف طلع له سرطان آخر وما جرى له معه فقالوا له دعه يمضى من عندنا فقد كدر علينا عيشنا وقد أخذ رزقه فيروح إلى حاله لأننا نخاف أن يفسد علينا التجار ومعاملتنا معهم ويفسد الذى يأتينا فى كل عام ونحن قوم مؤمنون ويكون سببا لقطع ارزاقنا ومالنا معيشة إلا من هذا السرطان الذى يأتينا فى كل عام فأعاد على الملك سيف ما قاله رفقاؤهم وقالوا له ياشيخ نحن ما بيننا وبينك مقاتلة ولا عداوة فارحل عنا فقال لهم يا قوم وأنا على أى طريق أسير فإنى بالطريق لست بخبير فقالوا له أنت من أى البلاد فقال من اليمن فقالوا له مالك طريق إلا البحر لأن هذه جزيرة والبحر حولها وإنما نحن نعطيك هذا القارب والمجداف لأجل أن تجدف به إن أردت دخول البلاد ونعطى لك من عندنا زادا تسدبه رمق الفؤاد فقال الملك سيف جزاكم الله خيرا فقالوا له وإذا رماك البحر على أى مكان فاسأل عن بلادك والأوطان ثم أتوا له بكل ما يحتاج إليه وأنزلوا فى القارب وأعطوا له لو حا يجدف به

ووادعهم وركب القارب وتوكل على الله الطالب الغالب فسار به القارب سبعة أيام ورماه القارب فى بركة يقال لها بركة البطحاء وهى واسعة ليس لها أول يعرف ولا آخر بوصف وأمواجها كالجبال ولها دوى مثل الرعد والزلزال فصارت الأمواج تلعب بالقارب مثل السعفة فى الريح العاصف ويرفع القارب لفوق فيظن الملك سيف أنه لاحق بعنان السماء وإذا هبط يظن أنه نازل فى قاع المحيط وهكذا وبقى لا يهنأ له أكل ولا شراب ولانوم ولاقعود وهو فى أشد البلاء والانكاد مدة عشرة أيام تمام فلما كان بعد ذلك أيقن بنفسه أنه هالك لأنه لا يجد ساحلا يصل إليه ولا طريقا يستدل عليه فرفع رأسه إلى السماء وقال يا عظيم العظماء يا من علم آدم الاسماء يا من جعل البيت الحرام أمنا وحمى أسألك بقدرتك وعظمتك وجودك وامتنانك أن تشخص لى النجاة من هذا البحار واللجج وتجعل لى من هذا الضيق الفرج ومن هذا البلاء المخرج وإنك على كل شىء قدير:

* * *

يا من عوائده الجميل بفضله　　من ذا الذى لجلال مجدك ماخضع
يا مرسل الآيات يارب السماء　　يا من على سر العباد قد اطلع

* * *

إلهى ضاقت على المذاهب وأظلمت على جميع المشارق والمغارب وأنت الطالب الغالب يا كريم يا حليم يا عظيم **(يا سادة يا كرام)** ثم إن الملك سيف صار لا يقدر أن يقطع ذكر الله ولا يفتر عن تسبيح الله وأيقن أنه ما لم يأته من الله فرج ليس من هذا الضيق مخرج وإذا به قد نظر صورة قلعين كبيرين على وجه البحر ظهرا فقال فى نفسه إذا أنا وصلت إلى هذه المراكب الكبار نزلت فى واحد منها فإن فى القعود فيها راحة عن ذلك القارب الذى لا يستقر على وجه الأرض ولا يتهدى على وجه البحر وصار الملك سيف يجاهد في القارب وهو قاصداً به هذين القلعين اللذين هو

ناظر هما حتى قرب منهما من بعد المشقة ولاتعب فتأملهما وإذا هما ريشتان من ريش سمكة كبيرة واقعة فى وسط البحر وهاتان الريشتان واقفتان على ظهريهما وكل ريشة منهما أكبر من القلع الكبير إذا كان ملآناً بالهواء ولما رات تلك الهايشة ذلك القارب مقبلا فتحت له فاها ونظر سيف إلى فمها كأنه باب قلعة وبقى الماء جاذب القارب وهو نازل فى حلقها مثل نزول الماء إذا انقطع له جسر وكان بينها وبين القارب قدر فرسخ فجذبه الماء إلى حلقها لان الماء صار فى دخوله فى حلقها له تيار عظيم وانسحب القارب إلى فم الهايشة ونظر الملك سيف إلى ذلك واعلم انه هو والقارب داخلان فى تلك الهايشة ومتى دخلا فما يكون للملك سيف طلوع ثانيا فما بقى له مانع يمنعه وقضاء الله لا يقدر لحد يدفعه فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه قفز من القارب إلى البحر ولكن على آخر عزمه وقد بعد عن حلق تلك الهايشة ومالحق أن ينزل على الماء حتى وجد القارب داخل حلق هذه السمكة ولما ابتلعت القارب تعجب الملك سيف وأراد أن يعوم فكانت ملابسه ثقالا فشقها وتركها فى البحر ولم يبق عليه إلا اللباس والسيف معلق فى رقبته فسارع عائما فى البحر باقى يومه وهو خائف أن تصادفه مثل هذه الهايشة فتبلعه وليس له ملجأ ومازال الموج يحذفه والهواء يقذفه حتى وصل إلى البر وكان هذا البر الأصل وما صدق أن يصل إليه حتى غشى عليه وارتمى يوما وليلة وأفاق جيعانا عطشانا وخائفا عريانا وتعبانا بردانا فحل سرواله وجعل يعصره وينشفه فى الشمس فرأى مربوطا على دكته شيئا يابسا وكان هذا هو السرطان الذى اخذه من جزيرة العمالقة ولكن ذهل عنه ففكه وتأمله وربطه كما كان وسار أول يوم والثانى فى هذا البر والآكام وهو لا يستطعم بطعام ومن خوفه لايلتذ بمنام وفي ثالث يوم أشرف على مدينة كاملة البنيان مشيدة الأركان والناس إليها مقبلون من كل مكان ونظر إلى باب تلك المدينة فوجد رؤوسا

موضوعه على رماح منصوبة على صور البلد جهة الباب ينظرهم كل من دخل المدينة فتعجل الملك سيف وتقدم إلى رجل من الناس وقال له يا أخى ما سبب تعليق هذه الرؤس على الأخشاب وهى رؤس آدميين وكان الأحسن دفنها فى التراب وأين أجسامها ما هى معها على الأخشاب ولا على الأرض فى تلك الأماكن والرحاب وكان المسئول رجلا كريما وهو شيخ كبير فقال للملك سيف يا ولدى وأنت كأنك غريب فقال له نعم اعلم يا ولدى أن مدينتنا هذه ملكها كبير وله بنت وهى فريدة عصرها ونتيجة دهرها ولم يكن فى الدنيا من يضاهيها فى جمالها ولاقدها واعتدالها وكان جرى عليها وعد الله تعالى واختطفها عارض من الجان وبعد أيام قلائل تسبب لها الخلاص وجاءت إلى أبيها وأقامت مدة أيام باكية حتى كفى بصرها وبقيت كفيفة البصر فقال أبوها لوزيره اكتب إلى جمع القرى والمدائن كل من أمكنه أن يداوى بنتى جعلتها له زوجة وأجعله وزير مملكتى وأقاسمه فى نعمتى فهرعت إلي الأطباء والحكماء فسار كل من يدعى الشطارة يدخل ويطلب أدوية ومرتبات جمعه أو جمعتين ثم لا يقدر ويعجز فينعم عليه الملك وهكذا أول سنة وثانى سنة صار كل من طلع يقيم فى المعالجة ان يتعب ولا يقدر ويعجز فيضربه الملك ويطرده والناس من طمعهم لا يرجعون حتى أن الملك صار كل من أتاه وقال أنا حكيم وعجز عن دوائها فإنه يقطع آذانه وبعد ذلك فى رابع سنة صار يقطع الآذان والأنف وهكذا وأخيراً كل من طلع يداويها ولم يقدر قطع الملك رأسه تأديبا لغيره هذا والناس لا يرجعون وكلما سمع أبوها بطبيب يأتيه ويرغبه بالمال وإن عجز يقطع رأسه وها هى على باب القلعة رؤوس الحكماء المقتولين وعددهم تسعة وتسعون ولايجد من ذلك انتفاعا ولا براهين فقال الملك سيف بن ذى يزن يا عمى أنا كأنى بلغت المنى وزال عن قلبى كل العنا فقال له الرجل لماذا يا ولدى فقال له لأنى حكيم شاطر فى الطب والفهم وقد

أتيت من بلاد بعيدة إلى تلك الأراضى والأقاليم بسبب هذا الملك الكريم لأن أخبار بنته وصلت إلى بلادنا وأنا أتيت مخصوصا لمداواتها حتى آخذ العطايا الكثيرة من أبيها مع ما أفرح به أهلها وذويها فقال له اتكلم يا ولدى إذا كنت أنت حكيما وأتيت من اراض بعيدة ووديان فلاى شيء أنت زرى الحال وعريان وأظن أن عقلك فيه خلط أو جنان حتى تريد أن ترمى روحك إلى الهلاك والخسران فقال له الملك سيف يا عمى أنا كنت فى مركب قادم من بلادى إلى تلك المدينة حتى أطبب بنت الملك وابلغ قصدى ومرادى ولكن انكسرت مركبنا فى البحر وغرقنا فالبعض سلم والبعض عدم فكنت أنا من السالمين فسبب لى الله تعالى الملك الجبار وهو كافر من الكفار يعبد النار ذات الشرار ويسجد لها ليلاً ونهاراً وأنه نادى فى جميع البلدان أن من فتح عينى بنت الملك زوجه بها وقاسمه فى نعمته وان لم يقدر يقطع رقبته وقد قتل تسعة وتسعين على ذلك المثال فقال سيف يا شيخ أنا حكيم ماهر وقد أتيت أداويها لأنى بالطب جدير فقال الرجل الله أعلم يا ولدى أنك قد تقارب أجلك لأنك لا تقبل الكلام وهذا دليل على أنك ستشرب كأس الحمام وأنت لست ممن يخاف الملك ولادولته ولا الالزام سر قدامى فسار معه حتى دخل المدينة وإذا بالرجل قد صاح بصوت شديد يسمعه القريب والبعيد وقال أيها الملك السعيد قد أتاك اليوم حكيم جديد يدعى أنه بصناعة الطب عارف وفريد فلما سمع الملك الصياح قال على بالحكيم فتجارى الأعوان حتى أقبلوا إلى الملك سيف بن ذى يزن وقالوا له أنت الحكيم فقال نعم فأخذوه قدام الملك واوقفوه فتأمله الملك فرآه عريانا ولم يكن عليه إلا السروال والسيف معلق فى رقبته كما وصفنا فقال له الملك يا حكيم ما الذى عراك فى الطريق وأعدمك السعادة والتوفيق فأنا حاكم على هذه البلاد مطهر الأرض من الفساد وأنت من فعل بك هذا الفساد فقال يا ملك ما أحد عرانى وإنما أنا رجل حكيم وسمعت بخبر بنتك

أنها انكف بصرها وأن الحكماء أتتها من جميع الأقاليم وعجزوا عن دوائها بعدان عذبوها العذاب الأليم فأتيت قاصداً أداويها وقد غرقت المركب بنا فكنت أنا من السالمين بإذن الله رب العالمين وهذا لاجل سعادتك وشفاء ابنتك حرسها الله تعالى ورعاها ومن مرضها شفاها ونصرك الله يا ملك على أعداك وبلغك قصدك ومناك ففرح الملك بكلامه وأمر له بملبوس فلبس الملك سيف بن ذى يزن بدلة عمامة فبقى كأنه البدر عند تمامه وبانت عليه هيئة الملوك فقال له الملك يا ولدى إن كنت ادعيت الحكمة على عريك فقد انكسيت فارجع من حيث أتيت ولا أكون ظلمتك ولا عليك تعديت لأنى حلف يمينا أن كل من داواها زوجته إياها ومن لم يقدر على ذلك اسقيته كأس المهالك فقال له الملك سيف يا ملك أنا رضيت بهذا الشرط فأحضر الملك الكهناء وعباد النار وقال لهم اشهدوا على وعلى هذا الحكيم إن هو طيب ابنتى زوجته بها وإن عجز عنها فإنى اضرب رقبته فقالوا رضيت بهذا الشرط يا حكيم فقال نعم فعند ذلك أحضر الملك كبير الأعوان وقال له خذ الحكيم هذا وادخل به عند سيدتك وقل لها إن هذا الحكيم أرسله إليك أبوك وأمره أن يداويك حتى تفتحي عينيك لأنه أتى من بلاد بعيدة وإن لم يداويك تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وإن داواك فأنت له زوجة وهو لك بعل وانظره ماذا يفعل فى دوائه فان كان صادقا كافأناه وزوجناه وإن كان كاذبا أهلكناه وقتلناه فأخذه كبيرا ودخل به على بنت الملك وهى فى قصر واوقفه ببابها واستأذن عليها فى الدخول فأذنت له فدخل فوجد قصراً يزيل الهموم وينفى الحصر مفروشا بالرخام المختلف الألوان وله خمسة لواوين على كل لوان أسد من المرمر على هيئة السباع له قوائم من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه فروشات ومراتب ومقاعد ووسائد ومساند ومعلق فيه قناديل من الجوهر فى سلاسل من الفضة والذهب وفى وسط اللواوين فسقية من البلّور فى دائرها صفة طيور

وغزلان ووحوش وهى من الفضة والذهب واللؤلؤ والمرجان وشيء يحير الأذهان والماء يطلع من أفواه تلك التصاوير بنفير وصفير على كل صنف لغو صاحبه وكذلك صفة أرباب الحكمة ومعلمى الصنائع وسقف ذلك القصر من العقيق الأصفر والأخضر شبه جامات الحمام إذا تحرر وعلى الليون الذى فى الصدر فرش من الحرير الإبريسم الأحمر والأخضر والأصفر كأنه ملك الملك اسكندر وجالسة عليه بنت كأنها البدر إذا بدر وعليها بدلة كأنها بدلة بلقيس أو أكثر وعلى رأسها تاج من الجوهر وكل من رآها افتتن وتحير.

(قال الراوى) فتقدم كبير الأعوان قال لها ياملكة الزمان قد أتى إلينا حكيم ففتح الأعيان فقالت له دعه يمضى عنى بسلام فلا حاجة لى به ولا أتحمل دعاءه لأنه كل من أتانى وعجز عن دوائى فيقتله أبى ونكسب خطاياه فقال سيدتى هذا الرجل يكون على يديه الخير وعنك يزول الالم والضير فقالت له دعه يفعل ما يعرفه من صنعته فقال الاغا تقدم يا حكيم وافعل ما تراه حسنا وأنا معك فقال سمعا وطاعة ثم قال ائتونى بهاون من الذهب فأتوا له بكل ما طلب فأمر بإيقاد النار فأوقدوها وبعد ذلك قعد وفك السرطان من دكة سرواله وكسر منه شيئا باصبعه وأحرقه فى النار وبعد حرقه وضعه فى الهاون ونقط عليه من ماء الورد وسحق سحقا بليغا حتى صار فى حد الغبار وتقدم إلى بنت الملك وتوكل على الملك الجبار ووضع رأسها على ركبتيه وأخذ بالميل وكحل عينيها وإذا بها صرخت بصوت دوى له القصر وغشى عليها ساعة زمانية ولم تتحرك بالكلية فلما رأى الخادم ذلك رجع إلى الملك وقال له قم الآن فإن بنتك ماتت وخرجت روحها فقال له الملك ومن قتلها فقال الحكيم الذى ارسلته لها فانه شكها بيده فى وجهها فصاحت وخرجت روحها فقام الملك بحافته ودخل على قصر ابنته وتبعه أرباب دولته وهم جاذبون سيوفهم على التمام فهذا ما كان من الملك

ودولته **(قال الراوى)** وأما ما كان من الملك سيف فإنه لما كحل البنت وقعت ظن أنها ماتت من شدة خوفه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم يعنى إذا كان أجلك قد اقترب فما كان إلا على يدى ولكن سبحان الحى الذى لا يموت وصار باهتا لايبدى ولا يعيد وقال فى نفسه يا سيف ساقك أجلك إلى هذا المكان هنا حتى تشرب كأس الهلاك والفنا ليتنى ما فرطت فى روحى أو بان تلك الساعة إنقاذ نفسى وفلاحى وصار يحسب ألف حساب يذكر الأهل والأحباب وقال اللهم إنك تعلم بحالىّ وعليك فى الأمور اعتمادى واتكالى إلهى أنت المرجى لكل طالب والمسئول لكل سائل وراغب أسألك اللهم بما تحت ساق العرش من علمك المكنون وما فوق أعلى حجبك من كائن وما يكون يا من أمره بين الكاف والنون اللهم بحق الانبياء الاصفياء والأولياء والاتقياء من اخترتهم من خلقك وملائكتك أن تنقذنى برحمتك وتحيى هذه البنت على يدى وتداوى عينيها من العمى يا خالق النور والظلمة يا من علم آدم الاسماء يا إله العالمين **(ياسادة)** وإذا بالبنت عطست فافاقت من غشيتها ودعكت عينيها بكفها وراحتها فسال منها ماء مثل القيح إذا تعصر وفتحت وانجلت ونظرت إلى البيض الأحمر والأصفر ونظرت إلى السماء وارتفاعها والأرض وانبساطها فزال عنها الغموم بإذن الله الحى القيوم ثم نظرت إلى الملك سيف بن ذى يزن وصاحت واسيده ورمت روحها عليه واعتنقته قد غشى عليها فتأملها الملك سيف وإذا بها الملكة ناهد التى دعت عليه سابقا بعد قطع يد سحاب المختطف وعودة البنات إلى أهلهم ودعت أن يأتيها عرياناً فقال لها وتكونى عمياء ودواؤك على يدى ولما رآها الملك سيف اطمأن قلبه وهدأ روعه فهو كذلك وإذا بالملك دخل عليها شاهرا سيفه والرجال من خلفه فكانت ناهد أفاقت من غشيتها وقعدت على حيلها فلما أقبل ورآها قد فتحت عينها فقالناهد قالت لبيك أبتاه وقامت إليه وقبلت يديه فلما رآها على ذلك الحال فرح

فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال لها ما فعل الحكيم بك فقالت شفانى ربى على يديه بسعادتك يا ملك الزمان ماله على قبل ذلك منه فإنه خلصنى من المارد المختطف وردنى إلى أهلى بأمان وكم له على الناس من فضائل ومنن والحمد لله على سلامته وياليتنى أكون الفدا فقال لها ومن اين تعرفينه فأنى أراك تعانقيه فقالت أما قلت لك هذا الذى أرسلنى إلى اهلى بعدما قتل المارد الذى كان خطفنى وما كان سبب عماى إلا من أجله وكنت أود أن أفارقه فلما سمع أبو ناهد هذا الكلام قال لها هذا الملك سيف بن ذى يزن الذى أصابك من أجله البلاء والمحن فقالت له هذا هو يا أبتاه فقام إليه الملك واعتنقه وقبله بين عينيه وأمر له ببدله ملوكى بفصوص المعادن ثم أمر له بالحمام فأخذوه ونظفوه من وعك السفر ومن تلك الأوساخ والضرر وألبسوه البدلة وأركبوه وركب الملك وأخذوه بجانبه إلى الديوان فقام الملك واستقبله وأجلسه إلى جانبه ودقت الطبول ونعرت البوقات وزينوا له المدينة وفى تلك الليلة جمع الملك أرباب دولته وعقد له عقد ابنته ناهد وعمل فرحا عظيما واطلق المحابيس وغنت المغانى وقامت الأفراح عشرة الأيام والحادى عشر من الأيام ألبسوا ناهداً فخر الملابس وأخلوها على الملك سيف فكانت ليلة تعد بليلى ولما دخل عليها قامت وقبلت يديه وتعانقا ساعة زمانية وأراد أن يزيل بكارتها وإذا بقعقعة من عراقيب القصر فرفع الملك سيف رأسه ينظر ما الخبر وإذا به عيروض قد حضر وهو يقول قم يا ملك الزمان فقال الملك سيف عيروض فقال له لبيك قال له فبماذا أتيت فقال له أتيت آخذك إلى مملكتك وملك أبيك من قبلك فقال الملك سيف أحقاً ما تقول يا عروض فقال له أى وحق النقش الذى على خاتم سليمان فلما سمع الملك سيف هذا الكلام وأخذه الفرح والابتسام وقال وما السبب فى ذلك يا عيروض فقال يا سيدى إن هذا ما هو وقت كلام فقم الآن لأنى لا أقدر أن تأخر عنك فقال السمع والطاعة ثم إنه

احتمله على كاهله وأراد أن يطير للجو الأعلى وإذا بناهد صرخت عليه وقالت له إن لم تأخذنى معك إلى بلادك وإلا دعوت عليك دعوة أخرى فقال لها ناهد لما يوصلنى ارسله يأخذك عندى فرفعت رأسها إلى السماء وأرادت أن تدعو فقال الملك لا تدعى يا ناهد وأنت يا عيروض احملها معنا فإنها تدعو ودعاؤها مجاب وقد جرى عجائب واهوال من حين مادعت على ثم حكى لعيروض ما جرى له بسبب دعائها وأخاف أن تدعو على ثانيا ويتعب قلبى مثل الأول فقال عيروض السمع والطاعة ثم إن عيروض حمل ناهداً مع الملك سيف وسار بالاثنين إلى المدينة الحمراء كما هو مأمور من الذى أرسله فكان السبب فى ذلك أن برنوخ الساحر لما فارق الملك سيف وجاء إلى المدينة الحمراء وفعل ما فعل لقرية السحر من القصبة وارتاح بدنها من الضرورة والتنكيس وهى تظن أنه الحكيم سقرديس كما وقدمنا فى كتابنا وفرحت به وطلعته إلى قصرها وفرحت واطمأنت من جهة ولدها وقعد برنوخ يرصدها لما اطمأن قلبها فشربت الخمر المسكر جانبا وانضجعت للنوم فصار برنوخ يحكى لها عبارات وسير ويطلولها بالحديث حتى أن الملعونة قمرية أدركها النوم وبرنوخ يساهرها حتى اندهشت وصار يكلمها فلم تقدر أن تجاوبه وهذا من دواهى برنوخ وعجائبه فمديده إلى يدها وفك اللوح من على زندها وأخذه وخرج وتركها نائمة فى مكانها ورجع إلى مكانه ومعه اللوح من وقته وساعته فأقبل عيروض عليه وقال له نعم يا سيدى برنوخ فقال أمرتك فى هذه الساعة تحضر لى الملك سيف ابن ذى يزن من أى مكان فقال له السمع والطاعة وسار عيروض مطرودا طردة الفرح فوجد الملك سيف فى قصر ناهد كما ذكرنا وكانت ليلة الزفاف كما وصفنا فحمل الإثنين وهما الملك سيف وناهد كعادته وبقى فرحاً بالذى جرى وسار بهما كسير البرق فى الصحراء حتى وصل بهما إلى المدينة الحمراء ودخل على الحكيم برنوخ الساحر فلما رآه قام له على قدميه وقبله بين عينيه

وأجلسه بجانبه وقال له يا ملك الزمان خذ هذا وحك واحترس عليه فإنى فعلت من أجله كذا وكذا وحكى له ما فعل ففرح الملك سيف واخذ اللوح منه وربطه على زنده كما كان هو بذلك فرحان وشكر برنوخ الساحر على ذلك واثنى عليه وقعد يتحدث مع برنوخ وكل منهما حكى لرفيقه ما جرى له من حين افترقا عن بعضهما إلى هذه الساعة ولم يزالا على مثل ذلك الايضاح وهم فى سرور وافراح إلى أن اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح قام الملك سيف ودخل إلى كرسى مملكته وجلس وبرنوخ الساحر بجانبه وجعلا يتحدثان مع بعضهما وما عندهما أحد **(ياسادة)** وأما اللعينة قمرية فإنها مازالت نائمة حتى طلع النهار وقامت من نومها فتحت عينيها وقامت على قدميها وسارت إلى نحو كرسى مملكتها مثل عادتها فوجدت على الكرسى ولدها فأحس قلبها بالخيبة والبليلة ولحقتها كل رزية وخافت على اللوح خوفا شديداً ومدت يدها اليسار إلى زندها اليمين على أنها تنظر اللوح فما وجدت له خبراً ولا وقعت له أثراً فذاب قلبها وانفطر وكادت ان يغشى عليها وظنت ان هذا مناماً واحس قلبها بزوال النعم ونزل النقم وتأملت على يمين ولدها فوجدت برنوخ الساحر متبسما غير عابس فما بقى لها عقل ولاذهن فرجعت إلى مكرها وخبثها وخضعت بين يدى ولدها والنار وقد اشتعلت فى كبدها واجرت الدموع على خدها وقالت يا ولداه واكيد لا كانت الدنيا ولا كانت المملكة ولاغيرها ولا كان الذين يفرقون بينى إذا قتلتنى يا ولدى ولكن أنا التى لك ظالمة وعليك معدية وانا العائبة ولا يؤاخذك الله بذنبى إذا قتلتنى يا ولدى وأنت فى حل من دمى ثم إنها بكت وتقدمت إليه ومدت رقبتها بين يديه وقالت له ياولدى ارح نفسك منى وبسيفك اقتلنى وأنت برىء من دمى فلما سمع برنوخ كلامها قال الملك سيف ان أطعتنى يا ولدى اقتلها واضربها بسيفك فى هذه الساعة ولا يغرك من قولها هذا المكر والخداع وان قتلتها لك فيه غاية الاصلاح فإنها

والله ان ظفرت بك ثانيا لم تخل شيئا من جهدها معك حتى تفعله ولم تبق عليك ولا يغرك تذللها بين يديك ان تذللها هذا الوقت بالزور والبهتان من تشتيتك ورميك فى أبعد مكان فقال الملك سيف اليزن وقد رجع إلى طيبة أصله لأنه ملك وابن ملك ولا يؤثر عنده فعل السوء لأنه معتمد على الله ولا يخشى أفعال المخلوق فقال لبرنوخ يا أخى دعها تفعل ما تشاء فإنها أمى وهى واقفة تتذلل بين يدى لعلها يا أخى تكون تابت لأنى يا أخى قلبى حن عليها ولا يمكنى قتلها أبدا فلما سمع برنوخ الساحر كلامه لم يطق الصبر وقال له يا ملك أما قولها فزخاريف محال ولا تأمن مكرها وأما إن كان على قولك توقير الوالدة عليك واجب صدقت لكن إذا كانت مؤمنة وعليك شفوقة ومحسنة وهذه بخلاف الأمهات فاقتلها بيدك وإلا اسجنها عندك وأما إذا لم تطعتنى فى المقال فما أقيم فى هذه الأطلال ولا تلم إلا نفسك إذا قاسيت منها أشد الأهوال قال فعند ذلك استحى الملك سيف ه ن برنوخ الساحر وطاوعه فى المقال وقد عفا عن أمه من القتل ولكن وص عها فى القيود والأغلال والباشات الثقال وأنزلها برنوخ فى طابقة تحت الأرض ووكل بها جارية تطعمها وتسقيها وتركها ويكون لها كلام وأما الملك سيف فإنه بعد ذلك أمر لبرنوخ الخلع السنية وأعطاه أو فى عطية وأجلسه بجانبه وصار عنده أعز من أهله وأقاربه وأما الملكة ناهد فإنه أفرد لها مقصورة فى القصر وأكرمها إكرامها زائدا ورتب لها الخدام والجوارى وصار يتسلى بها ويقول لقد أبطأ علينا الملك أبو تاج وما حضر عندى وهو معه زوجتى شامة ودمر ولدى وأقامت ناهد فى مكانها وأقام الملك وهو يتعاطى الأحكام وأما برنوخ الساحر فإنه لما فرغت حيلته وأخذ من قمرية اللوح تركها عليه متحسرة تبكى وتنوح وجرى من الأمر ما جرى أرسل من طرفه خادما وأمره أن يقول للمارد الذى كان أرسله يعوق القاصد الذى كانت أرسلته قمرية للملك سيف أرعد وكان برنوخ أرسل له عوقه ولما قضيت

تلك الدعوة أرسل ماردا يأمره بإطلاقه ولما انطلق القاصد سار إلى الملك سيف أرعد وهو مجتهد فى قطع البر والفد فدوله كلاماً وأما الملك سيف ابن ذى يزن فإنه أقام على كرسى المملكة ودخل عليه الخدم خضعوا بين يديه كما يفعلون بالملوك فقال الملك ارفعوا رؤوسكم فإن السجود لا يكون إلا للملك المعبود وأما أهل الإيمان ودولة الإسلام فما عندهم تحية إلا السلام فاعرفوا ذلك ولا تخالفوه فقالوا جميعا سمعا وطاعة وشكر كلامه كل الجماعة ووصلت الأخبار إلى الملك أفراح أبى شامة بأن الملك سيف اليزن أتى بالسلامة ففرح فرحاً شديداً وكذلك وصل الخبر إلى سعدون الزنجى فركب فى جماعته وأتى إلى الملك أفراح وأعلمه بما سمع فقال له وأنا سمعت مثلك فأرسلوا من طرفهم رسولا يكشف لهم الأخبار على هجين بجارية فما غاب إلا قليل وأتى إليهم بصحة الاقاويل فجمع الملك أفراح عساكره ورجاله وحريمه وعياله وكذلك سعدون وساروا إلى المدينة الحمراء ودخلوا على الملك سيف بن ذى يزن فقام إليهم وأجلسهم وفرح بهم وبسلامتهم ودقت لهم الطبول وأنست بهم المنازل والطلول ونعرت البوقات وكان دخولهم فى يوم أحسن من أيام الأعياد والتقت الرجال بالرجال وهنوا الملك سيف بالسلام فأمر لهم بالخلع الغوال وأفاض عليهم شيئا كثيرا من الأموال وثانى الأيام جلس الملك سيف اليزنى فى دست مملكته وجعل الملك أفراح عن يمينه وسعدون الزنجى عن يساره وقال لبرنوخ الساحر أنت ما تصلح أن تكون وزيراً وما أنت إلا أخ شقيق ونصير والرأى عندى أن يكون كرسيك قدامى ولا تفتر من أمامى حتى تعلم الناس أن مقامك مثل مقامى فشكره برنوخ وأثنى عليه وقال له والله يا ملك ما أنت إلا من أكبر الناس الكرم والانعام وفضلك على ما أنساه على طول الدوام لأنك أنت السبب فى دخولى فى دين الاسلام ويجب على أن أكون لك من جملة العبيد والخدام فشكره الملك سيف على ذلك وهم فى هناء وإنعام

وأما الملك افراح فإنه قال للملك سيف اليزن اخبرنى كيف قدرت على هذه الملعونة الخائنة المفتونة حتى خلصت منها فقال له والله ما اجتهد لى فى ذلك إلا الحكيم برنوخ الساحر وحكى له عن ما فعل من الحيلة من الأول إلى الآخر وقال فى آخر الكلام والحمد لله الذى جعل العاقبة إلى السلام فعند ذلك فرح الملك افراح بتلك العلامة وقال يا ملك وهل اجتمعت بزوجتك الملكة شامة فقال له نعم وحكى له عن ما جرى فى وادى الغيلان وما جرى لشامة فى وادى الطودان وأن شامة فى هنا وأمان وخلفت ذكراً كأنه البدر إذا بدر وسمته الملك دمر وهى قادمة عن قريب فى فرح وابتهاج فى صحبة الملك أبى تاج فاستبشر الملك أفراح وأيقن بالأفراح وما كان أيام قلائل حتى قدمت مراكب فى البحر وقلاعهم مثل أجنحة النسور فانتظروها على مينة المدينة الحمراء وإذا هم إليها مقبلون وعليها واردون وأقاموا إليهم ببارق ورايات وكان هذا الملك أبو تاج وقد رجوا البحر ارتجاجاً ولما علم بقدومه الخدم دخلوا على الملك سيف وأعلموا أن الملك أبا تاج أقبل والعساكر معه فى جمع عظيم وحفل فأمر بالزينة فى البلد وأمر أرباب الدولة أن تطلع إلى الملك أبى تاج وتستقبله من على المينة بالخيل والنجائب وأفراد عمارية للملكة شامة وطلعت من البحر وركبت فى العمارية وسارت مع جواريها حتى دخلت قصرها وقد هدأ سرها وأما الملك أبو تاج فإنه دخل فى موكب لا يوصف بلسان وابحرت قدامه الخدم والغلمان وعساكره دخلت من خلفه كأنهم زهور البستان حتى وصل إلى الديوان فقام الملك سيف وتلقاه وفرح عند ملتقاه وأخذه ملأة الأحضان وأمر بكرسى فجلس عنده فى أعز مكان وسلم على الملك أفراح وعلى المقدم سعدون الزنجى وبعد السلام سأله الملك سيف بن ذى يزن عن غيابه فقال الملك أبو تاج يا ملك الزمان نحن ما تأخرنا وغبنا إلا لما تهنا لأننا يا ملك تهنا فى البحار وأشرفنا على الدمار ولكن الله سلمنا من

الاضرار وأتينا ونجونا من الأشرار فقال الملك سيف هذه للنصر والسعد سلامة ونحمد الله تعالى على ما أولانا من السلامة ثم إن الملك سيف احضر أرباب العمارات وأمر أن يبنى للملك أبى تاج قصراً لاقامته ومعه أرباب دولته وأخرج لهم الأقمشة والخيم يقيمون فيها هنا حتى يتكامل البناء واخرج لهم العلوفات والإقامة وكل ما يحتاجون إليه من المأكول والمشروب وحمد الله الملك سيف باجتماع الشمل بين كل محب ومحبوب هذا ما جرى هنا وأما قمرية فإنها بقيت على حالها فى السجن وطال عليها المطال ومهالك السجن والوبال فرجعت إلى مكرها وخداعها وكهانتها وجعلت نفسها ضعيفة ورمت نفسها إلى الأرض وصارت تبول وتتغوط على ثيابها وتنازع وتتأوه ولم تزل على هذه الحالة إلى أن ضجرت الجارية الموكلة وخافت أن تموت بمرضها ولم يعلم بها ولدها وكانت قد آتت لها بالطعام فلم تأكل فتركتها بعد ما غسلت لها ثيابها ونظفتها خوفا من ولدها وتركتها ومضت إلى الملك سيف ورصدته وهو عند الملكة شامة وقالت له يا سيدى اعلم أن أمك الملكة قمرية غلبت عليها الأوجاع وما بقى بينها وبين الموت إلا باع أو ذراع ولا تأكل ولا تشرب وتبول وتتغوط فى ثيابها ولاتعى نفسها من شدة ما بها فلما سمع الملك سيف تغير لونه واضطرب قلبه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العل العظيم وأنا ما أخاف إلا أن تموت وهى غاضبة ثم إن الملك سيف قام على الأقدام ولم يعلم أحداً من أصحابه بتلك الأحكام وسار مع الجارية ودموعه على خدوده جارية حتى أقبل إلى أمه وكانت فى طابقة تنزل إليها فرآها على تلك الحالة فبكى بكاءً شديداً ما عليه من مزيد ورثى لحالها وأمر أن يطلقوها من عقالها وأخرجها من السجن وتقدم إليها وقبل رأسها ويديها ففتحت عينيها وقالت له ياولدى انا الذى بغيت عليك ظلما وظلمتك بالفعل الردى فلا يؤاخذك الله بذنبى وكان كلامها بصوت ضعيف فعند ذلك أمر بادخلها الحمام فادخلوها

وغسلوها والبسوها أفخر الثياب المزركشة بالحرير والذهب الأحمر الفاتن وأجلسوها فى مكان من أحسن الأماكن هذه والملعونة تظهرلهم الضعف والمسكنة والخبث والمكر والملعنة كل هذا والملك سيف كاتم أمره لم يطلع أحدا عليه خوفا من برنوخ أن يجادله فى أمرها ويحذره من شرها وبعد ذلك أمر الخدم أن لا يخرجوها من مكانها الذى هى فيه والخدم لا يعلمون بشئ من ذلك وكان قد جعلها فى مكان مقتصر قريب من قصره وفى تلك الأيام أقبل الخدم على الملك سيف بن ذى يزن وقالوا له يا ملك قد أقبل اثنان من الحكماء من عند الملك سيف أرعد ملك ملوك الحبشة والسودان واسمهما الحكيم سقرديس الذى تولى من المكر مرتبة إبليس والحكيم سقرديون وهو ا باغى المفتون وقد أتيا من مدينة الدور والسبعة قصور من عند الملك سيف أرعد فما الذى تأمرنا به أن نفعله معهما فقال الملك سيف وقد أظهر لهم الابتسام ادعوهما إلى يحضرون حتى اسألهما فيما أقبلا فعاد الخدم كما أمر والتهوا فى أشغالهم وكان السبب فى مجىء هذين الحكيمين القاصد الذى كانت أرسلته قمرية وكان المارد عاقه عندما سافر بأمر برنوخ الساحر ولما قضى حاجته برنوخ من قمرية وأخذ اللوح منها وزادت بها الرزية أرسل للمارد وأمره أن يطلق القاصد فلما انطلق سار يقطع البرارى والقفار حتى دخل مدينة الدور على الملك سيف أرعد ملك الأرض والبلاد وقبل الأرض بين يديه فالتفت الملك سيف أرعد إليه وقال له من أين أتيت وأين جاريتى فقال له يا ملك أنا أتيت من عند جاريتك قمرية ومعى منها كتاب رسالة بالكلية فأخذ الملك منه الكتاب وفضه فرأى فيه من الجارية قمرية إلى بين يدى سيدها الملك سيف أرعد الملك على كل بر وفد اعلم يا ملك الزمان أنى تحايلت على زوجته شامة بنت الملك أفراح وأمرت خادم اللوح أن يرميها فى وادى الغيلان وأرض الطودان وقلت إنى ارتحت فعاد ثانية وهو سالم فأمرت الخادم فرماه فى جبل الدخان ووادى النار والفج

العميق فأتى معه برنوخ الساحر وقعد لى قدام المدينة وألقى على الأبواب سحرا امرضنى وقصده يهلكنى ويأخذ اللوح وأنا يا ملك فى عرضك أدركنى لأنى فركت اللوح فأتانى خادمه واسمه عيروض ابن الأحمر فسألته عن مرضى فقال هذه فعال برنوخ الساحر والسبب فيه ولدك الملك سيف ذويزن وهو الذى أرسل لك هذا الحكيم حتى يخلص منك اللوح وهو مقيم قريبا من هذه المدينة فقلت له هاته لى فقال مالى قدرة عليه وما يقدر عليه إلا حكماء مثل سقرديون وأنا ياملك فى عرضك أرسل هذين الحكيمين لأجل ان ينظرا حالى ويضربا لى تحت رمل وينظر هذا الساحر لعلهما يقبضان عليه وأنا ارسل فى احضار ولدى سيف ذايزن واقدم الجميع بين يديك تفعل بهم ما تريد ونريح بلاد الحبشة من الجميع وسألتك بحق زحل لا تتخل عنى يا ملك وأرسل الحكيمين والسلام فلما سمع الملك سيف أرعد ما فى الكتاب ما قدر ان يخالف لأجل أنها اقسمت عليه بزحل فأمر الحكيمين أن يسيرا لها فاجاباه بالسمع والطاعة فقال الحيكم سقرديون لأخيه سقرديس يا أخى إنه خائف أن يكون هذا امرا مشكلا صعباً فإنى خائف منه ومرتعب فقال له سقرديس لا تخف وعمرك ما حسبت حسابا ولقيته صواباً وأنا أقول ولحيتى إنه حياة أمر يسير ولا يصيبنا منه إلا كل الخير ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى المدينة المذكورة فمنعهما الحاجب عن الدخول وقال لهما قفا مكانكما حتى اشاور عليكما الملكة قمرية فدخل على الملك سيف ذى يزى واخبره كما ذكرنا فكان هذا الأصل والسبب وأما الملك سيف فإنه خلع الحاجب وقال له أئت بهما إلى الديوان فقال سمعا وطاعة فعاد وأتى بهما إلى الديوان فنظر الحكيمان إلى الديوان فرأيا الملك قاعدا وعلى يمينه الملك أفراح وسعدون الزنجى ورأيا الحجاب والنواب وعالما لا يحصى سبحان مفنى العالم ورأى برنوخ الساحر وهو يهمهم ويدمدم ويحفظ الملك سيف ورجاله من المكر والحيف ولما رأيا نفسيهما بين

أيادى الملك سيف ووقعت العين على العين فتمنيا أن الأرض تبلعهما أو تغور بهما فرجعا إلى خداعهما ومكرهما وقبلا الأرض وقد ثقلت رأساهما فى الأرض حتى ظن كل منهما أن فوق قلبه ورأسه جبلا وقد دسها فى ثيابه ورفعا بعد ذلك رأسيهما ونظر سقرديون إلى أخيه سقرديس وقال له بالإشارة أنا ما قلت له على هذا المنام الفعص فإنه لا ينقص وقد وقعنا فى يد من لا يرحمنا فقال له أخوه - وكان الكلام بالإشارة - الأمر لزحل فقال الملك سيف ذو يزن أهلا وسهلا بالحكيمين اللذين أتيا يدبران مكايد من علومهما فقد أو قعكما الله فى مكركما والآن ما بقى لكما خلاص من ضيق الأقفاص فلما سمعا ذلك الكلام لم يقدر أحد أن يرد عليه جوابا وكان عندهم ضرب الرقاب أهون من ذلك المصاب فعند ذلك أمر اللملك سيف بقبضهما فقال برنوخ اجعلهما عند قمرية فى السجن معها فقال له قد خلصتها من السجن لأنى رأيتها تلفت ومرضت فأمرت بخلاصها فلما سمع أهل الديوان هذا الكلام قاموا على الأقدام وأخذهم الهياج وقالوا له يا ملك الزمان ائذن لنا بالرحيل إلى بلادنا ولا نقيم ابدا ههنا فقال لهم الملك سيف لأى شيء ترحلون فقالوا له خوفا من أمك لئلا تعمل لنا مكيدة وتوقعنا فيها ولا نأمن مكرها ودواهيها وأنت لك أخت تخلصك من الهوان وأما نحن فمن يخلصنا من الأنام إذا وقعنا فى التلف والإعدام ونحن كنا أمرناك بقتلها فخالفتنا وسجنتها وقد رجعت إلى الفعل الذميم واطلقتها من سجنها ورددتها فى عزها فامرنا بالمسير من هنا حتى نأمن منها على نفوسنا فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام تفكر فى نفسه ساعة وقال لهم يا إخوانى وحق إبراهيم الخليل إنى ما شفقت عليها إلا لما رأيتها على حياض الموت ولكن أنا ما أقدر على مخالفتكم ثم أمرهم بسجنها فقال الرجال لقمرية اقبضوها وإلى السجن انزلوها وسلسلوا عنقها بطوق من البولاذ وقرنوا الحكيمين معا فى الأغلال والاصفاد وانزلوهم فى طابق

قاسون فيه العذاب من الظلام والضباب واغلقوا عليهم القباب وطابت قلوب الرجال بتلك الأسباب هذا ما جرى يا سادة والحكيمان لما بقيا فى السجن قالا لها يا ملكة قمرية إيش جرى عليك بعد ما أرسلت لنا وإيش الذى سجنك وكيف أوقعتينا معك فى الأشراك واجتمع المتعوس على خائب الرجا فقالت لهم إن هذا السبب عجيب وهو انى أرسلت إلى الملك اطلبكما منه بسبب مرضى وكان ذلك من فعال برنوخ الساحر فإنه أرسل على باب الرجفة والخفقان وغير ذلك ولما ارسلت لكما الرسول من عندى بعد ان عجز الأطباء فنظره برنوخ الساحر فبقض الساحر عليه وتصور لى فى صفة سقرديس ودخل علىّ بحيلة وأنا أظن أنه أحدكما لا محالة وأخذنى وسار بى إلى الجبل وأخرج لى قصبة السحر والعلم وأمر بحرقها وبطل عنى كل ما كان قد اعترانى وصبر حتى نمت وقام وسرق اللوح منى وأرسل عيروض فأحضر الملك سيف فى الحال وأعطاه لوح عيروض وأراد قتلى فتخضعت له حتى أمر لى بالسجن وفى هذه الأيام أظهرت العياء والضعف فدخل على ورآنى على ذلك الحال فقلت له يا ولدى اقتلنى وارحمنى وأنت برىء من دمى ولم يبق على عندك عذر وإن الأعادى هم الذين كانوا سلطونى عليك وقالوا لى إن ابنك لا يحبك وعيرونى بذلك الكلام فطاوعت الشيطان وفعلت معك هذه الفعال فاعمل معى بأصلك واقتلنى بيدك وادفنى عندك حتى إذا كنت ميتة انظر إليك فلما سمع مقالى وانطلى عليه محالى حن قلبه على ورثى ولكنه خاف من الدولة الأنذال لأنهم قالوا له إن أمك فعلت معك هذه الفعال وأنت تشفق عليها فأعادنى إلى السجن وقد جئتما أنتما على غفلة منكما فقبضكما ووضعكما فى السجن ولم يبق إلا المكر والحيلة وإلا فوقعتنا معهم طويلة وأسعى فى خلاصى وخلاصكما لتذهبا إلى أرضكما وبلادكما وبعد ذلك أحتال عليه وآخذ منه اللوح واسلب منه العقل والروح وأرميه فى مصيبة لا يخلص منها أبدا

وفيها يشرب كأس الردى.فلما سمع منها الحكيمان ذلك الكلام قالا لها يا ملكة إن الحيل كثيرة لكن نخاف أن نصنع حيلة فيعلم بها هذا الملك الظالم فيقتلنا ونحن فى قبضته ولا نجد خلاصا من شبكته والصواب ان تصنعى حيلة فيها خلاصنا فأنا إذا كنا خالصين نكون فى هلاكه مجتهدين فقالت أنا مرادى ان آكل عشبة من الأعشاب إذا أكلته تغير لونى بالصفار واعمل أنى ضعيفة وإذا أتانى أحد من طرفه ونظر إلى حالى يذهب إليه ويعلمه بما جرى لى فيأتى إلى ويطلقنى رغماً عن جميع أصحابه لأنه صاف ولا يعرف المكر والخداع بالكلية وإذا أطلقنى دبرت فى هلاكه وهلاك الملك أفراح وسعدون وبرنوخ وباقى الرجال ورميتهم جميعاً فى شباك الاحتيال فقال لها أحدهما هذا هو الصواب وأنا فى جربنديتى عشب يا ملكة قمرية يصلح لتلك القضية وهو لذلك نافع وكل من اكل منه تغير لونه وينتقل من البياض والإحمرار إلى لون الإصفرار وأما أخى فمعه ضده إذا أكله الإنسان يعود كما كان ويطيب ثم يرجع إلى حالته الأصلية عن قريب وتفارقه تلك الصفرة ثم إن سقرديس أخرج من جربنديته عشباً اخضر اللون وقال لها خذى كليه فإنه يصفر اللون ويفتح البطن ويسهل المعدة وإذا أردت بعد ذلك أن تصرفى عنك ذلك فكلى من هذا العشب الأصفر الذى مع أخى فإنه يزول كل ما كان بك ثم إنه أخذ الجربندية الثانية وأخرج لها ضده فأخذت العشبين وأكلت من العشب الأول فانتفخت بطنها وانتفخت وزاد كربها واصفر لونها فصار كل من رآها يقول إنها مريضة من مائة سنة واظهرت الصراخ والعياط ومازالت على ذلك حتى دخلت عليها الجارية الموكلة بخدمتها فرأت حالها فقالت لها ما تريدين أن تفعلى بدهاك لعن الله تعالى أباك ولا رحمك ربنا ولا نجاك فقالت لها إن قلبى يوجعنى وأعضائى تؤلمنى وما أعلم بالذى جرى لى فقالت لها الجارية لعله الموت العاجل ياعاهرة يافاجرة ثم تركتها ولم تعلم أحدًا بخبرها وثانى الأيام زادت عليها الآلام

وثالث الأيام ورمت وعلت أعضاؤها بالأورام وانتلقت من حال إلى حال وما دامت تتقلب مثل الثعبان وهى تبكى بكاء الحزين والولهان وتقول يا ولدى لا يؤاخذك الله بذنبى فأنا كنت الظالمة عليك وما خوفى إلا أن أموت ولم أنظر إليك وأنا مشتاقة إلى رؤيتك قبل موتى ثم إنها غابت عن الوجود **(قال الراوى)** فلما نظرت الجارية إلى حالها خافت على نفسها من الملك سيف أن يقتلها وقالت فى نفسها إذا ماتت هذه اللعينة ويعلم الملك سيف بحالها يلومنى على ذلك وربما قتلنى وأنزل بى المهالك ثم إنها صبرت عليها حتى أفاقت من غشيتها وقالت لها ما الذى تريدينه يا ملكة فقالت لها أريد أن تمضى إلى الملك سيف وتعلميه بالى والذى أصابنى وجرى لى ولا تعلمى أحداً من الدولة وقولى له إن أمك قد اشرفت على الهلاك ولن تعيش إلى غد وهذا اليوم آخر أيامها من الدنيا وتريد أن تنظرك وتتودع منك وتوصيك بما تريد منك وهذه حاجتى عندك أيتها الجارية فقالت لها الجارية سمعاً وطاعة وأغلقت عليها الباب ورصدت الملك سيف حتى انفض الديوان وأراد الملك أن يدخل الحريم فاعترضته وتقدمت بين يديه وقبلتهما وقالت له يا ملك الزمان إنى أريد أن أقص عليك قصة والدتك وهذا شىء يلزمنى أن أعلمك به سرا فقال لها قولى ما بدالك ثم صرف كل من كان حاضرا وقال لها ما الذى تخبرينى فقالت له يا ملك الزمان إن أمك الملكة قمرية قد انكتم عليها المكان فضعفت وزاد عليها المرض وتورمت وأشرفت على الموت وهى تقرئك السلام وتخصك بالتحية والإكرام وتدعوك إليها لأجل أن تنظرك بالعين قبل موتها وأنها يا ملك الزمان تدعو لك بقلبها واللسان وتسامحك فيما فعلت من كل مكان وها أنا يامولاى أتيت إليك وأعلمتك وأديت الرسالة وبلغت المقالة فلما سمع الملك سيف ذلك المقال غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال للجارية امضى أمامى إلى والدتى لعلى أن أدركها

قبل أن تموت وهى غاضبة على والله إنى نسيتها فى السجن إلى الآن وان ذلك أكبر العار ومن الذل والنقصان أن يكلموا فى حق جمع الأقران ويقولوا إن الملك سيف أمه ماتت فى السجن وهى مسجونة بأمر ولدها هذا وقد ساروا إلى السجن وفتحوه وتأمل الملك سيف أمه فرآها غائبة عن الوجود وقد ثماوتك وأظهرت للملك باب المكر والخداع والالم والأسقام وبقت تتمزع على الفراش يمينا وشمالا وهى على ذلك الحال فلما رآها ولدها قال إنا لله راجعون وصعب عليه وتقدم إليها وقد مد عند رأسها وبكى عليها وتحسر وانطلى عليه ذلك الأمر وأحس أن قلبه يتلظى على الجمر وإذا بها وقد فتحت عينيها فرأت ولدها قاعدا عند رأسها فتأوهت على نفسها بمكرها وخبثها وقالت له يا سيف فقال لها نعم يا أماه فقالت يا ولدى سامحنى فإنى يا ولدى تعديت عليك وقد ظلمتك ورميتك وشتتك من بلاد إلى أقصى البلاد وكان ذلك بأمر الملك الجوا واطلب منك ياولدى أن تسامحنى فيما جنيت فإنى ظلمتك وعليك عديت فقال لها يا أماه وأنا أسألك أن تسامحينى وتصفحى عنى ولا تؤاخذينى فقالت له يا ولدى أنت مافعلت معى إلا ما أستحق وأنا ياولدى سامحتك فى كل ما فعلت لأنك على كل حال ولدى ومهجة كبدى وعليك فى كل الأمور معتمدى وأنا أسأل الله تعالى أن يسامحك من قلبى ويبيح لك دمى لأنك معذور فى ذلك ولا ذنب لك وإنى أنا الظالمة لك ثم أنها بكت وأنشدت تقول شعراً:

* * *

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر ... وإنك تعلم ما جنيت مدى الدهر
فيارب فارحمنى فإنى ضعيفة ... ومحتاجة نيل المحاسن والبر
أنا فى أشد الكرب يا خالق الورى ... أقاسى نزاع الموت إذا يأت بالقهر
أموج على فراشى ولالى مساعد ... يسندنى ذات الميامن واليسر

ومسجونة فى طابق السجن ظلمة ... فلا راحما أرجوه فى ضيقة الأسر
وها أنا فى كرب النزاع وحالتى ... تدل على أنى تناهيت فى العمر
أحسن بروحى تنجذب من حشاشتى ... كجذب عصير الماء من الورق الخضر
فيارب صبرى على ما بلوتنى ... فأنت الذى ندعوك بالحمد والشكر

* * *

(قال الراوى) إن قمرية لما قالت ذلك الشعر والنظام لم يتمالك ولدها عقله وضاع ثقله وحارت منه الأفهام وقال: والله تعالى ما أخلى أمى تموت هكذا أبداً ولو أشرب دونها شراب الردى وقد بكى على فعله معها وأمر باخراجها من السجن وأن يحموها ويلبسوها ما يليق لها من الملابس وينقلوها إلى الأماكن العالية فقال الخدم سمعا وطاعة وفعلوا ما أمرهم الملك سيف وأخرجوها ثم حملوها وألبسوها ودخل عليها الملك ينظر حالها فرآها ومرضها فقعد عند رأسها وبكى عليها فقالت له يا ولدى لا تبك الله ينصرك على أعدائك والحساد ويجعل فضلك مشهورا بين العباد ثم أشارت تمدحه وتدعو له وتقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات:

* * *

جار الزمان على جسمى واضنانى ... وهد حيلى وبالأوجاع ابلانى
وكنت مسجونة فى أرض مظلمة ... فمن بالنور خلاقى لأعيانى
لولاك يا سيف يا ولدى فما أحد ... رثى حالى وكل الناس عادانى
مع أننى معك يا ولدى فعلت أسى ... لما رميتك إذ إبليس أغوانى
وهؤلاء الأعادى يبتغو تلفى ... لان فعلى فعل الخائن الجانى
أخذت لوحك والقيت ببلقعة ... وزوجة لك من ظلمى وعدوانى
والحمد لله نجاك الكريم ونلت ... ما تؤمل فى سر واعلان
ارجوك يا ولدى فى أن تسامحنى ... فقد مضى اجلى والموت وافانى
الله يعطيك ما ترجوه من طلب ... من المعالى بافضالى واحسانى
ومن يعاديك يبقى وسط بلقعة ... نهب الجوارح من وحش وغيلان

(قال الراوى) لما فرغت قمرية من شعرها وما قالته من مقالها انكب الملك سيف على اقدامها وصار يقبلها وحزن عليها وقال لها يا أماه لا كانت الدنيا ولا كان هذا اللوح الذى يفرق بينى وبينك فإن شئت خذيه وافعلى به ما بدالك معى فقالت يا ولدى لوحك حفظه الله عليك ويكون مباركا إليك فقام سيف وتركها فى مخدعها من داخل القصر وخرج إلى الديوان ولم يعلم بذلك احد إلى أن انقضى ذلك النهار ودخل الليل بالاعتكار وانفض الديوان ودخل الملك مخدعه وتخفف مما كان عليه من ملابسه وبالأمر المقدر الذى سبق من عند الله خالقه أنه خلع سلسلة اللوح من عنقه ووضعه فى علبة من المعدن ووضع العلبة بين الحيط والمخدة ووضع رأسه فوق المخدة وظن فى باله أن لا أحد يقدر أن يسطو عليه وقال لناهد غلقى باب المخدع فقالت سمعاً وطاعة وأرادت أن تقوم فكان ثقل عليها النوم فنام الاثنان وهذه كلها أسباب مقدرها رب الأرباب ومسطرة على المخلوق فى أم الكتاب **(قال الراوى)** وإن قمرية قامت من مكانها نصف الليل ومشت فى القصر وهى تقول فى بالها إذا رآنى أحد أقول إنى قصدت أن أشم الهواء ومازالت تمشى حتى وصلت إلى مخدع ولدها الملك سيف بن ذى يزن فوجدت الباب مفتوحاً وتأملت تنظر ولدها وهو نائم أويقظان فلم تسمع إلا غطيط النوم فتقدمت عند الفراش فوجدت الملك سيف نائماً على ظهره والملكة ناهد نائمة على ظهرها ولم يكن فى المكان غيرهما ونظرت إلى سلسلة اللوح لم تجدها فى رقبته فزاغت عيناها فرأت العلبة فمدت يدها وأخذتها وفتحتها فوجدت اللوح فيها فلما رأت ذلك عادت إلى مكانها وقد نزع الله الرحمة من قلبها وهى كما قدمنا كافرة فطلعت وقلبها يكاد يطير من الفرح وهى كأنها ملكت الدنيا شرقاً وغرباً ولما جلست فى مكانها وأخرجت اللوح ومعكته حضر عيروض من ساعته وهو يقول نعم يا ملكة الزمان فقالت له أئتنى بالحكماء وهم

سقرديس وسقرديون فقال سمعا وطاعة وخرج من عندها وما غاب إلا قليلا وأوقفهم بين يديها فلما رأوها هنوها بالسلامة وبعد ذلك أمرت عيروضا أن يوصلهم إلى مدينة الدور عند الملك سيف أرعد والحكماء معها لأنها قالت دبروا لى شيئاً أهلك به ولدى ومن معه فقالوا لها يا ملكة هنا ما تبلغى غرضك فمن ذلك طلبت مدينة الدور عند الملك سيف أرعد والحكماء معها فأخذهم عيروض وسارهم فى الجو حتى أنزلهم فى مدينة الدور وكان نزولهم ليلا فقالت قمرية للحكماء إيش عندكم من التدبير فأول من جاوبها كان سقرديون وقال لها قبل ما تفعلى شيئاً اعرضى على الملك سيف أرعد فقالت له والله يا كلب ما أنت وأخوك إلا مثل فوارتين من فخار فارغين لا منكم نجدة ولا تنفعون فى شدة ولكن أنا مثل ما طلبتكم ها أنا عاودتكم إلى ملككم ادخلوا إليه وسلموا لى عليه قالت ردنى يا عيروض مكانى فقال لها سمعاً وطاعة وقالت لعيروض إن ولدى سيف حكى لى من مدة أن أخته عاقصة أدخلته بلاد أفلاطون ومن هناك أخذ القلنسوة منهم وأنا أعلم أن فى قلوبهم منه النار التى لا تطفأ واللهيب الذى لا يخفى لأجل ما فعل معهم وإن هم رأوه يا كلوا لحمه ويشربوا دمه وأنا أمرتك: أن تأخذ ولدى سيف وتسير به إلى مدينة الحكيم أفلاطون فإذا وصلت إليها ناد بصوتك فى القفار وارم على أهلها شرار النار فإذا اجتمعوا وقالوا لك ما الذى تريد منا ولأى شيء بالنار ترجمنا فقال لهم أتعرفون الذى جاءكم سابقاً وسرق منكم القلنسوة التى لملكنا فقال لهم إنه قطعها فإن أردتم أن تقتلوه حتى تأخذوا ثأركم فاخرجوا إلى واسع الخلا كلكم وانظروه معى بأعينكم واشهروا سيوفكم وحرابكم واجعلوا أسنتها فوق وركائزها إلى الأرض حتى أرميه لكم وشيلوه على شفار وسيوفكم وأسنة حرابكم وأنا أرميه لكم من علو مائة قامة فإذا افعلوا ذلك ووقفوا بأسلحتهم كما أعلمتهم وامرتهم فاصعد به إلى الجو الأعلى وارمه على

تلك السهام والسيوف حتى يبقى بدنه كالقطن المندوف وهذه طلبتى يا عيروض لأجل أن يهلك فى هذه النوبة ويموت وعد إلى فى الحال من بعد ذلك الفعال فقال عيروض سمعاً وطاعة وخرج من عندها وبكى وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وسار وهو باكى العين حزين القلب حتى دخل على الملك سيف بن ذى يزن وهو فى منامه ولذيذ أحلامه ولا يعلم ما قضاه المولى عليه فى أحكامه على رأى القائل حيث يقول:

أيا من غرقتم فى الكرى طول ليلكم ... وأظهرتم لهو الهوى وشجون
أمنتم ونمتم واغتررتم ملذة ... ولم تعلموا أن الزمان خؤون
خذوا حذركم من نكبة الدهرانها ... إذا لم تكن كانت فسوف تكون

* * *

قال فانقض عليه عيروض اقتلعه من فراشة وحمله على كاهله وصعد به إلى الجو الأعلى وكانت ليلة شتاء والهواء بارد فأحس به الملك سيف فانتبه من النوم فرأى نفسه طائراً فقال فى نفسه يكون هذا مناماً وزمر الهواء فى أذنه وهو بين السماء والأرض ونظر إلى الذى هو حامله فوجده عيروضاً فقال يا عيروض إيش جرى فقال عيروض الله يزيدك ما أنت فيه من أمك وأفعالها يا ملك أنت مالك عقل ولا تقبل نصيحة ناصح ما كأنك إلا قطعة حجر جلمد يعثر فيك كل واحد كيف تريد أن تبقى ملكاً وسلطاناً ويخدمك الإنس والجان وتدور يدك على حكماء وسحرة وأرباب علوم الأقلام وأحبار وكهان وأنت على هذا الحساب ناقص والعقل خرفان ويدخل عليك بدع امرأة كافرة بالعزيز الديان وتشتت شملك من مكان إلى مكان وأنت ما أنت عاقل كان عقلك ناقص مختلط بحنان أتعبت برنوخ الساحر وأقام أياما وليالى حتى خلص لوحى منها بالاحتيال ولما ملكته فى يدك. كأنك ما تعبت عليه حتى رميته من رقبتك وفرطت فيه وبعدما نفذ القضاء وحكمتنى هذه الملعونة بالقهر لا بالرضا وملكت لوحى وأحضرتنى

وبتشتيتك ورميتك الرمية الخامسة أمرتنى وأنت نائم فى فراشك كأنك عدمت معاشك ولما رأيت نفسك على كاهلى تقول يا عيروض هل ترى إيش مرادك منى حتى اردك لعل الله يرزقك بعارض من السماء ينزل عليك ويقطع الله يديك ورجليك ويحرمنى بعدها عينيك لأنك حرقت قلبى باقطاعة الانس وأوقعتنى فى يدى هذه الملعونة الجنس تفعل بى ما تريد وتحكم فى حكم الموالى على العبيد وصار عيروض يوبخ الملك سيف بن ذى يزن بمثل هذا الكلام الذى كل كلمة منه أمر من ضرب الحسام وما كان سبق له بذلك عادة فقال له الملك سيف إيش الخبر يا عيروض أنا أسألك سؤالاً حسناً وأنت تقول كل هذه الكلام أما تعلم أن الله له قضايا وأحكام ولا منها مفر ولا فيها نقض ولا إبرام فقال له عيروض لعبت عليك الملعونة حتى ملكتنى منك بالحيلة ودبرت عليك المكيدة وخلصت الحكيمين من السجن وقالت لى اذهب بهما إلى مدينة الدور فأوصلتهما إليها وفعلت كما أمرتنى وبعد ذلك قالت لى خذ ولدى وارمه فى مدينة الحكيم أفلاطون وقالت لى ناد على أهلها وقل لهم يفعلوا كذا وكذا وحكى له ما أمرته وقال له هذا جزاؤك لأنك أتعبت نفسك وفرطت فى لوحك وأتعبتنى وملكت اللوح لمن يهيننى وكل مرة أرميك من مكان وهذه المرة السادسة وإذا كنت سلمت من المرات الأولى فما أنت سالم من هذه النوبة وهذا آخر الكلام بينى وبينك فلو كان أحد غيرك ما خاطبته بخطاب ولا رديت عليه بجواب فلما سمع الملك سيف من عيروض هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاماً وأيقن بشرب كأس الحمام فقال يا عيروض أنا فى عرضك أنك أن تسلمنى للأعداء فإنهم يهلكونى ولا يرحمونى وأنت يا عيروض تعلم على طول الأيام كما تقول الحكماء والكهان مصيرك لى فإذا صنعت معى الجميل يبقى لك عندى مقام جليل وأنت تعلم أن هذه أقدار نافذة وكل أول له آخر ومصير هذه القضايا تنفذ والجميل عندى ما يضيع وهذه حاجتى

عندك فإن أنت انقذتني من هذه ابقى اعرفها لك على طول الزمان فقال عيروض يا أبا دمر وحق النقش الذى على خاتم سليمان لولا أنى محكوم ولم أفرط فيك فى أمر معلوم ولو كان الأمر لى لأقاتل بين يديك حتى تغوص الجبال تحت النخوم فقال الملك سيف أنت وأصلك يا عيروض ثم إنه بكى وأن واشتكى وعاد إلى طبع العرب فأعرب واطرب وأنشد يقول صلوا على طه النبى الرسول:

* * *

جار الزمان وعاداني وعذبني … بالضعف والسقم اضناني واسقمني

وبلاه من حر أنفاس أرددها … على فؤادي فيصلى حرها بدني

كان دهري حسودا لي فأهلكني … وكلما يقتضى ما بي فيظلمني

أمي رمتني مراراً من طبائعها … والله من مكرها مازال ينقذني

ورام برنوخ يرديها فقلت له … لا تؤذ والدتي بالقتل تعدمني

قد رضيت لها بالسجن وقلت عسى … تتوب عن سائر الاضغان والاحن

فدبرت لي عظيماً من مكايدها … واقبلت في دياجي الليل تغدرني

اللوح قد سرقت مني وقد بلغت … كل المقاصد بي وازداد بي حزني

ثم انتبهت وعيروض يحملني … بأمرها ولأعدائي يسلمني

فقلت استاهل الخسران يلحقني … إني رحمت عدواً ليس يرحمني

أسلمت أمري لرب قادر حكم … أرجوه من يد أعدائي يخلصني

* * *

(قال الراوى) ثم إن الملك سيف بن ذى يزن بعد ذلك الشعر والنظام قال يا بن الأحمر أنا ما أعتمد إلا على الله عز وجل فإنه وعدني بالخلاص من جميع المكايد من أمي ومن غيرها وكل الشدائد وأنت إن ألهمك الله بشيء تفعله معي يبقى لك على به الجميل وإن لم تعرف شيئاً فأنت معذور فقال عيروض والله يا ملك لابد أن أبذل مهجتي دون مهجتك حتى تخلص من

كربتك ثم إن عيروضا أتى إلى جبل عال ووضع الملك سيف ابن ذى يزن [illegible] ثم غاب زمانا طويلاه وأتى ومعه شجرة أرز قلعها من أصلها بفروعها وأتى بها ورمى فروعها وجوفها وأدخل الملك سيف بن ذى يزن فى جوفها وسد فمها بحجر وقال يا ملك أنا أفعل الذى أعرفه والله تعالى يدبر ما يشاء بقدرته فقال له الملك سيف وإيش منفعة دخولى فى هذه الشجرة فقال عيروض ياملك إذا وقعت فى وسط العدا وضربوك بالسلاح فإن هذه ترد عنك السيوف وأسنة الرماح حتى يفعل ما يشاء الملك الفتاح ولكن قد خطر لى خاطر فإن صح فما أكون على مثلك مخاطر ثم إنه تركه وغاب ساعة وعاد يضحك مشروح الفؤاد فقال له الملك سيف بن ذى يزن إيش أضحكك يا عيروض فقال يا ملك قضيت الحاجة وأنت سالم فلا تكثر اللجاجة الحاجة التى قضيت يا عيروض فقال له لا تكثر الكلام وأخذه وطاريه فى الجو وهو فى قلب تلك الشجر ملازماً للذكر والتسبيح لله تعالى ولسانه لا يغفل عن ذكر الله طمعاً فى عفو الله كل هذا وعيروض طائر به حتى أنه وصل إلى مدينة أفلاطون وأنزله على جبل قريب منها وسار إلى أن بقى فوقها وصار يرمى شرراً وناراً من فمه حتى أزعج الناس ونادى بصوته وقال يا أهل هذه المدينة اسمعوا ما أقول لكم من المقال واعلموا أنى مارد من مردة الجان واعلموا أن أفلاطون الحكيم كان قد خلف لكم قلنسوة كل من لبسها يخفى عن أعين الناظرين ولما كبر أولاده وكل منهم طلب أن يأخذها فاتاكم رجل من العرب واحتال عليكم وأخذها وأنا علمت بذلك فحملته وأتيت به إليكم لما علمت أنه غريمكم وقد أتيتكم به لتقطعوه بسيوفكم وتحملوه على أسنة رماحكم فقالوا له ارمه فقال لهم حتى تطلعوا إلى خارج البلد واقف به على رؤوسكم مثل العلامة وأرميه عليكم من خمسمائة قامة فقالوا له وحياتك لا ترمه كما تقول فإنك إن رميته من علو نصف ميل فما يصل إلا وهو قتيل هيا اقذفه لنا حتى نشفى بقتله أكبادنا

ونأخذ منه بثأرنا فعند ذلك صعد به عيروض إلى العلا وألقاه من يده إلى ذلك الملا فنزل الملك سيف فى قلب تلك الشجرة وهى تتقلب وهو فى قلبها كأنه الأكرة ورأسه يخبطها خشب الشجرة والحجر حتى صار قريبا من الأرض مقدار قامتين وإذا بشىء وثب تحت الشجرة وحملها وصعد بها إلى الجو ثانيا هذا وأهل المدينة جميعا واقفين منتظرين أن ينزل لهم يربطوه وبأسيافهم يقطعوه فما شعر إلا وهو قد ارتفع ثانيا إلى العلا وعن قليل غاب عن أعينهم فى السما يسبح فى الفلا فصاحوا على عيروض وقالوا أين غريمنا اقذفه لنا كما وعدتنا وكان عيروض لما رماه من يده راح إلى حال سبيله ولم يسأل عما جرى وسلم امره لصاحب المشيئة والقدرة وأما أهل المدينة فإنهم قال بعضهم لبعض كأن عقولكم غابت من رؤوسكم هل تعلمون أن هذا المارد كان بينكم وبينه ميعاد حتى يأتيكم بغريمكم وتأخذوا منه بثأركم وما هو إلا مستهزئ بكم ومستخف بعقولكم فقالوا له وما حمله على أن يقول لنا هذا المقال ونحن رأينا معه شيئاً غليظ من الخشب على صفه التمثال فقال لهم وهذا من جملة الضلال وهل رأيتم الأخشاب فيها رجال ثم إنهم لاموا بعضهم على ذلك الحال ودخلوا مدينتهم وهم يضحكون على تلك الفعال وأما الذى أخذ الملك سيف بن ذى يزن فهى عاقصة بنت الأبيض. فى ذلك أن عيروض لما أعياه الحال وخاف على الملك سيف من الهلاك والنكال تركه كما ذكرنا على الجبال وطار فى الجو الأعلى وما زال حتى وصل إلى الأرض التى يعلم أن عاقصة وأباها وأمها لابد لهم من الإقامة فيها وهى بجانب منابع النيل وضرب قصر عاقصة باجنحته فقالت عاقصة :

من أنت يا من طرقت قصرى   ولم تخف سطوتى وشرى

فقال لها أنا عيروض خادم أخيك وقد أتيتك فى أمرمهم وهو أن أخاك احتالت أمه عليه ثانيا وأخذت اللوح منه وأمرتنى أن أرميه بأرض أفلاطون

بعد أن أنادى عليهم وأقول لهم احضروا سلاحكم وألقيه عليهم من مائة قامة فإذا فعلت ذلك وملكوه أهلكوه وها أنا قد اتيتك اعلمك فقالت له وكيف جازلك أن تعلو على مدينة أفلاطون فقال لها لأجل أن آمرهم بالخروج خارج البلد فادركيه عند نزوله والا فإن تمكنوا منه فما تقدر بعدها عمرنا تراه ولا نخلصه فقالت له صدقت يا أخى ثم إن عاقصة قامت مثل المجنونة وسارت خلف عيروض كأنها البرق واسود فى عينها الغرب والشرق حتى وصل عيروض إلى الجبل واخذ الشجرة وراح إلى مدينة أفلاطون وقال ما قال ورمى الشجرة والملك سيف بن ذى يزن فى قلبها وانقضت عاقصة واقتلعتها وسارت به إلى قصرها وهى تقول وامصيبتاه وا أخاها وكسرت الشجرة وفلقتها من بعضها ونظرت إلى الملك سيف بن ذى يزن وقد توهن منه البدن واشرف على الاتلاف والمحن فلما رأته لطمت على وجهها واكلت لحم زنودها لأنها رأته كأنه الخشبة اليابسة مما أصابه فقالت إنه مات وانقضى نحبه فجعلت تبكى وتنتحب وتقول يا حسرتى يا لهفى عليك ياليتنى من الاسواء اكون لك الفداء وانشدت تقول:

* * *

كذلك صنع الدهر بين الحبائب   يريهم هواناً بعد إعزاز جانب
فلا كانت الدنيا ولا كان عيشها   ولا كان صبح للأمانى الكواذب
أخى انتبه وانظر تجدنى حزينة   لفقدك يا نسل الكرام الأطايب
وحق الذى حج الحجيج لبيته   ومن يذكر المولى يجنح الغياهب
لأحرق سلطان الحبش وبلادهم   وأفنى من السودان جمع الكتائب
فيا حسرتى يا لقلبى وحرقتى   ووجدى ونيران الحشى والترائب
فلا كان لى من بعد بعدك عيشة   إذا لم أخل المدن قفر الجوانب
وأول من أرديه أمك يا أخى   وكل حكيم سىء الظن خائب
سلام على الدنيا إذا كان واحدى   يموت وأبكى بالدموع السواكب

* * *

(قال الراوى) ولم تزل عاقصة تبكى عليه وهى تظن أنه مات فقعدت قدامه على هذا المنوال وضاقت بها الأحوال وأما عيروض فإنه رجع إلى قمرية وأخبرها بما فعل فقالت له راح ابن اللئام ولا بقى لى عليك ملام فامض إلى حال سبيلك بسلام وجلست قمرية فى قصرها والناس لا يعلمون ما فعلت من مكرها وغدرها ولما كان الصباح انتصب الديوان وجليت أرباب الدولة وانتظروا الملك سيف أن يخرج إليهم فما خرج حتى اضحى على الناس النهار وهم لملكهم فى الانتظار فقام الملك أفراح إلى قصر بنته شامة وقال أين الملك سيف فقالت له يا أبى ما كان عندى بل كان عند الملكة ناهد فأرسلوا إلى ناهد فقالت لهم فقد ليلا فذهبوا لأمه فقالت لازموا مكانكم ولا تكثروا الفضول فكل من تعرض لى فإنه يكون أول مقتول لأنكم تعلمون أن هذه مملكتى وبلادى فلا أحد يعارضنى فقالوا لها يا ملكة علمينا إيش الخبر فقالت لا أعلم فأول من خاف على نفسه الملك أفراح وسعدون وأتباعهم فما كان منهم إلا أنهم دخلوا على برنوخ الساحر وقالوا له انظر لنا إيش جرى فى ملكنا فقال لهم هذا شيء بامر الله تعالى ومالعبد منه مفر وهذا قضاء وأحكام وتدبير الملك العلام فقالوا له يا حكيم الزمان وهل نتفرق إلى ما كنا ونخلى هذه المدينة لتلم الملعونة وإلا فأنت تقدر عليها وتحجزها عنا فقال لم أنتم تلزمون أماكنكم وتقيمون على حفظ المدنية حتى يحضرها صاحبها وأما قمرية هذه فأنا اتجرد لها وأحاربها ولا أخليها تسخدم لوح عيروض ولا يبقى فيها عصفور إلا وهو مرضوض فقالوا له افعل ما بدالك وانصرف كل منهم إلى مكانه ولهم كلام.

(قال الراوى) وأما عاقصة فإنها حركت الملك سيف وصارت تقلب أعضاءه حتى وضعت يدها على قلبه فرأت فيه الروح فصارت تأتى بما وتبل به يديه ورجليه طول لتلك الليلة حتى طلع الفجر فلما أعياها الحال

رفعت طرفها إلى الله الكبير المتعال وقالت اللهم يا عظيم العظماء ويا باسط الأرض ورافع السماء أسالك بما قد ذكرت به من أعظم الأسماء وبحق من يسبحك ويقدسك فى النور والظلماء وبحق الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين والملائكة المقربين أن تستخر لى من يحقق خبر أخى عن يقين إن كان من الأحياء السالمين أو من الأموات الهالكين فأنك أنت الله الملك المبين يارب العالمين فما أتمت الملك عاقصة دعاها حى سمع الله نداها وأرسل لها من ينقذها من بلواها ودخل عليها آدمى من الحكماء وهو راكب على زير من النحاس الأصفر وذلك الزير له أجنحة من النحاس وهو من العجب العجاب. ولم يزل نازلاً حتي صار بجوار عاقصة وقال لها لا تبكى ياعاقصة عليه فقد أرسلت من أجله وأتيت بالدواء فلا تخافى عليه واعلمى يا بنتى أن له الأجل المديد ويعلو قدره على الأحرار والعبيد ويحكم على ممالك الحبش والعرب والبرارى والبحار والقفر والبيد بإذن الله تعالى الملك المجيد خدى هذه الثلاثة حقاق فادهنيه بالأول فإن العروق تضرب ساعة الدهان. والثانى ضعيه فى فمه؛ فإنه يرطب اللسان. والثالث قطرى له منه فى أذنيه فإنه لا يسمع شيئا من الكلام إلاَّ بهذا الدهان فإن الهواء أصم منه الاذان فافعلى ما قلت لك من الأحكام ومنى عليك السلام فقالت له عاقصة يا سيدى ومن تكون أنت من الإخوان فقال لها لا تسألى عنى فى ذلك الأوان بل انتبهى لذلك السلطان واحتفظى عليه يا بنت الكرام فسوف يظهر لك من أنا والسلام بإذن الله الملك الديان ثم ركب على الزير وطلب البرارى فى المسير. وأما عاقصة فإنها أخذت الثلاث كما وأقبلت على الملك سيف وجردته من ملبوسه ودهنته بذلك الدهان الذى فى الحق الأول كما علمها الحكيم. وبعد ذلك لفته فى ثيابه وحفظته من الهواء. وقطرت الثانى فى فمه مثل تقطير الدواء. وقطرت الثالث فى أذنه فلما فعلت ذلك خرج ماء من أذنه أصفر كثير وسال على الأرض وله خرير وبعد ذلك تحرك الملك سيف بن

ذى يزن وارتعشت أعضاؤه ودبت فيه الروح بإذن رب الملائكة والروح. وتحركت عروقه ولعبت شفتاه ولسانه وبعد ذلك عطس وقال الحمد لله على كل حال لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله وفتح عينيه فوجد عاقصة حواليه وهى تبكى وتنوح عليه فقال لها فى أى مكان أنا يا عاقصة فقالت له أنت يا سيدى عندى فى جبال القمر ومنابع النيل وأنت فى قصرى أيها الأخ الصادق فقال لها ومن أتى بى إلى هذا المكان ووضعنى هنا فقالت له ماجاء لك إلا أنا وأنت يا أخى أطلقت أمك من شفقتك عليها وها هى يا أخى من شفقتها عليك أمرت عيروض أن يرميك فى مدينة أفلاطون وكادت تسقيك كأس المنون ولو لا أن عيروض أتانى وهو مثل المجنون ولحقتك بعدما حكى لى على ما فلعت أمك من العجائب والفنون وأدركتك وأنت فى حال ماتسر الحبيب وكان رماك عيروض من علو مائة قامة وأشرفت على الهلاك بعد السلامة وأخذتك يا أخى وأنت على ذلك الحال وأنا أبكى ولا شىء بيدى وأنا معك وأنت لا تحدثنى ولا تسمع لى كلام وأنت فى غاية الانعدام لولا أن الله أرسل لى حكيماً راكباً على زير من النحاس الأصفر. وأعطانى ثلاثة أحقاق مملوءة بأصناف من الدواء فما كنت أظن يا أخى أنك تشم نسيم الهواء ولقد سألته عن اسمه فما أخبرنى يا أخى والحمد لله على سلامتك فإن الله بعد كسر قلبى جبرنى وإن شاء الله على أمك هذه الملعونة ينصرنى فقال الملك سيف: يا أختى جزاك الله عنى كل خير فلقد انقذتينى من كل سوء وهم وضير فقالت له: يا أخى روحى فداك ولا شمتت بك إعداك فهنالك تفكر الملك سيف متعجباً كيف نجاه الله بعدما أشرف على موته وفناه وسخر له عاقصة تخدمه وترعاه وأرسل له ذلك الحكيم حتى أتى له بدواء فقال اللهم لك الحمد على كل حال وتبارك الله المهيمن ذو الجلال وقال يا عاقصة يا أختى هل عندك شىء من الزاد حتى أسد به رمق الفؤاد فقالت سمعاً وطاعة وقدمت له عاقصة الزاد وهى فرحة وكلما

نظره وتجده على قيد الحياة تشكر الله تعالى على بقائه وبعد ذلك قال لها يا عاقصة يا أختى أريد منك أن توصلينى إلى المدينة الحمراء بلدى حتى اريك ما أفعل بتلك العاهرة أمى وأقابلها على فعلها الذميم وأصب عليها العذاب الأليم فقالت عاقصة لا وحق الرب الكريم رب موسى وإبراهيم وحق مانقش على خاتم سليمان من الأسماء والطلاسم والترسيم أنا لا أريد أن تسير من عندى إلى بلادك وأطلالك إلا بعد مضى ثلاثة أشهر حتى أجدد معك صحبة ومؤانسة وراحة يزال بها مارأيت من عيروض فى الجو والآكام وهو حاملك على كاهله وطائر فى الهواء وأنا أتبعه بالحيل والقوى والشدة العظمى إلى أن وصل إلى مدينة أفلاطون ونادى على أهلها فخرجوا له من كل سرب كأنهم محاربون للعرب والعجم وأنا أنظر ذلك وقلبى يتقلب على الجمر وما صدقت أنا أتلقفك بعدما القاك من علو مائتى وأعجب من هذا كله أنى لما اتيت بك وأنا فرحة وفلقت الشجرة ووجدتك عديم الحركة كأنك ميت منذ شهر فانقلب علىّ الفرح ترح وقلبى من ذلك انشرح وبقيت أصرخ والتفت على الشمال واليمين ولم أجد ناصراً ولا معيناً إلا رب العالمين وهو الذى من على بكرمه ولطفه وأرسل لنا رجلاً حكيماً لا نعرفه فأعطانا هذا الدواء وكان الشفاء بإذن فالق الحب والنوى يا أخى أتعب نفسى لأجلك هذا التعب. وأهين نفسى هذا الهوان وما ينوبنى أن أتمتع برؤيتك شهرين أو ثلاثة من الزمان ولكن افرض إنى ما لحقتك ولا أنقذتك وكأنك الآن فى تشتيت أمك وإن كان عذرك يا أخى من أجل حريمك فأنا أحضر لك زوجيك الاثنتين ولا يردهما عنى عيروض ولا كل من سكن القرى والعروض وأما أمك هذه التى استخفت عقلك وكل ساعة تحتال عليك فوالله مالها عندى إلا ساعة تجعل الأجسام والأرواح من حولها مرتاعة وأعرفها من يكسب ومن يخسر فى هذه البضاعة فإن كانت أمك كارهة أن تنظرك فأنا والله يا أخى ما أستغنى عنك وإن كان قصدها أن تهلكك وتحرمنى منك

فأنا لا بدلى عن قريب أحرمها من روحها ومهجتها وأجعل شر الموتات موتتها وأنا أعلم أنه ليس فى ذلك رضا منك ولكن أنا لا أبالى بك أن كنت تغضب أو ترضى فضحك الملك سيف بن ذى يزن من كلامها وعلم أن هذا من رأفتها عليه فقال لها يا أختى أكدت هذه الأيمان وأنا يا أختى مثل ما تحبينى أحبك ولكن إذا أقمت أنا عندك فى هذه البلاد تشمت بى الأعداء والحساد ويظنون أنى قتلت وشربت كأس الذهاب والنفاد ويضيق صدرى على من العساكر والأجناد فقالت له وأنا أيضا حلفت الأيمان ولا أبقى لك براح من هذا المكان إلا بعد مضى الميعاد فقال لها لابد لى من القعاد فقالت نعم وحق خالق العباد وجاعل الجبال أوتاد فقال لها إذا كان الأمر كذلك فأنا أطاوعك على الإقامة ولكن بشرط أن تسيرى أنت من هنا إلى حمراء الجبش وتنظرى كيف حال شامة وابنيها دمر وناهد والملك أفراح وسعدون الزنجى والملك أبو تاج وما فعلت اللعينة قمرية من الأفعال الردية حتى أنى إذا أقمت يا أختى أبقى مطمئناً من المصائب والمحن لكن لا تحكى لى إلا بصحة البرهان فإنى أحلفك بالنقش الذى على خاتم سليمان فقالت له يا أخى سمعا وطاعة ثم إنها تركته على حالته ومضت تكشف الأخبار عن مملكته وسارت إلى مدينة حمراء الحبش وكشفت الأخبار وعرفت كل ما جرى من الآثار ثم رجعت فرحة ضاحكة مستبشرة فلما رآها الملك سيف على ذلك الحال اطمأن قلبه وقال لها يا أختى أعلمينى بالخبر وما جرى على أهلى وجنودى من العبر فقالت يا أخى أعلمك بما يسر خاطرك فلا تخف على أهلك ولا تحزن واعلم أن أمك فى غاية الضيق وقد عدمت السعادة والتوفيق وسلط الله تعالى عليها العذاب الذى هو أشد من نار الحريق وابتلاها الله بما لا تطيق فقال لها أعلمينى كيف ذلك فقالت اعلم أن رجالك لما أصبحوا لم يجدوك قاموا ينتظرونك كالولهانين والملعونة قمرية طابت وظهرت لهم فخرجت عقولهم فذهبوا إلى برنو خ الساحر

وقالوا له انظر لنا ملكنا وما الذى جرى عليه لأننا يا حكيم خائفون ومن غيبته مرعوبون فقال سمعاً وطاعة ثم قام ودخل إلى محل أشغاله وضرب تخت الرمل وبين أشكاله واستنطقه وإذا به ظهر له كل مافعلته قمرية بالملك سيف وأنها احتالت عليه ليلاً وسرقت منه اللوح وأمرت الخادم أن يحدفه إلى بلاد أفلاطون فقال برنوخ الساحر لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم ثم إنه أخبر رجالك جميعهم فاغتاظوا وازادوا هموماً وأمّا برنوخ فإنه امتزج بالغضب وعبس وقطب واشتعل قلبه بالنار واللهب وقال كيف يكون الحال حرمة كافرة تفعل هذه الفعال وتزرى بالملوك أهل الأفضال وأنا والله ما أرضى بذلك الحال فقال له الرجال يا حكيم الزمان أنت تعلم أنها فعلت مع ملكنا ما فلعت ومعها ذلك اللوح ولابد لها من عمل مكيدة فينا من مكايدها فإنها فعلت مراراً بولدها فقال لهم برنوخ أنا أريحكم منها ثم إنه فتح جربنديته وأخرج منها ورقة وكتب فيها أسماء وطلاسم بمعرفته وسودها بالحبر الأسود ووضعها فى يده اليسار وصار يقرأ العزائم عليها حتى طارت من يده والناس ناظرون إليها ومازالت ترتفع حتى على أعلى القصر الذى للملكة قمرية واتسعت قليلاً قليلاً حتى صارت مثل القبة السوداء فوق القصر وافترشت عليه من الأربع جوانب وأحاطت بالقصر من كل مكان وجانب فصار القصر أعلاه ظلام وأسفله ظلام ونزلت على قمرية كل رزية وبلية واندهلت فى عقلها وتحيرت فى أمرها ونسيت لوح عيروض وهو على زندها ورأت قدامها تخيلات وعجائب مستغربات وإذا خرجت من باب القصر تتصور لها الجان فى صفة طيور وعقبان وشاغلها الخوف والرجفان فمن ذلك انحصرت فى قصرها وكادت أن تعدم علقها وسمعها وبصرها وعلمت حقيقة أن هذا من أفعال برنوخ الساحر وهو يجازيها على فعلها بسبب الملك سيف ولدها وصارت كلما تريد أن تمد يدها إلى لوح عيروض يثقل ذراعها وزندها وعلمت أن كل ما حصل لها من تركيب الحكيم برنوخ

الطلسم وافترسها بالسحر وعلم القلم وكان برنوخ أراد أن يخنقها بالطلاسم ويعدمها مهجتها ويهتك بين الناس رمتها ولكن خاف الملامة من الملك سيف فبعدما فعل فى قمرية ذلك الفعال وأنه أنزل بها الذل والنكال خرج إلى الديوان وطلب الملك أفراح وقال له يا ملك اعلم أن زوج ابنتك معذور فى أشغال منعته عن الحضور فاجلس أنت مكانه ويكون معك ولده دمر حتى تعلم الملعونة أن الملك سيف ابن ذى يزن إذا مات له خلف باقٍ وهذا أول فرع من فروع الإيمان وأصل الغصن محفوظ بقدرة الله العزيز الديان واجلس أنت وابن الملك على كرسى الديوان وعلى يمينك سعدون الزنجى وأنا على يسارك وهذه جندك وأنصارك فقال له الملك أفراح سمعاً وطاعة وانتظم الديوان بهم من تلك الساعة وبعد ذلك ركب برنوخ على زير من النحاس وعزّم عليه فطار به إلى الجو وسار إلى كنوز اليونانيين وأخرج ثلاثة أحقاق محكمة وراح إلى قصر عاقصة وأعطاها الأحقاق وعلمها كيف تفعل بهم ورجع برنوخ الساحر وجلس فى الديوان ولم يعلم أحداً بذلك الشأن وأقاموا ينتظرون أخبار الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ مطمئن قلبه بتلك الأسباب وجاءت عاقصة واجتمعت ببرنوخ وأعلمها ما جرى وأوصاها بكتمان الأسرار وقالت له أنا حلفت عليه يميناً لا أكلمه تسعين يوماً فأرجوك لا تؤاخذنى وعادت إلى الملك سيف وأعلمته بما رأت عيناها فلما سمع الملك سيف من عاقصة ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال لعاقصة بشرك الله بكل خير كما أرحتى قلبى من الهم والضير وأقام عند عاقصة يأكل ويشرب ويلتذ ويطرب حتى مضت مدة التسعين يوماً التى وقع عليها اليمين بالتمام ثم قال يا عاقصة ها قد مضت الأيام ولا بقى لى صبر ولا أقدر على المقام فردينى إلى بلادى وزوجتى وأمى وأولادى فقالت له كيف أوديك إلى هاتيك التى كل ساعة تؤذيك فقال لها يا أختى اصنعى معى جميلاً فما بقى لى صبر عنهم لا كثير ولا قليل فقالت له عاقصة السمع

والطاعة ثم إنها قامت واحتملته على كاهلها وطلبت الجو الأعلى وارتفعت به إلى العلا وسارت به وإذا به يشم رائحة حسنة طيبة ذكية فقال يا عاقصة قالت لبيك فقال لها ما هذه الرائحة فقالت له لا تسأل يا أخى عن هذه الأحوال ودعنى أوصلك إلى منازلك والأطلال فقال لها يا أختى أعلمينى فقالت له هذه رائحة الوادى المعلم وبستان النزهة المطلسم وهو مصنوع بعلم القلم وبحكمة أرباب السحر والكهانة والآن اسمه بستان الحكماء لا يقدر أن يجوزه أحد من الأنام لأن الحكماء صنعوه لأجل بناتهم يتنزهون فيه وغيرهم لا يخطر فى نواحيه وإن دخله أحد غير أولاد الملوك العظام تحمله الخدام إلى البر والآكام ويهلكونه ويشرب كأس الحمام **(يا سادة ياكرام)** إن هذا الكلام تقوله عاقصة للملك سيف بن ذى يزن تخوفه لأجل أن يتركه ولا يطلب منها أن ينزل ذلك البستان ولايتأخر فى ذلك المكان فقال لها الملك سيف يا أختى يا عاقصة أنا اشتهيت أن أتفرج على ذلك البستان وأرى مافيه من الفواكه والأشجار مع الأزهار والأثمار والألوان فقالت يا أخى اسمع منى ما أقول ولا تعاندنى فى مشورتى فما لك به حاجة فطاوعنى وأبطل اللجاجة ودعنى أوصلك إلى بلادك فإنى ما أريد لك إلا كل الخير وأخاف عليك من الشر والضير فقال لها الملك وقد زاد به الحمق وأنا ما اسمع مشاورتك فى ذلك ولا أقبل نصيحتك ولابد لى من الفرجة على ذلك البستان والنظر إلى حكمة أهل ذلك الزمان وأقسم عليك بالنقش الذى على خاتم سليمان وبالهيكل الكبير الذى يحكم على جميع الجان لأنى إذا رجعت إلى أهلى وقومى وقلت لهم إنى مررت على بستان النزهة يقولون لى أخبرنا عن الذى رأيته فيه عيان فإن لم أصفه لهم يضحكون علىّ ولا يجوز لى أن أكذب فإن الكذب يشين الرجال فقالت له وأنت لأجل ذلك السبب تريد الفرجة فقال لها نعم ولا بد من ذلك يا أختاه فقالت له سمعاً وطاعة ثم إنها هبطت به على الأرض وقد كاد أن يغشى عليه من تلك الراحة الزكية

وقالت لـه عاقصـة يا أخى إنى أريد لك النـصيحة لـله فإنك والله مـا تهون على الآن بينى وبينك عـهـد الله وإن كان الـحـذر لا يمنع القـدر فقـال الملك سيف بن ذى يزن ياعاقصة من أى شـىء تحذرينى فقالت له أحذرك من أمرين إن فى هذا البسـتـان منظرة وهى محتكمة بعلـوم الأقلام معمرة فـإذا رأيتها فلا تقربهـا ولا تنظر إليها بعينك فإن ذلك الحظ الأوفر والـثـانى أنك لا تقعد فيه أكثر من ساعتين أو ثلاثة وإن قـمت فيه أكثر من ذلك فإنك تشرب كأس المهالك وهذا ما عندى لك من النصيحـة ولا تقرب أشجار ولا تقطـف مما عليهـا من الزرع ولا من الأثمار تطلب بذلك الرائحة الـطيبة مثل البـهار لأن هذا كله بالكهانة والأسحار فالحـذر ثم الحذر ثم الحذر يا أخى لا تخالفنى لئـلا تتلف نفسك ولا أقـدر أن أتعرض لك فـإن الخـدم تتلفنى فقـال الملك سيف السـمع والطاعة فقالت له سـر على بركة الله تعالى وها أنا قـاعدة لك أنتظرك فى هذا المكان حتى تـتفرج يا أخى وتعود بأمـان لأنى ما أقدر أن أجوزه لا أنا ولا غيـرى وقد أعلمتك فلا تتعب سرى فـسار الملك سيف بن ذى يزن قاصـداً باب البسـتان وهو متـوكل على العزيز الديان فـرأى بابه مفـتـوحاً وعليه روائح كـأنها العنبـر تفوح فتعـجب الملك سيف ودخل فـرأى سواقى ودواليب وأغـراساً وتكاعـيب. والسواقى دائرة من غـير أحـد يديرها ومـزروعات البستان من كل شـىء زوجان صنوان وغيـر صنوان مثل خوخ ورمان ومشـمش ولوز وجوز وبندق وفستق ألوان كل الأصناف الحـسان وكذلك تفاح مشطب وتين وعنب مكعب وسـفـرجل مـذهب وليمـون مـركب واترفاتى ومشـمش حـمـوى وخرسـانى ونرجـس وياسمـين وورد ونسـرين وآس وريحـان وشـقـائق النعمـان ونظر إلى طيور علـى الأغصن تسبح المـلك الديان بجميـع اللغات المختلفة الألسن والبـيان فالقمرى يسبح ويجاوبه العـصفور والكيروان وإن يناغى فيسجع الشحرور وجمـيع الطيور تسبح وتذكر الله الملك الغفور لا إله إلاّ هو ألا إلى الله تصير الأمور وهذا البستان كما قيل فيه:

* * *

يا أخى الخـزم لا تـكن مـتـوانياً ... قم وشـاهد محـاسن البـسـتـان
ادخل البـاب انظر التـمـر اليـا ... نـع وانظـر أحـاسن الألـوان
وعليل الـنسـيم يـعـبث بالمـا ... وسـجع الشـحـرور بالألحـان
وغـصـونا يحـملها معـجـبات ... وقـدود تمـيس مـيس الـغـوانى
وإلى الـورد والأزهار فـيـهـا ... وإلى اليـاسـمـين والأقـحـوان
جل ربى مـصـور الخلق جـمـعا ... وتـعـالى مـكـون الأكـوان

* * *

(قال الراوى) ثم سار الملك سـيف بن ذى يزن يمشى فى ذلك البسـتان وهو ينظر يمـيناً وشمالاً وخلف وأمـام فنظر الدواليب دائرة والسـواقى ناعرة والطيـور على الأشـجار طائـرة ومازال كـذلك حـتى أقبـل إلى المنظرة التى حذرته منهـا عاقصـة وقالت لا تقربهـا فلما قرب منهـا رآها نزهة للناظرين وبهجة للمبتهجين وفيها تتحـيـر عقول العارفين مركبة على أربعين عمودا من الفضـة وبين العمود والثانى شـباك من النحاس الأصـفـر بأطواق الذهب الأحمر وفى دائرها من داخل مسطبـة واحدة تدورها من الباب للباب وهى من النحاس علوها نصف قامـة وعرضها أربعة أزرع وهى كلها مخـازن للاحتياج ومفروشة بالإبريسم وعليها فروش كلها بالقلم لا يعلوها غبار ولا تطوى ولا ترفع من أرض تلك المنظرة كلها بالحـجر المرمر وفـيها كراسى مصـفحة بالذهب الأحمـر ومكللة بفصوص الجـوهر وهى أربعون كرسيـاً وكل كرسى منهـا قـدام خـزانة مـن تحت المـسطبـة وبابهـا من الـنحـاس وخلف ذلك الكرسى إشـارة إلى أن كل من كـان له كـرسـى من تلك الـكراسى يكون له خزانة من تلك بالذهب فتندم الملك سيف وهو يتعجب وفتح باب خزانة وإذا بهـا منفرشـة من داخلها الخـزائن وهى كلها من نحاس أصفـر ومكسـية الحيطان من الحرير المدير وفيها بدلة نسيجها من شرائط الذهب والفضة

أزرارها من فصوص المعادن شىء لا يقدر عليه إلا الملوك أصحاب القلاع والقرى والمدائن والبدلة فى بقجة من الحرير ففتح الملك سيف جميع الخزائن فوجدها على ذلك المثال فعلم أن كلام عاقصة صحيح وأن هذه البدل لبنات الملوك اللاتى يأتين إلى هذا المكان محمولات على أكتاف الجان وأراد أن يعلم هل كل بدلة لها صاحبة مخصوصة أم الكل لصاحبة هذه المنظرة وكل من أتى يلبس منها فتأمل فلقى كل سبع بدل على لون واحد لا تختلف فقال الملك سيف وعلى أى شىء هذا البحث سبحان من يعلم ما الناس عليه لكن يا ترى أنا رأيت هذه البدل وإيش يكون أوصاف من يلبسونهم وأنا أقول إن أصحابهم لم يكن لم نظير فى الدنيا فأنا لا أخرج من هذا المكان إلا إذا حضرن صاحبات هذه البدل وأنظرهن بالعيان هل هن من الإنس أو من الجان وأن عاقصة ما حذرتنى من أنى أقرب هذه المنظرة إلاَّ لكونها فيها شىء يؤذينى ثم أبعد عن تلك المنظرة وأقبل إلى مكان فيه أعشاب طويلة غزيرة وجلس فيها وهو ينظر إلى تلك المنظرة **(قال الراوى)** فهو جالس وإذا طيور أقبلت من البر طائرة وهى إلى نحو ذلك البستان متبادرة وما زالت ترفرف وتنزل حتى هبطت قبالة تلك المنظرة ونزلت على سقفها منحدرة ثم إنها زامت على بعضها وانتقلت على رفرف مصنوعة لها من أجل النزول والعلو عليها كل هذا والملك سيف ينظر إليها ويقول ما أكبر هذه الطيور وبقى يتفكر وإذا بطائر منها نزل إلى الأرض وصار ينظر عن يمين وشمال وخلف وأمام ورفع رأسه وقال لرفقته انزلوا والمكان سالم وليس فيه أحد من العالم فلما أن سمعت منه ذلك الطيور نزلت جميعها حذاءه مثل ما ينزل الحمام على الحمام كلها تابعة للطير الأول ودخلت خلفه إلى داخل المنظرة وكل واحد من هذه الطيور وقف قدام كرسى من تلك الكراسى وهم يفكون أزرارهم من تحت آباطهم ومعرى سلوك ذهب والأزرار من الذهب من تحت إبطهم إلى آخر أجنحتها ولما حلوا الأزرار خلعوا

ثياب الريش ووضعوها على تلك الكراسى فانكشف الأمر عن بنات كأنهن النجوم الزاهرات أو البدور الطالعات وفعل الجميع ذلك إلا واحدة منهن صعدت فوق القبة ونزلت على الرفرف ولم تنزل مع البنات ولم تلعب معهن وأما جميع البنات فإنهن لما خلعن من على أبدانهن الثياب الريش فتحت كل واحدة منهن خزانة من الخزائن التى فى المنظرة وأخرجت لها مئزراً من الحرير ونزعت بدلتها وتلفتت فى ذلك المئزر وكان فى وسط تلك المنظرة فسقية من الرخام وماء والدواليب جائز من عليها وهى ملانة ماء مثل سبائك اللجين فعند ذلك نزلت البنات جميعاً فوق شاطئ الفسقية وصرن يلعبن بأيديهن فى الماء وأرجلهن فيها متدلية كل هذا يجرى والملك سيف بن ذى يزن مختفٍ بين الأعشاب ينظر إليهن ويرى وبعد ذلك نزلن جميعاً فى قلب الفسقيةِ وانتشرت شعور هن على وجه الماء وصرن يتسابحن ويتغاطسن ويتلاعبن ويتضاحكن وعلى بعضهن يتمايلن وهكذا قدر ساعة وكانت واحدة منهن باقية فوق رفوف المنظرة وهى على حالها بملبوسها لم تنزل معهن ولم تنزع ملبوسها وبعدها رفعت إحدى البنات رأسها إليها وقالت لها يا ملكة منية النفوس لأى شىء ما نزلت معنا ولا قلعت ثيابك مثل ما قلعنا فإذا كانت الملكة لا تسعى فى انشراح صدرها فكيف يكون حال جواريها اللاتى تحت أمرها فالصواب يا ملكة أن تزلى عندنا وتقلعى جميع ثيابك وتلبى بين أترابك وتفرحى بشبابك فلما سمعت من المتكلمة كلامها قالت لها أما أنا فإن قلبى مقبوض وصدرى ضيق من حين نزلت فى هذا البستان وقلبى يحدثنى بأن هنا من بنى آدم إنسان فقالت لها المتكلمة يا ملكة إيش هذا الكلام الذى تقولين ومن أين آدمى يأتى إلى هذا المكان أو يصل إليه وأيضاً لو كان هنا إنسان كانت تهلكه عمار هذا المكان فإنه مرصود للبنات فقط ولم يكن للرجال عليه مسقط وما زالت معها بمثل هذا الكلام حتى نزلت من على ذلك الرفرف إلى الأرض ووقفت قدام كرسيها

وهو أكبر الكراسى وهو مطعم بفصوص الجواهر ومصفح بالذهب الأحمر ثم إنها فكت أزرارها كما فعلت أترابها وتجردت عن كل ثيابها مثلهن والتفت فى مئزر من الحرير الأصفر والأحمر والأخضر وتقدمت إلى تلك الفسقية تريد النزول مثل أترابها وهى كما وصف القائل حيث يقول:

* * *

تجـرت ذات حسن من ملابسها فقلت مالك خصبت الأناميلا
قالت مسحت بها ثغراً به عسل قلنا صدقت وما للثغر معسولا
قالت أتت نحلة تحسبه موطنها قلنا صدقت وللشعر مسدولا
قالت أتت دادتى قصدى تمشطنى قلنا صدقت فما للطرف مكحولا
قالت سواد جفون قد نظر لنا قلنا صدقت وما للورد مذبولا
قالت يغار نسيم الصبح يذبله قلنا صدقت وما للعنق مهزولا
قالت لثقل عقود كنت ألبسها قلنا صدقت وما للنهد مبذولا
قالت لشدة أزرار أفرطها قلنا صدقت وما للحضر منحولا
قالت لثقل حياصات ومنطقة قلنا صدقت وذا السروال محلولا
قالت على تكتى قد دست فانقطعت قلنا صدقت وما للشيخ مبلولا
قالت اخيض كما حاضت نساؤكمو قلنا كذبت وليس العذر مقبولا
قالت سألت على ما ليس تملكه فصرت عندى عديم العقل مهبولا
أنى لمثلك أن يحظى بمثل لم يخشى الردى ودما بالسيف مطلولا
يالهف نفسى على تلك الفتاة وهل أنال منها بيوم الوصل مأمولا
استغفر الله من قولى ومن عملى وكل ذنب عليه كنت مسئولا
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا محمد جاء بالآيات تفصيلا

* * *

(قال الراوى) فلما نظر إليها الملك سيف وهى على ذلك الحال اعتراه الخيال وزاد به الاشتغال وانتقل من حال إلى حال وأما الملكة منية النفوس فنزلت فى الفسقية مع البنات وصارت تلعب معهن وهن معها يلعبن وطاب لهن الوقت وغاب عنهن الرقيب وصرن يتعانقن كما يتعانق المحب والحبيب

وقد فاحت أعطارهن فامتلأ البستان ما بين مسك وطيب وأما الملك سيف فأصرم حشاه بالنار واللهب وأيقن بالبلاء والتعذيب وفنى صبره منه وعقله يكاد يغيب وابتلى بداء الغرام الذى أعيا كل حكيم وطبيب وقال فى نفسه يا سيف هذه بلوى وقد وقعت فيها وهذا شىء مالى منه ملجأ ولا مخلص وها أنا ذا بقيت مثل الطير الذى فى القفص وإن ظهرت ونظرتنى هذه البنات ربما أنهن يجتمعن على ويهلكننى وليس لى إليهن يد تمتد بحال من الأحوال وإن قاتلننى فما لى قدرة على مجالدتهن فى الحرب والقتال لما هن عليه من الحسن والجمال لاسيما هذه منية النفوس التى هى عين القصد والآمال إن قبضتنى بيدها اليمين أو الشمال ارتخت جميع أعضائى والأوصال فتفترسنى وتضربنى من ألحاظها بكل سيف فصال وترشق فى مهجتى من سهام جفونها نبال وهذا والله شىء ما كان لى على بال ولكن لا يعاوننى على ذلك البلاء وهذه الأهوال إلا الله الكريم المتعال وعاقصة أسير إليها واقص قصتى عليها كل ذلك يجرى على الملك سيف والبنات مع بعضهن فى المياه وقد امتزجن فى اللهو والطرب وفعلن أفعالاً من عجب العجب وكل واحدة تبسط كفيها للثانية وتعومها على وجه الماء ويتقلبن على أيدى بعضهن وطال على هذا المثال حتى مالت الشمس إلى الزوال والملك سيف تركهم وتحايل حتى طلع من البستان بالاحتيال وأسرع يهرول بين الربا والتلال حتى عارضته عاقصة فرأته فى كرب وعاينته وقد راح من عندها نقى الجسم سليم فما عاد إليها إلا مريضاً سقيماً قالت له ما لك أعلمنى حالك وما الذى جرى عليك ونالك فلم يقدر أن يتكلم بل غلبت عليه الحسرات وتألم وصار يشرق بالدموع ويتحسر ويتأوه ولا يقدر من ذهوله أن يتفوه وهو ذو فؤاد عليل وكبد القى عليه من الحب قول ثقيل (ياسادة) ثم إن عاقصة تحب الملك سيف محبة زائدة ولا يهون عليها أن تفارقه ولا ساعة واحدة فلما رأته على ذلك الحال وهو فى بكاء وأعوال وتلجلج فى الكلام

والمقال قالت له إيش جرى عليك فحكى لها ما نظر فلطمت على وجهها وقالت له أما قلت لك لا تدخل المنظرة فخالفتنى يا أخى وهذا أخى أمل بعيد الوصول إليه صعب شديد وأنا أعلم أن هذه البستان تأتى فيه بنات الملوك للنزهة يحملهن الجان وتأتى بهن إلى هذا المكان والبعض لهن ثياب مصنوعة بالحكمة لأجل الطيران والتى رأيتها هل عرفت اسمها؟ فقال اسمها منية النفوس فلمَّا سمعت عاقصة لطمت على وجها وبكت وجرى دمعها فقال الملك سيف أنا أبكى من الجوى والغرام وإيش أبكاك يابنت الكرام فقالت يا أخى على ما أصابك من الجوى وهذا داء ليس له دواء فإن التى ذكرتها وأن اسمها منية النفوس لها أب يقال له الملك قاسم العبوس وهو صاحب جزيرة الألماس وهى جزيرة مطلسمة فى آخر الدنيا وهى بعيدة عنا مسيرة أربعة وثلاثين عاماً وهو ملك جبار عنيد وشيطان مريد وله عساكر لا تعد ولا تحصى يكاثر بها الرمل والحصا ويحكم على أربعين تختا فى تلك الجزيرة وما حواها من مدن وقلاع وقرى وأقاليم ورساتيق ولا تخت إلاَّ وله ملك يحكمه بعساكر ورجال وجنود وأفيال وحكماء وكهان وأمَّا مدينته هو المخصوصة بتخته فإن فيها عساكر أربع ملايين كل مليون ألف ألف وهذه المعدة للحرب والقتال لاهم متزوجون ولا أرباب صنائع ولا متاجر ولا هم أشغال بل هم فى انتظار الحرب والقتال وخوض المعامع والأهوال وعنده من الحكماء ثلثمائة وستة وستون حكيماً بعدد أيام السنة كل يوم يحضر عنده واحد منهم وجميع الممالك تخاف حسابه وتهاب سطوته كل المهابة لأن الصين وما يليها تورد له الخراج ويخشون من عاقبته اللجاج ومن شدة فراسته فى الأمور المهمة جعل لبنته وأترابها ثياباً محكمة ذات ريش مثل الطير إذا لبسته البنت كانت طيراً بلا شك ولا ريب أى وقت الطير وأينما أحبت تسير لأن طيرانها ساعة كاملة من النهار تقطع به سفر سنة كاملة على حد المنوال فالدنيا كلها عندهم وبلادها

مع المدن والأودية والبرور والبحار كلها حارة صغيرة أو حوش ينتقلون فيها من دار إلى دار ولا يبعد الطريق عليهن مثل السفار فيا أخى إذا كانت معشوقتك على ذلك الحال فمن أين لك إليها اتصال إلاَّ إذا أراد الله تعالى الكريم المتعال فلما سمع الملك المقال قال لها لأى شىء أتين إلى هذا المكان ونزلن فى ذلك البستان فقالت يا أخى فى كل عام يأتين إليه على عادتهن لأجل النزهة وراحة الأجسام ويقيمون سبعة أيام وهم على حظ وفرح وانتظار وضحك وابتسام وأكل طعام وشرب مدام حتى تمضى السبعة أيام ويرحلن من هنا بسلا م وهذه عادتهن يا بن الكرام فاترك عنك حمل أثقال الجوى والغرام فإنه يوقع البلاء والأسقام وكنت نصحتك عن هذا الحال فلم تقبل لى مقالاً حتى وقعت فى هذا البلاء والنكال والصواب أنك تقدم حتى أحملك وأوصلك إلى أرضك وبلادك حتى تطمئن بأزواجك وأولادك ويراك جملة عساكرك وأجنادك (ياسادة) فقال الملك سيف يا أختى والله ما أسمع منك ولا من غيرك مقالاً ولا أصغى لعذل عذال ولا أرجع عن هذه الملكة إلاَّ إذا بلغت منها الآمال وأحظى منها بالمضاجعة والوصال وإلا أهلك تحت سنابل الخيل العوال وتروح روحى على حدود السيوف الصقال وأسنة الرماح الطوال فقالت له عاقصة أتقيم فى بلاد غير بلادك وتفوت جملة أهلك وأولادك أو عسكرك وأجنادك فقال سيف يا أختى أنا مالى أولاد ولا أهل ولا أقارب ولا أصدقاء ولا حبايب ولا أسمع مقالاً ولا أقبل سؤالاً ولا بد لى من أخذ محبوبتى إما بالاحتيال أو بالحرب والقتال فقالت له وأنى ذلك بها اتصال فبكى عند ذلك الملك وزاد به البلبال وقال لها يا أختى قد عدمت صبرى وجلدى واشتعلت نار الجوى فى جسدى فإن كنت تقدرين على مساعدتى فساعدينى وإن عجزت يا أختى فعذرك مقبول فامضى إلى حالك وأما أنا فلا أنتقل من هنا إلا إن أخذت هذه الملكة منية النفوس ولو شربت من المنية أمر الكئوس فعرفت عاقصة أن الملك سيف بن ذى يزن وقع فى

شرك الهوى والغرام ولا ينفع فيه النصح والكلام فبكت عليه وفاضت على خدودها دموع ذات انسجام فقالت له يا أخى والله ما أقدر على الوصول إلى بلادها ولا يمكننى أن أدخل المنظرة التى هى فيها فقال لها يا أختى عاقصة أنا ماقلت لك أوصلينى إلى بلادها لأنها فى ذلك البستان ومن الذى يصبر عليها حتى تطير . وأقيم بعدها أنا أتلظى بنار السعير ثم أنشد يقول:

* * *

يا عاقصة خلى الملام فالقلب منى ... مستهام سمعى اشتكى ألم الكلام
وليس عندى محتمل أنا رأيت فى ... ذا المكان شقيقة الحور الحسان
فأشربت قلبى الغرام يا عاقصة ... كيف العمل رأيت منيه النفوس
وحسنها فاق الشموس قصدى ... تكون عندى عروس والحب فى قلبى نزل
يا عاقصة إن الهوى هد حيلى ... والقوى والقلب فى نهار الجوى
والجسم والصبر اضمحل امضى ... لحالك واسلمى من لوم قلب مغرم
لابد من سفك الدم حتى ... أمتع بالأمل ما حيلتى إلا البكا
مع الأنين والاشتكا حتى أقاسى ... المهلكا فلربما حبلى اتصل
استغفر الله العظيم القادر ... البر الرحيم ربى بأحوالى عليم
يغفر ذنوبى والزلل ثم الصلاة ... على النبى الهاشمى اليثربى
والآل أهل الطيب ... والصحب والنجوم والأول

* * *

(قال الراوى) ثم إن الملك سيف بن ذى يزن هو الذى أنشد هذه الأبيات ودموعه على خدوده مرسلات وعاقصة لكلامه تسمع وفؤادها عليه من الحسرة يتقطع ولمّا علمت أنه وقع فى ذلك الإشراك ولا بقى له منها انفكاك قالت والله يا أخى إذا كان هذا حالك أنا أساعدك على ما لك وأجتهد فى أخذك لهذه الجارية ولو تروح مهجتى وأعدم جميع أهلى

وعشيرتى ولكن مرادى أن تعلمنى أمرك الصحيح حتى أطمئن وأستريح فهل أنت لما دخلت البستان رأيتهن هناك فيه أو أتوا فيه وأنت حاضر فقال يا أختى أنا أول ما دخلت تفرجت على كل البستان وبعده دخلت المنظرة رأيت الكرسى والمخدات والمفروشات وما رأيت من أنس ولا جان ثم رأيت الأعشاب فقعدت بينها على التراب لأنى رأيت رائحتها زكية وهذا أصل القضية فلم أشعر إلاّ هذه الطيور نزلت وجرى ما جرى ولمّا ضاق صدرى أتيتك وأعلمتك بأمرى وهذه حكايتى يا أختى والسلام ثم إن الملك سيف بكى ونزلت دموعه منحدرة وأذله العشق والهوى الذى أذل من قبله من الجبابرة فقالت له عاقصة هذا النهار فات فقم حتى آتيك بطعام فى هذا المقام وأرح فؤادك بالمنام وعد إليهم تحت أذيال الظلام واجتهد أن تسرق الثوب الريش فإذا قدرت على أخذه فاجعله من داخل ثيابك وأدخل تحت دولاب الماء الدثر فإنهم يفتشون جميع البستان عليك إلاّ هذا المكان لأنهم متطبعون بطبائع الطيور وإن الطيور لا تجسر أن تتقدم لشىء يدور فإذا فتشوه لم يجدوك تقول لهم اذهبوا وائتونى بثوب غيره فإذا تركوها وبقيت وحدها فاظهر وقل لها هذا ثوبك وفرجها عليه فتقوم غايرة عليك فاجتهد فى الجرى ولا تقف لها حتى تخرج من ذلك البستان بأربعين خطوة ثم عد عليها واقبضها وأنا أكون عندك حين تقبضها وتبقى فى يدك فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أختى يمكن أنها ترسل بعض الطيور وتبقى الباقى عندها يؤانسها فقالت له عاقصة يا أخى هذا يكون من شؤم بختك ولكن هذا لا يكون لأن هذه بلاد بعيدة ولا يسير فيها إلاّ الجميع وإذا أخذت الثوب فاختف تحت دائرة الدولاب فإنها لا تطلع إلا آخر النهار فإذا طلعت ولم تجد ثوبها فإنها تظن أن إحدى البنات تلعب معها حين ترى الكرسى ليس عليه ثوبها فتقول يا بنات من فيكم أخذ ثوبى الريش المطلسم فيقولون لها والله يا ملكة ما لنا به علم فتمتزج بالغضب وتصبه عليهم وتغضب

شرك الهوى والغرام ولا ينفع.فيه النصح والكلام فبكت عليه وفاضت على خدودها دموع ذات انسجام فقالت له يا أخى والله ما أقدر على الوصول إلى بلادها ولا يمكنني أن أدخل المنظرة التى هى فيها فقال لها يا أختى عاقصة أنا ماقلت لك أوصلينى إلى بلادها لأنها فى ذلك البستان ومن الذى يصبر عليها حتى تطير . وأقيم بعدها أنا أتلظى بنار السعير ثم أنشد يقول:

* * *

يا عاقصة خلى الملام فالقلب منى مستهام سمعى اشتكى ألم الكلام
وليس عندى محتمل أنا رأيت فى ذا المكان شقيقة الحور الحسان
فأشربت قلبى لغرام يا عاقصة كيف العمل رأيت منيه النفوس
وحسنها فاق الشموس قصدى تكون عندى عروس والحب فى قلبى نزل
يا عاقصة إن الهوى هد حيلى والقوى والقلب فى نهار الجوى
والجسم والصبر اضمحل امضى لحالك واسلمى من لوم قلب مغرم
لابد من سفك الدم حتى أمتع بالأمل ما حيلتى إلا البكا
مع الأنين والاشتكا حتى أقاسى المهلكا فلربما حبلى اتصل
استغفر الله العظيم القادر البر الرحيم ربى بأحوالى عليم
يغفر ذنوبى والزلل ثم الصلاة على النبى الهاشمى اليثربى
والآل أهل الطيب والصحب والنجوم والأول

* * *

(قال الراوى) ثم إن الملك سيف بن ذى يزن هو الذى أنشد هذه الأبيات ودموعه على خدوده مرسلات وعاقصة لكلامه تسمع وفؤادها عليه من الحسرة يتقطع ولمَّا علمت أنه وقع فى ذلك الإشراك ولا بقى له منها انفكاك قالت والله يا أخى إذا كان هذا حالك أنا أساعدك على ما لك وأجتهد فى أخذك لهذه الجارية ولو تروح مهجتى وأعدم جميع أهلى

وعشيرتى ولكن مرادى أن تعلمنى أمرك الصحيح حتى أطمئن وأستريح فهل أنت لما دخلت البستان رأيتهن هناك فيه أو أتوا فيه وأنت حاضر فقال يا أختى أنا أول ما دخلت تفرجت على كل البستان وبعده دخلت المنظرة رأيت الكرسى والمخدات والمفروشات وما رأيت من أنس ولا جان ثم رأيت الأعشاب فقعدت بينها على التراب لأنى رأيت رائحتها زكية وهذا أصل القضية فلم أشعر إلاَّ هذه الطيور نزلت وجرى ما جرى ولمَّا ضاق صدرى أتيتك وأعلمتك بأمرى وهذه حكايتى يا أختى والسلام ثم إن الملك سيف بكى ونزلت دموعه منحدرة وأذله العشق والهوى الذى أذل من قبله من الجبابرة فقالت له عاقصة هذا النهار فات فقم حتى آتيك بطعام فى هذا المقام وأرح فؤادك بالمنام وعد إليهم تحت أذيال الظلام واجتهد أن تسرق الثوب الريش فإذا قدرت على أخذه فاجعله من داخل ثيابك وأدخل تحت دولاب الماء الدثر فإنهم يفتشون جميع البستان عليك إلاَّ هذا المكان لأنهم متطبعون بطبائع الطيور وإن الطيور لا تجسر أن تتقدم لشىء يدور فإذا فتشوه لم يجدوك تقول لهم اذهبوا وائتونى بثوب غيره فإذا تركوها وبقيت وحدها فاظهر وقل لها هذا ثوبك وفرجها عليه فتقوم غايرة عليك فاجتهد فى الجرى ولا تقف لها حتى تخرج من ذلك البستان بأربعين خطوة ثم عد عليها واقبضها وأنا أكون عندك حين تقبضها وتبقى فى يدك فقال الملك سيف بن ذى يزن يا أختى يمكن أنها ترسل بعض الطيور وتبقى الباقى عندها يؤانسها فقالت له عاقصة يا أخى هذا يكون من شؤم بختك ولكن هذا لا يكون لأن هذه بلاد بعيدة ولا يسير فيها إلاَّ الجميع وإذا أخذت الثوب فاختف تحت دائرة الدولاب فإنها لا تطلع إلا آخر النهار فإذا طلعت ولم تجد ثوبها فإنها تظن أن إحدى البنات تلعب معها حين ترى الكرسى ليس عليه ثوبها فتقول يا بنات من فيكم أخذ ثوبى الريش المطلسم فيقولون لها والله يا ملكة ما لنا به علم فتمتزج بالغضب وتصبه عليهم وتغضب

وتقول يا ويلكم فتشوا البستان وانظروا من أتى فى ذلك المكان فيقع التفتيش بخوف وارتياب لكن ما يجسروا أن يقدموا على الدولاب فإذا فتشوا جميع البستان ولم يجدوه يقولوا لها يا ملكة ما لقيناه ولا نعلم من تجاسر وأخذه فتقول يمكن أن خادمه أخذه وهرب ولكن أنا قاعدة فى هذا المكان لأنه مطلسم كما تعلمون وامضوا أنتم إلى بلادى وأحضروا إلىَّ ثوباً غيره على طبق مرادى وأدركونى قبل أن يحصل لى ضرر من بعض الأعادى فإذا رأوها غضت يسرعون جميعاً فى الطلوع ويلبسون ثيابهم ويخرجون قاصدين ويتركونها مكانها واعلم يا أخى أنهم لا يصلون إلى بلادهم إلاَّ فى ثلاثة أيام إذا ساروا يسير الاهتمام فى النهار والظلام وإذا رجعوا يأتون فى ثلاثة أيام وهذا يكون على سبيل العجلة منهم واعلم يا أخى أنها تحكم على جزيرة البنات وكل من فيها وعدد جنودها مائة ألف وهى شديدة البأس صعبة المراس من الجبابرة العظام فإذا رأيت يا أخى أن البنات قد ساروا إلى جهة بلادهم وصارت هى فى البستان وحدها من دونهم فاخرج إليها كما ذكرت لك وأظهر نفسك لها فإذا قالت لك من أوصلك إلى هذا المكان فقل لها أدخلتنى قدرة الله الملك الديان فتقول لك اخرج من هذا المكان فقل لها وأنت لأى شىء قاعدة هنا من دون جماعتك فتقول لك لأجل شىء ذهب منى فقل لها أظنه هذا الثوب الريش وأخرج لها ريشة من طرفك وأنت عنها بعيد فإنها إذا رأته معك انقضت عليك فتكون أنت حذراً منها على نفسك واذهب أمامها فإنها تتبعك مثل ذكر النعام فاحذر أن تلحقك وأنت فى البستان فإنها تفترسك ولو كنت أفرس أهل الأرض وتسقيك كأس الهوان فسر قدامها حتى تبعد عن البستان بأربعين خطوة ثم عد عليها كما أعلمتك فإنها تذل بين يديك فاقبض على عقيصتها فإنها تخضع وتقول لك ترفق بأسيرتك فلا تلتفت إلى مقالها واسحبها من ذوائب شعرها وهاتها عندى حتى أقول لك ما تفعل هذا كله أن أدركتهم هناك وإن لم

تدركهم فاصبر للعام الثانى **(قال الراوى)** فلما سمع سيف من عاقصة هذا المقال قام من بين يديها وسار حتى وصل إلى باب البستان وهو متوكل على الله العزيز الديان فدخل يمشى متستراً بالأشجار وهو أخف من الغبار حتى وصل إلى المنظرة التى فيها الجوارى فوجدهن على حالهن فى قلب الفسقية وهن يتقلبن فى الماء كأنهن الكواكب الدرية ومنية النفوس بينهن كأنها القمر بَيْنَ النجوم فقال سبحان من خلقكن وصوركن وهو الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم هذا والبنات سارحات فى اللعب والأشجان كأنهن زهر البستان فقال الملك سيف بن ذى يزن يا حليم يا ستار يا من لا يكشف احجبنى عن أعين النظار وكف عنى جميع الأبصار يا عزيز يا غفار فاستجاب الله دعاءه وحجبه عن عيون كل مرآة وذلك لأجل الكائن فى علم الله تعالى من القدم وما خط على الجبين بالقلم حتى ظهر ما هو مخفى فى علم الله المكنون ياسادة **(يا سادة يا كرام)** ثم إن الملك سيف مدَّ يده إلى الثوب الريش وأخذه ووضعه فى جيبه وستر عليه الحليم الستار ورجع من خلف الأشجار حتى صار تحت الدولاب ولسانه لايفتر ولا يغفل عن ذكر رب الأرباب الذى أعانه على أخذ ذلك الثياب وظن أنه ملك الدنيا بما فيها هذا ما كان من أمر الملك سيف وأماَّ ما كان من أمر البنات والملكة منية النفوس فإنها طعلت من الماء هى والبنات جميعاً وكل بنت أتت إلى كرسيها وصارت تأخذ ثيابها وتلبسها وبعد لبس الثياب لبسوا ثياب الريش إلا منية النفوس فإنها لبست ثيابها وأما ثوب الريش فإنها لم تجده فأحست أن الدنيا انطبقت عليها وصارت لا تعرف ما بين يديها وبقت عيناها فى أم رأسها وطاش عقلها وتاه نقلها فقالت للبنات يا ويلكن من منكن أخذت ثوبى وتريد معى المزاح هياً هاتوه فقالوا لها ياستاه أى ثوب تذكرينه فو الله ما طلع أحد منا من الماء إلا بعدك فقالت ثوب الريش والذى فعل معى ذلك ما قصده أنى أعيش هنا هاتوه ودعوا عنكم التلبيس فأنى من

حين أتيت إلى هذا المكان وأنا قلبى نافر وعقلى فرغان وأظن أن بعض الأعادى كامن لنا فى هذا البستان فإن كنتم لم تأخذوه ففتشوا هذا المكان فقالوا يا ستاه هذا البستان مطلسم ولا يدخله أحد من الأمم ثم صاروا يفتشون فى البستان حتى نبشوا جميع الأماكن والراحات إلا تحت الدولاب فإنه فى دورانه يصيح فلا تطيق البنات أن تقبل عليه فلما أيست من ثوبها التفتت لإترابها وقالت لهم أنا ما أقدر أن أطلع من ذلك البستان إلا للطيران وهذا الوقت لا يمكننى أن أطير و الطريق بعيد ما يمكننى فيه المسير فأنا أقيم فى هذا المكان وسيروا أنتم باجتهادكم فى الوديان حتى تأتونى من قصرى بالثوب الثانى ولا يكن عندكم تهاون ابداً وإلاَّ تأخذنى الأعداء فقالوا لها سمعاً وطاعة ثم إن البنات لبسوا وطلعوا طائرين وإى نحو بلادهم قاصدين وبقيت الملكة منية النفوس مقيمة فى البستان فدخلت المنظرة وقعدت متفكرة ونظر الملك إلى انفرادها من بين الأشجار وعلم أنه بلغ منها كل ما يحب ويختار وتلألأ وجهه بالأنوار فتقدم إلى باب المنظرة وهو فرحان بما جرى وقال لها لأى شىء بقيت أنت فى هذه المنظرة ولماذا سار أصحابك طائرين ولست معهم طائرة فلما نظرته قالت له من أنت؟ ومن أين أتيت إلى هذا المكان؟ وهل أنت من الإنس أو من الجان؟ وإنى أظنك الذى سرقت ثوبى وأذهبت عنى مسرتى وجعلت هذه الحال حالتى؟ فقال لها نعم أنا الذى أخذت الثوب حتى أنال منك القصد والمطلوب وهذا ثوبك يا راحة القلوب ثم إنه أخرج من جيبه ريشة أشارت إلى أن هذا هو الثوب فلمَّا نظرت إلى ثوبها معه علمت أنه هو الذى أخذه فاسودت الدنيا فى وجهها وقالت له إيش الذى الجأك إلى هذا الأمر حتى رميت نفسك للهلاك وسوء الارتباك فو الله العظيم لقد وقعت فى أمر ذميم ثم إنَّ الملكة منية النفوس قامت على الملك سيف كأنها الأسد إذ خرج من الباب وانقضت عليه مثل العقاب فجرى قدامها وطلب الباب وهو لا يتلفت ومنية النفوس تجرى

خلفه ويشد عزمه فى جريه خوفة أن تدركه فبينما هو يجرى وإذا به عثر فى جذور شجرة فكاد أن ينكفئ على وجهه من شدة تلك العثرة ولكن ثبت نفسه وجد فى جريه ومنية النفوس من حين علمت أن ثوبها معه لم ترجع عنه وتبعته حتى خرج من البستان وذهبت أينما كان حتى بقى بينه وبين البستان قدر ميلين وقد خرج الملك سيف من الأرض المطلسمة وبقى بعيداً عنها بمقدار أربعين خطوة وهى منحدرة فى جريها عليه فعاد إليها كأنه الأسد وجذبها من ذوائبها وهو لايصدق بذلك فلما نظرت منية النفوس منه ذلك أيقنت أنها شربت كأس المهالك وعلمت أنه ما بقى منه مناص ولا من يده خلاص فقالت له وقد انكسر قلبها وزاد كربها ياسيدى أرفق بأسيرتك فلقد أصبت فى تدبيرك فلم يرد عليها جواباً ولا واجهها بخطاب بل مازال قباضاً على شعرها حتى أقبل بها على عاقصة وهى من هذا الفعال منغصة وكانت عاقصة منتظرة لقدومه فتقدمت إلى الملكة منية النفوس وسلمت عليها وقالت لها ياملكة الزمان وسيدة البنات والنسوان اعلمى أنك بلغت مالم يبلغه قبلك إنسان وإن هذا ملك ملوك الزمان وأفرس من جميع الفرسان فقالت لها منية النفوس يا عاقصة قد بلغ من قدرك أنك تأتى بالإنس إلى أرضنا وتدخليهم إلى بستاننا وتريهم زينها وأشكالنا وتجرئى ذلك الرجل الصعلوك حتى يقبض على بنات الملوك فمن يقدر على خلاصكم من يد أبى إذا علم بذلك فلابد أن يسقيك أنت وإياه كأس المهالك ولابد أن يخرب بلاد القمر ولا يُبقى من سكانها لا كثير ولا قليل فقالت عاقصة ياستاه هذا ما هو صعلوك وما وهو إلا من أكابر الملوك وله جنود وأعوان من الإنس والجان ويده دائرة على سحرة وكهان وأرباب أقلام وأحبار وحجاب وأنصار وإنما أنت لم تعرفيه وفى المثل السائر من لم يعرف الصقر يشويه ولكن يا ملكة أنا أعلمك وأعرفك من هو إنه ملك ملوك اليمن ومبيد أهل الكفر والمحن وهو الملك سيف بن الملك ذى يزن بن الملك تبع

اليمانى الذى لم يكن له بين الملوك معادل ولا مدان وهو أخى فى الرضاع وهو بطل شجاع وقرن مناع ولا تظنى أنه أسرك فأنت التى قد أسرتيه وبجمالك سبيتيه فقالت منية النفوس وإيش كان أصل مجيئه إلى هذا المكان ودخوله البستان الذى لايدانيه إنس ولا جان لما عليه من الطلاسم والأرصاد والإتقان وما فعل الحكماء فى تلك الأزمان فقالت لها عاقصة اعلمى يا ملكة أنه كان عندى فى قصرى مدة أيام وطلب الوصول إلى حمراء الحبش فصادف طريقنا هذا المكان فطلب منى أن ينزل لقضاء حاجته فأنزلته فتركنى وسار ونظر فى المنظرة فرماه عليك الحب الذى يذل الجبابرة ولم يقدر على الصبر فتجاسر عليك وسرق ثوبك وجرى ما جرى وهذا شىء سابق فى علم الله ذى العظمة والمقدرة رب الدنيا والآخرة فلا يصعب عليك أيتها الملكة فإنه ما ملكك إلاَّ من يعرف قدرك ومقامك وبه تشرفى على جميع أتباعك وألزامك وما زالت عاقصة ترفق لها الكلام وتخدعها بحسن الابتسام حتى لانت وتبسمت وعلمت أنها ما بقى لها خلاص وإن قاتلت فمالها مقدرة وبقيت وحيدة فريدة وقالت يا عاقصة أما تدخلى بنا البستان حتى نقعد فنأكل ونشرب ونلتذ ونطرب فقالت عاقصة يا ملكة ليس لى دخول فيه وإنما أنا أقعدك فى قصر أحسن منه ثم إنها حملت الاثنين على كاهلها وطلبت الجو الأعلى ومازالت بهم حتى أنزلتهم على قصر سحاب المختطف الأقطع الذى قتله الملك سيف بن ذى يزن سابقاً لما استجارت به عاقصة فى أول السيرة وكان ذلك القصر فيه فروشات من أعز الديباج المجوهر وأسرة من الخشب المرمر مصفحة بصفائح الذهب الأحمر وأجلست الملكة منية النفوس على سرير وأجلست الملك على سرير مثله وقالت لهم تحدثوا مع بعضكم حتى أتولى أنا واجب خدمتكم وصاحت على خدام القصر والأعوان وأمرتهم أن يصنعوا طعاماً يكون فيه عافية للأبدان فاجتهد الأعوان وأتوا بطيور الحجل والحضارى

والسمان وذبحوا الطيور وصفوا القدور ثم طلبت عاقصة الشراب والحلوات وقدمت للملك سيف والملكة منية النفوس شيئا يذهب العبوس وصارت عاقصة تمازح منية النفوس وتقول لها يا ملكة أنت صاحبة هذا المكان وأمَّا أنا وأخى سيف بن ذى يزن فإننا لك خدام وغلمان فاشرحى صدرك ولا تشغلى بالك ولا فكرك واعلمى أن كل ما جرى للإنسان فهو مقدور عليه من قديم الزمان لا ينال الإنسان المقصود إلا بالمخاطرة وبذل المجهود ولولا أن الملك سيف بن ذى يزن كتب الله له السعد والإقبال ما قدر أن ينظرك ولا يرى لك خيالاً وأنت يا ملكة قد ملكت قلبه وحويت سرائره ولبه وما تصلحى إلاَّ له ولا يصلح إلاَّ لك فأنت تفتخرى بالحسن والجمال والقد والبهاء والكمال وهو أيضا يفتخر بشجاعته وعولته على الأبطال وثباته فى الحرب والقتال ومملكته وحكمه على مدائن وأقاليم وأقطاع وقرى وقلاع وأطلال ومازالت عاقصة بالملكة منية النفوس حتى أكلت الطعام مع الملك سيف بن ذى يزن الهمام وتنقلوا فى الكلام وضحكت الملكة منية النفوس وأبدت الابتسام ففرحت عاقصة ووضعت يديهما فى يدى بعضهما وقالت لهما تصافحا وتعاقدا وتناكحا على ملة سيدنا إبراهيم الخليل وصار العقد بينهما بالتحليل وكان الملك سيف بن ذى يزن يعرف ما يجب عليه ففعل على قدر الإمكان بشريعة ذلك الزمان وغابت عاقصة وجاءت ببدلة من الجوهر وألبست الملكة منية النفوس وجعلتها للملك سيف عروس وألبستها التاج والعقود مع أنها غنية عن الملبوس فصارت أبهى من الشمس والقمر وهى كأنها الدنيا القادمة على قوم فقراء فلما نظرتها عاقصة قالت فى نفسها حقيقة إن الجمال فى الإنس وفى الجان سبحان من خلق من كل شىء زوجان وهو الله الذى لا إله إلا هو الملك الديان وكانت منية النفوس كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات:

* * *

حوت فوق صحن الخد نقطة عنبر   من استلبت عقلى وأفنت تصبرى
وماست بقد قد قلبى بذابل   وشقت فؤادى من لحاظ بأبتر
تبسم منها الثغر فارتفعت لنا   ستائرها الياقوت عن كنز جوهر
وتضرب من سيف اللحاظ بأبيض   وتطعن من قد قويم بأسمر
من الترك تسطو بالجمال وتعتدى   بسلطان جمع الحسن فى كل محضر
وما هو إلا ظاهر ومؤيد   علينا ومنصور بعزم مظفر
كان بخديها الجنان تزخرفت   وقد فرشت من عارضيها بعبقرى
فو الله ما أحلى وأحسن وجهها   حوى جوهرا وإلى رشف سكر
ويشرق كالبدر المنير إذا بدا   محياه من طوق القباء المزرر
فترشقنا من كل هدب بنبلة   وتخرجنا من كل ماق بجنجر
إذا مت مشتاقاً لنظرة وجهها   فما الموت فى سبل الغرام بمنكر
فلو أنها باعت سويعات وصلها   لكنت لها بالمال والروح أشترى

* * *

(قال الراوى) ثم إن عاقصة لما انشرحت منية النوس بعدما أكلوا الطعام أحضرت المدام وأحضرت فواكه من أثمار الشجر والنخل كأنه العافية والدواء للعليل وأطلقت بخور الند والعنبر وأحضرت من الجن مغنيات ومواشط فجلتها المواشط وغنت المغنيات وكان يوماً يا له من يوم هذا والملك سيف بن ذى يزن قد زاده الشجن وأخته تساوره حتى ولى النهار وأقبل الظلام بدجى الاعتكار فعلمت عاقصة أن الاجتماع على هذا الحال يليه الوصال فقفلت القصر على الاثنين وقالت لهما تملوا ببعضكما وأنا منعزلة عنكما وقد أمن الملك سيف على نفسه من كل مخيف فقام إلى محبوبته ورشف لمى ثغرها وجعل صدره على صدرها وخصره على خصرها فاختك الإحليل على قلبها فهزها فى الحال وأفضها بلذة ووصال وجرى الذى جرى وبلغ الآمال وضما بعضهما واحتوى الملك سيف بن ذى يزن على منية النفوس وقد تمكن من العناق والضم والبوس وأزيل عنه البؤس فضربها بالدبوس فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فبات يعانق

ويواصل إلى الصباح فحملت الملكة منية النفوس على [illegible] بقدرة الكريم الفتاح فأتى منها غلام وكان له حديث وكلام إذا وصلنا إليه [illegible] عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه (يا سادة) [illegible] الصباح قامت الملكة منية النفوس وفتحت باب القصر فأقبلت عاقصة وسلمت عليهما وباركت لهما وجلست معهما فقال الملك سيف يا عاقصة يا أختى قد اخترت أنى أقيم بذلك القصر حتى أزيل ما بقلبى من الهم والحصر وأريد منك أن تلزمى لنا بالطعام والشراب كما تفعل الأحباب بالأحباب فقالت لهم ما أنتم محتاجون إلى يابن السادة الأنجاب فإن خدام ذلك القصر يأتوك بكل ما تريد من الشراب والطعام ولو أقمت عندهم ألف عام فأقام الملك سيف بن ذى يزن مع الملكة منية النفوس فى هذا القصر مدة من الزمان وهو يحب الملكة منية النفوس مستهام ونسى حمراء الحبش وغيرها وملكه والإنعام إلى ذات يوم من الأيام قالت له الملكة منية النفوس يا سيدى أنا سمعت منك مراراً أن لك جنوداً وأنصاراً فما الذى يمنعك عن بلدك والإقامة مع عساكرك وجنودك وأنا والله قلبى ما هو مرتاح على هذه الإقامة فقال لها وأنا أيضاً تشوقت إلى أهلى وإلى أرضى وبلادى حتى أفرح الأصدقاء وأكيد الأعادى ثم التفت إلى عاقصة لأنها طول هذه المدة لم تفارقه وقال لها يا أختى وصلينى أنا وزوجتى إلى حمراء الحبش حتى أنظر ما جرى بعد فلما سمعت عاقصة كلامه قالت له اقعد أنت وزوجتك على السرير ولله المشيئة والتدبير فجلسا ودخلت عاقصة تحت السرير ورفعته إلى الجو الأعلى حتى أسمعتهما تسبيح الأملاك فى مجارى قبب الأفلاك يا مؤمن بحق من سواك اذكر من لا ينساك ولما سمعت وتمكنت من الصعود وأرادت النزول ارتجفت أعضاؤها وقالت لأخيها الملك سيف بن ذى يزن يا أخى أنا ما بقى لى قدرة انتقل ولا أخطو خطوة واحدة فإنى أشم رائحة مطلسم على الأرض ذات الطول والعرض ومستدير

بهذا المكان وهذا فعل أستو كان وهو من أكبر الكهان وحكيم من قديم الزمان وليس له مقام برده وصدوه وأنا ما بقى لى قدرة على الوصول إلى أرضكم والطول بل أعود إلى القصر الذى كنت فيه حتى أضعكم وأقيم معكم فقال لها يا أختى ما نحتاج أن ترجعى فانزلى بنا فى هذا الموضع فقالت ما تحتنا أرض وما تحتنا يا أخى إلاّ البحر وأنا والله بقيت فى حيرة فقال لها الملك سيف بن ذى يزن انظرى لنا جزيرة فقالت سمعاً وطاعة ثم إنها هبطت تذكر الله العزيز الغفار فتأمل فرأى شجرة الجوز الهندى كل واحدة قدر البطيخة العظيمة وإن هذا الجوز يكفى ألوفاً من بنى آدم لأنه شىء كثير وإذا أتى قوم إلى هذه الجزيرة وأخذوا شيئاً من ذلك الجوز وكسروه فإنهم يجدوا فيه شيئاً مثل اللبن وطعمه مثل العسل وهو يغنى عن الطعام والمشروب وفيه رائحة تزيل التعب من القلوب وإذا كان أحد معه خبز يجده ملآن مثل اللبن كما ذكرنا فيغمس به الخبز ويأكل وإذا لم يكن معه خبز وكسر الجوز فيجدها مثل الحلاوة المعقودة وهى أطعم من الشهد والذمن اللوز والسكر وأطيب رائحة من المسك الأزفر والندا والعنبر كل هذا بقدرة الله الذى خلق وصور ثم إن عاقصة قالت للملك سيف أتريد حاجة فقال لها نعم أريد شيئاً من وحوش البر أو من الدواب المأكولة فقالت السمع والطاعة وغابت قليلاً وأتت بوحش بقر سمين فقام الملك وذبحه وسلخ جلده وأخرج لحمه من عظمه وأضرم النار فى ذلك المكان وكانت عاقصة جاءت بأحطاب فشواه وأقبل هو ومنية النفوس وأكلوا من لحمه حتى اكتفوا وأتوا إلى عين ماء أبيض من الثلج وأحلى من العسل فشربوا ثم قالت عاقصة يا أخى إيش تريد منى فقال لها وأنت إيش مقصودك فقالت له أريد العودة إلى بلدى فإنى من مدة وأنا معك فى قصر المختطف ما أعلم ما جرى على أهلى فقال لها الملك سيف سيرى وعدى إلينا عن قريب فسارت عاقصة وأقام الملك ومنية النفوس معه فى هذا

المكان حتى أكلوا لحم الوحش الذى معهم فى ثلاثة أيام وبعد ذلك صاروا يأكلون من الجوز الذى فى الجزيرة مدة أيام وهم مقيمون ليلاً ونهاراً ثم ساروا بجانب البحر حتى فاتوا البقعة التى فيها شجر الجوز ومشوا بعيداً عنها وظن الملك سيف أن عاقصة تأتى إليه فانتظرها فلم تأت فقال ياليتنا كنا أقمنا مكاننا وكنا نأكل من شجر الجوز حتى يدبرنا ربنا ويرسل لنا رزقنا وأقاموا كذلك وكانوا فاتوا محل الجوز بيومين فقالت الملكة منية النفوس أنا أدبر لك حيلة على صيد شىء من البحر أو من البر وهو أنك تعطينى سيفك فأحفر فى الأرض حفرة وأكمن بها حتى إذا مرت علىّ غزالة أقبضها أو أصبها فقال افعلى ما بداك ففرحت وأقامت كامنة واحتالت كما ذكرنا حتى قبضت على فحل غزال وفرحت به وجمعاً حطباً وشووا وكان بهم جوع فأكلوا أكل جائع حتى اكتفوا وكان يوم شديد الهجير والحر فتوقد عليهم البر واشتد بهم العطش والظمأ وأيسوا من أنفسهم وبقى الملك سيف يبل جثته من البحر المالح فيزداد عطشاً وظمأ فلما أيقنوا بالتلاف والملك سيف بقى ويله نفسه وويله الملكة منية النفوس ويود أن يفديها بروحه ولو يسكن هو فى ضريحه فالتفت يميناً فلم يجد معيناً إلا الملك الأمين والتفت يساراً فلم يجد أنصاراً إلاّ الملك الغفار والتفت قدام فلم يجد مقداماً إلا الملك العلام والتفت خلف فلم يجد إلفاً وقطع العلائق من الخلائق وتوسل بالله العظيم ورفع طرفه إلى السماء وقال اللهم يا عظيم العظماء يا رافع هذه السماء وباسط الأرض على تيار الماء يا من علم آدم الأسماء أغثنا من كرب العطش والظمأ ثم أنشد وقال صلوا على باهى الجمال.

* * *

بحـــمى لطيـف يا لطيـف لم تزل	الطف بـنا ياذا العـلا فـيـمـا نزل
يا حى يا قـيـوم يا صـمـد ويا أحد	ويـا مـلـك تـوحـــد فـى الأزل
يا من بلا كيف على العـرش استوى	يا من بحكـمـتـه لنا ضـرب المـثل
يـا أول يـا آخـــر يـا ظـاهـر	يـا باطـن أنت الـمـؤمل والأمـل
ياقـــابـض يا بـاسـط يـا وارث ترث	الـوجـــود وأنت حـى لـم تـزل
يا من هو المـوجـود لـيس كـمـثله	شـيء عن التـشبيـه والتمـثيل جل
يا مـن هو البـر الرؤوف بـخلقـه	لم يبقَ لـينا للتـجلد مـحـتـمـل
إن لم نكن أهـلا لعـفـوك يا عـفـو	فأنت أهـل العفو عن مـحض الزلل
يا من لـه عنت الوجـوه بأسـرها	وبنوره نـارت مـصـابيح المـقل
فـسـد الزمـان ولم نطق إصـلاحـه	لـفـساد أنفـسنا وفينا المـقت حل
يا ملجـأ الملهـوف إذ لا ملجـأ نأوى	إليـه ســوى جنابك قـد سُـئل
قـد حل مـا قـد علمت وأنت لى	نعم المـلاذ لما بصـدرى قد حـصل
فـأجب سـؤالـى يا إلهى واكـفنى	شـر الزمـان ونـا بدهرى قـد نزل
وأعـد لنا مـا كان فـيـه سـرورنا مع	الانتظـام لحـالنا فـالخـطب جل
ثم الصـلاة على الـنبى مـحـمـد	خـيـر الخـلائق فى الأواخـر والأول

* * *

(قال الراوى) فلما فـرغ الملك سيف بن ذى يزن من كلامـه وما بداه من نظمـه تغير البحر وهاج وتلاطم بالأمـواج وأرغى وأزبد وانجلى عن مـراكب وعقـبات كـأنهن الشهب الثاقـبات وهم قـاصدون إلى تلك الجـزيرة والهـواء غـالب عليهم حـتى ألجـأهم إليـها من كل جـانب بإذن الله الملك الغـالب فوصلوا إلى البـر فربطوا مراكـبهم وطلعوا الجـزيرة بأجمعـهم فرأوا الملك سيف وزوجـته منيـة النفوس فى هذه الجـزيرة فخافـوا منهما لـعلمهم أن هذه الجزيرة لم يدخلها قط إنسان فقالوا لهما من أين أنتما؟ ومن أتى بكـما إلى هذا المكان؟ وهل أنتمـا من الإنس أو من الجان فقـال لهم الملك سيف

وقد علم أنهم خافوا منهما ها أنا ذامـثلكم من الإنس فلا تخافوا ولا تفزعوا فـأقبلوا إليـه ودار و احـواليه وجـعلوا يسـألونه عن سبب مـجـيئـه إلى هذا المكان وإذا بكبيرهم قد أقبل وهـو فى أمره على عجل ومازال حتى وصل إلى الملك سـيف وحـقق فيـه النظر ونادى و اسـيداه لابأس علـيك فأنا خـادمك الملك أبـو تاج وهذه مـراكـبى ورجـالى وأنت إيش أتى بك إلى ذلـك المكان ورماك فى هذه الجزيرة العـادمة السكان؟ فقال له أنا مـا قعدت ههنا إلا فى انتظارك والحمـد لله على سلامـتك فإنى مشـتاق إلى رؤيتك وقـد جمع الله شمـلـنا بالأحبـاب فقال المـلك أبو تاج ومن أين علمت أيها المـلك أنى قادم إلى هذا المكان حتى قصدت أنت هذه الجزيرة وأقمت بها فى انتظارى؟ فقال الملك سيف يا أخـى إن المؤمن ينظر بنور الإسلام وقلب المـؤمن دليله على مـثل هذه الأحكام وإذا حدثه قـلبه بشـىء فـما يكـون إلا صحـيحـاً هذا ولم يظهر له الملك سيف شـيئاً مما جـرى عليه وقعدوا يتحـدثون مع بعضهم وأمر الملك أبو تـاج بإحضار الطعـام من المراكب فأقبل إليه الغلمـان مثل السـلاهب فأكـل أبو تاج والملك سـيف وقدم للمـلكة منية الـنفوس بأعـز الأطعمة فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وحمدوا مولاهم على ما أعطاهم ثم إن الملك سيف بن ذى يزن أمـر بعض الرجال أن يحضروا مـركباً يعود فـيها من شاطىء البحر إلى محل الجوز الهندى فجاؤوا بها وتوجهوا إلى محل الجوز الهندى فـملؤ وامنـه المـركب وعـادوا بهـا إلى المكان الذى هم فـيـه فلمـا حـضـروا قال المـلـك سيف لـلملك أبو تاج اعلم يا ملك أن هذا أمـره غـريب يحـير كل عـاقل ولبيب فـقال أبـو تاج لماذا يا ملك فـقال له لأنك إذا كـان معك خبز و تكسـر الواحدة تجد فيها مثل اللبن فـتأكل منه بالخبز وإن لم يكن معك خبـز تجده جوزاً من غيـر لبن والذى فى قلبه معقـود مثل الحلاوة وهذا صنعـة الله تعـالى فلمـا سمـع أبو تاج ذلك الكلام ازداد يقـيناً فى دين الإسـلام وكسـروا من الجـوز وأكلوا منه ونزلوا فى المـراكب والملكة منيـة

النفوس معـهـم فأخلوا لها مخلاً فى الغليـون الكبير الذى باسم الملك أبو تاج وصار الملك سيف يقـعـد باقى النهار مع المـلك أبو تاج وفى الليل مع الملكة منية النفوس وفردوا الأقشمة وساروا ليلاً ونهاراً ولم يعلموا طريقاً يسلكوها ولا سواحل يقصدوها وكل يوم يقول الملك أبو تاج للناظور ا طلع الصارى وانظر لنا براً من البرارى لعلنا نبلغ السلامة من اللطيف العزيز البارى فيطلع وينزل ويقول لهم لم يكن غير الماء والسماء وأداموا على ذلك المسيرو الله تعالى يدبر لهم التدبير ويهون كل أمر عسير إنه على ما يشاء قدير و بعباده لطيف خبير فبينما هم كذلك إذ طلع الناظور على رأس الصارى وقال للملك سيف يا ملك الزمان إنى رأيت أننا قادمون على برارى وصحارى ورأيت على بعد سور المدينة الحمراء فقال الملك سيف والله يا قبطان يثبت لك عندى جزاء البشارة وداموا حتى وصلت الغلايين والمراكب وفرحت جميع العساكر بتلك البشائر ودخلوا المينا وطلع الملوك والعساكر وتباشروا بأعظم البشائر ودقت الطبول ونعرت البوقات وانتصبت الخيام فى البرارى والطلول وانتشروا فى الأرض عرضاً وطولاً وأقاموا هناك ثلاثة أيام حتى أخذوا الراحة من تعب البحر ثم التفت الملك سيف بن ذى يزن إلى الملك أبو تاج وقال له مرادنا الركوب والمسير إلى المدينة الحمراء فجهز عساكرك بالخيل والنجائب ولا يبقى منكم أحد إلاَّ يكون راكباً فقال الملك أبو تاج سمعاً وطاعة وأرسل إلى المدينة فأحضر الخيل وركبت عساكره وركب الملك سيف بن ذى يزن وجعلوا للملكة منية النفوس صفحة من خشب مثل التخت وأركبوها فيها وساروا طالبين حمراء الحبش وهى بلد الملك سيف بن ذى يزن ولهم كلام إذا وصلنا إليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يصلى عليه **(ياسادة)** والتفت الملك سيف إلى الملك أبو تاج وقال له يا أخى إيش جرى فى زوجتى الملكة شامة بنت الملك أفراح لأنى تركتها عندك وتوجهت وما أعلم ما جرى فقال أبو تاج

يا ملك اعلم أن شامة كانت مْعى لما وصلت بعساكرى مدينتك حمراء الحبش وأنت معنا يا ملك حاضر وطلعت السيدة شامة إلى سرايتها وأقامت فيها مثل عادتها وأقمنا جميعاً فى خدمتك ولما أصبحنا ولم نجد سزلنا برنوخ الساحر عن الذى أعاقك عن نزول الديوان فقال إن أمه هى التى عاقته ولا بد أن يبقى لنا معها أهوال ووقائع ثم سكت ولم يرد على جواب هذا والملك سيف اطمأن قلبه على زوجته وولده وساروا كما ذكرنا **(قال الراوى)** وأما ما كان من برنوخ الساحر وعساكر الملك سيف بن ذى يزن مثل المقدم سعدون الزنجى ومن معه من العبيد والفرسان الصناديد كذلك الملك أفراح وباقى الأبطال والرجال فإنهم لمَّا فقدوا الملك سيف ونزلت الملكة قمرية أم الملك سيف وجلست على التخت ولم تحسب حساباً من الحاضرين اغتاظ أهل الدولة وعلموا أنها احتالت على ولدها وأخذت اللوح وبقى معها ولولا ذلك ما قعدت على التخت ودارت بها توابعها كما كان لهم فساروا إلى برنوخ الساحر وقالوا له أيها الحكيم كيف العمل فى ذلك الغبن العظيم فإن قمرية احتالت على الملك سيف وأخذت منه اللوح ولابد من فتنة من هذه اللعينة حتى تهلك العساكر وتخرب هذه المدينة فقال لهم برنوخ لا تحركوا الساكن ولا تسعوا فى الفساد وخراب الأماكن لأن هذه كافرة وإذا قتلت على أيديكم وحضر ولدها وعلم بقتلها يعتب عليكم دعوها عن بالكم وسوف أفعل ما يليق لها وأريحكم من شرها ومكرها وصبر برنوخ الساحر حتى أقبل الليل فألقى عليها باب الدولة وجعل حول قصرها سوراً من الظلام وألقى عليها الخذلان حتى منعها عن القعود والقيام وطال عليها المطال وهى على هذا الحال وكلما أرادت أن تمسك اللوح الذى لعيروض تجد أياديها مثل الخشب البلوط فعند ذلك صبرت على هذا الحال مدة أيام وليال وكان عندها عبد اسمه حردون ولكنه كافر مفتون وهو لا يفتر عن خدمتها ودائماً ملازماً طاعتها فقالت له فى يوم ياحردون أنا

قصدى أرسلك إلى الملك سيف أرعد تخبره بكل ما جرى وتجددوا كتب كتاب فإنى من شدة ما فعل برنوخ من هذه الظلمة أشرفت على الويل والعمى وقد أردت منك أن تتحايل وتضع لى سراجاً لعلى أن أقضى حاجتى فقال لها سمعاً وطاعة وأتاها بسراج وكانت الملعونة ماهرة فى الكتابة فكتبت للملك سيف أرعد تقول اعلم يا ملك الزمان أننى احتلت على ولدى سيف بن ذى يزن ابن الزنا حتى أخذت منه اللوح وغدرت به وأمرت عيروض خادم اللوح أن يرميه فى بلاد الحكيم أفلاطون لأجل أن يهلكوه لأن لهم عليه ثأر قديم لما كان أخذ قلنسوة أجدادهم وتوجه به عيروض كما أمرته وأظن أنه مات وانقضى زمانه وفات وقد استرحنا منه ولا يمكن أن يعود وكنت سابقاً لما أرسلت أطلب من حضرتك الحكماء وكان برنوخ الساحر قاعداً لى بالمرصاد فقبض عليهم وسجنهم وجرى ما جرى وعملت الحيل حتى خلصت نفسى وخلصتهم وأرسلتهم إليك بأمان وإن برنوخ الساحر افتقد الملك سيف هو والرجال وعلم من باب صناعته بالحال وما فعلت أنا بالملك سيف بن ذى يزن من الفعال فألقى على محلى ظلمة أشرفت منها على العدم وحبسنى فى قصرى هذه المدة فدعوت بعيروض بعد أيام وأمرته أن يقبض على برنوخ فما قدر على ذلك وقال لى لم أقدر على برنوخ وإن تعرضت له يحرقنى وأنا يا ملك الزمان ما بقى لى اصطبار وكيف يا ملك الزمان تتخلى عنى وأنا جاريتك فأرجو منك إرسال بعض الحكماء لعله أن يكون على أيديهم إزالة الغمة ويكشفوا عنى هذه الظلمة وها أنا ذا يا ملك أرسلت أعملك أدام زحل مملكتك وبعدما كتبت ذلك الكتاب فتحت باب السرو أخرجته ليلاً وسار قاصداً مدينة الدور عند الملك سيف أرعد حتى وصل المدينة ودخل على الملك سيف أرعد بعدما استأذنوا له بالدخول فلما لم يبق فى الديوان أحد من الخدم أفصح عما جاء به وتكلم ودعا للملك بدوام العز والنعم فقال الملك سيف أرعد من أين أتيت وما الذى

تريد فقال له أنا خادمك حرودن من جاريتك قمرية وأريد يا ملك أخبرك بما وقع لها من أعدائها فإنها فى كرب عظيم وخطب جسيم ثم إنه أعطاه الكتاب فأمر بقراءته وسمع ما فيه فدعا بالحكماء الاثنين وهم سقرديس وسقرديون بين يديه فلما حضرا وسلما عليه أخبرهم بما أرسلت به قمرية وأراهم الكتاب وقال لهم مرادى أن أرسلكم إلى قمرية لتزيلوا عنها ما فعله بها برنوخ الساحر من المصائب والأذية لأنها صالحة والتنا وتركت ولدها واتبعتنا فبقى الواجب علينا أن نعاونها ولا نتخلى عنها فقالوا له يا ملك ومن أرسل برنوخ هذا إليها فقال لهم أما سمعتم كتابها وما قالت فى جوابها فلا تقعدوا عن نصرتها ولايكون لكم همة إلا فى نجدتها فقالوا له يا ملك نحن نسير إليها بكل همة ونزيل عنها كل غمة وهذا عندنا أقرب ما يكون ولكن نحن يا ملك نخاف من سعدون الزنجى لأنه متى وقعت عينه علينا فإنه لاشك يقتلنا ولا يبالى بك ولا بنا لأنه كما تعلم يا ملك جبار لا يصطلى له بنار فلما سمع كلامهم انغاظ منهم وقال لهم إيش هذا الكلام يا أولاد اللئام وأنا إذا تخليت عن قمرية ولم أقدر أن أزيل عنها الرزية يقال إن ملك الحبشة والسودان عجز عن رجل سحار وعن عبد قليل المقدار فانظروا لكم رأياً صواباً فقالوا له اعلم يا ملك الزمان أننا لسنا أهل حرب وطعان فمرادنا يا ملك أن تجهز لنا عساكر حربية معودين بخوض الأهوال ومصارعة المنية فإذا كان برنوخ الساحر يتعرض لنا فنحن له كفية وأما إذا تعرض لنا سعدون الزنجى بمن معه من الفرسان وكذلك الملك أفراح ومن له من الجنود والأعوان فتتلقاهم الأبطال الذين معنا والفرسان واما برنوخ الساحر فنحن له ولأمثاله فإذا قدمنا على مدينة حمراء الحبش ووقعت العين على العين فنكون نحن لبرنوخ الساحر وأما الفرسان الذين معنا فتلقى الجيوش والعساكر ولا نعود إلا ببلوغ المقصود ونأتيك بكل ما بها من الملوك فى الأغلال والقيود بعد ما يفنى العساكر والجنود هذا إن أردت أن زحل ينصرك

وأما يا ملك الزمان إذا أرسلتنا.وجدنا نحن الاثنين فما نبلغ غرضاً ولا نشفى مرضاً فقال لهم صدقتم ومن تريدون أن تأخذوا من الفرسان والأبطال حتى يعينوكم على الحرب والقتال وملاقاة الأهوال؟

(قال الراوى) وكان فى فرسان الملك سيف أرعد فارسان جباران يدخر هما للشدائد والأهوال إذا كثرت عليه الحروب واشتدت الأهوال ويضرب بهما الأمثال عند الحرب والقتال فأما واحد منهما فاسمه المقدم مهوب وهو كأنه الأسد الوثوب وإذا نزل على أعدائه كأنه البلاء المصبوب وهو جبار من الجبابرة وكان فى ديوان الملك سيف أرعد الفرسان ومقدمو العساكر يفتخرون بالحرب ويركبونها فى قطع من عود النار وكل من كان جباراً له حربة على قدر جبره وعادة جبابرة الحبش والسودان أن يفتخروا بحرابهم التى يعتقلون بها والسيوف التى يتقلدون بها وكل جبار له حربة خاصة لنفسه كما ذكرنا واتفق فى قديم الزمان أنه ظهر فى بلاد الحبشة فارس قبل ذلك الزمان كان اسمه الهول الصائل وكان بطلاً من الأبطال وله حربة تزيد عن حراب غيره على قدر جبره وشجاعته وكان بطل آخر اسمه المقدم كاردفان كان الآخر جبارا وكان له حربة على قدره فكان يوم من الأيام اجتمعوا فى الديوان بحضرة الملك أبو سيف أرعد تذاكروا القوة بين بعضهم وافتخروا على قدر شجاعتهم وقوتهم فقال المقدم الهول الصائل أنا أقدر أطوى هذه الحربة التى فى يدك يا مقدم كاردفان وأطوى كيرها على السنان وأقصفها بيدى وأجعلها نصفين ويكون بينى بينك رهان من حصان إلى حصان إن أنا قصفتها أخذت حصانك وإن عجزت أعطيك حصانى وكان ذلك بحضرة الملك فأخذها وكانت من البولاد الصينى فاتكأ عليها وقصفها نصفين وافتخر بما فعل على جميع الفرسان فأمن الملك له من عنده بحصان فداء عن حصان المقدم كاردفان فانغاظ كاردفان وحلف بزحل الذى يذكر بين الكواكب النيرة أنه يقدر أن يسبك بين يديه حربتين ويأخذ

فى نظير ذلك حصانين فقال له الملك وجعل يمتحنه بالكلام إن فعلت ذلك أعطيك حصانين من عندى وأحكمك فى جميع عسكرى وجندى فكان الأمر كذلك وأمسك حربتين واتكأ عليهما فانطويا على بعضهما ورجعهما ليعيدهما فانقصفا فأنعم عليه الملك بحصانين وشاع له بذلك الذكر فى بلاد السودان وتداولت الأيام والأزمان وتسلط الملك سيف أرعد بعد أبوه على الحبشة والسودان وظهر مهوب كل هذا وافتخر بعزمه على الأقران حتى سمع ما فعل المقدم كاردفان فى قديم الزمان وكان المقدم كاردفان موجود ولكنه صار هو ما ليس له همة فلما سمع المقدم مهوب بأنه فى زمانه نصف حربتين وصار له ذكر شائع فى العسكرين طلب من الملك سيف أرعد أن يحضره بين يديه فلما حضر قال المقدم مهوب أريد منك بحضرة الملك أن تأمر أرباب الصنائع وهم الحدادون أن يصنعوا حربة مثل الذى كنت تفتخر بها فى زمانك فقال سمعاً وطاعة وأحضر حربته الأصلية التى كان يفتخر بها فى زمانه بين أتباعه وأقرانه وأيضاً أحضر حربة الهول الصائل وكانت الحربتان متما ثلتين فقال المقدم مهوب وهذه حربتى الثالثة وكان المقدم الهول الصائل فى زمانه قصف واحدة فسمى بسابك الحربة بيديه وافتخر بذلك المقدم كاردفان سابك الحربتين فعند ذلك تقدم المقدم مهوب وأخذ الحربتين ووضع عليهما حربته وقال الملك سيف أرعد يا ملك الزمان إذا كنت أسبك هؤلاء الثلاث حربات إيش يكون لى عندك من الإنعام فقال له كنت أجعلك نائباً على أى بلد تريد وأجعل لك خدماً وغلماناً وعبيداً ومهما طلبته أعطيك وأزيدك عليه أوفى مزيد فعند ذلك طبق الثلاث حربات الحديد على بعض وقبض بكفيه على أطرافها فطواها على بعضها وقال يا ملك الزمان عند اهتزازها بيدى فالاثنان ينقصفان وأما حربتى فإنها تنفدى وتعود كما كانت ولا تنفصف وأما هاتان الحربتان فتقصفان بما أنهما قديمتان وأما حربتى من دونهما فجديدة فقال له افعل ما بد لك حتى نتفرج

على أفعالك وإن كنت تقدر أن تعيدهما كما كانتا ولا ينكسرا فإنك بذلك تفتخر على أقرانك ولا يبقى لك عديل فى زمانك فقبض عليهم حتى أعادهم كما كانوا على صحتهم فأنعم عليه الملك فى الحال وحكمه على ما حول المدينة من جميع الجبال أو رتب الجماكى والعلوفات وسماه المقدم مهوب سابك الثلاث وشاع ذكره بهذا الاسم بين الفرسان والقادات وهو فارس شديد وبطل صنديد وشيطان مريد **(قال الراوى)** وكان فارس ثان اسمه المقدم دمنهور وكان من منشئه وهو طفل جعل مأواه الجبال حتى كان يصارع أولاد النمو وربى بين السباع والأشبال وكل إقامته الأجمات والغابات والأودية الخوال وأكله من لحم الوحش والغزال ومشربه من غدر ان المناهل والجبال فبذلك سموه دمنهور الوحش فإنه كان اسماً على مسمى هذا أصل أسمائهم وكانوا بذلك فائقين على جميع الحبشة والسودان ولهم هيبة فى كل مكان وتخضع لهم جميع الجبابرة والأقران وهم فرسان ذلك الزمان ومع ذلك لا يحضرون عند الملك فى ديوان أبداً فإن عصى على الملك سيف أرعد ملك أونائب فيرسل إلى دولته ويأمرهم أن يبعثوا إلى أحد الاثنين إما سابك الثلاث أو منهور الوحش **(ياسادة)** ولما كان ما كان من قمرية وبرنوخ الساحر فى هذه النوبة والملك سيف أرعد ضيف على سقرديون وسقرديس فما كان له إلا أن قالا للملك سيف أرعد يا ملك الزمان أنت تعلم أن سعدون الزنجى جبار وفى الحرب ما عليه عيار وإن أردت أن نبلغ منه المقصود فى القوة والبطش فأرسل معنا سابك الثلاث والمقدم دمنهور الوحش فإن هذين البطلين يتكفلان بسعدون الزنجى ومن معه من الرجال ويكون معهم فرقة من العساكر للقاء الملك أفراح إذا تعرض للحرب والكفاح ونحن نتجرد لبرنوخ الساحر وما يفعل من الفعال واعلم يا ملك الزمان أنه ما يتم لنا أمر فى هذه الكرة وتفتح لك المدينة الحمراء إلا إذا أمرت هؤلاء الجبابرة أن يكونوا معنا فى هذه القضية فقال الملك سيف

أرعد السمع والطاعة وفى الحال أرسل من عنده بنجابين إلى المقدم سابك الثلاث والمقدم دمنهور الوحش وبعد إرسال النجابة من عنده قال للحكماء ها أنا ذا أرسلت لهم النجابة وحين يحضرون من البرية فخذوهم وسيروا بهم إلى معاونة قمرية ثم التفت الملك إلا وزرائه وأرباب دولته وقال لهم أنتم جميعاً إقامتكم معى على غير منفعة وأحوالى معكم على أى الحالات ضائعة والأمور كلها لا أحد فيكم له فيها رأى وتدبير نفيس إلا هذين الحكيمين وهم سقرديون وسقرديس فقام الوزير بحر قفقان الريفى على قدميه وتقدم قدام الملك سيف أرعد وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان أنت ما عرضت لأحد منا سؤالاً ولا جعلت شورتك إلا مع هذين الحكيمين أهل الخزى والضلال ولو سألتنا عن شيء كنا أجبناك وإلى طريق الصواب أرشدناك وإن كان هذان الحكيمان أعلماك بهذين الفارسين وهو دمنهور الوحش وسابك الثلاث فأنا أدلك على من هو أقوى منهم ثباتا وهو فارس لا يلتقى ولا يبالى بحرب ولا يشقى وهو عبد أسود أشجع من هذين الاثنين وأثبت من سعدون ومن غيره بطبقتين لأنه زائد عن الجميع فى الفروسية وقد بلغ النهاية والمراتب العلية بلغنى عنه الأخبار على ألسنة التجار والسفار بأنه قاطع وخائن الرفيق وهو ساكن الآن ياملك فى غابة الأسد وكم أرسلت أنا له عسكراً من عساكرنا وهو يهلكهم ولا يخلى منهم أحداً ويأخذ سلاحهم وملابسهم والخيل والخوذ والزاد إن كان مرادك أن تنظر إليه فأرسل له من عندك رسولاً بهدية من أحسن الهدايا وأرسل له بدلة وحصاناً يصلح للحرب والجولان واكتب له كتاباً من عندك بالأمان وقل له في الكتاب يا بطل الزمان وفريد العصر والأوان لا يخفاك إن لى عبد من عبيدى عصى لشدة بأسه وقوة مراسه وكلما أرسلت إليه أحداً يقهره أو جيشاً يدمره وقد علمت أن ما له كفئاً سواك أيها الفارس فأرسلت لك الكتاب ومرادى منك أن تركب إليه تجتهد أن تخطف روحه من بين كتفيه

فإذا سرت إليه وكفيتني شره وصرمت عمره أو أتيت به عندى أسيرا فإنى أعذبه العذاب الكبير وأنا أجعلك لى وزيراً وتبقى جليسى فى مرتبتى وأقاسمك فى نعمتى وأزوجك بابنتى وتصير من أعز أحبتى وأجعلك رئيس مملكتى وسيف نقمتى ونافذاً أمرك فى جميع وزراء دولتى وسلام زحل عليك وشهب النجوم جميعاً تشوى وجهك وبدنك ويديك ثم قال إلى الوزير بحر قفقان الريفى يا ملك الزمان واذكر له أنه تزوجه بنتك ست الأهل فلعله إذا سمع هذا الكلام وتولع قلبه بحب ابنتك يأتى إلى طاعتك ويصير من حزبك وفرسان دولتك فترسله إلى سعدون الزنجى مع هذين الفارسين وتنظر كيف يصنعون فإن قتل سعدون الزنجى فهو أكثر مرادك وبعد ذلك يأمن لنا ويقيم عندنا فإن أطاع وامتثل أمرك وإلا دبرنا على هلاكه وسوء ارتباكه وإن كان سعدون الزنجى يعجل من الدنيا مرتحله فبذلك ترتاح منه لأنه على كل حال عاص عليك أيها الملك السعيد وهذا ما عندى من الرأى المفيد.

(قال الراوى) ثم إن الملك سيف أرعد لما سمع من الوزير ذلك الكلام أيقن أن هذا رأى جيد تمام وكان واثقاً بكلام الوزير لما يعلم أنه بعواقب الأمور خبير وأيضاً يعلم أن ذلك الفارس الذى فى غابة الأسد كلما يريد أن يرسل يطلبه يخاف إذا أرسل جيشاً أن يغلبه وناموس الملك إذا كان الذى يرسله ينهزم فلا يبقى له حرمى ولا مقام بين الأمم وكانوا جميع دولته من هذا العبد يخافون وبه قدام الملك لا يتذكرون ويعلمون أنه مقيم فى غابة الأسد واسمه ميمون وهو فارس قمقام وبطل ضرغام وكنيته ميمون الهجام فلما كان ذلك اليوم تكلم الوزير بحر قفقان الريفى بهذا الكلام التفت إلى الحكماء وقال لهم هل تعرفو ذلك الذى تحدث عنه الوزير بحر قفقان الريفى بهذا الكلام التفت إلا الحكماء وقال لهم هل تعرفون ذلك الذى تحدث عنه الوزير وأنه فارس خطير وبطل نحرير فقالوا له نعم يا ملك

نعرفه ولا نجحده وهو مقيم فى غابة الأسد لا يقاومه فى الحرب أحد ولا يخفى عن أحد منا أمره فإنه قد أباد الشجعان وأذل كثيراً من الاقران وتجارا على قتل العباد وأكثر فى الأرض الفساد يا ملكنا نريد أن تؤمنه على نفسه لعله يحضر بين يديك فإنه يهلك جميع أخصامك مع هذين الفارسين وبذلك يعلوا شأنك على جميع الملوك فى الشرق والغرب وإن هو هلك أراحك زحل منه بغير قتال ولا الحرب وأيضاً إن سعدون الزنجى عدونا وميمون الهجام أيضاً خصمنا ولا يصعب علينا كل من هلك منهم على أيدى بعضهم ونحن إذا سرنا بهؤلاء الثلاثة أقران مع الباقى من الفرسان نجعلهم للمقدم سعدون الزنجى وعبيده ومن معه من الملوك والمقدمين وننفرد للبرنوخ الساحر نحن الاثنان ونبطل الظلمة عن جاريتك قمرية وإن أراد زحل فى علاه لا نبقى من الجميع لاديار ولا نافخ نار **(قال الراوى)** فعند ذلك سكت الملك سيف أرعد ساعة زمانية ورفع رأسه وقال لهم إذا كان الأمر على ماذكرتم فلا يكون رسولاً إلى ذلك الفارس إلا أنتم فكونوا رسلى إليه وكل ما تفعلونه ماضى واضمنوله على له الأمان وجميع ما تفعلونه فما أخالفكم فيه إذا أحضرتموه ولذلك الأمر ندبتموه فقالوا له سمعاً وطاعة يا ملك الزمان وبعدها تطلعوا لبعضهم بالأعيان وقد زاد مغضهم وتكلموا مع بعضهم بالإشارة فقال سقرديس لسقرديون يا أخى ترك الفضول من أحسن المعقول وكثر الفضول من قلة العقول واللقلقة خراب لجميع الفروع والأصول ومراة اللسان تقتل الإنسان وتسقيه كأس الهوان فقال سقرديون ويلك يا سقرديس يا نحيس ما كان لنا من هذا الأمر التعيس النحيس الذى أواخره تجلب التعسة والتنكيس فإن كل من راح إلى ذلك العبد يكون فرغ من الأجل ولا يعود سالماً ولا إن كان أشجع بنى آدم ولكن لايمكننا الخلاف فقم بنا نسير إلى العبد ميمون وندبر الحيلة على قدر ما يكون من العمل عسى أن ينفعنا زحل ثم إنهم استأذنوا الملك فى

الانصراف وقاموا إلى محل القلب وقالوا أيها الملك لابد لنا من المسير إلى ذلك العبد ميمون الهجام الفارس النحرير فقال لهم وحق النجم إذا سار والليل إذا أظلم وهذه أختام الأمان وخذوا أيضاً معكم هذه الهدية السنية الغالية الأثمان وهى درع ودى وسيف ومزارق وحصان ولكن بشىء عظيم يساوى خراج إقليم فعند ذلك خرجوا من عند الملك سيف أرعد طالبين غابة الأسد وأخذوا معهم مائة فارس كلهم بالحديد والزرد وساروا يقطعون البر والفد وهم زائدان الغيظ والكمد ولهم كلام **(ياسادة)** وأما النجابون الذين أرسلهم الملك سيف أرعد إلى دمنهور الوحش وسابك الثلاث فإنهم ساروا ودخلوا عليهم وسلموا الكتاب فأخذوه وقرؤوه ولما أتوا على آخره أجابوا بالسمع والطاعة وركبوا من تلك الساعة وساروا ودخلوا على الملك سيف أرعد فى مدينة الدور وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه فلما رآهم أمرهم بالجلوس بعدما رحب بهم فجلسوا قدر ساعة زمانية والتفت إليهم وقال لهم ما أحضرتكم إلا لأمر عظيم وهو أن عبداً من عبيدى قد عصى وتكبر وعمل على كيدى لكونه من أهل القوة والشجاعة فقلت ما للحديد إلا الحديد فمن أتانى منكم برأسه ويأتى به أسيراً ذليل حقيراً أفيض عليه من نعمتى وأزوجه الملكة دجوه ابنتى وأجعل له نصف مملكتى فقالوا له يا ملك نحن لك وبين يديك وإن أرسلت منا أحداً يضرم عمره ويكفيك شره فارسلنا يا ملك إليه إما أن نأتى به أسيراً أو تركه على وجع الأرض ملقى غفيراً فقال لهم الملك سيف أرعد و أنا أيضا أرسلت خلف العبد ميمون لأجل يكون معكم لأن الكثرة تغلب الشجاعة فأقيموا هنا إلى أن تأتى الحكماء وتسيروا مع بعضكم على بركة زحل لتهلكوا سعدون ولكن عندى ما تريدون ثم إنه أفرد لهم مكاناً مخصوص لإقامتهم وأقاموا كما أمرهم ورتب لهم كل ما يحتاجون إليه من أكلهم وشربهم وما يليق من إكرامهم **(قال الراوى)** أما الحكيمان فإنهما مازالا مجدين فى سيرهما فى البر

والفدفد حتى وصلا إلى غابة الاسدو بقى بينهم وبين غابة الأسد قدر أربعة أميال وكانت غابة الأسد تكشف كل من أتى إلى ذلك البر من مسيرة يومين وأكثر لعلوها وكان هذا الجبار ميمون ساكناً فيها لأجل انقطاعها عن العمران وعلوها فوق الجبال لأنه بطل من الأبطال وفيل من الأفيال وهو رجل أطول من الطوال فإذا كان جالساً ونظره إنسان يظن أنه واقف وإذا مشى فى القفار يساوى فى مشيه أعالى الأشجار ومن ثقل جثته لا تحمله الخيل الجياد عند الحرب والجلاد فكان يركب الأفيال السمان العوال **(ياسادة)** واتفق أنه قعد يوماً على سن جبل على قدام باب الغابة وصار ينزل إلى الطرقات والبرارى والمقفرات الخاليات فبينما هو كذلك وإذا بغبار علا وثار وسد منافس البر والقفار وانعقد حتى حجب ضوء النهار وبعد ساعة انكشف وبان للنظار عن مائة فارس كرار يقدمهم فارسان كأمهما برجان مشيدان على ظهر جوادين من أفخر الخيول الجياد وهم كأنهم فى سيرهم الغمام ويقطعون البرارى والآكام فلما رآهم ميمون الهجام قام واقفاً على الأقدام وقال فى نفسه هذه غنيمة قد جاءت إلينا من دون الآثام ثم ركب على ظهر الفيل وانفرد إلى ذلك البر الطويل ولم يزل سائراً فى البرارى الخوال حتى أقبل على مقدم الرجال وكان الحكيمان فى المقدمة فلما رآهم صرخ فيهم صرخة مزعجة فظنوا من صرخته أن أرواحهم من أجسادهم خارجة وقال لهم من أنتم ومن أين أقبلتم وإلى أين تذهبون وكيف دخلتم إلى أرضى من غير إذنى وسلكتم طريق الخطر وأوقعتم نفوسكم فى هذا البلاء المختصر قال فلما عاين الحكيمان ذلك وسمعوا منه الكلام أيقانا بالمهالك وتأملا صورته وما كنوا نظروه إلا هذه الساعة فرأوه أسود طويل قصبة وعرض مصطبة مفتول الزندين قوى الساعدين واسع الصدور والمنكبين بدماغ كأنها برحان ووجه أسود وعينين كأنهما سراجان يتوقان وقلب كأنه قلب الأسد وله أبراق وأرعاد كأنه من السبع الشداد الذين طغوا

فى البلاد وأكثروا فيها الفساد أو من بقايا قوم عاد أو من عمار أرم ذات العماد فارتعبت قلوب الحكماء ولحقتهم الخمدة والخبلة وظنوا أنهم أصابتهم علة لكنهم تجاسروا بالكلام وتبادروا إليه باهتمام وقالوا له أيها الفارس القمقام والبطل الضرغام نحن إليك جئنا عادمين وإلى نحوك قاصدين وبأرضك نازلين وعليك مطنبين فقال لهم ومن أنتم ومن أين قد أقبلتم فقالوا له نحن حكماء الملك سيف أرعد وقد أتينا إليك نطلب منك حاجة ونروم قضاءها من غير أمر ولا نهى عليك فإن أطعتنا كان ذلك منك جميلاً وإن لا تطع فنحن نعطيك ما بإيدينا ونعود بلا فائدة كما أمرنا ملكنا وهذا ما عندنا والسلام **(قال الراوى)** ثم إنهم قدموا له أولاً خاتم الأمان وبعده قدموا له الهدايا وكانت على عشرة جمال وعرضوا عليه الحصان والعدة والسيف والرمح وبعد ذلك أخرج له سقرديس البدلة وأخرجها عليه وقال بارك فيك زحل فى علاه فلما لبس ميمون ورأى نفسه فيها مزروقاً كأنه الفحل الجاموس أو المطلوق فرح بذلك وتبسم لهم بالضحك وقال لهم وما حاجتكم يا حكماء الزمان فإنكم قد بلغتم المرام ووجب لكم عندى الإكرام فقالوا له اعلم يا بطل الزمان إن الملك يسلم عليك ويقول لك إن عبدًا من عبيده يقال له سعدون الزنجى وقد عصى عليه وقويت شوكته وأراد الركوب إليه وقد بلغه طرفاً من شجاعتك وقوتك وبراعتك فأرسلنا إليك لأجل أن تأخذ له بالثأر وتجلو عنه العار ويبقى لك العز على أقرانك والافتخار وإن أنت قتلته فإن الملك يزوجك بابنته ويقاسمك فى نعمته ولك عنده كل ما تريد أيها البطل الصنديد فقال لهم ميمون وقد فرح بالبدلة والهدية وزاغت منه العيون وإيش يكون هذا سعدون حتى إن الملك يدعونى إليه ولكن قد أجبتكم إلى ذلك فخذوا مامعكم من الرجال وعودوا إلى الملك فى الحال وأنا ألحق بكم على الأثر وسوف أفعل للملك ما يريد.

فلما سمع الحكماء ذلك المقال ركبوا فى الحال وعادوا إلى مدينة الدور

وما صدقوا أن ينجوا من هذه الأمور ودخلوا على الملك سيف أرعد وأعلموه أنه قادم خلفهم هذا ما كان منهم وأما المقدم ميمون فإنه عاد مسرعاً إلى الغابة وأعلم جماعته وكانوا قاعدين له فى الانتظار وهم يظنون أنه نزل لأجل غنيمة تأتيهم فما يشعرون إلا وهو قادم عليهم وأخبرهم والهدية معه فقالوا له ما بالك وما جرى وكانت جماعته شعرة أبطال فقال لهم قد دعينا إلى حاجة للملك سيف أرعد وأريد قضاءها وأنتم عليكم حفظ هذه الغابة فقالوا له سمعاً وطاعة فركب على فيله وسار طالباً مدينة الدور وكان الحكماء عادوا فرحين يتحدثون مع العساكر الذين معهم وسألوهم عما جرى لهم مع ميمون الهجام هل رضى أن يسير للملك سيف أرعد أم لا فقالوا لهم قضيت حاجتنا وكان زحل مساعدنا وموافقنا وساروا قاصدين المدينة وهم فى أهنأ الأفراح والسرور وإذا بالغبار من خلفهم قد فار وعلاو انكشف وبان من تحته المقدم ميمون مقبلا من البركان مجنوناً وهو مسربل بالحديد والزرد النضيد كأنه قطعة من الجلاميد وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو قضاء الله إذا انحدر ولم يزل حتى أتى إليهم ووصل ففرحوا به وتلقاه الحكيم سقرديس وقال له أهلاً وسهلاً بارك الله فيك زحل ورعاك الضم والهيل ثم إهم ساروا وسقرديس من شدة فرحه كاد أن يغشى عليه وبقى يتمنى أن يطير فى الهواء وهم زائدون الفرح والسرور حتى وصلوا مدينة الدور وكانوا راكبين الخيل إلا ميمون فكان راكباً على الفيل فنزل من خارج المدينة وسلم الفيل إلى بعض الخدماء وصار ميمون صحبة الحكماء حتى وصل إلى القصر فوجد ذلك البنيان والبياض والدرج فوقف يتفرج وظن أن هذه حاجة مجعولة للفرجة حتى إن الحكماء داسوا على الدرجات فطلع معهم حتى وصل إلى محل الديوان فوجد اوين على الشمال واليمين ونظر إلى مجالس وأسرة ومقاعد و دهاليز ومصاطب ودواوين وسرا ورأى اثنين وثمانين قطعة من الذهب الأحمر الوهاج على صفة

القواعديين بين قطعتين عامرتين من المرمر بحتافيك من الزبرجد الأخضر مكللة بفصوص الدر والجوهر تضىء بالليل مثل النجوم وبالنهار يأخذ نورها البصر ونظر ميمون إلى ذلك الحال فأخذه الانذهال وقال للحكماء أنا كنت أظن أن مكانى لم يوجد مثله للحال والآن فقد نظرت إلى ذلك المكان فوجودته أعظم شأناً هذا وقد دخل البشير إلى الملك سيف أرعد وأخبره بقدوم الحكماء والمقدم ميمون واستأذن عليه فى الدخول فأذن لهم فدخل وجعل سقرديس يحدث المقدم ميمون ويقول له إذا أنت وقفت بين أيادى الملك فطاطى رأسك إلى الأرض هكذا لأجل أن يرتفع مكانك عند الملك وتقع محبتك فى قلبه ويكون لك الفخر العظيم فقال ميمون ولأى شىء هكذا تريد أن تعظم منزلة هذا الملك علىَّ بالعين وأنا قادر أن الكم بيدى هكذا فأخرق ظهره وأقصم عمره وأعجل من الدنيا مرتحله ثم إنه لكم سقرديس بيده فوقعت اللكمة على كتف سقرديس خدلته ولو كانت غضب لكانت أهلكته وكاد أن يغشى عليه وإنما جعل يظهر الفرح ويخفى الكمد والترح ويقول له وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه إنى لك ناصح نصح وأين يكون قدر الملك من قدرك وهو محتاج إليك وما أنت محتاج إليه ومازال معه بمثل ذلك حتى إنه طاوعه على ما يريد هذا وقد دخلوا على الملك وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه ودعوا له بدوامن العز والنعم إزالة البؤس والسقم فقال الملك مرحباً بك يا بطل الزمان وفريد العصر والأوان جعلك زحل فى أمان وباركت فيك الأصنام والأوثان وتبرأ منك الملك الديان فقال ميمون وأنت يا ملك الزمان وحاكم ممالك الحبشة والسودان فقال الملك يا مقدم ميمون لولا أنا أرسلنا لك ما كنت جيتنا ولادخلت قصرنا وديوانا فقال ميمون يا ملك الزمان ما كان فى بالى الحضور ولا كنت أظن أننى أحضر وأجوز الأعتاب والجدران ولكن يا ملك ها أنا ذا حضرت وجاوزت الأعتاب ومن حضر فكأنه ما غاب فأمر له الملك بكرسى

كبير فجلس عليه وكان من العاج الهندى.

ولما جلس أمر بالطعام فامتد السماط وجلس الملك وأجلس ميمون بجانبه وصار الملك يأخذ من أفخر المأكول ويطعم ميمون ومازالوا كذلك حتى اكتفوا وانشالت الأوانى وغسلت الأيادى وأمر الملك بإحضار أوانى المدام فحضرت البواطى ملانة من الخمر العقار الذى صفا وراق وصار أصفى من دموع العشاق ويتبعه من أصناف الحلويات والبسبوسات وبعض المكسرات من فسدق وبندق ولوز وجوز وما أشبه ذلك وأمر الملك بإحضار بنات حبشيات ناهدات وألوانهن كألوان الورد عند تمام استواه وهى نزهة لمن ينظره ويراه وحضروا ودارت الكاسات على أكابر الدولة والملك وسابك الثلاث ودمنهور الوحش وميمون الهجام وقد أخذوا فى حديثهم والمشورة والمقال وقعد الحكيم سقرديس وأخوه سقرديون وهم فى سكرهم يهرسون وقال سقرديس لسقرديون أما أنا يا أخى فأيقنت من غير شك ولا ريب وزحل هو الذى يعلم الغيب أن هؤلاء الثلاثة أبطال أقل من فيهم يقتل سعدون الزنجى هو ومن معه من الرجال وينزل به الذل والنكال وأن دورة الحرب ما بقى لنا فيها فكرة ولا تأتى لنا على بال وأما نحن إيش يكون منا إذا قابلنا برنوخ الساحر ووقع بيننا وبينه ما يكون من الفعال وسوء الأعمال وأنا أخاف من برنوخ الساحر أن - يفترسنا ويغلبنا ولا لنا من يساعدنا كل هذا يجرى والكاسات على الناس تدور وقد انهمكوا فى شرب الخمور فبينما هم على ذلك الحال وإذا بشىء نزل من سقف المكان ووصل من الأعلى إلى الأدنى وهو ينبرم وله قعقعة وركض حتى وصل إلى الأرض فلما رآه الحاضرون انزعجوا فإنهم عمرهم ما رأوا مثل ذلك الحال ولا رأوا هذا التمثال وما داموا إليه شاخصين حتى صار بين أيديهم وهو قائم وإذا به من بنى آدم ولكنه شنيع الخلقة دنس الثياب طويل الشعور والأظافر منتن الرائحة طويل الإنسان واسع العينين كأنه مولود من ذرية الجان فلما رآه الملك أرعد على

ذلك الحال قال له: من أنت؟ ومن تكون ومن أين أتيت؟ فقال له اعلم يا ملك الزمان أنى رسول قد أتيت إليك من عند جماعتى السحرة والكهان فقال له الملك سيف أرعد ومن يكون جماعتك أعاذنا زحل من صورتك ما أقبح رؤيتك فقال له اعلم يا ملك الزمان أننا من جبل الدخان والفج الأعظم ونحن ثمانون ساحراً وكان علينا كبير سحار وهو مثلنا يعبد النار وهو يسجد لها آناء الليل وأطراف النهار فإنه اتفق أنه أتى عندنا شخص صغير القامة من الآدميين الصغار فأردنا أن نجعله قرباناً للنار فاحتمى له كبيرنا وعادانا من أجله وحاربنا فلما رأينا على ذلك الحال أعلمنا ملكنا صاحب أرضنا والبلاد فأراد أن يقبض عليه فهرب وتركنا نائمين بجانب الفج فأمرنى رفاقى أن أدور عليه من مكان إلى مكان فلم أعلم له طريقاً بالمكان وفى تلك الأيام سمعت أنه عندك فى هذه البلاد فأتيت إليك أريد أن أسألك إن كان عندك فأرنى إياه حتى آخذه إلى أرضنا أو أعلم رفقتى حتى يأتوا إليه ونتساعد كلنا على أخذ روحه من بين جنبيه وأنا لى مدة أيام أدور عليه.

(قال الراوى) والسبب فى ذلك أمر عجيب وهو أن قمرية لما أمرت عيروض سابقاً أن يرمى الملك سيف فى وادى السحرة وجرى ماجرى من برنوخ والملك سيف لما أسلم وأراد السحرة أن يفتروا عليهم واختطفتهم عاقصة كما ذكرنا وأفاقوا من سكرهم .

انتهى الجزء الرابع من سيرة الملك سيف بن ذى يزن

ويليه الجزء الخامس أوله وتبعوهم

الجزء الخامس
من سيرة فارس إليمن الملك سيف بن ذى يزن

وتبعوهم ولحقتهم حاصلة وعاقصة خطفت الملك سيف وبرنوخ كما قدمنا وباتوا تلك الليلة ومن أغرب ما جرى أن الخدام دخلوا على ملكهم فرأوه قتيلاً وكان له ولد يقال له عبد لهب فلما علم بموت أبيه قال ما قتل والدى إلا الذين كانوا معنا أمس فى الحرب والقتال وأقول إنهم دخلوا مدينتنا وقتلوا أبى وإن دام الأمر على ذلك يقتلوننا واحداً بعد واحد يا ويلكم فتشوا عن الغرماء ففتشوا عليهم فما وجدوا لهم من خبر ولا وقفوا لهم على جلية أثر فزاد الأمر عليهم ولم يعرفوا أى المصائب التى نزلت عليهم **(يا سادة)** وكان قتل هذا الملك له سبب عجيب وهو أن ملك هذه المدينة له ولد اسمه عبد شرر وكان يحب بنت الوزير محبة جيدة وهى أيضا تحبه وهو يراسلها وهى تراسله على يد عجوز كانت متقدمة فى السن فاتفق أن الوزير دخل مصادفة قدر فرأى تلك العجوز داخلة وكان الوزير خارجاً فالتقى بالعجوز وبيدها كتاب تريد أن تعطيه لبنت الوزير فأخذه منها وقال لها من أين ذلك الكتاب؟ فتلجلجت ولم تقدر على رد جواب فأخذ هو الكتاب وقرأه وفهم ما فيه فرأى ابن الملك يقول لبنته فى جوابه من بعد السلام والتحية أنه يشتكى من الهوى والصبابة والجوى ويقول لقد طال بنا الغرام واشتد علينا السقام فالمراد إما أن تختفى وتأتينى ليلاً حتى نبلغ من بعضنا الغرض ونشفى قلوبنا من المرض وإن كان ما يمكنك المجىء عندى أجىء أنا أحظى بوصالك وأبلغ المنى وكل من عارضنى أنزلت به الفنا وأمكن منه حد السيف وسنان القنا ولابد أن تردى إلى الجواب حتى اطمئن إذا فهمت الخطاب فلما علم الوزير ذلك دخل على بنته وقال لها إيش هذا الخبر ومن

الذى عرفك بابن السلطان حتى أرى كتبه تصل عندنا وهو يكاتبك فقالت له يا أبى أنا مالى معرفة وأنا فى مكانى ولا عمرى رأيته ولا هو رآنى فصدقها وتركها وقصد إلى السلطان ودخل عليه وباس الأرض بين يديه وقال له أيها الملك السعيد إنه ابنك وأرجعه عن بنتى لئلا يفسد طبعها ويسبى عرضها فإنه مغرم بحبها واعلم يا ملك أن البنات عروض الرجال وإذا دخل شىء فى العرض صار عاراً لا يمحى فقال الملك أنا أرده وأحضر ولده ونهاه ومنعه عن بنت الوزير فانتهى مقدار شهر ثم بعد ذلك زاد بهما الغرام فعادا كما كانا بالمكاتبة والمراسلة فعلم الوزير فسأل بنته ثانياً فأنكرت وقالت هو الذى يراسلنى فاغتاظ الوزير وأحضر عبداً من عنده يقال له سمعان وهو من العبيد الشجعان وقال له يا سمعان أريد أن تأخذ هذا الخنجر وترصد عبد لهب بن السلطان حتى يبقى فى محل نومه وتمكن ذلك الخنجر من وريديه وأنا أزوجك بنتى وكان العبد يعشق بنت الوزير ويتمنى النظر إليها فلما اتفق له ذلك الاتفاق العجيب قال فى نفسه لعل أن يكون لى فى وصلها نصيب واختلط هذا العبد بالخدم حتى انفض الحديث ودخل السلطان وولده إلى محل النوم فطلع الغلام عبد لهب إلى الحريم أما السلطان فأحضر تنور النار وقعد يتعبد عليه حتى أدركه النوم فدخل العبد إلى قاعة الجلوس فرأى السلطان ما هو واع على نفسه من السكر والنوم فظن العبد أن هذا عبد لهب الذى هو قاعد لأجله فمكن الخنجر من وريدى السلطان واتكأ عليه ففصل الرأس عن الجثة وتركه ومضى إلى حال سبيله وأقبل إلى بيت الوزير وصار حتى بقى قدامه وقبل بين يديه الأرض فلما رآه قام له على الأقدام وقال له مرحباً بك يا سمعان قضيت الحاجة فقال نعم قضيتها وإيش تكون هذه الحاجة فما عندى لها خبر ولا هى مثل الحاجات المهمة فقال له الوزير تستحق عندنا الكرامة والنعمة ثم إن الوزير صاح على الغلمان وقال لهم أحضروا لنا الطعام فأحضروه وقعد الوزير وسمعان

وجعل سمعان العبد يأكل والوزير يعد له فى المال وأحسن سمعان وظن أنه فاز بهذا الشأن فلا وأبيك ما أكل أول لقمة حتى حلت به النقمة ووقعت شفتاه وصاح صيحة عظيمة دوى لها المكان وذاب لحمه مثل الأدهان على النيران فأمر الوزير برميه فى الخلوات ولا أحد يعلم ما فعل ذلك العبد من الأمور القبيحات وقد أخفى الوزير هذا الأمر خوفاً من السلطان أن يكون أحد اطلع على أمره ويكون سبباً لضره هذا ما كان من سبب قتل الملك .

(قال الراوى) ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح نظر عبد لهب إلى والده وهو قتيل وفى فراشه جديل فلطم على وجهه وقال ما قتل أبى إلا الذين كانوا معنا فى الحرب أمس وكانت هذه الغارة فى أيام حروب الملك سيف بن ذى يزن وبرنوخ الساحر ففتشوا عليهم كما ذكرنا فما وجدوا لهم خبراً فقال له الساحر يا عبد لهب لا تغتم أبداً فأنت حاكمنا وملكنا والمتكلم علينا وأنت تجلس على هذا التخت وتحكم البلاد والأقاليم ونحن نفتش على الغريم ونسقيه كاسان بعد ما نعذبه العذاب الأليم فقال لهم افعلوا ما بدا لكم وجلس على كرسى مملكة أبيه وحكم وعدل وما ظلم وتزوج بنت الوزير على ملة النار والصنم وفى بعض الأيام أحضر الحكماء بين يديه وقال لهم تركتم الثأر ولا بقى لكم همة لجلى المذلة والعار فقالوا له طب نفساً وقر عيناً ثم إنهم أرسلوا هذا الرسول فى الأماكن يفتش عليه فجعل يدور من مكان إلى مكان وإلى أن وصل إلى هذا المكان وأخبر الملك سيف أرعد كما ذكرنا ثم إن الرسول قال للملك سيف أرعد يا ملك الزمان أريد أن ترينى كبيرنا والذى أضله عن عبادة النار حتى نأخذ منهم الثأر ونجلى عن أنفسنا العار فان ملكنا عبد لهب أقسم بالنار والنور والظل والحرور لابد له من أخذ ثأر أبيه وما بقى يهدأ أمر الملك والثمانين ساحر حتى يقتل الاثنان بحد الحسام الباتر (يا سادة) فلما سمع الملك سيف أرعد ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال للرسول يا هذا

اعلم أنى أنا أيضاً أطلب هذين الاثنين ومن معهما من الأقوام الكلاب حتى أعذبهم بأشد العذاب فائتنى بباقى السحرة فقال الرسول ها هم لى فى الانتظار لأنهم أقسموا للملك بالنور والنار وقالوا له لا تلزم هذين الغريمين إلا بنا ولو غاصا فى الأرض السفلى أو صعدا إلى السماء العليا نتبع منهما الآثار ونأخذ منهما بالثأر وخرجوا من عند الملك على ذلك وقالوا لا ندخل البلد ويقر لنا قرار حتى نأخذ بسيف بن ذى يزن وبرنوخ السحار ونقدمهما قربانا للنار وأرسلونى أمامهم وتبعونى فى القفار وودعوا أولادهم وعيالهم وقد أرسلونى إلى البلاد الخراب فدرتها وغيرها وأخيرا أتيت إلى هنا وقد سمعت أنهم فى هذه الأقاليم وهى بلاد الحبشة الواسعة وقد علمت أن مملكة الملك سيف أرعد مسيرة ثلاث سنين شمال ويمين وهى بلاد متسعة هذا وقد قال الملك سيف أرعد أيها الرسول ائتنى برفقائك الثمانين فها أنا ذلك فى الانتظار حتى نسير بأجمعنا إليهم ونخرب ديارهم ونمحو آثارهم وآثار من يتبعهم ولا نبقى منهم ديار ولا من ينفخ النار فقال الرسول سمعاً وطاعة ونزل الرسول فى طلب رفقاه وطلب البر والفلاة وقعد الملك سيف أرعد له فى الانتظار مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ضحى أقبل الثمانون ساحراً ونزلوا يبرمون حتى توسطوا الديوان وعلموا أن هذه المدينة كرسى جميع الأقاليم وأن هذا الملك سيف أرعد ملك الحبشة والسودان وحاكم على ما فى تلك الأراضى والبلدان فلما رآهم فرح بهم وأكرمهم وقال لهم من أين أقبلتهم؟ فقالوا له من أرض الحرين وهى من بلادك مسيرة شهرين كاملين فقال فى كم وصلتم إلى هنا؟ قالوا فى ثلاثة أيام وعزمنا بعلوم الأفلاك لما علمنا أن غرماءنا فى هذه الآكام فقال الملك سيف أرعد اعلموا أن عندى حكيمين وهما يدلانكم على غرمائكم فإذا أردتم أن تستدلوا على أعدائكم فهذان يكونان معكم والتفت الملك إلى سقرديس وسقرديون وقال لهما كونا معهم ودلوهما على ما يشتهون فقال

لهم سقرديس وسقرديون اعلموا يا هؤلاء أن الرجل الذى أنتم طالبوه فهو عدو لنا كما هو عدو لكم وكذلك من معه ونحن عازمون على قتاله وحربه ونزاله وأن الملك جهز هذين الاثنين المقدمين يطلبون معهم القتال والحرب النزال وهو المقدم دمنهور الوحش والمقدم سابك الثلاث وبعدهم نرسل المقدم ميمون الهجام الفارس المقدام ونحن على أثرهم تابعون وللأعداء محاربون فقال السحرة يا ملك وما السبب الموجب لذلك وأين الرجل الذى كان عندنا القصير الأبيض أين هو؟ وبرنوخ الساحر ؟فانكم ذكرتم لى أنكم مجردون على برنوخ وسعدون والذى نحن طالبوه اسمه سيف بن ذى يزن وهو الذى أضل برنوخ عن عبادة النار وأخذه وطلب البرارى والقفار فقال لهم الملك سيف أرعد إنى أعلمكم أن سيف بن ذى يزن هذا من البيضان وكان أبوه بنى مدينة فى أرضنا وأقام فيها وأنا أعطيته جارية وحملت منه وخلفت هذا الغلام ورمته فى البرارى والآكام .

(قال الراوى) وحكى لهم الملك سيف أرعد على الملك سيف بن ذى يزن وأخيراً أمه رمته فى بلاد أفلاطون والذى أقام فى المدينة برنوخ الساحر وسعدون الزنجى وها نحن جردنا الثلاث مقادم لسعدون والسحرة الاثنين لبرنوخ الساحر وهذا أول الحديث والآخر فقال له السحرة لمّا سمعوا هذا الكلام يا ملك دلنا عليهم ونحن نأخذ أرواحهم وترتاحون أنتم من هذه القضية فان فينا للجميع كفية وحق النار الحامية فقال لهم الملك سيف أرعد النار تحيط بكم وتتمكن من عظامكم وأجسامكم ودخانها وشررها يدخل فى أعينكم وآذانكم فإنها ربتكم وناصرتكم وحافظتكم فلقد أرحتم فؤادى وساعدتمونى على أعدائى جعلكم زحل من المنصورين وفى قرار النار مخلدين لستم عنها مبعدين ولا أنتم منها بخارجين ثم إن الملك أمر بإحضار الطعام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وأخذوا فى المشورة حتى انفض الديوان وولى النهار وأقبل الليل بدياجى الاعتكار وبات الثمانون ساحراً فى

مكان قد أفرده لهم الملك سيف أرعد برسم إقامتهم وثانى الأيام أحضرهم الملك إلى الديوان وعمل ديوان عموم حضر فيه الخاص والعام واصطفت الرجال فى أماكنهم وأرباب المملكة على مراتبهم ومن عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وأمر الثلاثة مقادم وهم دمنهور الوحش وميمون الهجام وسابك الثلاث أن يأتوا بين يديه فلما وقفوا قبلوا الأرض فقال لهم يا مقادم أتقدرون أن تكونوا أنتم الثلاث تقاتلون سعدون الزنجى أم أركب معكم ونكون يداً واحدة وعلى الأعداء مساعدة فقالوا له يا ملك وحق بين عصانين وكل ما مشى ليلاً ونهاراً على يدين ورجلين ما نعود إليك وإلا وسعدون الزنجى معنا أسيراً ويكون على وجه الأرض مجندلاً غفيراً فقال الملك اعلموا أن عندى ثمانين ساحراً وأنا أريد أن أجعل كل واحد منكم مقدماً على أربعة آلاف مقاتل حتى لا يبقى لكم عذر قابل فقالوا له افعل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك فعند ذلك أمر لهم بالخلع والحيل والكساوى وقال تجهزوا فى ثلاثة أيام وبعد ذلك حضر السحرة بين يديه وقال لهم ألكم مقدرة على برنوخ الساحر؟ قالوا له يا ملك الزمان نحن له ولأمثاله ولو كان بصحبته جميع الإنس والجان لأنه يا ملك غريمنا ومن أجله أتينا من أرضنا إلى ذلك المكان فعند ذلك قدم لهم الهدايا والأنعام وقال استعدوا للرحيل بعد ثلاثة أيام واتبعوا المقادم الذين قدامكم فى البرارى والآكام فأنتم عليكم العزائم بعلوم الأقلام والمقادم عليهم الحرب والصد وزحل ناصر لكم من دون الأنام فأجابوا بالسمع والطاعة وأمرهم بالانصراف من تلك الساعة وأن يجهزوا رحالهم ويصلحوا سلاحهم أول يوم والثانى واليوم الثالث أخذوا الإذن بالمسير ورحلوا بلا تقصير وسارت العساكر والفرسان والرجال يقطعون الثرى والرمال والأودية الحوال قاصدين المدينة الحمراء وتلك الأطلال ولهم كلام.

(**قال الراوى**) وأما ما كان من الملكة قمرية فإنها مقيمة فى قصرها

متحسرة على حالها كما ذكرنا وأما الملك أفراح والمقدم سعدون الزنجى فهما جالسان فى البلد يتعاطيان الأحكام على كرسى المملكة ولكنهما مشتاقان إلى أخبار الملك سيف بن ذى يزن ولم يعلما بما جرى له وقد خفى عليهما أمره ولم يعلما إن كان حياً أو ميتاً ولكنهما ثابتان فى أماكنهما وحافظان بلادهما إلى يوم من الأيام فإن قمرية جعلت تجاهد نفسها حتى تمكنت من لوح عيروض فحضر وقال نعم ياستاه فقالت له يا عيروض أما أنت ناظر ما أنا فيه من هذه الظلمة وقد تضايقت من هذه الغمة وحلت بى النقمة فقال عيروض والله ياستاه إنى ما لى مقدرة على برنوخ ولا أجىء نقطة من تياره ولا شرارة من ناره وإن قربت إليه أحرقنى لأنه له أقسام تهلكنى ولا أقدر أن أقابله فإنه جبار وأما أنا فإن استخدمتينى خدمتك وإن ارسلتينى إلى أى جهة طاوعتك وهذا الذى أقدر عليه فلما سمعت قمرية ذلك الكلام جعلت تبكى وتنوح وتعدد من كثرة القروح وتقول يا زحل أنت وسيلتى وفيك رجائى والأمل أن تفكنى من شر هذا الغم والوجل فقال عيروض فى سره اسأل الله العظيم رب موسى وإبراهيم أن لا يخفف عنك هذا العذاب الأليم ويجعل أيامك كلها نكد ولا يجعل لك خلاصاً من هذه الشدة بحرمة دين الإسلام وخليل الله ابراهيم عليه السلام (**يا سادة**) وأما برنوخ الساحر والملك أفراح والمقدم سعدون الزنجى فإنهم جالسون على حسب عادتهم وإذا هم بغبار علا وثار وسد الأنظار وبعد ساعة انكشف وبان للنظار عن خيول سوابق وزرد وبيارق ولمعان خوذ وأسنة رماح ما لكثرتها عدد بريق صياح زايد المدد وصهيل خيل ودق طبول وبوقات وزمور وضجيج رجال وصياح نوق وجمال وهمهمة أبطال ومواكب كتائب مثل السيل السيال أو الظل إذا مال وأمور وأهوال تدل على أن هذه عساكر تريد الحرب والقتال وماداموا على ذلك الحال وسائقين لقدام حتى أقبلوا تحت سور المدينة ونصبوا الخيام وركزوا الرايات والأعلام وداموا على ذلك الحال حتى ولى النهار

بابتسام وأقبل الليل بجيوش الظلام فاوقدوا النار وقاموا ينتظرون طلوع النهار وجلسوا فى خيامهم وهم فى فرح واستبشار وكانوا هؤلاء الثلاث والعساكر الذين معهم وصحبتهم الثمانون ساحراً .

(قال الراوى) وأما برنوخ الساحر فإنه لما نظر إلى تلك العساكر وحقق فيهم النظر أرسل من عنده رسولاً يكشف الخبر فغاب قليلا وعاد وأخبر ان هؤلاء ثلاثة مقادم من عند الملك سيف ارعد ملك السودان وصحبتها ثمانون ساحراً كاهنون والحكيمان الملعونان سقرديس وأخيه سقرديون فلما سمع برنوخ الساحر ذلك الخبر طار من عينيه الشرر وقام على حيله ودخل على خلوته وأحضر الملك أفراح والمقدم سعدون الزنجى وأخبرهم بأن هؤلاء العسكر من عند الملك سيف أرعد وقال لهم تجهزوا للقائهم وحربهم وقتالهم فى غداة غد فقال سعدون وهو كانه المجنون إنى أريد أن أخرج إليهم فى هذه الساعة حتى أبضعهم أشأم بضاعة فقال برنوخ لا تفعل أيها البطل فإن الليل أقبل والنهار ولى وارتحل وفى غداة غد يكون الأمر لله فدعهم الليلة على حالهم لأنهم مشتغلون فى نصب خيامهم فاصبر حتى يطلع النهار وافعل كل ما بدا لك فقال سعدون السمع والطاعة **(يا سادة)** وتوافقوا على ذلك الإيضاح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنور كوكبه الوضاح فقام اللعين سقرديس من منامه وقال للمقدم ميمون يا بطل الزمان الرأى عندى أننا نركب فى هذه الساعة ونزحف على البلد وكل من وقف قدامنا بذلنا فيه الحسام ولا نبقى على شيخ ولا غلام ونأمر النقابة أن تنقب الجدار وتهدم جهار الأسوار وندخل المدينة نهاراً ونضرب السيف البتار ونهلك العبيد والأحرار ونقبض على سعدون الزنجى نسل الأشرار ونهلك كل من كان معه من العبيد الفجار فقال سقرديون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ونحقن دماء العساكر فقال لهم ميمون الهجام افعلوا ما بدا لكم فأنا لا أخالف مقالكم فعند

ذلك ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول واعتقلوا بالرماح الذبول وانتشروا فى الأرض عرضاً وطولاً وساروا كأنهم أسود غاب طالبين حمراء اليمن يريدون أن يقلعوا الأبواب وطلبوا ناحية الأسود كأنهم شعل النار وداموا كذلك حتى بقوا قرب المدينة وإذا حولها بحر عجاج متلاطم بالأمواج واسع الفجاج فيه مراكب سائرة وقلوعها ناشرة ولقوا قوارب صيادين فلما رأوا ذلك تحيروا وانذهلوا وقال بعضهم لبعض إننا لما نزلنا هنا أمس فما كان بحار وكانت كلها أرض قفار ومن أين هذا البحر الذى نراه فى هذا النهار وقد عاقنا عما نحن له طالبون من بلوغ الآمال فقال الحكيم سقرديس وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه ما هذا إلا فعل برنوخ الساحر فإنه على ذلك قادر وقد أحال بيننا وبين المدينة وكيف يكون العمل فقال سقرديون نحن معنا ثمانون ساحر ونحن اثنان فما نبالى بهذه الفعال ولابد لنا من بلوغ الآمال ثم إنهم أحضروا السحرة فلما حضروا قال لهم سقرديس أنا وأخى نبطل هذا السحر وأنتم تزيلون هذه الظلمة عن قمرية وإلا أنا وأخى نزيل الظلمة وأنتم تزيلون هذا البحر وتبطلون عمله فقالوا له نحن نزيل الظلمة وأنتم تزيلون هذا البحر فاتفقوا على ذلك وانصرفوا وهم متفكرون فى أفعال برنوخ وكيف أجرى لهم بحراً عجاجاً فى ساعة واحدة بعلوم الأقلام وعادوا إلى خيامهم وأحضروا المقدمين وقالوا لهم نحن نريد الدخول إلى محل أرصادنا ولا نطلع حتى نقضى أشغالنا ونفت ما عمل برنوخ الساحر من هذا البحر والمراكب التى منعتنا عن دخول البلد فكونوا أنتم على بصيرة من حفظ أنفسكم ورجالكم حتى إننا نفت تلك الأعمال ونعود إليكم فقال لهم المقدمون سمعاً وطاعة وها نحن أولاً : على أهبة الحرب من هذه الساعة وأما الثمانون ساحراً فإنهم دخلوا محل أرصادهم .

(قال الراوى) إن برنوخ كان عمل ذلك البحر لأجل أن يمنع حدة الأعداء خوفاً على سور البلد أن يدخله الأعداء وينقبوه فشغلهم بذلك البحر ولما

أتت السحرة الثمانون ودخلوا بيوت أرصـداهم قاموا يومهم وليلتهم وطلعوا ثانى الأيام وقـد أحكموا عـملهم على ورقة بيـضاء ونقـشـوا عليـها طلاسم واسمـاء سريانيـة وكتـابة عبرانيـة وتكلموا علـى تلك الورقة فارتـفعت إلى الهـواء ومـازالت ترتـفع حـتى وصلت إلى أعلى القـصـر الذى فـيـه قـمـرية وانفرشت عليه بالكلية ومازالت تتسع وتنفرش حتى غطت شراريف القصر وأسبلت أطرافها على دائرة ونزلت إلى الأرض فركبت الظلمة كلها فوق تلك الورقة ولم يبق فى القـصـر منها شىء وبعد ذلك ارتفعـت الورقة وانكشـفت الظلمة التى كان عملها برنوخ وظهر النور للقصر بالكلية وانكشف الغمة عن الملكة قـمرية هذا مـا جرى من السـحرة وأمـا ما كـان من الحكيمـين سقرديس وأخيه سقرديون فـإنهم اصطنعوا بالحكمة مواسير من الرصاص والقصدير ورسموا عليها أسماء وطلاسم كدبيب النمل وأخذوها وساروا إلى جهـة البحر الذى حـول البلد وركبوا كـل ماسورة فى ركن من الأربعـة أركان فلما فعلوا ذلك وقعـدوا يتلون عزائم يعرفونها وإذا بتلك المواسـير انفتحت حلوقها مثل الخلجان ونزل الماء يدوى فيهم مثل الرعد القاصف وفى ظرف ساعة لم يبق قـطرة واحدة وكأنه لم يكن وكذا المراكب صـارت تلتئم وفى هذه المـواسـير تدخـل وانكشـفت الأرض والـرمال وصـارت برارى خـوال وبانت جدران المدينة فى الحـال ونظر إلى ذلك برنوخ الساحر فقـال لا حول ولا قوة إلا باللـه العلى العـظيم وحـق الخليـل إبراهيم لـو أعلم أنهـم يزيلون تـلك المهـالك لكنت أحكمت غـيرها وتعـجب غاية العجب فنظر إليه المـقدم سـعدون الزنجى فـرآه وهو يغلى على الأرض مـثل الماء الذى فى القـدر على النار فـقال له يا أخى يا برنوخ-دع عـنا أبواب الأسحـار وخلينا نضرب الاعـادى بالحسام البتار وانظر كـيف حاصرونا ولا بلغنا منهم إرباً وسوف تنظر صنع عبـدك سعدون ومـا يفعل وكيف أبلى الأعـادى بالذل والخبل ثم إن المـقدم سعدون قام على حيله ولبس عدته وتقلد بآلة حربه ولامته وانفتل وبالحديد

تسـربل حتى بقى كـأنه قلة من القلل أو قطعـة فصلت من جـبل أو قـضـاء الله إذا انحـدر ونزل وكذلـك عبـيده فـعلوا مـثل فعـاله وداروا به عن يمـينه وشمـاله هذا وسعـدون أمامهم وصـاح بأعلى صوته افـتحوا أبـواب المدينة فعندها تبادرت العبيد إلى الباب وفتحوه وخرجوا من باب مدينة حمراء اليمن وهم كـالأسود الكواسـر ونظر الملك أفراح إلى المـقدم سـعدون لمـا ركب فاحتاج هو الآخـر أن يركب فركب على ظهر جواده واعتـد بعدة جلاده وركبت عسـاكره وأجنـاده وتلاحقـوا بالمقـدم سعدون خـوفاً علـيه من شـرب كأس المنون ومن شر سـقرديس وسـقرديون وباقى أهل الكفـر والمشركـين وكان سعـدون هذا حماية عـسكر الإسلام وما فـيهم مثله بـطل همام وعلى كل حال عـسكر الحبـشة مثل البـحر الزخـار فلما نظر الحكيم سـقرديس إلى العسـكر وقد خرجـوا من حمـراء إليمن طالـبين القـتال والحرب والـنزال أمر عـسكر المـلك سـيف أرعـد بالحـملة فـركـبت الرجـال واعـتـدت الأبطال واصطفت الصـفوف وتـرتبت المئـات والألوف حـتى تقابل الـعسكران يمـين وشـمال وقلب وجنـاحان فـأول من برز إلى المـيدان ومـقـام الحرب والجـولان المقدم سـعدون الزنجى وهو راكب على جواد اشـقر عال من الخيل مـضمر وصـال وجـال ومـد واسـتطال ونادى هل من مـبـارز هل من مناجـز اليـوم يوم الهزاهز لا يبـرز بطلان ولا عاجز من عرفنـى فقد أكفـى ومن لم يعـرفنى مالى خـفا أنا المـقدم سـعدون الزنجى هـيا يا كـلاب الحبـشة والسـودان دونكم الحرب والطعـان حتى أريكم كـيف يكون الجولان هلمـوا إلى قبض أرواحكم وعدم نجاحكم فـارس لفارس أو عشرة لفارس أو مـائة لفارس أو احملوا على بأجمعكم فـإنى كفؤ لكم وسوف أفنى جمـوعكم وأخلى ربوعكم ثم أنشد يقول صلوا على طه النبى الرسول :

* * *

إن قام سوى المنايا والحمام دع — والجسم من سن رمحى صار يلتدع
دعنى أكر على الأبطال فى رهج — بصارم يقطع الأعضا مع الضله
وسن رمحى إذا هززته حقا — فإنه يتلوى كالأفعوان مع
ولى جواد إذا نقع الغبار على — تراه يخف خطف البرق فى ولع
أخوض بحر المايا كلها بطرت — أعنى الحروب بلا خوف ولا فزع
ادعى بسعدون والأبطال تعرفنى — املأ قلوب العدا بالرعب والجزع

* * *

(**قال الراوى**) فلما فرغ المقدم سعدون من شعره ونظامه وما أبداه من نثره وكلامه ورأى سقرديس فعله فصاح فى عسكر الحبشة يا ويلكم أبرزوا إلى هذا العبد الزنيم الذى ترك دين زحل وقد تبع غيره من الأديان الجديدة فما تم كلامه إلا وقد برز إلى سعدون فارس شديد مسربل بالحديد والزرد والنضيد وسار إلى أن توسط الميدان وهو يتمايل كأنه سكران فصاح عليه سعدون الزنجى ويلك يا بن اللئام من تكون أنت من الأنام حتى كنت أول مصادم لى فى الصدام فقال له ويلك يا سعدون كأنك ما تعرفنى أنا اسمى ميمون الهجام الذى شاع ذكرى فى الربا والآكام وملك الحبشة أرسل يطلبنى من أجلك حتى أكفيه شرك وأعجل للمقابر سيرك وها أنا ذا أتيتك يا قرنان لأريح منك الحبشة والسودان فلما سمع سعدون ذلك الكلام قال له يا ميمون إن كنت أغراك الشيطان وطاوعت سيف أرعد على عقله وأتيت لى طالبا فها أنا جئتك محارباً ثم إنهما حملا على بعض وجالا طولاً مع عرض وصرخا صرختين أصرت لها الخيل آذانها واقشعرت من الفرسان أبدانها وكان المقدم ميمون راكبا على فيل وأما سعدون الزنجى فهو راكب على جواد نبيل فنظر سعدون إلى المقدم ميمون وقال له يا ميمون اعلم أن الفيل الذى أنت راكبه تريد ان تحصن نفسك من حربى عليه وأنا حصانى ما يطاوعنى أن يجول قدام الفيل لا كثير ولا قليل فإما أن تركب من بعض

الخيل الأصال وتحاربنى كما تفعل الأبطال وإلا نتقاتل أنا وأنت رجالة لا خيالة حتى يتبين الغالب من المغلوب وكل منا يبلغ المطلوب فلما سمع ميمون هذا الكلام قال له يا سعدون أنا ما عندى حصان يلقانى فى الجولان حتى كنت أنصفك فى الميدان فقال له سعدون لا تطل الكلام وان لم تفعل ما قلت لك عليه لا تلمنى إذا ضربت الفيل بحربة فى عينه فقتلته وأنت تسقط من عليه فشاور نفسك وانزل لى فى الحال ولا تكن مصمماً على البغى فإن البغى مصرع للرجال فلما طال بينهما المطال أقبل الحكيم سقرديس على المقدم ميمون وقال له الحرب هذا النهار لا يكون ولا نفعل إلا فعل القانون فقال ميمون كيف ذلك فقال سقرديس قبل كل شىء نأخذ الراحة ثلاثة أيام مقابلة الأخصام وبعد ذلك تكاتبوا بعضكم كما فعل الملوك الكرام وبعدها يقع الحرب والصدام بالرمح والحسام فعند ذلك قام المقدم ميمون من قدام سعدون من غير قضاء الآمال ولما عادوا للخيام واستقر بهم المقام أحضروا السحرة الثمانين فاجتمعوا كلهم وقال الحكماء نحن الذى علمناه فعلناه والفاضل على العسكر والمقادم هو الحرب والتصادم فقال المقدم ميمون أنا نزلت فى هذا اليوم الميدان وأردت أن أنجز أمر القتال فتعلل على سعدون الزنجى بتعليل وقال لا يكون الحرب ذلك وأنت راكب الفيل ولا نحارب إلا راكبين الجواد الأصيل .

فقال سقرديس يا مقدم ميمون هذا الفعل الذى فعلته أولاً كيف يكون فإن عادة الحرب أن تنزل العساكر وتلاقى بعضها بعضاً وأما إنك أنت أول يوم تنزل الميدان وتقاتل سعدون الزنجى فما هذا مقامك ولا يكيد أخصامك والصواب أنك تصبر بزائد يوم لأجل أن تتبرأ من العتب واللوم فقال له ميمون أنا قصدى إنجاز الأشغال وقضاء حاجة الملك سيف أرعد على أى حال فقال له سقرديس وكلنا نريد هذا الحال ولكن إذا أنت نزلت الميدان وقتلته أو أسرته تقول العساكر والرجال نحن كنا نقدر أن نقتل سعدون ونسقيه من

أيدينا كـأس المنون فبـذلك لا يكون لك افـتـخـار يا مـقـدم مـيمـون إذا نزلت الفـرسان المـيـدان وعجـزوا عن سـعـدون فى طابق الجـولان وشـهـدوا على أنفسهم بالعـجز عنه والخذلان ونزلت أنت بعد ذلك الميدان فـإن غلبك فما أنت مغلوب لأنه ما هو فارس دون وإن أنت غلبته أو أسرته فتنال بذلك الفخر على كل من يكـون فـقـال المـقـدم دمنهـور الوحش وسـابك الثـلاث صـدق الحكيم فيـما قال وبـاتوا على ذلك الحال ولما أتى ثانـى يوم وتحركت أرباب الحرب للحرب والصـدام فأول من فتح الباب المقدم سعـدون الزنجى فخرج إلى الحرب وهان عليه كل أمر صعب ونادى يا مـعـشـر الحبش وأبناء السودان دونكم ومقام الجـولان إن كـنتم تزعمون أنكم فرسـان أعيان فـمـا أتم كلامه حتى برز إليه فارس من السودان كانه شيطان وانطبق على سعـدون ومد إليه السنان من غير شـعـر ولا أوزان فاعترضـه المقدم سعدون وانـطـبق بعضهم على بعض وجـالا طولاً وعـرض وكان ذلك الـفـارس اسـمـه أبو سنان وهو من الأبطال الفرسان فـمال عليه المقدم سـعـدون وضايقه ولاصقـه وسد عليه طرقه وطرائقه وضـربه بالسـيف على عاتقه فأخرجـه يلمع من علائقه ونظر الحكيم سـقـرديس إلى ذلك فقـال للمقـدم سعدون شلت أناملـك وفصلت مفاصـلـك فلم يلتفت سعدون إليـه بل إنه صار يصول ويجول حـتى برز إليه أخو المقتول وقال له يا عبد الزنا أبشر بالفنا وفى هذا اليوم ما يقتلك إلا أنا فلم يرد عليـه سـعـدون من كلام وانطـبق عليه فـى محل الـصـدام وضـربه بالحسـام فأطار منه الهام فـنزل إليه الثالث فـمـا خلاه يصـول ولا يجول بل طعنه بالرمح المـوصول فـخلاه على الثرى مـجدول والرابع جـعـله لهم تابع والخامس والسادس جعلهم نواكس ودام سعـدون يهلك كل من نزل الميدان حتى مضى النهار وهلك على يديه تسعون من السودان وأسر اثنين وعشرين واندق طبل الانفصـال وبطل الحرب والقـتـال وعاد المقدم سـدون إلى الخيل فلقيه الملك أفراح وبرنوخ الساحر وقالوا له يا مقدم سعدون مثلك من تقر

به العيون وتأمله عبيده فرأوه مثل شقـيقة الأرجوان مما سال عليه من دماء الفرسـان فقلعـوه درعه الوسخ وألبسـوه درعاً غيـره نظيفـا وقال له الملك أفراح والله لقد شفيت بفعلك الغليل وأرضيت الملك الجليل فأراد سعدون أن يتولى الحرس بعد ما أكلوا شيئاً من الطعام.

فـقال الملـك أفراح هذا لا يجـوز حـيث توليت الحـرب من دوننا فـيبـقى الحرس على أنا ثم إن برنـوخ الساحر أخذ المـقدم سـعـدون وألبسه طاقـية وقال له هذه لا تعـلـقها أبداً فـإنك لا تجرح مطقـاً ولا تؤسر ولا تنكب فـقال سـعـدون أنا توكلت على من لا تراه العـيـون وهو الله تعـالى خـلاف الظنون وباتوا على ذلك الحال وهم فى فرح وابتهال **(يا سادة)** .

ولما عادت السـودان نزل سقرديون مع سقرديس سرادقهم وكاد الغيظ أن يحنقـهـم وانفطرت مرارتهم وتـعبت سـرائرهم وقالوا يا مـقدم هل رأيت مـا فعل سعـدون الزنجى فقال ميمون يا سقرديس أنا أردت أن أريحك منه من أول ما نزل فرددتـنى وعما أفعل منعـتنى وأنا وحق بيت عصاتين ما بقـيت أصادم سـعـدون إلا بعد مايقـتـل كل الحبشـة والسودان وأحـاريه وحدى وأمكـن منه السيف إليـمان لأنك أنت يا سقرديس قـلت لى هذا من أكبر العار فـها أنا ذا امـتـنعت وأرحتـك من الشنار فدونـك أفنى رجال الملـك سيف أرعـد برأسك الأنكـد فـقال السـحرة وإذا دام الحـرب على هذا الحال انقـطعت منا الـرجال والأبطال فقال سـقرديس يا مقدم مـيمون وحق زحل أنا ما رددتك إلا شـفـقة ونصحة لأن مقامك عال الشان ولا يجوز لك أن تكون مفتاح الحرب والطعان فقالت الرجال والحكماء لقـد أشرت بالصواب والأمر الذى لا يعاب وباتوا على مثل ذلك الحال وأما مـا كان من المقدم سعدون وأصحـابه فإنهم لما عادوا ونزلوا فى أماكـنهـم واستقر بـهم المقام أخـذوا فى المشورة والكلام فـقال الأمراء يا مقـدم سعدون الرأى عندنا أننا فى غداة نبرز إليـهم ونشفـى قلوبنا منهم فأنت فى هذا اليوم الذى مضى شفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل

وفى غد أنت تستريح ونحن نتولى القتال ونشفى قلوبنا من هؤلاء الأنذال فقال المقدم سعدون لا وحق دين الإسلام لا أمكن أحداً منكم من نزول الميدان إلاَّ بعد ما تلعب حوافر الخيل برأسى وينقطع نفسى وأسكن رمسى فقالوا له أنت حامينا وقائد جيشنا فإذا تم عليك أمر والعياذ بالله فنبقى مثل الغنم التى بلا راعٍ ولهذا تبقى أعداؤنا علينا مثل الأفاعى.

فقال سعدون إن شاء الله تعالى الخير هو الذى يكون فإن أنصفونا وبارزونا فأنا كفؤ لهم ولكن قد رأيت معهم فارساً اسمه ميمون لا ترى مثله العيون وأنا أسأل الله من أمره بين الكاف والنون أن يكون من حزبنا ويدخل فى دين الإسلام وأنا أقول إنه غداً ينزل إلى الميدان حتى يبين الرابح من الخسران وإن تكاثروا علينا بجيوشهم فاحملوا جميعاً خلفى والله ينصر من يشاء وباتوا على ذلك الإيضاح حتى أصبح الله بالصباح فركبت الرجال وقعدت الأبطال وركب المقدم سعدون الزنجى وترتبت عبيده للكفاح وكذلك ركبت أبطال الإسلام وفى أوائلهم الملك أفراح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح وباعوا أنفسهم والأرواح فى طاعة الملك الفتاح ولما نظر سقرديس إلى أبطال الإسلام وقد خرجوا للقتال جعل يوبخ عساكر الحبشة على تقصيرهم فى اليوم الماضى ويقول لهم يا ويلكم إيش تقولوا للملك سيف أرعد إذا عجزنا عن هذه الشرذمة اليسيرة ولابد أن يقول إن عساكره مخامرون علينا فإن لم تقاتلوا فى هذا النهار بنية صحيحة وإلا وحق زحل فى علاه أرسل للملك سيف أرعد وأعلمه أنكم فى قتال الأعداء غير ناصحين وفى هذه الوقعة لستم مفلحين فقالوا له يا حكيم الزمان لا تلمنا وتوبخنا بالكلام واعلم أن سعدون الزنجى هذا يقوم بمقامنا أضعافاً وقد أهلك رجالنا وأباد أبطالنا ولولاه ما ثبت هؤلاء قدامنا ولا كانوا أطاقوا حملتنا وأنت الذى منعت المقدم ميمون من النزول إليه مع أنه ما يقاومه أحد غيره فدعه يبرز إليه ويأخذ روحه من كتفيه وإن مات سعدون فقتال كل

من كان بعده يهون وتأمر بعدها بالحملة فنهجم عليهم جملة ونضع فيهم الحسام البتار ولا نترك لهم آثار وأما ما دام سعدون الزنجى مقيماً فيهم لايبالون بنا إن حملنا عليهم.

فقال سقرديس وحق زحل لقد صدقتم وفى قولكم ما أخطأتم والتفت إلى المقدم ميمون وقال له يا فارس الزمان لقد آن الأوان واحتجنا إلى نزولك الميدان حتى تقتل لنا سعدون الفارس القرنان وتسقيه من يدك كأس الهوان فقال له ميمون الهجام أنت يا حكيم لا شك أنت لست بعاقل وأنت مفتون وإيش قدر سعدون هذا حتى يقاومنى فى الميدان ويماثلنى فى الحرب والطعان فإنه أذل وأحقر من ذلك وإذا نزلت إليه سقيته كأس المهالك فقال الحكماء يا سيد الأبطال إذا أردت أن توردە موارد للحدين فخذ فى صحبتك هذين البطلين لأنهم على كل حال أحسن فارسين فقال ميمون دعوا عنكم هذا المقال فأنا لا أبال بأبطال إن كانوا كثيراً أو قليلاً وقام على قدميه والشرر يظهر من عينيه وركب جوادا من الخيل الجياد وترك الفيل حتى لا يحتج عليه سعدون بمثل تلك الأقاويل وأراد أن ينزل الميدان وإذا بفارس من الحبشة برز إلى المجال وهو راكب على جواد أدهم كأنه الليل إذا أظلم ومتقلد بسيف أبتر ومعتقل برمح أسمر وصال وجال وطلب الحرب والقتال ونظرته عساكر الإسلام وأرادوا أن ينزلوا به فسبقهم المقدم سعدون وانحدف على ذلك الفارس كأنه مجنون ثم حمل عليه بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا ذخر وصرخ فيه المقدم سعدون بصرخة دوى لها الجبل وقال له من أنت يا ولد الزنا حتى برزت أول الحرب وأنا كنت مستحضراً إلى ميمون فقال له الحبشى وإيش قدرك حتى ينزل إليك ميمون هذا مقام حرب الفرسان لا يتأخر عنه إلا كل جبان وأنت نزلت الميدان تروم الحرب والطعان فكل من نزل إليك فهو خصمك إما أن تقتله وأما أن يغلبك فما أنت مخصص لميمون حتى إنك تنزل عليك المنون فدونك والقتال أن

كنت من الأبطال فقال له سعدون صدقت فى المقال ولكن أراك صاحب وجه صبيح ولسان فصيح فايش اسمك المليح فقال له الحبشى أنا اسمى فى الأصل أبو ناب وكنيتى ملاكم الريح الذى ذكره شاع فى السودان على الصحيح فدونك والقتال فعند ذلك التطما واصطدما وزاد بينهما الشرر ونما وكحلت عيونهم بمراود السما وشربا من الموت كأسا علقما وغبارهما خيم بين الأرض والسما وانحط المقدم سعدون على خصمه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وكان ملاكم الريح طعن سعدون بحربة كانت فى يده فضرب سعدون رمحه وبراه وطير أعلاه وقام سعدون فى ركابه وهجم على خصمه وانخط بكليته عليه وضربه بالسيف على وريده فأطاح رأسه من على كتفيه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ونظرت الحبشة والسودان إلى تلك الأهوال فأيقن كل منهم بالزوال وصاح سقرديس على الحبشة وقال ابرزوا إلى القتال فصاح المقدم سعدون هيا يا معشر الكفار دونكم والحرب والكفاح والطعن بالرماح والضرب بالصفاح ثم إن سعدون صار يجول ويأخذ الميدان عرضاً وطولاً فبرز إليه فارس ثان فقتله وثالث فجندله ورابع بدمه زمله وخامس فعجل مرتحله وما دام كذلك حتى قتل عشرة وأسر أربعة فتوقفت عنه الفرسان فلما رأى توقفهم مال على الميمنة فقتل اثنين وإلى الميسرة فقتل اثنين ومال إلى القلب فقتل ثلاثة وعاد راجعاً للميدان ونادى يا كلاب السودان ما لكم واقفين لا تقاتلون ولا تنهزمون اتبعتم رأى سقرديس وسقرديون فهنالك تبادرت إليه الأبطال وخرجوا عنوة إلى المجال وهو يقبض أرواحها ويرمى على الأرض أشباحها وكلما نظر الحكماء إلى أفعاله يتضايقون من أعماله ودام الحال عليه حتى أمسى المساء وعادوا إلى الخيام وكذلك اليوم الثالث والرابع ولما عاد فى ذلك اليوم هنأه الملك أفراح وبرنوخ الساحر بالسلامة وقال له الملك أفراح يا مقدم سعدون اسمح لنا نتولى عنك القتال حتى تأخذ لك راحة من كرب

المجال فشكره وقال له يا ملك أفراح ما داموا بارونى فلا أهابى أحداً [illegible] يتعب فى القتال إلا إذا تكاثروا علينا وغدرونا فذلك الوقت عليكم أن تحملوا معى وتحمون ظهرى وأنا أفرجكم على كرى وفرى وباتوا تلك الليلة وأما الحكماء فظنوا أن الدنيا انطبقت عليهم وأما ميمون فإنه صار يضحك عليهم وقال لسابك الثلاث ودمنهور الوحش هؤلاء الحكماء الملاعين قائمون بالحكم والأمر والنهى فى الفرسان والرجال وإيش بدا لنا منهم من الخير حتى نشكرهم على صنيعهم وما أراهم إلا يتكلمون بكلام بلا فائدة ولا نفع أولا يأمرون السودان والحبش أن يحملوا على سعدون ويؤخروا المقدم ميمون وهذا أول الجنون فقال السحرة يا مقادم السودان لا تتخلوا عن الحرب والطعان من أغاظتكم من الحكماء وإلا قطعنا الأعداء ثم التفتوا إلى الحكماء وقالوا لهم إيش هذا التدبير الذى يعقبه التدمير فقالت الحكماء مرادنا الحملة الصادقة وتكون بنية موافقة ولا يتخلى أحد عن مقام الحرب باعا ويكون المقدمون فى أول الحملة حتى تثبت قلوب الأبطال واجعلوها وقعة الانفصال فقال المقدمون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب وباتوا تلك الليلة يتحارسون ولما طلع النهار وركبت الفرسان الخيول واعتقلوا بالرماح الذبول وتقلدوا جميعاً بالسيوف النصول وترتبت الأبطال للوقوف وتحررت المئات والألوف ودقت الطبول ونعرت البوقات وركبت أيضاً عساكر الإسلام وضجوا بتوحيد الملك العلام وصاروا يقولون الحنيف دين الخليل إبراهيم عليه السلام وتقدم القدم سعدون قدام عسكر الإسلام وعلى يمينه الملك أفراح وعلى يساره برنوخ الساحر وكل منهم لله تعالى حامد وشاكر وكذلك اصطفت الحبشة والسودان وتقدم المقدمون أوائل الجيوش وهم سابك الثلاث ودمنهور الوحش وميمون الهجام وتبعتهم أبطال السودان من كل بطل همام وفارس ضرغام ونظر سعدون الزنجى إلى لمعان الزرود وشعشعة الخوذ فاشتاق إلى القتال وحن إلى ملاقاة الأهوال

وتقنفذ وارتمى وكحل الكفار بمراود العمى وأبلاهم بالقيل والقال والذل والخبال وقطعت الأوصال وجرى الدم وسال فلله در المقدم سعدون ما أهيجه فى الحرب كالمجنون ودحرج الرؤوس من على أشباح الغصون وأما عبيده فإنهم حموا ظهره فى القتال وكل واحد منهم يعد بأبطال ولما صاروا فى وسط القوم صاحوا بالتهليل والتكبير وتوسلوا بالملك القدير وحمل الملك أفراح وتبعته فرسانه من كل بطل جحجاح وحملت عساكر حمراء إليمن توابع الملك سيف بن ذى يزن الذى تدور عليهم يده وكانوا على دين الإسلام ووقع السيف الصمصام وحكم وجار فى الأحكام وهاج المقدم سعدون أشد هياج واقتحم الفجاج وفرح بذلك إليوم وما فيه من العجاج وفرق الفرسان بين أفراد وأزواج وكذلك عبيده الأنجاب فإنهم هبروا أعداءهم هبرا ونثروهم على الخيل نثراً وبطحوهم على الأرض خمسة خمسة وعشرة عشرة وكانت لهم وقعة عشرة أزاعت من الشجاع بصره كل هذا والثلاث مقادم وهم دمنهور الوحش وسابك الثلاث وميمون كل منهم قاتل وما قصر كانه اميت القسور هذا وبرنوخ الساحر لم يفتر عن ركاب سعدون الزنجى خوفا عليه من السحرة أن يغتالوا تحت الغبار وأما الملك أفراح فلله دره من فارس جحجاح فإنه أعطى السيف حقه وأطعم الوحش من القتلى رزقه وأما برنوخ فإنه رصد سلاح الكفار عن الإسلام الأبرار واجتهد فى محاذاة المقدم سعدون وبقى عليه يجرعه الثكلا وكان يوم شديد الأهوال مما جرى فيه من الحرب والقتال وبعض رواة السيرة وهو الذى عاين تلك الوقعة وكان يقال له بخيت بن سعد نظم على ما رأى هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات :

* * *

لقد هاجت السودان فى الحرب يزعموا … هلاك الذين باعوا النفوس وأسلموا
ومالوا عليهم بالسيوف وبالقنا … ولكن إله الخلق بالخلق أعلم
وأولهم كانوا ثلاث مقادم … وما منهم إلا الهزير الغشمشم
فأولهم ميمون الفارس الذى … يسمى بهجام على الحرب يهجم
ويليه دمنهور وبالوحش ينتمى … على يده فى الحرب للوحش مطعم
وثالثهم سابك الثلاث كأنه … قضاء إذا ما جال فى الحرب مبرم
يميل على الإسلام ميلاة فجرة … قلوبهم كالصلد ليس بهادم
ويتبعهم أيضاً ثمانون كاهناً … لهم فى أمور السحر باب معلم
ويتبعهم خلق عداد كثيرة … لهم فى حياض الحرب طعن ومقدم
لهم وثبات لا تبارى وصولة … يشيب لها الطفل الصغير المتمم
يحرضهم بالمكر سقرديون … ثم سقرديس أضل وأظلم
يحمل على الإسلام قصد هلاكه … وتالله ما الإسلام إلا معظم
تلقاهم الإسلام ولله كبروا … وقد وحدوا الديان حقاً وعظموا
وكان الملك أفراح مالك يمنة … وفى الميسرة برنوخ كاهن معلم
وسعدون الزنجى أمير جيوشهم … يهاب لقاء الجيش وهو عرمرم
وهاجوا وماجوا فى بحار عجاجها … على شرب كاسات المنية صمموا
فكم سيد من بعد ما كان راكباً … على الأرض ملقى بالمذلة ملجم
وكم من يمين فارقتها شمالها … وكم جب فى الهيجا بنان ومعصم
وكم موكب خاض العجاج ملماماً … ففرقة طعن الوشيج المقسم
وقد سكروا من خمرة الموت سكراً … وما الكأس إلا السيف والقرقف الدم

* * *

(قال الراوى) ودام الأمر على ذلك الحال وأنه ما نزل أحد الميدان وتلقى بصدره أسنة الرماح إلا المقدم سعدون الزنجى الفارس المصعان وكذلك الملك أفراح ورجاله الأوقاح فإنهم أجادوا بالحسام وفلقوا الهام وهشموا الطعام وداموا على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال وكان قصدهم الانفصال فلم يمكنهم الملعون سقرديون ودخل على ميمون الهجاه وقال له يا ولدى لا تجد ساعة أحسن من هذه الساعة فإن الموت فيها كشف قناعه فعندها حما الثلاث مقادم على عصبة الإسلام الأركام وجودوا الضرب بالصوارم والطعن بالرماح الهوازم وقاتلوا طوال الليل ودفعوا عن أنفسهم وعساكر الإسلام صبروا لضرب الحسام إطاعة للملك العلام وثقل العدد على الإسلام وأيقنوا بشرب كأس الحمام ونظر المقدم سعدون الزنجى إلى هذا الحال فأيقن بالموت والنكال فرمى نفسه فى هذا البحر العجاج وخاض فى المعمعة وهاج وقطع العلائق والأوداج وطلع الزبد على أشداقه وتمرر فى مذاقه وأشرف على هلاكه ومحاقه فأطبقت عليه العدد من كل جانب وسدوا عليه الطريق والمذاهب هذا وهو يهبر فى الأعادى هبراً وينثرهم من على الخيول نثرا حتى إنه كلَّ ومل ووهى عزمه واضمحل وأشرف على دنو الأجل وخاب الرجا والأمل ونظر إلى فرسان حمراء اليمن تأخروا إلى ورائهم وأشرفوا على هلاكهم وفنائهم لما نظروا جميعاً إلى ملك الموت حذاهم وصاحب شبحهم وفناهم وتضعضعت عساكر المسلمين وأيقنوا بالمنية والبلاء المبين والمقدم سعدون رفع طرفه إلى السماء وقال اللهم يا عظيم العظماء يا من علم آدم الأسماء يا من قد بسط الأرض على تيار الماء يا من يعلم دبيب النملة فى دياجى الظلماء يا من بقدرته رفع هذه السماء أسألك باسمك الأعظم العظيم الجليل وبحق نبيك إبراهيم الخليل وبحق ما أنزلت من الآيات والصحف والتوراة والإنجيل أن تنقذنا من هذا الضيق وتجعل لنا منه فرجاً

ومخرجاً انك على كل شىء قدير وبعبادك يا مولانا لطيف خبير.

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب فما أتم المقدم سعدون دعاءه حتى أجاب الله تعالى نداءه وظهر من كبد البر غبار وثار فتكدرت منه الاقطار وبعد ساعة تمزق وطار وبان من تحته ببريق صفاح ولمعان أسنة رماح وظهرت عساكر وفرسان ودساكر وفى مقدمتهم الملك سيف بن ذى يزن ملك متبايعه مبيد أهل الكفر والمحن وعلى يمينه الملك أبو تاج وعساكره ودساكره وعلى يساره الملكة منية النفوس ومعهم رجال وأبطال كأنهم السيل إذا سال أو الظل إذا مال وهم يعلنون بالتهليل والتكبير وقد أزعجوا البر بالهدير وسمع الملك سيف بن ذى يزن صوت المقدم سعدون وعلم بما هو فيه من البلية فأخذته الحمية والنخوة العربية وحمل الاثنين فى مقدمة عساكرهم وفرسانهم ودساكرهم وكان على الملك سيف بن ذى يزن تنور من البولاد الأزرق مغموس بالذهب الأحمر نوره زائد الإرهاج وكذلك تنور مثله على الملك أبى تاج وهم مقلدون بالسيوف الهندية التى حدودها يسابق المنية معتقلان بالرماح السهرية على كل رمح سنان كأنه لسان حية هذا وقد حمل الفارسان فيمن معهما من العساكر والجنود وصاحا بأصوات كالرعود وشكا بأسنة رماحهم العلائق والكبود وانطبقا على الأعداء انطباق جبال وادى زرود وهلكوا كل كافر وجحود ومن أشرك بالله الملك المعبود وأما الملك سيف بن ذى يزن فإنه بذل المجهود وصار ينادى الله أكبر فتح الله ونصر وأيدنا بالنصر والظفر وأخجل يا كلاب السودان من بالله كفر هذا والملك أبو تاج على يمينه يرمى الرؤوس كالأكر والكفوف كأوراق الشجر وخاض الملك سيف بن ذى يزن المراكب ورمى الأعداء فى الحال من فوق الخيل والنجائب وصار يقطع بسيفه النجوب والترائب ويسل القلوب بأسنة الرماح الكواعب ولما نظر الحبشة والسودان إلى هذا المجال ورأوا حرباً ما كان لهم على بال وذاقوا العذاب والنكال تمزق أكثرهم

وطلب الانفلال وبعضهم ذاق الحمام بالحسام الفصال وخف الجمع عن المقدم سعدون والملك أفراح ونزلت عليهم المسرات والأفراح واتسع على سعدون المجال فتمكن من ضرب السيف الفصال وطعن بالرمح الكعوب الغال وأعطى السيف فى الضرب حقه وأطعم الوحش من لحم القتلى رزقه وشفى غليله من أعدائه وتمكن من طعن القنا وضرب بالسيف وحاف على العدا أى حيف وأما الملك سيف بن ذى يزن فلما طاب له القتال والطعن والنزال عاد إلى طبع العرب فأعرب وطرب وأنشد يقول:

* * *

إذا لقطع الغبار علا وطالا ... وكل غضنفر ولى ومالا
ونادانى أكون له مجيباً ... بعزم لا أمل به قتالاً
أنا سيف بن ذى يزن وأصلى ... كريم للأكارم قد توالى
ولى نسب رفيع من جدودى ... وأعمامى وليس الأصل خالا
خليت من الحديد أشد قلباً ... وعزم هد هيبته الجبالا
هلموا يا كلاب الكفر نحوى ... فقد طاب التخاصم والقتالا
فما لجموعكم عندى مقام ... ولا أباً لكم بهم يبالى
فإن الله أيدنى بنصر ... وأن يمحو على يدى الضلالا
وألهمنى صراطاً مستقيماً ... ودين الحق من رب تعالى
فكم ليل قطعت البر فيه ... أجوب فيافيا فيها طوالا
ومالى من أنيس أو مجيب ... سوى أسد يوم لى اغتيالا
فى ذا اليوم تعرفنى الأعادى ... إذا ما جزت فى يومى المجالا
أعطى الأرض بالأجساد قتلى ... وأروى من دمائهم الرمالا

* * *

(قال الراوى) وبعد ما قال الملك سيف بن ذى يزن هذا المقال تكبب وارتمى كصاعقة من السماء وكحل الأعداء بمراود العمى وأبلاهم جميعاً بالقيل والقال والذل والخبال وغنى البتار وقلت الأنصار ولحق الجبان الانبهار

والنذل ولى وحار والملك أبو تاج اشتاق إلى نشيد الأشعار فأنشد وقال

أنا فى الحرب تخشانى الأسود ... وبأسى تقشعر له الجلود
لقد غبنت نفوس أشتريها ... بسوق الحرب واختطفت كبود
فيا من لا يرى شخص المنايا ... إلى فإننى الموت الشديد

* * *

(قال الراوى) ولما فرغ الملك أبو تاج من ذلك الشعر والنظم انكب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء وكحل الأعداء بمراود العمى وأما عساكر الملك أبو تاج فكل منهم اقتحم وهاج كما تهيج فحول الجمال وأجروا دماء الأعداء كالسيل إذا سال (ياسادة) وكان المقدم سعدون الزنجى سمع صوت الملك سيف بن ذى يزن من تحت الغبار ففرح وقال ما أبركه من نهار وبقى له حملات تحت العجاجات تتعتع الجبال الراسيات وزادت همته وعزيمته عما كانت أو بطبقات وأيقن بإحياء نفسه من الممات وكانت له ساعة لا تشابه الساعات فمال على الأعداء كل الميل ونزل عليهم نزول السيل وأبلاهم بالحرب والويل وكالهم كيلاً وأى كيل ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل إلى وقت المغرب وعولت الكفار على الهروب وسدت فى وجوههم المذاهب والدروب ولما جن الظلام خفت مواضع الأقدام وبطل ضرب الحسام وعادوا جميعاً إلى الخيام ولكن سعدون الزنجى من فرحه ما صار إلى خيامه بل صار إلى الملك سيف بن ذى يزن حتى وقف قدامه وقبل يديه ورجليه قال له يا سيدى هل ترى أنت صحيح فى دار الدنيا أم أنا فى منام والله ما كأنى إلا فى أضغاث أحلام وكان الملك سيف مثل شقيقة الأرجوان مما صار عليه من دماء الفرسان وكذلك الملك أبو تاج ومن معه من العساكر والفرسان وبعد ذلك جلس الملك سيف بن ذى يزن وتوابعه فى الخيام وقال الملك أفراح لرجاله وخدامه أن يجتهدوا فى إحضار الطعام فلما حضر الطعام أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وبعد ذلك سأل الملك

سيف بن ذى يزن عن أصل تلك الحروب فقال له الملك أفراح وسعدون الزنجى والله يا ملك ما نعلم لها سبباً وإنا كنا مقيمين فما نشعر إلا وهذه الخيل أقبلت وعليها الفرسان طالبين الحرب والطعان فقال الملك وأنت يا حكيم برنوخ لم تعلم سببها فقال كيف لا أعرف سببها وأنا أمها وأبوها والحال أن والدتك مع عيروض أرسلاك إلى بلاد أفلاطون وأصبحنا نحن ههنا ما وجدناك فضربت أنا تخت رمل وعرفت الذى جرى فاجتهدت يا ملك وضيقت على عيروض حتى راح وأعلم عاقصة وجاءت ووقفت حتى أخذتك من تحت عيروض وعلمت بالمشقة التى حصلت لك فأدركت عاقصة وأحضرت لها الأحقاق بدوائك من كنز اليونان وتركتك وأتيت إلى المدينة الحمراء وطلسمت على قصر أمك بالظلماء وتركتها وطال عليها المطال وأنا أعلم أنك فى النوبة تتزوج بالملكة منية النفوس فتركتك على حالك لقضاء أشغالك وأقمت أنا فى المدينة أنتظر صنع الله تعالى وأقداره وإن الملعونة قمرية غافلتنا وأرسلت إلى ملك الحبش أعلمته بما جرى فأرسل هذه الثالثة مقادم لأجل النافذ فى علم الله وإنهم يكونون من أهل الإيمان فإذا قدرت على أحدهم فلا تقتله بل ائسره لعل الله تعالى أن يكتب لهم السعادة على يدك وأنت يا ملك إيش الذى جرى لك فقال الملك سيف بن ذى يزن أنا الذى جرى علمتوه ثم حكى لهم ما وقع له ولا فى الإعادة إفادة فتعجبوا من ذلك وحمدوا الله على سلامته وعودته لهم سالماً وكذلك الملك أبو تاج فرح بذلك المنهاج وتولى الملك سيف حرس الجميع وذلك من تولعه بالملكة منية النفوس وقال لها اعلمى يا ملكة أنك تبقى الحاكمة على تلك الأرض والبلاد وأنا أيضا أكون تحت أمرك ونهيك فلا تضيقى صدرك فقالت له ها أنا ذا بقيت غريبة فريدة وأنت المتصرف فافعل بى ما تريد فقال لها والله ما تكونى عندى إلا عزيزة مكرمة وكل نساء المدينة هذه جميعا لك مثل الأم فشكرته على مقاله واطمأن قلبها لما

علمت أنه ملك مطاع وصاحب جنود وخدم وأتباع .

(قال الراوى) ولما كان ثانى الأيام واصطفت العسكر للقتال والصدام وترتبت الصفوف وانحدرت المئات والألوف ونظر الملك سيف بن ذى يزن إلى اجتماع العساكر فقفز بين الصفين واشتهر بين الفريقين وصال وجال فى الميدان حتى هداه شعب الحصان وأشار إلى مقدمين الحبشة والسودان وقال يا مقادم العساكر والجحافل ويا كبراء هذه الجموع والقبائل هل فيكم فارس حلاحل يبرز إلى القتال ومعاناة الأبطال ها أنا ذا ما بى خفا فمن عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى اعلموا أنى أنا الفقير إلى الله الملك سيف بن الملك ذى يزن صاحب مدينة حمراء اليمن ومبيد أهل الكفر والمحن هلموا إلى القتال ومعاناة الأبطال.

(قال الراوى) ولما نظر الحكماء سقرديس وسقرديون أدركهم الجنون وتناظروا إلى بعضهم بالعيون لقد نفد منا المقدم سعدون واتانا سيف بن ذى يزن يزيدنا على عنادنا عناداً وغبون وها هو ذا طالب البراز وسأل الأنجاز فالتفت المقدم سابك الثلاث وقال للحكماء إيش الذى أزعجكم وفى أمركم احيركم وحصل عندكم خوف ورعب من فارس نزل إلى الميدان والحال أنه من أولاد البيضان وأنا لو اجتمع على ألف من البيضان أفنيهم بالحسام والسنان وأنا وحق بيت عصاتين ومسيرهم من المشرقين إلى المغربين لابد لى أن أنزل الميدان وألطم هذا الفارس العرمان وأقهره فى حومة الميدان وأكسبه من دمه حلة أرجوان ولا أبالى به ولا بألف مثله ثم أراد أن يركب فعارضه دمنهور الوحش وقال له اقعد أنت وخل عنك القتال فقال ميمون الهجام أقعدوا أنتم الاثنين وأنا أتولى عنكم القتال يوماً أو يومين فقال سابك الثلاث أنا حلفت ببيت عصاتين ولا يمكن أن أحنث فى اليمين فقال الحكيم سقرديون لا تتخاصموا فأنتم على الحرب عازمون فإن كان ولابد من نزولكم إلى الميدان فأنا أضرب لكم القرعة فى هذا المكان وكل من جاءت

عليه القرعة ينزل إلى الميدان فقالوا رضينا بذلك وضربوا القرعة فجاءت على سابك الثلاث فعادوا ثانياً وثالثاً وهى لا تجىء إلا له فعند ذلك ركب جواده بعد ما لبس عدته ونزل إلى الميدان حتى صار قدام الملك سيف بن ذى يزن وقال دونك والقتال إن كنت من الأبطال ثم إنه صال وجال فى أربعة أركان المجال ولعب برمحه العسال حتى أذهل عقل كل من رآه من الأبطال وبعد ذلك وقف فى الميدان وأشار إلى الملك سيف بالسنان وأنشد وقال :

* * *

يا من أتى للحرب والميدان ... دونك وطعنات القنا المران
فلسوف تنظر فى الحروب عجائباً ... تحت العجاج إذا التقى الجمعان
ولسوف تبقى فى التراب معفراً ... ومخضباً بالدم الأحمران
من سيف سابك الثلاث لدى اللقاء ... بطل كمى فارس الشجعان
دونك وسوق الحرب يا هذا الفتى ... حتى تشاهد صولة الفرسان
لو كنت تعلم من أنا عند اللقاء ... ورأيت يوم مواقفى وطعانى
ما كنت تبرز للقتال تعمدا ... يا جاهلاً بالحرب والجولان
ولقد برزت إلى القتال ولم أكن ... فى الحرب ذا فشل ولا بجبان
أنا فارس الهيجاء قرن باسل ... ذلت لوقع مضاربى أقرانى
ما راعنى يوم الهياج محارب ... حتى أزلت جلاده بسنان
ولسوف تبقى فى التراب مجندلاً ... رزقاً لوحش البر والغيلان

* * *

(قال الراوى) فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن من سابك الثلاث هذا الشعر والنظام قال له قتلك الله ولا أحياك فلقد عرضت نفسك للهلاك وسوء الارتباك ولقد مدحت نفسك بذلك الهذيان وما قلته من شقشقة اللسان يا جبان يا ذليل يا مهان ويا أرذل السودان يا من دخل فى الغرور والبهتان حتى غضب عليك الملك الديان وجعلك شقياً من أهل الحرمان وفى الآخرة محروم من جنة رضوان عند مالك فى طبقات النيران وسوف ترى

صدق ما قلته لك عياناً ولكن حتى أجيبك على ما قلت من الشعر والأوزان ثم أجابه على عروض شعره :

* * *

دع عنك هذا الزور والبهتان ... يا أنجس الحبشان السودان
يا من لغير الله تعبد باطلاً ... وطردت عن باب العلى الديان
وتمكنت منك الحماقة كلها ... وأتيت مغروراً إلى الميدان
تبت يداك لقد جمعت جهالة ... مصحوبة بالكفر والطغيان
أتيت لحملاتى فذق طعن القنا ... من يد من هو عابد الرحمن
وشهدت أن الله حق صادق ... جل الإله من الفنا أنشانى
وكذلك إبراهيم حقاً مرسل ... نعم النبى قد جاء بالبرهان
للحرب دونك كى تذوق مضاربى ... وتخر من فوق الثرى ندمان
وأنا مبيد الكفر سيف الحميرى ... من عصبة الإسلام والإيمان
لا أنثنى يوم اللقا عن فارس ... إن لم يوحد ربنا الديان
فيعود من طرق الضلال إلى الهدى ... ويعود بعد الكفر للايمان
فأذيقه من كأس سيفى منهلاً ... بالموت ممزوجاً بحد يمان
ويعود من فوق التراب مجندلاً ... جزراً لوحش البر والعقبان

* * *

(قال الراوى) فلما فرغ الملك سيف من ذلك الشعر والنظام وسمع المقدم سابك الثلاث هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام فحمل على الملك سيف بن ذى يزن حملة الغضب وعبس فى وجهه وقطب وكل منهما طالب خصمه أشد الطلب وزادت بينهما الحقود وتضاربا بكل سيف محدود وتطاعنا بكل رمح كعوب وانطبقا انطباقاً كأنهما جبال الأخدود وتجادلوا مع بعضهم بالكفوف والزنود والتهبت فى قلوبهم نار الوقود وكل منهما قلبه على خصمه ملآن غيظاً وكمود وبعد ذلك افترقا افتراق وادى زرود وكل منهما أيقن أنه مفقود وقد دام بينهما الحرب والطعان والضرب بالسيف اليمان

والطعن بالرمح الكعوب المران وكان سابك الثلاث كأنه حجر أصم لا يلين لإنسان إلا فى ذلك اليوم فإنه لما رأى من الملك سيف بن ذى يزن ما أبهره عيان وأيقن بتلاف مهجته إما بسيف أو بسنان وكان طالب الزيادة فوقع فى النقصان وأيقن ما بقى له فى الحياة مطمع ولا من الهلاك أمان كل هذا والملك سيف يطاوله ويغالبه حتى أتعبه وأكربه ولما نظر الملك سيف بن ذى يزن إلى سابك الثلاث وقد زاد به التحير وحس من جواده بالتقصير وعرف ذلك معرفة خبير حاذاه حتى حك الركاب بالركاب وصرخ عليه صرخة دوى منها البر والهضاب ومد يديه إلى خناقه وقبض على أطواقه وعصر على أشداقه حتى كاد أن تطير أحداقه وصاح بالدين الإسلام وتعتعه بقوة واهتمام فقلعه من بحر سرجه وقد بطل هرجه ومرجه ورجله عن الجواد إلى الأرض والمهاد وصرخ على سعدون الزنجى فنزل إليه وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والأطراف وأعطاه لجماعة من أبطال المسلمين وصلوه إلى المضارب والخيام ونظر الحكماء إلى هذه الحمال فلطموا على وجوههم وصرخوا على عسكر الحبشة وقالوا لهم كيف يهون عليكم المقدم سابك الثلاث وهو من أكبر مقدمين السودان يأخذه واحد من البيضان وأنتم تنظرونه عيان دونكم والحملة على ذلك الشيطان فعند ذلك حملت العساكر وتمخضت الدساكر وأطبقوا على الملك سيف بن ذى يزن فتلقاهم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرأ من تيار البحر إذا زخر وصار يضرب فيهم بالحسام الذكر ويرمى رؤوسهم كالأكر وكفوفهم كأوراق الشجر وحمل بجانبه المقدم سعدون وأنزل على الأعداء ريب المنون وأراهم فى الحرب فنون وأى فنون ونظر الملك أبو تاج إلى ذلك فاحتاج أن يحمل على ذلك البحر العجاج وتبعه عساكره أفواجاً أفواجاً ورمى العدا أفراداً وأزواجاً وانعقد الغبار حتى بقى النهار كأنه الليل الداج وعظم القتال وزادت الأهوال وقصرت الأعمار الطوال واهتزت الجبال وتزلزلت الأرض بالزلزال وغنى

بين الفريقين الحسام الفصال ونفذت الأسنة فى صدور الرجال وزادت نار الحرب اشتعال وجاء الحق وزهق المحال وقاتل فى ذلك اليوم كل فارس رئبال والجبان طلب الانفلال مما عاين من البلاء والنكال ولا زال الفريقان فى قتال إلى أن أذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانفصال ورجعت الطائفتان عن القتال وتركوا القتلى مطروحين على الأراضى والرمال.

(يا سادة) ولما نزلت هؤلاء العساكر فى الخيام واستقر بالناس المقام أحضروا لهم الخدم الطعام وبعد ما أكلوا أضرموا النيران وتحارسوا من كل لص وشيطان وأرسلوا يتفقدون من قتل من عسكر السودان فى إليوم الشديد الأهوال فرأوا القتلى خمسة آلاف وستمائة وسبعين وصاروا قتلى على وجه الأرض والبطاح غير الذى أثخن بالجراح فلطمت الحكماء على وجوههم وكذلك السحرة حاروا فى أمورهم وقالوا نحن كنا رابحين وبلغنا من أعدائنا كل الأمل لولا هذا الأبيض المسمى بسيف بن ذى يزن فإنه أنزل علينا وعلى جميع العساكر الذل والمحن وكان زحل غائبا عنا وإلا لو كان زحل حاضراً معنا لكان نصرنا على الأعداء فقال له المقدم دمنهور الوحش يا حكيم كل ما جرى على هؤلاء الرجال من تدبيرك المشئوم ورأيك المذموم لأنك زعقت على الناس وقلت لهم احملوا حملة واحدة والعساكر ما يعرفون أبواب الحرب والقتال فأهلكوهم هؤلاء الأعداء وأنزلوا بهم النكال وأنا أظن أنك ما جئت معنا إلا لتهلك جميع عساكرنا فقال له سقرديون كيف الحرب يكون أما هى عادات الحروب فيها غالب ومغلوب فقال دمنهور صحيح ولكن القتال مبارزة فارس لفارس لم يكن منه بغتة لأن ما ينزل للبراز إلا كل من كان يعرف كيف يكون الإنجاز وأنا الرأى عندى أننا ما بقينا نقاتل إلا مبارزة حتى ننظر ماذا يكون الانفصال وباتوا على تلك الحال هذا ما كان من أمر الحبشة والسودان وأما ما كان من أمر الملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج فإنهم لما انفصلوا من

القتال وعادوا إلى الخيام وأكلوا الطعام وحمدوا الله الملك العلام وقال أفراح لعساكره احسبوا لنا من قتل فى ذلك إليوم فقالوا له قتل من عسكرنا تسعون إنسان وقتل من عساكر سعدون الزنجى اثنان وقتل من عسكر أبى تاج ثلاثون ومن عساكر حمراء إليمن خمسة وثمانون فقال المقدم سعدون إذا كان فى غداة غد وبارزونا كان ذلك قصدنا وأنا خطر لى خاطر وأظن أنه صواب فقال الملك سيف قل ما بدا لك فقال يا سيدى إذا كان غداة غد أكون أنا وعبيدى على إليمين والملك أبو تاج وعساكره على إليسار والملك أفراح فى الجناح إليمين وبرنوخ الساحر يأخذ عساكر حمراء إليمن ويمسك الجناح إليسار وأنت أيها الملك تمسك القلب وتستعد للطعن والضرب ونزحف على الأعداء ونحن يا ملك فينا كفاية لهم إذا حملوا علينا وأما إذا بارزونا فأكون أنا أول من يبرز إلى الميدان وأسقيهم كأس الهوان وكل من بارزنى من الحبشة أو من السودان طعنته بالسنان وجعلته كأمس كان ولكن يا ملك أنا أقسم عليك بالخليل إبراهيم إنك لا تتعرض لى فى المجال ولا تمنعنى عن البراز فلعل أن يبرز لى هذا الكلب ميمون فإنى والله مشتهٍ أن ألقاه وأبلغ قلبى مناه لأنى كنت أسمع بشجاعته قبل تلك الأيام ثم إنهم باتوا إلى الصباح فركب الفريقان على الجياد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بعوامل الرماح فتأمل المقدم سعدون فرأى عساكر الحبشة اصطفوا ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين فعلم المقدم سعدون أنهم يريدون البراز فالتفت إلى الملك سيف وقال له يا ملك هذا مطلوبى فقال له الملك سيف إن هذا دواؤك دونك وما تريد إن رأيت ما زاد على طاقتك من أعدائك فها أنا ذا واقف أحفظك وأرعاك وأهلك كل من عاداك فهم كذلك وإذا بفارس خرج من وسط عسكر السودان كأنه من أولاد الجان وهو غائص فى لامته ومقلد بعدته وعليه درع مذهب وعلى صدره مرآة من الجوهر عجب وهو راكب على جواد من أعلى خيول الفرسان

ومتقلد بسيف يمان كأنه البرق فى اللمعان ولم يزل سائراً حتى توسط الميدان ونادى بصوت وقال هل من مناجز يا من يريد الحرب والقتال دونكم ولقاء الأهوال إن كان فيكم أبطال فلا يبرز لى إلا ملككم الأبيض المسمى بسيف بن ذى يزن حتى أتقابل أنا وإياه قدامكم فى الميدان فإن قهرنى كنت له على ما يريد وأخدمه كما تخدم مواليها العبيد وإن أنا أسرته أو قهرته فأفعل كل ما أشتهى وإن بدو لا أنجبر عليه ولا أضايقه وإنما يطلق لى سابك الثلاث وأنا أطلقه هذا ما جرى والمقدم سعدون أراد أن ينزل إلى الميدان ويلطم ذلك الفارس فقال له الملك سيف قف مكانك لا تتحرك فما أحد طلبك ولا استجرك وأنا المطلوب ولا يجوز أن يطلبنى طالب وأنت تكون عوضاً عنى ثم إن الملك سيف بن ذى يزن قفز الى حومة الميدان وتقرب إلى ذلك الفارس.

وقال له دونك وما تريد فأنا طلبك أيها الفارس الجليد فعند ذلك انطبقوا على بعضهما ولم يتكلم أحد منهما بشعر ولا بنظام بل كل منهم جرد الحسام وانطبق على خصمه من غير كلام وتخاصما أشد خصام والتحما غاية الالتحام وأخذوا فى الصد والرد والقرب والبعد فتارة يكون ميمنة وتارة تكون ميسرة وتارة تجرى بهما الخيل خبباً وتارة قهقهرة وكان هذا دمنهور الوحش آفة من الآفات وبلية من البليات فجد مع الملك سيف ابن ذى يزن فى العراك والصدام وتجزيع الموت الزؤام حتى أن الاثنين قد أشرفا على شرب كأس الحمام وتقدم سعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج تقربوا الى المعمعة وصارت أعينهم إلى نحو الميدان متطلعة.

ونظر المقدم دمنهور الوحش من الملك سيف ما حيره وبهره وكان قلبه قاسيا فلان وندم على خروجه للميدان ولا بقى ينفعه الندم فى ذلك المكان وإن طلب الفرار والهرب ضاقت الدنيا فى وجهه فما كان له غير أنه أخفى الغيظ والكمد وأظهر الصبر والجلد وأخيراً أحس من جواده بالتقصير

والملك سيف بن ذى يزن عزف ذلك منه معرفة خبير فقام فى ركابه وتمطى فى بداده وزعق عليه وخافاه ومد يده فى جلباب درعه بكف ملآن تقوى وإيمان وتقوى وأخرج رجله من الركاب ورقص الحصان فرماه من تحته إلى الأرض والصحصحان وبقى دمنهور الوحش فى يد الملك سيف بن ذى يزن معلقاً كأنه الثوب الخلفى فتحرك فى يده وأراد أن يتخلص فرفعه الملك سيف الى فوق وهو قابض جلباب درعه من الطوق وجر به الأرض فرض عظامه رضاً فما لحق أن يصل الأرض حتى كان المقدم سعدون واقفا كأنه المجنون فركب على صدره كأنه حجر طاحون وعصر على أكتافه عصرا وأورد يديه قوة وقهرا وأوثقه كتافا وقوى منه السواعد والأطراف وساقه بين يديه وسلمه لاثنين من الفرسان الشجعان.

وقال لهم اربطوه بجانب صاحبه سابك الثلاث هذا وقد نظر سقرديس إلى أخذ دمنهور الوحش أسيراً فما بقى لهم صبر ولا جلد وتفرت منهم المرائر والكبد ونشفت أرياقهم وتمرر مذاقهم فلطموا على وجههم حتى خزج الدم من أنوفهم وصاحوا على العسكر احملوا على هؤلاء الذين أسروا مقدمينكم وغيروا عليكم أحوالكم دونكم والحملة ولا يتأخر أحد على الجملة وتكونوا حملة صادقة فعندها زحفت الرجال وتقدمت الأبطال فالتقاهم الملك سيف بن ذى يزن الفارس الريبال ولعب فى أبدانهم بالحسام الفصال ودحرج رؤوسهم على وجه الأرض والرمال وتبعه المقدم سعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج وكل منهم اقتحم البغال وهاجوا وطرحوا الجثث أفرادا وأزواجاً ولله در الملك سيف بن ذى يزن فإنه حمى الميدان وأهلك الحبشة والسودان وجعل الأجسام على الأرض كيمان وأما الملك أفراح فإنه قبض من الأعداء الأرواح وبضع الأشباح وسقاهم من المنية كأس القراح وضرب بالسيوف الصفاح وزعق على الأعداء وصاح فهلك كل فارس جحجاح.

والمقدم سعدون ما كان هذا اليوم مغبون فإنه أدار رحى الحرب كالطحون وخرق بسنان الرمح صدور الأعداء والجفون وأدار على عساكر الحبشة كأس المنون وما بقى يعرف إن كان عاقلا أو مجنوناً وقد بسيفه الظهور والأجناب والبطون وثارت الغبائر وتفرقعت المرائر وغنى الحسام الباتر وشك سنان الرمح فى الحشا والضمائر وبان فى ذلك اليوم كل شجاع وصابر وتفتحت المقابر فكم من جواد غائر ودم فائر ودماغ طائر وجنان حائر وكانت وقعة يالها من وقعة تجلى عليها الملك العظيم القادر القاهر ثنت أهل الإيمان وبلغوا المأمول وخسرت الكفار ولم ينالوا محصولاً فحاروا وانذهلت منهم العقول وداموا على هذا الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال.

ودقت طبول الانفصال وبطل القتال وعادت عساكر الإسلام إلى المضارب والخيام وتقدم لهم الطعام وأوقدوا النيران وقام برنوخ الساحر وقال أنا ملزوم بالحرس إلى الصباح وكل منكم ينام يستراح فقال له الملك سيف أنت خيرك علينا يا حكيم أما عساكر الكفار فإنهم عادوا إلى خيامهم وسقرديس وأخوه سقرديون معهم كذلك السحرة يتعجبون من هذه الأفعال وحسب من قتل ذلك اليوم فكانوا الفين وكسور فلطموا على وجوههم الحكماء ونتفوا ذقونهم بأيديهم وقالوا انفضحت عساكرنا عند الملوك وكل غنى وصعلوك ويقال عنا إننا كان معنا العساكر وثمانون ألفا وثلاث مقادم كل مقدم منهم مقوم بقبيلة وتكون بين يديه وأيضاً ثمانون ساحراً وحكيمان وانكسروا من حرب عصبة قليلة وكسرهم الملك سيف بن ذى يزن وأنزل بهم الذل والمحن وأبلاهم بالمحاق وسقاهم شرباً من المذاق وأوردهم موردة التلاف وعسكره فى عدد أربعة آلاف والتفت ميمون إلى الحكماء وقال لهم وأنتم أيها الساحرون ما ظهر لنا منكم براهين ولا رأينا منكم بيقين الا ما كان وما معنا منكم أحد فقال له السحرة نحن حكماء

لما جئنا أول ما فعلناه شيئاً منعنا به الظلمة التى كان عملها برنوخ الساحر وخلصنا قمرية وأنتم بطلتم السحر ولو كنا رأينا برنوخ الساحر يعمل أبواباً كنا أبطلناها ونحن نخاف أن نفعل شيئاً ونعمل عملاً يبطله برنوخ الساحر فإنه قاعد متحضر إلى أشغالا ومرصدنا كما يرصد الفأر القط فإن برنوخ ما هو ساهل حتى نهمل أمره ولا نتقاول على مكره وسحره فقال ميمون الهجام أما قولكم إن هذه الواقعة ما لها إلا ضرب الحسام البتار وأنه لو لم يكن فى العساكر سعدون الزنجى كنا كسرناهم فإنى أنا بالأمس رأيته وهو عائد من الميدان كأنه الأسد الغضبان وأنا مرادى فى غداة غد. اطلب النزال معه لعله يخرج وأنا أجعل دمه على درعه مثل الطراز وأنجز أمره غاية الإنجاز وإن نزل من بعده سيف بن ذى يزن أرحت منه سكان هذه الأرض والدمن فإذا قتل هذان الاثنان كفينا كل الفوارس والرجال ولا نبالى بعدها بكل ما كان من الاسود الخوال فقال الحكماء إن فعلت ذلك نحن نضمن لك أن الملك سيف أرعد يزوجك ابنته ويقاسمك فى نعمته وتبقى وزيره ومدبر مملكته وسياف نقمته وتبقى كلمتك على الدولة مثل كلمته ويفضلك على جميع أكابر دولته فقال لهم لا كلام حتى يمر الظلام ويأتى النهار بالابتسام هذا ما جرى هنا من الأحكام وأما ما كان من الملك سيف بن ذى يزن فإنه تفقد من قتل من عسكره فقالوا له يا ملك قتل منا جميعا تسعون ومن العبيد أربعة فبكى الملك سيف وقال والله يا جماعة أنا عندى كل مؤمن مجاهد فى سبيل الله خير من مملكة سيف أرعد وما فيها من المال والنوال والخيل والرجال ولو أعلم ذلك ما كنت أخلى أحداً منكم يبرز الى القتال فقالوا له أيها الملك السعيد نحن نعلم أن كل من مات فهو شهيد ومن عاش فهو سعيد فمن ذلك بقيت الإسلام بين السعادة والشهادة وهذا أحسن ما يكون ونحن يا ملك ما سرنا معك برجالنا وفرساننا إلا وفى نيتنا أن نفديك بكل ما تمتلك يدانا وكذلك أرواحنا

ورجالنا فشكرهم الملك سيف بن ذى يزن على مقالهم وقال لهم والله لقد شفيتم الغليل وفعلتم كل جميل وأرضيتم الله الملك الجليل ثم قال لهم وكيف العمل فى هذا العسكر القليل ومراده إنجاز أمره بلا تطويل فقال له المقدم سعدون اعلم يا ملك أنه ما بقى ثبات القوم إلا بميمون فقط وإن أخذنا ميمون فإن العسكر هذا كله يختبط وبعد ميمون فإن العسكر يتفرق وكل من ثبت يشرب كأس المنون **(يا سادة)** ثم إن الملك سيف بن ذى يزن أمر بإحضار الطعام فأكلوا وشربوا وحمدوا ربهم وشكروه وقال الملك سيف أنا خائف يا سعدون من الحبشة أن يسعوا فى خلاص المأسورين من عندنا وإن فعلوا ذلك ضاع تعبنا وأنا قصدى أن أحضرهم وأعرض عليهم الإسلام فان أسلموا كانوا من حزبنا وإن لم يسلموا ضربت رقابهم وأرحت قلبى من سجنهم والتوكيل عليهم ماذا تقولون يا حاضرون فقالوا له جميعاً افعل ما تريد فنحن لك أطوع من العبيد وعن رأيك لا نحيد فقال الملك سيف بن ذى يزن على بهم يا سعدون فقال سمعا وطاعة وراح سعدون وأتى بهم وهم فى الأحزام أشد ما يكون فلما أحضرهم وإلى بين أيادى الملك سيف بن ذى يزن أوقفهم فقال لهم الملك سيف يا مقادم إيش أخركم عندنا والتوكيل عليكم وأنتم ساكتون فهل ترى مرادكم أن أطلقكم من السجن وتمضوا الى حال سبيلكم وإلا إيش يكون قصدكم ومرادكم أنا من أول ما أسرتكم كان قصدى ضرب رقابكم ولكن أملت فيكم أملاً وما أدرى يصح أو كيف العمل وأنا فى هذا الوقت أحضرتكم مرادى أرتاح من التوكيل عليكم إما بإسلامكم وتكونوا من حزب الإسلام لتحظوا بالشهادة إذا أدرككم الحمام وبالسعادة إذا كنتم على دين الإسلام فانطقوا بما ترون فيه الصواب وعجلوا إلى دبر الجواب فسكت الاثنان ولا أحد نطق بخطاب فقال الملك سيف كأنكم أبيتم دين الاسلام وما بقى لكم غير كاس الحمام قم يا مقدم سعدون واضرب رقابهم وعجل لهم المنون فقام سعدون على الأقدام

وأشهر فى يده الحسام فقال سابك الثلاث يا ملك إيش مرادك منا فقال له مرادى أن تتركوا عبادة زحل وتعبدوا الله عز وجل فإن زحل هذه نجمة من النجوم ولا يعبد بحق إلا الله الملك الحى القيوم فقال سابك الثلاث وأين إلهك الذى تعبده حتى نعبده معك وإذا رأيناه فعل فعالك نتبعك وأعلمنا هو فى أى مكان فقال الملك سيف إن إلهى يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى لا يمر عليه زمان ولا يحويه مكان بل فى السماء عرشه وفى الأرض بطشه وهو واحد أحد فرد صمد لا شريك له ولا مثيل ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد لا نظير ولا له مستقر ومن جعل له شريكا فقد كفر ودخل النار يوم المحشر.

(**قال الراوى**) فلما سمع سابك الثلاث هذه الأقوال اقشعر بدنه وبقى فى خبل وأخذته الهيبة لذكر الله المتعال ونطق فى عاجل الحال وقال صدقت يا ملك الزمان وقولك واضح البرهان لكن عرفنى كيف يكون الدخول فى دينك وكيف الوصول فياتباع يقينك فقال الملك سيف تطبق الأربع وترفع الأصبع وتقول كما قال موسى فى المناجاة يا معيد ويا مبدئ من العلم علمنى عسى يرتفع مجدى قال الله يا موسى أفضل ما يقول عبدى لا إله إلا الله خفيفة على اللسان محمد رسول الله بها يكمل الايمان صابون القلوب التوحيد يسعد من عليها توفى كلمة ثقيلة فى الموازين ترجع على الألسن لها خفة لو وضعت جميع الأعمال فى كفة وهى فى كفة وكذلك الجبال والأرضون فما يرجح إلا هى وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(**قال الراوى**) فلما سمع الاثنان وهما سابك الثلاث ودمنهور الوحش ذلك الكلام حصل لهما انشراح صدر للإسلام فقال دمنهور الوحش يا ملك سيف حقيقة أنا سمعت فى بعض الليالى ناساً يقولون إن الله واحد فرد صمد وهو لا يدرك بالنظر ولا له مكان ولا مستقر وأنت فى كلامك تذكر أن محمداً رسول الله مع أن الناس المؤمنين يقولون إبراهيم خليل الله فقال

الملك سيف صدقت وهذا الذى ذكرته فهو نبى آخر الزمان يأتى بالبينات والقرآن وهو أول الأنبياء وخاتم المرسلين وهو سلالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه الكرام وكان المقدم دمنهور الوحش وسابك الثلاث يسمعان ذلك الكلام وقلوبهم خاضعة إلى دين الإسلام فقالوا للملك سيف بن ذى يزن ونحن إذا أسلمنا فهل ربنا يقبلنا بعد ما جهلنا فى عبادة زحل مدة أعوام فى أعمارنا الأول وألا يردنا عن بابه ويحرمنا من التعلق والطمع فى جنابه فقال الملك سيف إذا آمنتم بالله تعالى وانتهيتم عما مضى يجود الله عليكم بالعفو والقبول والرضى فقالا له ونحن على ذلك آمنا بالله ورسوله وملائكته وكتبه وأول ما قال سابك الثلاث أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله وهو نبى زماننا هذا فقال الملك سيف بن ذى يزن أفلحت وكتبت من حزب الرحمن وبعده أسلم دمنهور الوحش وكتبت لهما السعادة والإقبال وفرح الملك سيف بن ذى يزن بإسلامهما وقام إليهما وأطلقهما من وثاقهما وقبلهما بين أعينهما وأحضر لهما ملابس وخلعها عليهما وقال لهما أنتما فزتما بالسعادة ثم أمر بإحضار الطعام فوضع وأكلا مع الملك سيف ومن حضر من العوام وباتا فى هناء وسرور وبات الملك سيف يعلمهم العبادة طول ليلتهم وقواعد الإسلام وفرح بهما فرحاً تاماً إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأقام سوق الحرب والكفاح واصطفت الصفوف ترتبت المئات والألوف ولما وقعت العين على العين.

(**قال الراوى**) وكان المقدم ميمون فى هذه الليلة وعد سقرديس وسقرديون أنه ينزل الميدان ويقانن المقدم سعدون إما أن يأسره على يديه أو يقتله ويسقيه كأس المنية ويخلص سابك الثلاث ودمنهور الوحش بأحسن ما يكون وبات منتظر الصباح ولا يعلم بأن هذين البطلين فتح عليهما الفتاح وانتقلا من الضلال إلى طريق الهدى والنجاح فلما كان فى ذلك اليوم

برز المقدم ميمون إلى حومة الميدان وهو راكب على فيل أعلى من الجواد وعلى بدنته درع داودى صنعه نبى الله داود عليه السلام وهو كثير العدد ضيق الزرد كأنه أعين الجراد لا يعمل فيها الصارم المهند وعلى رأسه بيضة عادية ململمة مجلية كانها الفضة النقية لا تعمل فيها الصوارم الهندية ومتقلد بصفيحة هندية مكتوب على حدها رسول المنية وعلى كتفه قناة خطبية تتلوى مثل الحية وعليها سنان كأنها جمة عقرب أو قيس على مرقب ثم إنه دفع ذلك الفيل الى الميدان ومحل الجولان ورفع صوته وكان له صوت جهورى يسمعه القاضى والدانى وقال هل من مبارز هل من مناجز اعلموا يا معاشر عساكر حمراء اليمن ها أنا ذا برزت الى الميدان ومحل الضرب والطعان وإنكم كلكم رعية ولا فيكم ملك ولا سلطان بل أنتم توابع سعدون الزنجى ومن له الغلمان وسعدون على ما سمعت عنه أنه تابع الملك سيف وهو سيف البيضان وأنا نزلت الى الميدان قصدى إنجاز الحال وقضاء الأشغال وأخرت جميع العساكر عن الحرب والقتال وليس من المروءة أن نتكل على العساكر تقاتل بعضها بعضاً ونقعد نتفرج على ما يجرى لها فالمراد أن ينزل الى الملك سيف بن ذى يزن الذى أباد بسيفه أهل الشرك والمحن وإن أسرنى فيقرنى مع سابك الثلاث ودمنهور الوحش الذين أسرهما بالأمس حتى نبقى جميعاً أسراه ويحكم فينا بما يهواه وإن أنا أسرته اطلب منه الاثنين فداه وإن كانت تأنف نفسه أن ينزل قبالى لكونه ملكا صاحب خدم وموالى ويقول إن قدره عالٍ فيبرز لى من هو أمثالى وهو المقدم سعدون الزنجى فإن قهرنى كنت له من جميلة الخدم والعبيد وإن أنا قهرته يكون موافقا لى على كل ما أريد (يا سادة) ونظره سابك الثلاث ودمنهور الوحش وهو على هذه الحال فأراد أن يبرزا إليه فقال الملك سيف ابن ذى يزن قفا مكانكما ولا تخرقا مع ذلك الشيطان حرمتكما ثم إنه أراد أن يخرج له فتعلق بركابه سعدون وقال له سألتك بالله العظيم يا ملك

الزمان إنك تسمح لى بالخروج إلى ذلك الشيطان فقال الملك سيف يا مقدم سعدون أنا لا أمنعك عنه وإنما أنا لى غرض فى أسره لعل الله يهديه للإيمان فإن مثل ذلك من الفرسان المشهورة والأبطال المذكورة وإذا كان على دين الإسلام ينفعنان فى الجهاد وبه تبلغ القصد والمرام فإذا أردت الخروج اليه أنا ما أمنعك لكن إن قدرت عليه فلا تقتله بل احترس على أسره كما قلت لك لعل الله أن يهديه للايمان ويبقى من حزب الرحمن فعندها خرج المقدم سعدون وسار فى الميدان حتى بقى قدام المقدم ميمون وقال له دونك والميدان إن كنت على ما تدعى أنك من الفرسان أصحاب الضرب والطعان فلما نظر ميمون إليه قال له يا فتى هل أنت الملك سيف بن ذى يزن الذى تدعى أنك من أهل الشجاعة والقوة والبراعة فقال له المقدم سعدون يا ميمون أنت كأنك مجنون فإن الذى تذكره هذا الملك من أكبر الملوك وكم تحت يده مثلك ومثلى من كل قائد جيوش ومقادم وملوك كل غنى وصعلوك فكيف ينزل الملك للحرب ويقاوم أمثالك فى محل الطعن والضرب وكم مثلك وأمثالك يريد أن يتعلق بالفروسية ويروم أن يسعى لعله يحقق مساعيه والأيام ترده وتذله وتخزيه وفرق بعيد أنا وأنت وألوف من أمثالنا لا يساوون نقطة من تياره ولا شرارة ولا دخنة من ناره وإن كنت على ما تدعى أنك من الفرسان فها أنت ذا فى الميدان والحرب والطعان ثم إن سعدون الزنجى لطم ميمون الهجام لطمة الأسد الضرغام وأخذ معه فى المعاركة والصدام وانعقد على رؤسهما الغبار والقتام وبطل العتب والملام وقل من بينهما الكلام وتطاعن بكل رمح معتدل القوام وتضاربا بكل حسام صمصام وداما فى كر وفرار وإقبال وإدبار ومهاجمة وملاطمة حتى أشرفا على الويل والعمى ونعوذ بالله من أحقاد السودان لأنهم مثل فروخ الخان وزاغت منها العيان وتقصفت الرمحان وتثلمت السيفان هذا وكل منهما فى خصمه طمعان أن يسقيه كأس الحمام

والهوان وداما على ذلك الشأن وهما يتزاوغان ويتهامزان حتى ما بقى فى أيديهما وتقابضا بالزنود وزاد بينهما الغيظ والحنود وبعد ذلك التفت المقدم سعدون إلى ميمون وقال له يا فتى هل لك أن تقاتلنى بالصراع حتى نفتخر أنا وأنت بقوة الزند والباع ويبين منا من يكون شجاع ولا يفزع من الحرب ولا يرتاع فإن كنت تدريه دونك والقراع وإن كنت لم تعرف فى الصراع فدعنا على ما نحن عليه من الحروب والقراع فقال ميمون أنا الصراع يا فتى صناعتى وربيت فيه من صغرى بين أقاربى وأهلى وأحبتى كيف لا أدريه وأنا كأمه وأبيه.

(**قال الراوى**) وإن المقدم سعدون ما طلب ذلك إلا لكون ميمون الهجام كما ذكرنا راكباً على فيل وأما سعدون فهو راكب على جواد نبيل وكان قصد سعدون أنه إذا نزله إلى الأرض هو وإياه يبلغ منه مناه وكان سعدون حس من جواده بالتقصير وأما الفيل فهو كالجبل الشامخ الكبير فما صدق أن ينزل إليه وهجم سعدون عليه ومال بكليته وتجاذبا وتضايقا وتهاجما وتلاكما حتى سالت من مناخيرهما الدما وأشرفا على الويل والعمى (يا سادة) وكانت الأرض مليئة بالصخور والأحجار كبار وصغار فصارا يتراجمان بالاحجار والصخور فحفرت أقدامهم الأرض مثل القبور وداما على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال واندق لهما طبل الانفصال وافترقا عن الحرب والقتال وكل منهما ينظر إلى خصمه شذار ويرمقه حذار وعادا إلى الخيال وقد انسدل الظلام ولما عاد المقدم سعدون من الميدان التقاه الملك سيف بن ذى يزن وهناه بالسلامة وفرح بعودته وكذلك سابك الثلاث سلما عليه وقال له لله درك من بطل شجاع وقرم مناع لقد قبل الله منك الجهاد وبلغك القصد والمراد فشكرهم على كلامهم وجلس الملك سيف بن ذى يزن وأمر سعدون الزنجى بالجلوس فجلس وأحضروا الطعام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا فقال

الملك سيف بن ذى يزن يا مقدم سعدون كيف كان خصمك فى هذا اليوم فقال سعدون يا ملك ما هو إلا فارس مهاب وقرم للحروب وثاب وأنا والله ما رأيت حملات مثل حملاته ووثبات مثل وثباته ولا يفعل فعاله إلا أستاذى الملك سيف بن ذى يزن سيد ملوك اليمن ولكن يا ملك الزمان فى غداة غد إذا أزراد الله تعالى بالنصر أقوده أسيراً وأتركه على الأرض عفيراً ولله تعالى المشيئة والتدبير هذا ما جرى ههنا وأما ما كان من المقدم ميمون فإنه عاد من الميدان إلى مضاربه والخيام فتلقاه سقرديس عند عودته وهناه بالسلامة وقال له كيف رأيت خصمك يا فارس الزمان فقال ميمون وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه يا حكيم الزمان ما هو إلا أوحد الفرسان ولم يكن له نظير فى ثباته فى الحرب والميدان وأنا فى غداة غد آخذه أسيراً وأتركه على الأرض عفيرا فقال له سقرديس يا فارس العصر اعلم أن زحل معك وعلى خصمك ينصرك وأقام ميمون على ذلك الحال يا سادة وأما سابك الثلاث ودمنهور الوحش فكانا واقفين يتفرجان على ما جرى فى الميدان وشهدوا لسعدون وميمون بالزيادة عن جميع الفرسان ولما دار الحديث والكلام قال دمنهور الوحش يا مقدم عمرى ما رأيت أحداً فعل فى الحرب كما فعلت أنت وميمون فقال سعدون والله ما هو إلا فارس همام وبطل ضرغام ولم يكن له نظير فى هذه الأيام وأنا أسأل الله تعالى أن يهديه إلى دين الإسلام ويكون حزبنا فى قتال الكفرة اللئام فقال له سابك الثلاث صدقت فيما قلت يا فارس الصدام وما هو إلا أسد لا يرام ونحن نعلم أن الملك سيف أرعد كان يخاف منه ويهاديه ويتقى شره ويرعيه لما فيه من الشجاعة والقوة والبراعة فقال لهم الملك سيف يا مقادم وحق الملك العلام رب زمزم والمقام والمشاعر والعظام لابد لى أن أبرز له غداة غد فى الصدام وأخطفه لكم من بحر سرجه كما يخطف الجارح الحمام وأعرض عليه الإسلام وإن لم يسلم قطعت رأسه بالحسام فلما سمعوا منه ذلك

الكلام سكتوا جميعاً وقال المقدم سعدون يا سيدى إن فضلك لا ينكر وأنت أوحد البدو والحضر وباتوا على ذلك الإيضاح حتى أتى الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنور كوكبه الوضاح فركبت الفرسان على ظهور الخيل الجرد الملاح واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف ميمنة وميسرة فكان أول من فتح باب الحرب المقدم ميمون الجهام وبرز إلى حومة الميدان ولعب بالرمح حتى حير عقول الفرسان ونادى هل من مبارز دونكم والميدان لا يبرز لى إلا الملك سيف بن ذى يزن الذى شاع ذكره فى الأقطار والدمن وقيل عنه إنه مقاتل الإنس والجان وأذل بسيفه جميع الملوك والفرسان.

(قال الراوى) فما أتم كلامه إلا والملك سيف قفز بالجواد وصار قدامه وكان سعدون الزنجى وسابك الثلاث ودمنهور الوحش أرادوا أن يخرجوا إليه ولو بالفرعة فما مكنهم الملك سيف وقال لهم أنا قصدى الإنجاز وعدم الطولة فى البراز وخرج كما ذكرنا ولما صار قدام ميمون قال له يا مقدم ميمون اعلم أن أصحابك دخلوا فى دين الإسلام وصاروا من أهل الإيمان ومن حزب الرحمن وأنت الآن إما أن تؤمن بالله تعالى وتدخل فى دين الإسلام وإلا والله الذى لا إله إلا هو أجعلك شهرة بين الأنام وأقطع رأسك بحد الحسام فلما سمع ميمون من الملك سيف ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له وأنت من تكون حتى تتكلم بذلك الكلام الذى يرث الغبون أعلمنى عن اسمك قبل ما أحسرك على روحك فقال الملك سيف أنا قائد هذه العساكر وأنا صاحب هذه المدينة وأنا الذى طلبتنى أنت للقتال فلا تطل المطال إما أن تؤمن بالله ذى الجلال وإلا دونك والقتال إن كنت على دعواك من الأبطال فقال ميمون اصح لنفسك فإنك فى هذا اليوم تسكن رمسك ويتبدل عنك يومك بأمسك فصاح الملك سيف بن ذى يزن عليه وقال اخرس يا كلب السودان والحبش وما عليه بكيلته وصاح صيحة ملء

جثته وانطبقا وتقاربا وتباعدا وكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود ويذوب من حرارتها الحجر الجلمود وكافحا مكافحة الأسود وانطبقا انطباق جبال الأخدود وافترقا افتراق وادى زرود وكلاهما ظن أنه مفقود وكان لهم ساعة يشيب من هولها الطفل المولود ووقع بينها ضربتان فأما ضربة ميمون فكانت متسعة فوقعت فى صدر جواد الملك سيف فوقع قتيلاً ولما نظر الملك سيف ذلك انغاظ وضرب الفيل فوقع الحسام فى وسط رأسه ففلقها مع رقبته ولم يبق من الفيل إلا أعضاء جثته فصعب على ميمون وهجم على الملك سيف مثل المجنون وزاغت منه العيون فالتقاه الملك سيف ذى يزن وتقاتلا ساعة من الزمان تورث الفتن والمحن وتماسكوا بالزنود السواعد وقاسوا الأهوال والشدائد وداموا الى آخر النهار ولكن ميمون كل ومل ووهى وركن شجاعته واضمحل وعرف الملك سيف بن ذى يزن ذلك معرفة خبير فانحط عليه بكليته وتقوى عليه بعزيمته وقبض فى منطقته بيده اليمين وقبض جلباب درعه بيده اليسار وعصر عليه حتى تخيل أن عقله طار ورفعه على قائم زنده كالعصفور فى يد الباشق الجسور.

وجلد به الأرض ورض عظامه أعظم رض وكان سعدون واقفاً متحضراً لأسره فبرك على صدره وأدار يديه بالخلاف حتى شده بالكتاف وقد بالرباط سواعده والأطراف وساقه بين يديه إلى الخيام واستلقاه الملك أبو تاج والملك أفراح ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وسعدون الزنجى ولما استقر بهم المقام فأمر بإحضار الطعام فأحضره الخدام فأكل هو الحاضرون من المقادم والملوك الكرام وبعد أكل الطعام طلب ميمون فحضره الخدام إلى بين يديه فلما حضر بين يديه قال له إيش قلت فى الإسلام يا فارس الزمان أنا والله ما يهون على أن مثلك يكون من أهل النيران باتباعك للكفر والطغيان فقال ميمون يا ملك ها أنا ذا بين يديك فافعل بى ما تريد وأنا ما رأيت أحداً يأسر أسيراً ويكرمه إلا أنت أيها الملك السعيد فأمر الملك سيف بن ذى يزن

بإطلاقه وفك شداده ووثاقه وأمر له بالجلوس وقال له يا ميمون أنا مرادى لك النصيحة والدخول فى دين الإسلام وتكون من المجاهدين فى سبيل الله الملك العلام وتكون مثل هؤلاء إخوانك دمنهور الوحش وسابك الثلاث وكذلك المقدم سعدون وها هم على وجوههم نور دين الإسلام وآخر ما عندى أن أنصحك ثلاث مرات وبعد ذلك أضرب رقبتك وأفجع أحبتك فإن كنت راغباً فى الإسلام فبادر اليه والسلام وإن كان فيك الغرور واتباع الضلال والفجور فسوف ترى عاقبة البغى على من تدور فقال ميمون علمنى حتى أقول الكلام الذى أدخل به دين الإسلام كما علمت هؤلاد المقادم الكرام قال الملك سيف بن ذى يزن قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله ونبيه ورسوله فأسلم قلباً ولساناً فأمر الملك سيف بن ذى يزن باجتماع الأربعة وهم سعدون وميمون وسابك الثلاث ودمنهور الوحش أن يتشهدوا جميعاً وأوثق بينهم عهد الأخوة حتى لا يكون أحد يتعلق بالكفر ون آخر ويكونوا يداً واحدة على جميع الأعداء مساعدة ففعلوا ما أمرهم ونصبت لهم الكراسى حول الملك سيف فى الصيوان وصار إذا قعد يكون على يمينه الملك أفراح وعلى يساره الملك أبو تاج وأما المقادم فجعل سعدون وميمون فى اليمين ودمنهور وسابك الثلاث فى اليسار وبقى صيوان الملك كالجنة وهو قاعد كأنه الأسد بين السباع هكذا ترتب مجلس الملك سيف بن ذى يزن ملك ملوك التبابعة بأرض اليمن وأما ما كان من سقرديس وسقرديوس لما علموا بأخذ ميمون على يد الملك سيف بن ذى يزن نزلت عليهم الحمى المثلثة ولطموا على وجوههم واحتاروا فى أمرهم وأحضروا السحرة إلى بين أيديهم وقالوا لهم أنتم سافرتم وجئتم لنا من بلاد بعيدة وكان قصدكم أخذ برنوخ الساحر والذى كان السبب فى خروجه من بلادكم وقدومه الى تلك البلاد وها أنتم أتيتم فى طلبه ولما وقفتم قدام الملك سيف أرعد ملك الحبشة والسودان ما تخلى عنكم بل أمدكم بالعساكر

وأرسلكم إلى محل خصمكم ونحن أتينا معكم فما الذى أسكتكم عن طلبكم وما تجتهدوا فى قضاء شغلكم وأخذ برنوخ الساحر خصمكم فقالوا لهم طيبوا نفساً وقروا عيناً فوحق النار ذات الشرار لابد أن تنظروا من سحرنا ما يحير الابصار فقال الحكماء على كل حال يبقى لكم الفخر بين الفرسان والأبطال ثم إنهم اتفقوا على ذلك الحال كل من الثمانين اجتهد أن يفعل فأول من اجتهد وكان له اقتدار كبيرهم وكان اسمه عبد نار.

وهو الذى كبروه عليهم بعد برنوخ لأنه ذو فهم فقال لهم قبل كل شىء نلقى على الملوك الذين هم صحبة الملك سيف باب الجماد لأنى أعلم أن الملك سيف متقلد بسيف الملك حام سام بن نوح وأظن أنه يحفظه من الأسحار وبرنوخ فقالوا له نصبر حتى يتكامل الديوان ونرى باب الجماد عليهم جميعاً فكل من سحر فهو المقصود ونجتهد بعدها فى حرب برنوخ لأنه يبقى وحده وليس عنده أحد يساعده فبذلك ننتصر عليه إذا حاربنا وبنوا أمرهم على ذلك واصطنعوا باب الجماد وحمله كبيرهم عبد نار وركب على زير من النحاس ووقف فوق سطح الديوان وجلس كل ملك فى مرتبته ومن عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وألقى عليهم باب الجماد وهى طاسة ملانة بماء مبخر تلوا عليه عزائم بمعرفتهم فرش الطاسة عبد نار عليهم فتجسموا جميعا وصاروا حجارة وعيونهم شاخصة ولا أحد منهم يتحرك من مكانه أما عساكر الإسلام فإنه لما طلع النهار ركبت أرباب الحروب وطلعوا للميدان على جرى العادة وترتبت الصفوف وتحضرت المئات والألوان وانتظروا الملك سيف بن ذى يزن وسعدون الزنجى والملك أفراح والملك أبو تاج وميمون الهجام ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وأن المسلمين جميعاً فرحون بإسلام هؤلاء الأبطال الأجلاء أن يكونوا مساعدين لهم فى الحرب والقتال ولما تفقدوهم ما وجدوهم فعاد منهم جماعة إلى الديوان فرأوهم على هذا الحال ولما رأوهم صاحوا فزعاً مما جرى قالوا ما

فعل بملوكنا تلك الفعال إلا السحرة وبلغ الخبر الى طائفة من الحريم فدخلوا على شامة وقالوا لها قومى الحقى أباك وزوجك فإن السحرة سحروهم وجعلوهم أحجار شواخص الأبصار فخرجت شامة مسبية مثل الجوارى حتى وصلت إلى الديوان فرأت إياها وزوجها ومن كان معهم على هذا الحال فصاحت وأعلمت بالصياح وزاد بها البكاء والنواح وقالت لمن كانوا حاضرين من العبيد وبعض العساكر ائتونى ببرنوخ الساحر فتجارت الناس الى برنوخ وقالوا له الحق الملوك فإنهم فى حالة العدم فسار إلى الديوان فقالت له شامة انظر يا حكيم الزمان ما فعل فى الإسلام أهل السحر والكهان فقال لها برنوخ لا تخافى فإن السحرة رموا باب الجماد على ملوكنا وما بقى قاصدهم إلا أنا ثم إنه أحضر طاسة من النحاس وملأها من الماء العذب وقرأ عليها عزائم يعرفها حتى صار الماء يغلى كغليان المرجل وإذا بالصياح انعقد فى الخلا وملأ أقطار الفلا فقال برنوخ يا شامة هذه الطاسة خذيها معك حتى يهدأ غليانها ورشى عليهم أجمعين فإنهم يفيقون كما كانوا عن يقين وأما أنا فذاهب إلى أولئك الساحرين الكافرين حتى أتحارب معهم وانتظر النصر من رب العالمين ثم إنه خرج من الخيمة وتأمل وإذا بالثمانين ساحراً فى حومة الميدان وكل منهم كأنه شيطان وقد منعوا الحبشة وجميع الصفوف من السودان عن الحرب والطعان وقالوا لهم قفوا مكانكم حتى نملك برنوخ الساحر ونهلكه بين العساكر فإنه ثبات المسلمين ولما سار برنوخ فى الميدان كان كل كافر منهم مستحضرا على باب من أبواب السحر والكهانة وليس باب إلا ويختلف عن الآخر فالبعض صور له حربة وضربه بها والبعض أرسل له أسدا والبعض أرسل عليه باب الانقلاب والبعض أرسل عليه باب الصمم والبعض أرسل عليه باب العمى والبعض صنع سهماً من بولاد ولا أحد من الثمانين إلا وحذف عليه الباب الذى صنعه فلما رأى برنوخ ذلك سار يفك عمل هذه

الأبواب واحداً بعد واحد والسحرة يصطنعون له غيرها فما خلص من الثمانين باباً التى ألقيت عليه حتى كانوا اصطنعوا له غيرها وما خلص من تلك الأبواب إلا بعد ما قاسى شدة العذاب والتفت للأبواب التى بعدها وما دام يدافع عن نفسه ويرد تلك الأبواب حتى سلطوا عليه باب رجم الأحجار مع لهب النار ولولا أن برنوخ من السحرة الكبار لما كان سلم فى هذا النهار وإنما برنوخ متعلم أبواب الأسحار بالتمام وزاد قوة ونشاطاً بدخوله دين الإسلام وهو يقول لا يمسنى ضر ولا بأس ببركة الخضر إلياس كل ذلك يجرى وسقرديس وسقرديون كل منهم ينظر ويرى فتركوا السحرة مع برنوخ وعادوا إلى العساكر وهم يقولون لهم اعلموا أن الملوك والمقدمين لعسكر الإسلام سحرناهم أحجاراً وما بقى أحد يقدر أن يحرك يمينه ولا يساره وأحسن من هذه الساعة لا تجدوا فرصة فاحملوا أنتم على عسكر سيف بن ذى يزن وكل من كان فى حمراء اليمن وضعوا السيف فيهم حتى تفنوهم عن آخرهم ولكم الأموال تنهبوها والنساء مباحة لكم تسبوها ولا تأخذكم رحمة عليهم وأوصلوا الأذية إليهم فعند ذلك ركبت الرجال على الخيل واندفعوا قاصدين البلد لأنه ما بقى قدامهم أحد من العساكر وهم مثل الغنم بلا راعى وبرنوخ صار ينظر ويراعى وعلم أن أهل الإسلام بسبب ذلك يشربون كأس المهالك فما كان منه إلا رفع رأسه إلى قبلة الدعاء وهى سماء الدنيا وصار يشكى ويتذلل بخضوع ويبتهل لله تعالى بخشوع ويبكى بجريان دموع وقال اللهم يارب الأرباب أنت تعلم أننى قضيت عمراً طويلاً على عبادة النار وأنت الذى هديتنى إلى طريق الهدى وصرت من حزبك فلا تلق على الخذلان ولا تنصر على أهل الكفر والطغيان ولا تعاملنى بالامتحان فإنى عبد ألتمس الفضل والإحسان فقد كنت كافراً جهولاً فلا تجعلنى مؤمناً مقهوراً ورد عنى أعداءك الذين يتعاملون بالكفر والغرور فإنهم يفعلون المنكر من القول والزور اللهم إنى ضعيف فقونى ومما أنا فيه نجنى إنك على كل

شىء قدير ولما ضاق به الحال عاد إلى طبع العرب فأعرب وأطرب وأنشد هذه الاستغاثة يقول :

* * *

يا من يرى ما فى الضمير المختفى ... فى القلب ما بين الجوانب يهتف
يا من علمت بما تكن قلوبنا ... إن كان وعدا وافيا أو لا تفى
قد كنت فى بحر الضلالة سابحا ... ومن الرشاد أخو هوى وتألف
حتى أمرت بفتح قلبى للهدى ... من فضلك السامى وحسن تلطف
وشهدت أنك يا إلهى واحد ... حقاً وقصدى بالرشاد تشرف
وتبعت إبراهيم نعم نبينا ... وخليل رب الخلق لا يتكلف
يا رب إنى قد بليت بمعشر ... من قوم سوء ما بهم من منصف
قوم على دين المجوس يقينهم ... وقلوبهم للنار ذات تألف
لم يرحمونى ذ وقعت بأسرهم ... بل يحرقونى لا أرى من مسعف
وقرعت بابك يا إلهى خاضعاً ... بتذلل وتخشع وتعطف
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فإذا رددت فأى باب أقتفى
فاجعل لنا من كل ضيق مخرجاً ... والضر والبلواء عنا فاكشف

* * *

(**قال الراوى**) وكان برنوخ الساحر يقول ذلك الكلام من قلب محروق وفؤاد مجروح فتقبل الله تعالى دعاءه ونصره على أعدائه فإن الله لا يخيب من دعاه ولا يقطع عن أحد رجاه إلا أن الغبار غبر وعلا إلى الجو وتكدر عن فارس كرار وبطل مغوار راكب على جواد أسود بلون الظلام يسبح فى الأرض كما يسبح الغمام وذلك فارس ضارب على وجهه لثاما ونور جبينه من تحت اللثام يفوق على نور الهلال وهو مشروع على كتفه بيرقا من الحرير والجواد فى سرعة خطواته يكاد أن يطير من قدام ذلك الفارس امرأة راكبة على زير من النحاس والفارس خلفها حتى وصلت إلى الصيوان الذى فيه الملك سيف ومن معه من الملوك كل منهم مسحور ورأى على باب الصيوان الملكة شامة والحسام فى يدها مشهور فنظرت العجوز إليها وقالت لها

لا بأس عليك فما تجدى غير الخير والصلاح فما أنت شامة بنت الملك أفراح فقالت نعم ياستاه وهذا بعلى وأبى وأتباعهم من كبراء المؤمنين وهم جميعا كما ترى مسحورين ولكن شامة ارتعبت من هيبتها وأيضاً لما رأت ذلك الزير ورأت ركبتها وهى مثل الآفة وذلك الزير فى همزته يقطع مسافة فقالت العجوز يا شامة من هو الملك سيف بن ذى يزن فقالت هذا هو الذى فى صدر الصيوان مسحور وقد جرت عليه هذه الأمور فقالت العجوز أبشرى يا شامة فهو بحالة الصحة والسلامة وفى هذا الوقت يفوق بإذن خالق كل مخلوق (**يا سادة**) فبينما هم فى الكلام وإذا بالخيال أقبل وقال للعجوز هى يا أماه هذه التى تكلميها وتكلمك فقالت هذه شامة وزوجها الملك سيف بن ذى يزن فلما سمع الفارس ذلك المقال تغيرت منه الأحوال وقال تأخرى عنها حتى أقطع رأسها وأخمد أنفاسها وأحسر عليها أهلها وناسها.

(**قال الراوى**) إن هذا الخيال ما هو ذكر وإنما هى طامة بنت الحكيمة عاقلة ولكن كما قدمناه فى كلامنا الأول أنها إذا رأت للملك سيف بن ذى يزن زوجة تقتلها فقالت لها أمها يا طامة اهتدى ولا تجهلى فهى زوجة الملك سيف وأنت ما لك بها من حاجة فاتركى عنك اللجاجة واعلمى أننا فى أمور مهمة ولا أتينا إلا لنزيل عن الإسلام الغمة فقالت لها يا أماه أنا حالفة كل زوجة رأيتها للملك سيف بن ذى يزن قتلها وهذه أول أزواجه فلابد أن أقتلها وأفدى يمينى ولا أجعل الكذب والباطل قرينى فلما سمعت الملكة شامة هذا الكلام صار الضياء فى عينيها ظلام وقالت لها إيش الذى حلفت يا فاجرة هل أنا سائبة لك حتى تقتلينى وجذبت حسامها وأقبلت على طامة وكذلك طامة جذبت سيفها وأقبلت على شامة فضحكت الحكيمة عاقلة عليهما وأمرت الخدام أن يحجزوهما عن بعضهما والتفت لبنتها وقالت لها أما تستحى أن نكون قادمين لإصلاح ذلك الحال وأنت لأجل هواك تريدين أن تخربى بيت ذلك الرجل وهو منضام فى شدة الظلم والكبائر

ورجعت الحكيمة عاقلة فأخذت بخاطر شامة وقالت لها يا ابنتى لا تأخذى على خاطرك فهى أختك وهى بنتى وأنت أعز منها عندى ومازالت الحكيمة عاقلة حتى أصلحت بين الاثنين فقالت الملكة شامة وأنت من يا خالتى إيش أتى بك إلى هذه البلاد ومن أين علمت أن الملك سيف مسحور فى الحرب والجهاد فقالت لها الحكيمة والله لابد لى أن أعلمك بسبب قدومى وهو أن الملك سيف كان أتى إلى عندى فى طلب كتاب تاريخ النيل فساعدته حتى خلصته وكان معه القلنسوة تعلق الحكيم أفلاطون وهى التى تساعد بها على أخذ ذلك الكتاب ولما قضى أشغاله أردت أن أزوجه بنتى هذه طامة فلم يرض وقال لا يتزوج فى أول نسائه إلا الملكة شامة فأخذنا منه القلنسوة وأعطيناه الكتاب وسافر من عندنا حتى أتى عندكم وتداولت الأيام لا هو سأل عنا ولا نحن رأيناه فلما كان فى تلك الأيام سألتنى بنتى طامة وقالت يا أماه أين الملك سيف الذى وعدنا أنه يأتى إلينا ويتزوج بى فبعد قضاء أشغاله التهى بحاله ولا سأل عنى ولا عنك وأنت التى سلمتيه كتاب النيل وخليته يروح وإلى الآن ما عاد وقد اختلف الميعاد فقالت لها الحكيمة يا بنتى لابد أنه معذور فى عدم قدومه علينا ولكن أنا اكتشف لك خبرة ثم إنها ضربت الرمل وقالت لها يا طامة اعلمى أن زوجك مطبق عليه ثمانون ساحراً وشخوصه ومعه ستة أبطال منهم ملكان وأربع مقادم شجعان وبرنوخ هو الذى يقاتل ولكن ضايقته السحرة وبقى فى أشد ما يكون من الكرب وأنا يا بنتى لأجل خاطرك أقوم أخلص الجميع وأدخلك على زوجك سريعاً ثم إنها أمرت عوناً من أعوان الجان أن يتصور حصان وركبت عليه طامة وركبت الحكيمة عاقلة على زيرها وساروا حتى نزلوا على صيوان الملك سيف كما ذكرنا وجرى ما جرى بين طامة وشامة وبعد ذلك صالحتهم الحكيمة وقد نظرت الى الطاسة فقالت يا شامة هذه الطاسة من صنعها قالت صنعها برنوخ الساحر فأخذتها وقرأت عليها

وعزمت حتى أن الماء بطل غليانه وجمد فرشت الملك سيف وبعده الملك أفراح وبعده الملك أبو تاج وبعده سعدون الزنجى ودمنهور الوحش وسابك الثلاث حتى أفاق الجميع وبعده قالت للملك سيف أحمد الله على السلامة يا ملك الإسلام وأنشدت تقول :

* * *

تقطعت الرسائل وانتسينا   وعدنا مثل زوار القبور
ولا خبر يجىء من عند خلى   ولا أنى أطير مع الطيور

* * *

فقال لها الملك سيف بن ذى يزن من تكونى يا أماه فقالت له أنا عاقلة وبنتى طامة التى رأت من بعدك أهوالاً مثل أهوال القيامة وهى موعودة بك وأنت تبخل عليها بنفسك وما هذا الأمن لأن الملوك إذا وعدوا لم يخلفوا فقال الملك سيف بن ذى يزن وأين طامة والله أنا الآخر مغرم بحبها وليس لى صبر عنها فإنها هى قرة العين والروح التى بين الجنبين فلما سمعت طامة ذلك برد قلبها فدخلت عليه وقبلت يديه لما سمعت منه أنه يحبها والتفتت لأمها وقالت لها ها نحن أولاء قدمنا وبقينا مع الملك سيف فى الصيوان وصح فينا المثل.

* * *

وأمر ما ألقاه من ألم الجوى   قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

* * *

(قال الراوى) فقال الملك سيف يا طامة وعزة ربى إنه لا يمنعنى عن زواجك إلا بمقدار ما أنفض من هذه الربكة وتكون وليمة النصر ووليمة الفرح فى يوم واحد فقالت الحكيمة عاقلة أما أنا فعلى حرب الثمانين ساحراً الذين قدام برنوخ وأنا صدقت بيمينك ودخلت فى خيمة الملك سيف ابن ذى يزن واستخفيت من بين الناس وأحضرت عوناً من أعوان الجان وطلبت منه أسماء هؤلاء السحرة وصارت تقص ورقاً على هيئة الشخوص الآدمية

حتى جعلت ثمانين شخصاً ورسمت عليهم كتابة مطلسمة وكتبت على كل واحد اسم واحد من السحرة ثم إنها ركبت على زيرها وصارت حتى وصلت إلى محل الميدان فكان برنوخ فى تلك الساعة أشرف على الهلاك وأيقن أن ما بقى له من الموت فكاك وكان فى تلك الساعة يدعو الله كما ذكرنا ونظم القصيدة كما قدمنا وإذا بالحكيمة عاقلة أقبلت وشعرها منثور على أكتافها وانحدرت على هؤلاء السحرة وقد جعلت برنوخ من خلفها وأطلقت الثمانين شخصاً من يدها فخرجوا طائرين فى الهواء وصاروا يحومون فى الجو الأعلى وبعد ذلك تصور كل شخص منهم كأنه شهاب من نار وهوى إلى الأرض على واحد من السحار ليدخل فى صدره ويخرج من ظهره وما كانت إلا ساعة من الساعات حتى وقع هؤلاء الثمانون ساحراً كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية كل هذا يجرى والحكيم برنوخ يتعجب من أفعالها وقد فرح بخلاصه وهلاك أعدائه على يدها وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار فقالت الحكيمة يا برنوخ سر معى لعل الله سبحانه وتعإلى يجعل الخير على يديك فان مرادى أن أزوج بنتى طامة للملك سيف بن ذى يزن فإنها من نسائه وهو من رجالها ولكن يا أخى طال المطال وأنت تعلم أن الحرمة لا تهتدى إلا بالزواج وأنا عقلى طائر على بنتى فإنها أعز من مهجتى وأنا أريد ان تساعدنى على الملك سيف وإن كان أنه لا يمكنه زواج بنتى إلا بعد فراغ هذه الربكة وكان عجز عن حرب ذلك الجميع فأنا أشتتهم بعزم القلم ولا أبقى موإلى منهم ولا خدم فقال برنوخ الساحر صدقت يا حكيمة ثم سار معها حتى دخلا على الملك سيف وسلما عليه ولما نظرهما الملك سيف قام لهما على الأقدام وأمر لهما بالجلوس فجلسا فى هناء وإكرام فقالت الحكيمة يا ملك سيف يا ولدى اسمع منى هذين البيتين.

* * *

أوعدتنى الوعد الجميل　　فـ[illegible] الأيدى إليك

أوفى بوعد يا فتى　　الراية البـ[illegible]

* * *

ثم إن الحكيمة التفتت إلى بنتها وقالت لها يا طامة أين القلنسوة التى أخذتيها فقالت ها هى ذى معى فأخذتها وقالت يا ملك الزمان هذه القلنسوة لا تقول إنى أخذتها منك لكونى عاجزة عن مثلها فأنا صنعت لك منطقة وهى الجلد المدبوغ وقد علم الله أنها أحسن من القلنسوة فإن هذه القلنسوة لا نفع لها الا اخفاء لابسها عن أعين الناس وأما أنا فقد صنعت لك منطقة إذا تحزمت بها وحاربت العسكر كثيراً أو قليلاً لم يجدوا لهم اصطبار بين يديك ولا يقدرون عليك وأول ما يحارب بها فى العساكر الذين بين يديك إذا نزلت إلى الحومات فإنهم لا يجدون لهم من صبر ولا ثبات للوقوف بين يديك ثم إن الحكيمة عاقلة أخرجت منطنة وهى من جلد الغزال وقد نقشت عليها أسماء وطلاسم بقلم يونانى وقدمتها للملك سيف وقالت له تحزم بها حالاً سريعاً فى هذه الساعة وانزل على هؤلاء الأعداء وضع فيهم الحسام حتى تشتتهم فى البرارى والآكام وإلاَّ فأئذن لى وأنا حالاً سريعاً ما تمضى ساعة واحدة إلا وأجعلهم رمماً على الأرض وأجسامهم خامدة فإن حرب الأقلام يا ملك أعجل من ضرب الرمح والحسام ولذلك قالت ذو الأفهام فى مثل ذلك المعنى بيتين من النظام وهما كفاية فى المرام.

* * *

ما رأينا ضربة من بطل　　بحسام قطعت عشر قمم

بل رأينا نقطة من قلم　　بمداد نكست ألف علم

* * *

فان أردت يا ملك أن تأمرنى أن أذبح لك هذه العساكر فاتركنى وما أريد فأنا أشتت لك شملهم فى القفر والبيدا وأجعلهم صرعاً على وجه الصعيد

ثم إن الملك سيف صاح على المعسكر جميعاً وأمرهم بالركوب وركبت وركب الملك أفراح والملك أبو تاج وركب المقدم سعدون الزنجي والمقدم ميمون وسابك الثلاث ودمنهور الوحش لما استووا على ظهور الخيل وركبت خلفهم عساكر الإسلام وصاح الملك سيف الله أكبر على من طغى وتجبر وكل من بالله كفر وأنشد يقول:

* * *

إذا ما شعرت سمر الجلاد … ولاحت غرة البيض الحداد
دعوني أصطلي نار الهياجي … على ظهر المضمرة الجياد
أنا سيف بن ذي يزن المسمى … عروس الحرب في يوم الجهاد
إذا دارت رحى الهيجاء يوماً … وظفر الموت ينشب بالأعادي
سمعت لضربتي بالسيف رناً … على قلل الجماجم والأيادي
فنادوني أكون لكم مجيباً … بقلب أقد من صخر الجماد
ورمحي صاحبي مذ كنت طفلاً … وسيفي كان من عهد ابن عاد
فكم من جحفل وصفوف قوم … نزلت بهم وقد طلبوا عنادي
فسقتهم بحد السيف قهراً … ومزقت الحواضر والبوادي
وكم أشبعتهم طعناً وضرباً … وسقت جيادهم والسيف حادي
أنا من نسل تبع اليماني … وذكري شاع في أقصى البلاد
وأبطال المعامع مذ رأوني … لهم سند أقاموا لاستناد
بهم أسطو على الكفار جهدي … وأرجو النصر من رب العباد

* * *

(قال الراوي) وبعد ما فرغ الملك سيف من ذلك الشعر والنظام حمل على الكفرة الفجرة اللئام وخاض بحر العجاج والقتام وطعن بالرمح المعتدل القوام وضرب بالحسام الصمصام وبرى الكفوف والهام وصاح من خلفه المقدم سعدون الزنجي وتبعه ميمون الهجام ودمنهور الوحش

الفارس المقدام وحمل سابك الثلاث وكان له على الحرب عادات فأنزلوا على أعدائهم المصائب والبليات وضربوا بالسيوف فالمشرفيات وطعنوا بالرماح السمهريات وكانت لهم وقعة من أكبر الواقعات التي ذكرت في الأحاديث والروايات وحملت بعدهم فرسان الإسلام وجردوا الضرب بالحسام والطعن بالرماح المعتدلة القوام وانفلق الهام وهشمت العظام وتكدست القتلى على الأرض أكواماً وانعقد الغبار والقتام واشتد على الكفرة الصدام وأشرفوا جميعاً على شرب كأس الحمام ونظر الحكيمان سقرديس وسقرديون إلى هذا الحال فأيقنا بالهلاك والخبال.

وقال بعضهما لبعض انظر يا أخي الى الثمانين ساحراً قتلوا في ساعة واحدة ودارت عليهم الدوائر وذابت منهم الأجساد تحت حوافر الخيل الضوامر وكل ما صنعناه وتعبنا فيه ما نفع وإن وقعنا للمسلمين سقينا من الموت جرع والرأي الصواب عندي الهروب وإلا فإن ملكنا سيف بن ذي يزن فنكون له غاية المطلوب ويقطع رؤوسنا بالحسام البتار ويكون آخر عمرنا في هذا النهار وما لنا أصوب من الهرب والفرار ولو يركبنا يا أخي ألف عار فإن العار والشنار أحسن من قطع الأعمار انظر بعينك إلى جيوش الحبشة هلكت وخيامهم وأطنابهم ملكت وكل من تعرض لهؤلاء الأعداء قتل ولا ينجده أحد من الفرار قبل الموت والدمار فأجابه الى ذلك وضاقت بهما المسالك خوفاً من المهالك ووليا الأدبار وركنا إلى الهرب والفرار.

ولما رأت العساكر أن المقادم أسلموا والسحرة عدموا والحكماء انهزموا تأسفوا على ما جرى وندموا فرموا كل ما كان لهم من الأمتعة والثياب وتركوا الخيام والأطناب وأداروا رؤوس الخيل والدواب وتشتتوا في البراري والهضاب وطلبوا الهرب والذهاب وتبعهم أهل الإسلام وهم يضربون في أقفيتهم بالحسام مقدار أربع فراسخ تمام ورجعوا عنهم بعد أن أفنوهم وعلى فعالهم جازوهم وقيل إنه ما سلم من هذه المواكب إلا قدر

ربعها والباقون هلكوا على راشق السيوف وكانوا كالقطن المندوف ورجع الملك سيف بن ذى يزن ومن معه من عصبة الإسلام واحتووا على ما خلفه السودان والحبش اللئام من خيل وسلاح وأموال وأنعام وعادوا كاسبين غانمين وبالنصر والظفر فرحين مستبشرين يذكرون الله رب العالمين وجلس الملك سيف فى صيوانه وعرضت عليه الغنائم والأموال فأخرج الثلث لنفسه خاصة والثلث قسمه بمعرفته على الملك أبى تاج والملك أفراح النصف والأربع مقادم وهم سعدون الزنجى ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وميمون الهجام النصف الثانى من الثلث الثانى وأما الثلث الثالث فقسمه بمعرفته على العساكر الفارس قسمين والراجل قسم واحد وهو شىء كثير لأن عساكر الملك سيف أرعد كانت ثمانين ألفاً وثمانين ساحراً وأن السحرة كانوا مدخرين فى أزيارهم فصوص معادن وجواهر ومثل ذلك شىء يكل عنه الوصف كل ذلك أخذته أهل الإسلام واغتنوا به غنى لا فقر بعده وانشرحت صدورهم وهدأت سرائرهم وأما الذين استشهدوا فى الجهاد فطلب الملك سيف أزواجهم وما يعقبهم من الذرية والأولاد وأعطاهم حقوق آبائهم وأزواجهم وفرح الناس واطمأنوا وقعدوا فى أماكنهم وتهنوا.

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر المنهزمين فإنهم ساروا فى هزيمتهم مكسورين حتى وصلوا إلى مدينة الدور والسبع قصور ودخلوا البلد وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور وبلغ الخبر الى الملك سيف أرعد فأمر أرباب دولته أن تحضر المنهزمين الى حضرته فلما حضروا قال لهم ما وراءكم ومن بشره رماكم فقالوا له يا ملك وراءنا الموت الأحمر والبلاء المصور وأن المقادم الذين كانوا معنا أسلموا بعد ما ملكوا وأما الثمانون ساحراً الذين كانوا معنا فإنهم فى ساعة واحدة هلكوا والحكيمان الاثنان اللذان كانا معنا فخاب أملهما وارتبكا ولا نفعا أحداً أبداً وانتصرت علينا العدا وتشتتنا جميعاً فى البر والبيدا هذا الذى جرى لنا كما ترى ثم حكوا

له على برنوخ الساحر وما كان بينه وبين السحرة لما صايقوه وارادوا ان يهلكوه وأن الحكيمة عاقلة أقبلت عليهم وأهلكتهم جميعاً وبعدها ركب الملك سيف وأقبل علينا وأفنى جمعنا وملك وأموالنا ورجالنا هذا الذى جرى لنا.

(قال الراوى) فلما سمع الملك سيف أرعد هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقام وقعد وأرغى وأزبد وقال أين الحكماء فأقبل سقرديس وسقرديون وقبلا الأرض بين يديه فقال لهما أنا ناظر أن زحل غضبان علينا وإلا فلو كان راضياً عنا كان على أعدائنا نصرنا ومع غضبه علينا جعل أعداءنا منصورين وجعلنا نحن مكسورين فقال الحكماء يا ملك أما زحل فما له مقدرة على سيف بن ذى يزن وإن قدر عليه ما يقدر على أبى تاج والملك أفراح وإن قدر عليهم ما يقدر على الأربع مقادم الذين أسلموا وبقوا من حزب ملك البيضان وإن قدر عليهم فما يقدر على برنوخ الساحر وإن قدر على برنوخ ما يقدر على الحكيمة عاقلة فقال الملك سيف أرعد زحل ما يعجز عن أعدائه اللئام وأنتم أخطأتم بهذا الكلام وإنما هو ينصرنا فى غير هذه الأيام إذا قربنا له قرباناً وأما سيف البيضان فلابد لى أن أجهز له عسكر فى غير هذا الأوان ولا أسكت عنه حتى أملكه هو ومن معه وأملك بلاده وموضعه ولا يقال إنى عجزت عن القتال والحرب والنزال وإنما حتى يستهل الهلال وننشب الحراب والنزال هذا ما جرى ههنا وأما ما كان من أمر الملك سيف فانه خلا من القتال باله **(ياسادة)** وأعجب ما وقع وأغرب ما اتفق أن الملكة قمرية أم الملك سيف ما أحد افتكر فيها ولا سأل عنها وانفكت عنها الظلمة وانتبهت من بعد النومة وبقيت محتارة كيف تعمل وكلما سألت عيروض فى السؤال لم يجبه بحال من الأحوال وقال لها ما دام برنوخ الملك سيف مقيماً لم تبلغنى منه غرضاً ولا تشفى منه مرضاً حتى إنه يقيم وبرنوخ الساحر لا يكون عنده فصبرت على مضض وهى تطلع فى

السر وتنشق الأخبار حتى علمت أن ولدها قر قراره وقعد على كرسيه وما بقى له أحد يعاديه فقعدت يوماً ومعكت اللوح فأتاها عيروض وقال نعم يا سيدتى فقالت له يا عيروض فى هذه الساعة اذهب الى ولدى واقبض على رقبته ولا ترفع يدك حتى تمزعها من جثته واقتله شر قتلة وإن كنت أنت ما تقدر أن تفعل ذلك فاحمله إلى وأنا أقتله وعلى التراب أجند له فإنى ما صبرت عليه تلك الأيام إلا أظنه يشرب كأس الحمام وأينا وجدت كل الأمور بخلاف وقد نجا من شرب كأس التلاف ولا قتله أولاد الحكيم أفلاطون ولا كأنهم عليه يسألون وأنت ما رميته مثل ما قلت لك قال فعلت يا ملكة ولكن عندما رميته على مملكة أفلاطون اختطفته أخته عاقصة وهذا كله منها وأما هذا الوقت فعنده برنوخ والحكيمة عاقلة وبقى صاحب جنود وأعوان تحت يده ملوك وفرسان فقالت له إما أن تقتله كما أذنتك وإلا فأتتنى به كما أعلمتك فقال لها أنا أحضره إليك وافعلى ما تقر به عينيك ثم إن عيروض خرج من عندها وهوب اك حزنان على فقد ذلك الإنسان يبكى بدمع جار على خديه من الأجفان ومن عظم ما اعتراه من ذلك الحال أنشد وقال :

* * *

لعمرك يا أخا الأشواق أنَّ ... فؤادى من أليم الوجد أنّ
وسهم الحادثان أصاب قلبى ... فأثر فى الحشاشة حين رنا
لحى الله الزمان لقد تعدى ... علينا بالفراق وما تأنى
وصيرنى بعيد الدار عمن ... يحبهم الفؤاد وما اطمأنا
أرى صعب الفراق يزيد وجدى ... ويحرمنى الكرى والليل جنّ
وينثر أدمعى سحراً إذا ما ... سمعت سويجع الأفلاك غنى

ولى كبد مقرحة بوجد ... على قرب فكيف إذا افترقنا
وكان لقا الحبيب يزيد شوقى ... برؤيته فكيف بغيبه عنا
تركت عواذلى قولاً وفعلاً ... على وكلما أمر امتثالنا
تذكرت الديار وساكنيها ... فأقلق مهجتى والقلب عنا
على بعد الأحبة سال دمعى ... لأنى فى الهوى صب معنى
وحقك يا حبيب القلب قلبى ... من الأشواق بعدك تهنا
وإنى قد سألت الله ربى ... بإحسان علينا أن يمنا
ويمنحنا لقا الأحباب دوماً ... ويمحو فرقة الأحباب عنا

* * *

(**قال الراوى**) ولما فرغ عيروض من مقاله سار حتى وصل إلى الملك سيف وأراد أن يدخل عليه مثل العادة فظهر له روائح مشاهيب من المنطقة التى هو متحزم بها فقال عيروض طيب يا ملك محفوظ وهذه من السعادة فان الله إذا أراد أن يحفظ أحداً من خلقه فإنه يسبب له أسباباً منع العدو عنه وعاد عيروض وقد علم أنه إذا تقدم يهلك فقال مالى إلا أن أرجع الى الملعونة وأعلمها ثم إنه عاد إليها فلما رأته قمرية أقبل قالت له لأى شىء عدت سريعاً وأين ولدى سيف الذى أرسلتك إليه فقال لها يا ملكة اعلمى أن ولدك لما سرت إليه وجدته محفوظاً من جميع الجان وكل مارد وشيطان لأنه عليه ثوب من رق الغزال مطلسم كدبيب النمل وكل جنى تقرب إليه احترق بتلك الأسماء التى عليه ولو قربت إليه لاحترقت من الأسماء وصرت رمادا فقالت له صاحب مدينة قيمر أنت زدتنى كربا على كربى ومن أين جاء هذا الرق الغزال فقال عيروض هذا من الحكيمة عاقلة

وهى تريد أن تزوجه بنتها وحفظته منى ومن غيرى ومن جميع الجان واعلمى أن هذه الحكيمة تصنع له خلاف ذلك وتجتهد فى حفظه بالنهار والليل وكان عيروض يكلمها ذلك الكلام لتزيد حسرتها والأرغام فقالت له ومن هذه الحكيمة فقال لها من بلاد المغرب حكيمة الملك قمر وهى التى فى الأصل ساعدته على أخذ كتاب تاريخ النيل ومن ذلك الآن صارت تخلصه من كل أمر وبيل فانغاظت قمرية من كلام عيروض وقالت له انصرف أنت الى سبيلك فانصرف عيروض فى الحال فرحان.

(قال الراوى) وأما الملكة قمرية فإنها صبرت تلك الليلة وهى فى آلام إلى ثانى الأيام فزادت بها الأسقام وكانت أمكر أهل زمانها فأحضرت عبداً من عبيدها وقالت له ائتنى بصائغ من صياغ هذه المدينة فخرج من عندها وما غاب غير قليل حتى أتاها ومعه صائغ فلما بقى قدامها قالت له اقعد فقعد فانصرفت الناس ولما لم يبق عندها أحد أخرجت له لوح عيروض وقالت له أريد أن تصنع لى مثله فانظر يا صايغ صورته واصنع لى لوحاً على صفته وهيئته ونقشته ولا تخلف شيئاً من كيفيته فقال الصايغ سمعاً وطاعة ولكن ياستى أحتاج معادن وذهباً وفضة وفحما فأخرجت له كل ما طلب وقالت له إذا طلع مثل هذذا أعطيك وزنه سبع مرات من الذهب فاجتهد الصايغ سبعة أيام وكان ذلك الصايغ مشهوراً فى صناعته فأتقن لوحا مسبوكاً مثل لوح عيروض سواء بسواء ونقشه نقشاً عجيباً تاماً ثم دخل عليها وقبل يديها وناولها ذلك اللوح وكان فى تلك المدة لم يمسك لوح عيروض أبداً وإنما كان إذا احتاج أن ينظره نظره وهو فى يدها فلما كملت أشغال اللوح وأخذته من الصايغ فرحت به فرحاً شديدا ما عليه من مزيد وخلعت على الصايغ خلعة سنية وقدمت كوماً من الذهب الأحمر يزيد عن ربع وأكثر وجعلته له وقالت هذا لك وأنا قصدى

إن تجابرنى وتأكل من زادى ثم إنها أحضرت الطعام وأحضرت القاصد الذى أتى به إليها وأمرته أن يأكل معه حتى يؤانسه على الطعام فإن هذا من جملة الإكرام فأكلوا وهم فرحانون بذلك الأنعام فما استقر الطعام فى جوفهم حتى نفرت من أجنابهم جميع أضلاعهم وذابو الحماً وعظماً فصبرت الليل وأحضرت جوادا من بعض الخيل ووضعتهم عليه وخرجت إلى خارج المدينة بنفسها فى الخلوات وعادت كأنها آفة من الآفات وفرحت بما قضى لها من المصنوع وسارت وهى مكشوفة الرأس حافية الأقدام ودخلت على الملك سيف ولدها وهى باكية وقالت له يا ولدى خذ هذا لوحك وسامحنى فإنه يا ولدى لم ينفعنى وكان أغرا بى الشيطان وفعلت تلك الفعال الجنان وأنا يا ولدى كنت فى هذه الليلة نائمة فرأيت أبوك الملك ذى يزن وقال يا قمرية يا خيبة يا مردية أنت عن قريب تأتى عندنا وكان مرادنا تكونى من حزبنا لأجل ما نصير فى الآخرة كما كنا فى الدنيا فقالت له ياسيدى وأنا إيش الذى يفرق بينك وبينى فقال لى بين الكفر والإيمان بعيد فقلت له يا سيدى علمنى حتى أتبعك وأكون فى الآخرة معك فقال لى امضى إلى ولدك سيف وأعطيه اللوح الذى أخذتيه منه وقولى له يعلمك دين الإسلام فقلت وكيف أمضى إليه بعد ما فعلت معه هذخ الفعال وتعديت عليه وأخذت لوحه وكنت عولت على إتلاف روحه فقال روحى إليه هذا ولدى مسلم قريب الرجوع وأحب ما عليه أن يراك على دين الإسلام ثم تركنى ومضى فقعدت حتى طلع النهار وأتيت إليك وخاطرى مشروح فخذ يا ولدى لوحك فأنا غنية عن ذلك اللوح ثم مدت يدها باللوح وهى تقول يا ولدى علمنى كيف أقول حتى أصير مسلمة وينزاح عن قلبى غشاوة العمى.

(قال الراوى) ثم إن الملك سيف فرح بإسلام أمه أكثر مما فرح برد اللوح فأخذ اللوح وربطه على زنده وهو يقول لها قولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله وجعلها شغلته وهو يعلمها بعض

كلمات فرح بها وأما الدولة فما انطلى عليهم محال بل قالوا له يا ملك انفها عنك وإلا دعنا نقتلها فقال لا يمكن أبداً حتى أعلمها دين الإسلام وأبقى أترحم عليها رحمات تمام وصار الملك سيف يأخذ بخاطر أمه إذا جاءت له وهو قاعد يقوم لها على حلية وصفا قلبه لها ومن فرحته بإسلام أمه ما معك اللوح ولا فركه بل علقه على ذراعه وتركه وأقامت الملعونة قمرية تدبر مكايد على ولدها وقد أخفت اللوح جهدها وأقامت أيام وليالى تمام وهى تأتى إلى ولدها وتقعد بجانبه تتعاطى الأحكام وتتقن الحيل وتريد أن تبلغ من ولدها فرصة تقتله بها أو تسرق رق الغزال الذى منع عيروض عنه كل هذا يجرى والملك سيف يأمن جانبها ولا يخاف من شرها وعواقبها ويقول لها يا أماه أنا أعلم أن كل شيئ جرى بإرادة الله هذا وأن الأمراء الحاضرين عنده والحكام مثل برنوخ ومثل الحكيمة عاقلة تاركون تلك الأحوال لعلمهم ما قدره الله الملك المتعال وأما مقادم السودان فإن المقدم سعدون قال لهم مادام أم الملك سيف أصلحت معه فما هى مجتهدة فى حيلة يكون فيها هلاكه وفناه وبعد أيام اجتمعوا كبراء الدولة دخلوا على الملك وقالوا أيا ملك إما أن تأمرنا بقتل أمك أو تحاذر على نفسك فإنها تريدان تقتلك وعلى وجه الأرض تجندلك فقال لهم هذا ما لكم فيه غرض فإنها هى والدتى وأنا ولدها ولابدلى أن أطلب رضاها ولا أغضبها فصاروا جميعا ينهونه فلا ينتهى ولا يفعل إلا ما يشتهى فسكت على مضض وبعد أيام قلائل قام سابك الثلاث قائماً على قدميه وقبل الأرض قدام الملك سيف وقال له يا ملك الزمان قصدى منك أن تعطينى إجازة أتوجه إلى أرضى وبلادى وأنظر أهلى وأولادى وأخبرهم بإسلامى لعلهم أن يتبعونى ويسمعوا كلامى وإن أراد الله واسلموا أحضرتهم بين يديك فقال الملك سيف سر على بركة الله تعالى ولكن لا تغب يابطل الزمان فقال سمعاً وطاعة وسافر **(وله كلام)** وفى ثانى الأيام قام دمنهور الوحش الأمير

وطلب من الملك سيف الإذن بالمسير فأذن له وسار طالباً بلده وتلك الديار ومن بعدهم قام ميمون الهجام وقال دستور يا ملك الإسلام أتأذن لى أن أروح إلى بلادى حتى أبلغ مرادى

وأعود قوام فقال له الملك وأنت فى خير وسلام أيها البطل الهمام فسار الثلاث مقادم وكل منهم فرحان بدخوله على وطنه سالماً ينفق ما معه من الأموال والغنائم وأقام بعدها الملك سيف بن ذى يزن الهمام فى أرغد عيش وأهنأ مقام وأمه معه تدبر على ولدها كل ما جرت به الأقلام وقدره الملك العلام وبعد أيام قلائل قدم سابك الثلاث إلى الملك سيف وقبل يده فقال له اهلا وسهلا ثم قال أيش معك من الأخبار أيها الفارس الكرار فقال سابك الثلاث يا ملك اعلم أنى أتيت إليك بهدية سنية مرادى أن أسألك فى قبولها وهى على قدرة مقامى وليس على قدر مقامك فقال له الملك سيف هديتك مقبولة ولكن ايش هى الهدية فقال له ياملك أنا أعلمك أيها قبل أن تنظرها.

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو أن المقدم سابك الثلاث لما استأذن الملك فى الرحيل إلى أهله كما وصفنا وصار حتى وصل إلى زوجته وبنته فسلموا عليه وسألوه عن حاله فاخبرهم أنه أسلم على يد الملك سيف بن ذى يزن وقال لهم قد لقيت دين الإسلام وهو أصح الأديان وما بقى بعده فإنه حرام ولا يعبد بحق إلا الملك العلام وثبت عند الناس جميعا أن زحل هذا نجم من جملة النجوم ولا يجب أن يعبد إلا الله الملك الحى القيوم فقالوا له وبعد أسلامك لأى شيء مارجعت لنا وأقمت عندنا فقال لهم ما يمكن أن أقيم معكم فى الخبال وأنا ما قصدى إلا آخذكم وأعود إلى محل ما كنت وأقيم بكم فى مدينة حمراء اليمن فى خدمة الملك سيف بن ذى يزن ومبيد أهل الكفر والمحن فإنه ملك عظيم الشان صاحب جنود وأعوان حاكم على الأنس والجان فإن طاوعتمونى أسلموا معى وادخلوا

دين الإيمان وكان للمقدم سابك الثلاث بنت حبشية ولكنها حمراء اللون صنعة مدبر الكون الذى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون حوت من كل معنى طرف فى الجمال والخفة والشجاعة والفصاحة والأدب فلما سمعت من أبيها هذا المقال قالت يا أبى أنا بريئة عن زحل وعبادته لأنه على ضلال وأكون معك أعبد الله الملك المتعال وأروح إلى هذا الملك العظيم عسى أن أكون له من جملة الحريم فقال لها يا بنتى وهل يكون لك فيه نصيب فإن بلغت ذلك فإنه والله نعم الدواء ونعم الطبيب فلما سمعت زوجة المقدم سابك ذلك قالت وأنا أسلم لله حبا فى دين الإسلام وما تم ذلك النهار حتى أسلموا جميعا فقال لهم هيا نروح للملك سيف ونجدد إسلامكم على يديه وأما ابنتى هذه فأنا وهبتها إليه نظير ما هدانا الله إلى دين الإسلام وكان دلك فى الأصل على يديه ثم أنه سار حتى دخل على الملك سيف وحكى له على ما جرى وقال له الهدية هى بنتى وهبتها إليك جارية فإن قبلتها من سعدى وإن رددتها من وعدى وهذه قضيتى يا ملك الزمان وحق دين الإسلام فقال له الملك سيف وما اسم ابنتك فقال يا ملك اسمها أم الحياء فقال قبلتها منك وفى الحال أعطى له عشرة آلاف دينار فى مهرها وعقد له عقدة النكاح عليها وعمل لها فرح لوقته وانفردت لها مقصورة برسمها من داخل السراية وانقام سماع الأفراح ونحرت النحائر وانتظم السماط وغنت المغنين وفى ليلتها سكبت الخمور ودارت الكاسات وأمر لها الملك بخدم مخصوصه لها وصارت معدودة من حريم الملك مثل غيرها وما بقى إلا إزالة بكارتها وصح إسلامها وانقضى المجلس على مثل ذلك وثانى يوم الصبح دخلت طامة بنت الحكيمة عاقلة على الملك والناس مجتمعين وقالت يا ملك الزمان كأنك التهيت عنى وما بقيت على لسانك تذكرنى مع أنى دخلت دين الإسلام وأنت السبب فى هذه الهداية والأحكام وبقى هجرى حرام بما أنت عالم بما وقع بينى وبينك من

الاتفاق وأنت الذى خالفت العهد والميثاق وأنا وحق من هدانى إلى دين الإسلام والإيمان وهو الملك الديان الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شأن عن شأن أى زوجة تزوجتها قبلى لابد لى من قتلها حتى أبلغ أملى وأنت الذى تطالب بذنبها يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فقال لها الملك سيف وقد تبسم إلى وجهها فإنه كان يحبها محبة زائدة وثانيا يلزمه إكرامها لأجل ما فعلت معه أمها من الجمايل والإحسان والمعروف الذى تقدم منها فى كل وقت وأوان فقال لها يا طامة أنا والله ما أنساك وكل عضو فى بدنى يهواك وأنت قرة العين والروح التى بين الجنبين وأنا بإذن الله الرحمن الرحيم لا بد لى من زواجك ولكن قضيان الحاجات لها ساعات وأوقات والسبب فى ذلك أننى يا بنت الكرام حلفت بالله العظيم لا أتزوج بك حتى تعطينى القلنسوة التى أخذتيها منى ومع ذلك أنى غنى عنها وما النصر إلا من عند الله تعالى ولكن نفذ اليمين وذلك لأجل الجارى فى علم الله احكم الحاكمين فافدينى بما بيمينى حلفت وأعطينى القلنسوة حتى أكون لك بعلا وتكونى لى أهلا فقالت طامة يا ملك وأنا أيضا حلفت أنك إن لم تتزوجنى فما أسلمك القلنسوة أبدا وسوف تنظر من يكون المغلوب منا ثم أنها تركته وخرجت مغضبة ولكن كلامها أثر مع الملك سيف فى الباطن وخاف على أزواجه منها شدة الخوف لكن كان أكثر خوفه على الملكة منية النفوس لأنها التى عزيزة عنده أكثر من الجميع فحجبها واحترس عليها زيادة وأما شامة وطامة فإنهم تخاووا مع بعضهم على يد الحكيمة عاقلة كما ذكرنا وأقام الملك سيف فى لعب ولهو وطرب وهو يظن أن اللوح الذى معه هو لوح عيروض وطابت له الأوقات والفرح والمسرات وقد ملك الحسام والزق والغزال إلى يوم من الأيام أتى له حاجب وقال يا ملك الزمان أقبل علينا شخص من الكبار وعليه هيبة ووقار وهو كبير المقدار فقال الملك سيف على به حتى أنظر من هو فعاد الحاجب وقال ياسيدى أمر الملك أن تقابله

بالديوان حتى يعرفك من أنت ومن أى مكان فدخل ذلك الشخص قدام الملك سيف ودعا للملك بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فرفع رأسه الملك سيف وإذا به الحكيم اخميم الطالب فلما عرفه الملك سيف قام له قائماً على قدميه وأخذه بالأحضان وقبله بين عينيه وأخذه بيده وأجلسه إلى جانبه وقال يا أبى لقد نورت مدينتى.

* * *

قد كنت أوحشت كل الورى إلا أنا والله آنستنى
مسكنك القلب ولا ينبغى يقال للساكن أوحشتنى

* * *

ثم أنه أجلسه بجانبه وطلب له الطعام فقال له يا ولدى أنا مالى رغبة فى طعام ولا أتيتك إلا لقضايا وأحكام والسبب يا ولدى أنى أعلمك يقينا أن بنتى من نسائك وأنت من رجالها ومن حين ما كنت عندى وأخذت لوح عيروض وسيف الملك سام وتوجهت من عندى بسلام وجرى لك ما جرى بأمر الملك العلام وأنا وعدت بنتى بأنها تكون زوجتك ولكن بعدما تقضى حاجتك وبعد ذلك تداولت الأيام ولا أنت رجعت إلينا ولا بنتى سكتت عنى ولما طال المطال أقلقتنى وحلفت وشددت فى الأقسام إن لم تتزوجها وإلا تطاليك بلوح عيروض وسيف الملك سام وأنا كم أصبرها وأخيرا عيل صبرها وقالت لى إن لم تسر بى إليه وإلا قتلت نفسى فقلت لها يا بنتى أسير بك إليه لعله يقبل سؤالى وها أنا جبتها والقصد منك يا ولدى أن تجبر كسرها وتتزوجها وها أنا أعلمتك وهذه حاجتى عندك والسلام فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام أبد له بالضحك والابتسام وقال له السمع والطاعة فإنك ما طلبت منى إلا عين طلبتى ثم أن الملك سيف أفرد للحكيم اخميم الطالب مكانا ينزل فيه هو وبنته ونقل فيه كل ما يحتاجه وجاء إله بفرش وأوان وطعام وشراب وما أشبه ذلك مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك

أمر الملك سيف باحضار القاضى وكان معه عالم عظيم من المطوعين وقال لهم يا معشر الحاضرين انتم تعلمون أن سامة بنت الحكيمة عاقلة حلفت وشددت فى الأقسام إن امرأة تزوجت قبلها تقتلها كاس الحمام ولكن أنا حالف أنى ما اتزوجها إلا بعد ما تعطينى القلنسوة التى هى عندها لى وهى أيضا تقول أنها اقسمت لاتعطيها لى إلا بعدما انزوجها وأنا ما أنا ممتنع عن زواجها إلا بسبب يمينى وهى قصدها أن تنفذ يمينها على وهذا لا يجوز وأنا ممتنع عن بنات الملوك الذين يعرفون أن ذرية بناتهم لهم فيها مآرب يعلم بها صاحب القدرة والعظمة فتكونوا من الشاهدين على وعلى طامة واعلموا أن هذا الحكيم اخميم الطالب كان سببا فى نجاتى وأحيانى بعد مماتى وهو الذى دلنى على لوح عيروض بن الأحمر ودلنى أيضا على سيف الملك سام بن نوح عليه السلام وتلك الذخائر لم يقدر على مثلها أحد من الأنام وأنا وعدته أن أتزوج بنته وقد أتانى لأجل الوعد الذى وعدته به فماذا انتم قائلون وما يكون العمل الذى يؤدى إلى القبول لأنى خائف من طامة أن تقتل بنت الحكيم اخميم وإن قتلتها فما أقدر اقتلها فيها أولا حبيبتى وثانيا أمها حكيمة ولها على فضل فى بلادها مرارا عديدة فأولا آوتنى فى بيتها واشترت خاطرى على أهل حكمتها وأهلكت لأجلى رجالها وخلصتنى من يد العداو من كل امر وبيل وبعد ذلك خلصت لى كتاب تاريخ النيل والتى يكون هذا فعلها فيجب على أن أتحمل بنتها لأجلها أنا أعلمتكم وطالب منكم أن تردوا على جوابى **(يا سادة)** فقال الحكيم اخميم الطالب يا ملك هذا العذر أنا اسمعه منك واقبله والحكيمة عاقله لا يهون عليها بنتها وأنا لايهون على بنتى وكذلك بنات الناس لا يجوز قتلهم فقالت الحكيمة عاقلة لا تفزع ولا تخاف من بنتى طامة فالحكيم اخميم حبيبنا ونزل بجوارنا وما هو ممن يقتل ابنته ولاهو قصير الحجة حتى يخاف من طامة بنتى على بنته وأنا ارد بنتى طامة واحذها وانذرها

لاجل خاطرك وخاطر الحكيم إخميم الطالب لأنه فعل معك كل جميل واجب وإن تعرضت لبنته فيكون ذلك من أقبح الفعال وأن فعلت ذلك أنا اسقيها المهالك فقالت طامة هذا القول يقولة الملك إيش قصده يمتنع عن إبنة عمى الحكيم اخميم ويجعل منى أنا ذلك العذر العظيم ولكن اشهدوا على يا من حضرانى لا اتعرض لاحد من ازواجه اللاتى أخذهن إلى الآن وهن الاربع أولهن شامة ومنية النفوس وأم الحياة والحيزة وحق دين الإسلام لا تعرض لهن ولا ابدأ هن بشر ولا بخصام فما تقولوا إنه ياخذ بعدهن أحدا قبلى فقال لها الحاضرون جزيت خيرا فقال الملك سيف وأنت جعلت القلنسوة حجة حتى لا تكونى لى زوجة فقالت أنا ما أحنث فى يمينى فقال الملك سيف وأنا أيضا وانفصل الأمر وفى الحال تقدم القاضى وعقد للملك على الجيزة بنت إخميم للطالب وقيمت الأفراح وذهبت الاتراح وصنعوا لهم الولائم والدعوات واغتنموا المسرات وذبحوا الجمال وراجوا الطعام وأكل الخاص والعام مدة سبعة أيام ولعبت فى الفرح فروخ الجان من كل مارد وشيطان أرهاط وأعوان ودخل الملك سيف على البنتين وهى الجيزةبنت إخميم الطالب وأم الحياء بنت سابك الثلاث وكانت ليلة تعد بليال وبات فى هنا وأفراح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وانتبه كل واحد من الناس وسار إلى مكانه وخدمته كل هذا يجرى والملعونة قمرية تاركة لهم ومجتهدة فى خداعها ومكرها ولما رات ابنها تزوج بتلك البنتين زادت بهابليتها وتكاملت حسرتها ولكنها أظهرت الفرح والابتسامات وهذا الملك سيف بن ذى يزن نزل من سرايته وجلس على كرسى قلعته ووقف رجاله فى خدمته ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس كل على عادته فى مرتبته وتكامل الديوان وإذا بالحكيم إخميم الطالب قام على قدميه واقفا وصاح نعام يا سيد ملوك الزمان اعلم يا ولدى أنى أتيتك بذخيرة ما احتوى أحد من ملوك الأرض ذات الطول

والعرض وأنها ما تصلح إلا لك من دون الأنام فقال الملك سيف ابن ذى يزن ما هى الذخيرة يا إخميم فقال ذخيرتى خاتم من النحاس الأصفر لاهو معدن ولا جوهر فقال الملك وما تكون منفعة هذا الخاتم فقال إخميم إذا لبسته تهابك جميع ملوك الأرض من الجن والأنس وأنا رصدته على اسمك فقط لم يصلح لغيرك فالبسه أنت ولا تفرط فيه فمد الملك سيف يده وأخذ الخاتم ولبسه فى أصبعه اليمين وأخذ يد إخميم الطالب وأجلسه إلى جانبه هذا ما جرى لهؤلاء وأما الملعونة قمرية فإنها كانت تنظر كل ما جرى وتحرر فى بالها إلى أن ضاق صدرها فما كان لها إلا أنها تركت الملك سيف فى الديوان ودخلت إلى ناهد بنت ملك الصين الأعلى وبدأتها بالسلام فلما رأتها الملكة ناهد قامت لها على الأقدام وفرحت بها وأبدت الابتسام وقالت لها مرحبا يا أماه لقد أرسلك الله حتى أنك تريحى فؤادى من كيد الأعادى لأنى عزمت أننى أقول لك على سؤال عسى أن يكون لى فرج على يديك فقالت لها قمرية وكيف ذلك فقالت يا ستاه إن ولدك الملك سيف بعلى تزوجنى فى مدينة الصين على يد أبى وداوانى من العمى وأراد أن يتركنى عند أهلى فأقسمت عليه فأخذنى معه وأتى بى إلى هذه البلاد وهذه المدة لم يسأل عنى مطلقا ولا كأنى زوجته وإذا جاء ليلة عندى يبات طول ليلته وهو يتعبد ولا يأتى عندى ولايقربنى وأقعد أنا أنتظره إلى الصباح فيتركنى ويمضى إلى ديوانه ويبقى لى مدة ما نظرته عينى ولادخل سرايتى وأريد منك يا ستاه أن تسأليه يتعطف على ويأتى إلى محلى كأمثالى فقالت لها قمرية وأنت بنت ملك الصين قالت لها نعم يا ستاه فقالت لها أبشرى مما يسرك وفى هذه الليلة ولدى يكون عندك ولكن أنا الاخرى عرض لى عندك حاجة وأريد منك قضاؤها بلا لجاجة فقالت ناهد وما هى حاجتك يا ستاه قالت إذا أتى ولدى وأراد أن ينام فإنه يقلع ما عليه من ملبوس ويضعه تحت رأسه ويكون ذلك لأجل أن يقضى منك وطراً فاصبرى عليه حتى ينام ومدى يدك وخذى الثوب

من تحت رأسه ونا ولينى إياه فقالت لها يا ستاه وكيف أقدر أتجاسر على ملبوسه وآخذه من تحت رأسه فقالت لها يا بنتى اعلمى أن رأسى توجعنى بالليل وأعدم القوى والحيل فإذا وضعت هذه الذخائر على جثتى ذهبت عنى كريتى وردلى حيلى وقوتى وما هى إلا قدر ساعة زمانية وبعدها أعطيه لك ترجعيه إلى مكانه عسى أن أشتفى بما تأتى بعون الله وسلطانه لأن الأسماء التى تشفى من جميع الأوجاع وكل من علقها عليه لا يفزع من الوجع ولا يرتاع فقالت لها ناهد ياستى هذا ولدك وما تسأليه حتى يعطيك طلبك ويبلغك أمالك فقالت قمرية يا بنتى أما تنظرى جلساءه دائما يتكلمون فى حقى له بالسوء ولو لا أن ولدى ولد حلال وأبوه قبله ملك ملوك التبع العوال وإلا كان قتلنى وأنزل بى النكال فقالت لها ناهد صدقت يا ستاه ولأجل ذلك أنه يراعى أزواجه كل واحدة لاجل أما منية النفوس فإنه يراعيها لاجل عاقصة أخته وكذا شامة لأجل أبيها الملك أفراح وأم الحياة لاجل سابك الثلاث والجيزة فلأجل إخميم الطالب

فقالت قمرية يابنتى اعلمى أن ولدى ما يخالفنى وهؤلاء كلهن أزواجه يطاوعونى وكلما يعترينى العيا ويكون نائم عند إحداهن واطلب منها هذه الحاجات فإنهم يعطونى والسبب فى إقامتى عندهن دائما منى أنا فإذا عاهدتينى كما قلت لك فلا أخليه يكون إقامة لياليه إلا عندك فعاهدتها على ذلك وقالت لها إن جاء عندى فى تلك الليلة ما يكون إلا الخير وأنا أطلب لك الشفاء من الله تعالى وظنت ناهد أن كلامها صحيح فوافقتها على ذلك وطلعت إلى قصرها وقمرية عادت إلى مكانها وأرادت أن تقعد فما هدأت ولا قولها قرار فقامت وراحت إلى الملك سيف وهو جالس فى ديوانه وسلمت عليه فرد عليها السلام وتزحزح لها وأجلسها وقال لها مرحبا يا أماه فقالت له أعلم يا ولدى أننى جئت إليك أريد قضاء حاجة فقال لها وما هى يا أماه قولى كل ما تطلبيه فقالت له ناهد بنت ملك الصين الأعلى

اشتكت منك لكونك هجرتها واحتضنت بغيرها وضرها ألم الفراق وتريد أن تلتذ منك بالمودة والتلاق وأنها من حين أتت من بلادها ما سألت عنها وهذا يا ولدى حرام وأنا يا ولدى صار قلبى شفوق من حين دخلت دين الإسلام وإنما تمنيت عليك أن تزورها تلك الليلة وتقبل سياقى وتجعله نعم الوسيلة فقال سيف السمع والطاعة والليلة أكون عندها لاجل خاطرك ولا أخاف قولك ولا أظاهرك فقالت له يا ولدى واجعلها مثل من عندك وساو بينهن فى المقام هذا شرط الإسلام فقال لها سمعا وطاعة وخرجت قمرية من عند ولدها وهى فرحانة القلب بما تم لها من الاحتيال وما تريد أن تفعل من الضلال وسارت إلى قصر ناهد وقالت يا ناهد لك البشارة إن الملك سيف الليلة عندك ولكن احذرى لا تنسى الذى قلت لك عليه فأنا ما بقيت أنسى فضلك وإحسانك فقالت ناهد يا ستاه أنت صاحبة الفضل على ثم أن قمرية خرجت من عندها وناهد جعلت تصلح شأن نفسها لما علمت أن الملك الليلة يجىء عندها وضت شغلها طوال النهار وقعدت للملك سيف فى الانتظار **(يا سادة)** ولما انفض الديوان ونزل الملك سيف من الديوان وطلع إلى الحريم ودخل إلى قصر ناهد وكانت على حال مستقيمة ولما أقبل الملك سيف على ناهد قامت علي الأقدام وقبلت يده وزاد بها الفرح والابتسام وأجلسته على أعلى الفراش ثم وقفت لخدمته مع المباسطة والأدب والانبشاش وأحضرت بين يديه الطعام وباسطته فى الكلام وبعده احضرت صافى الشراب ونادمته بلذيذة الخطاب ولما فرغوا من المحادثة والكلام قام الملك وقرأ أوراده وبعد ذلك أخذوا فى المهارشة والمناغشة فقام الملك سيف وخلع ما عليه من الملبوس وبالجملة الثوب المطلسم الذى صنعته له الحكيمة عاقصة ووضعته تحت رأسه واجتمع مع ناهد وقضى منها وطره ووضع رأسه على الفراش واضطجع للمنام فسبحان من لا ينام فلما نظرت إليه الملكة ناهد وقد غرق فى المنام قامت على حيلها

ومدت يدها فى الحال وأخذت من تحت رأس بعلها رق الغزال وهى لا تعلم ما خبى لها من قطع الآجال وهذا بإرادة الملك المتعال الذى قدر الأرزاق والآجال وكانت قمرية أعلمتها أنها واقفة على الباب فأسرعت فى خروجها وتريد أن توصل الثوب إليها كما وعدتها وإذا بالحسام سطع ولمع وله نور أضواء من البرق وإسطع وعلى رقبة ناهد وقع فنزل على وارديها رمى رقبتها عى جثتها فوقعت قتيلة والرق فى يدها ولما نظرت اللعينة قمرية إلى تلك الحال خافت أن يصيبها مثل ناهد فهربت ودخلت مكانها وألقى الله الرعب فى قلبها **(يا سادة)** وإن ناهد لما وقع الحسام على عنقها صاحت فانتبه الملك سيف على صياحتها ورفع من على الفرش رأسه وقد انزعجت حواسه فلم يجد ناهد بجانبه فمشى عندها فرآها تخبط فى دمها فصعبت عليه وتحسر لكونها غريبة من دون النساه ولم يعلم من بادأها بذلك الضرر والأسافكا وأن واشتكا وأنشد يقول صلوا على طه الرسول.

* * *

أنا شدهم والدمع يجرى بمقلتى ... قفوا وانظروا حالى وذلى وغربتى
وإن قيل لى ماذا على الله تشتهى ... أقول لقاكم سادتى فهو شهوتى
لقد ضر ما عدمت فراقكم ... فإن حياتى بعدكم قد تولت
فقالت لى العدال اسل فلم أطق ... كلام العدا هذا مضر لمهجتى
ومالى على فقد الاحبة سلوة ... فإنهم روحى وراحى وراحتى
أحباى كم هذا التفرق بيننا ... فياليت يوم البعد قامت قيامتى
عليكم بطول العمر أبكى على المدا ... وانعيكموا كل ابتكار وعشوتى

* * *

(قال الراوى) ملا فرغ الملك سيف بن ذى يزن من شعره ونظامه وما قاله من كلامه زاد فى بكاه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله ولكن إن صدقنى حذرى ولم يخطىء أجرى فما قتل ناهد إلا طامة بنت الحكيمة عاقلة وهذا

ما فيه شك ولا ريب فإنها خانت الإيمان والشروط والاقسام لما قاس بها من الغرام **(ياسادة)** فهو كذلك وإذا بطامة أقبلت إليه ووقفت بين يديه وقالت له انعمت مساء يا مليك الزمان وفريد العصر والأوان يا ملك على بلاد اليمن ومبيد أهل الكفر والمحن فقال لها لأى شيء تكلمت بالتصغير وتقولى يا مليك وهذا عار كبير من قديم الزمان عدن سائر ملوك العربان فقال نعم لأنك قليل العقل من دون الملوك ولا يفعل مثل فعلك لا غنى ولا صعلوك فانغاظ الملك سيف بن ذى يزن واراد أن يبطش بها ولكن صبر نفسه خوفا من الفتن وقال لها يا طامة من الذى قتل ناهد فقالت له لا أدرى يا مولاى فقال لها بحق دين الإسلام اصدقينى فى الكلام فقالت وحق خالق الضيا والظلام ما قتلها إلا أنا بذا الحسام البتار فقال لها وقد انغاظ منها ثانيا لأى شيء يا طامة قتلت نفسا حرم الله قلتها بغير ذنب فقالت طامة معاذ الله ان ذنبها فى رقبتك أنت ما علم بما حلفت من الأيمان واقسام أن كل من تزوجت بها من بعد الأربعة قتلتها والأربعة عند على قيد الحياة وهم شامة ومنية الفنوس والجيزة وعين الحياة وهذه غيرهن ولا دخلت فى الشرط ولا ذكرت فى الإيمان فقال لها ولأى شيء تستحق القتل بالحسام بلا ذنب ولا جناية ولا خصام فقالت له أن ذنبها عظيم وأنا ما قتلتها إلا بوجه الحق لأنى أخاف من الله خالق الخلق لأنها أخذت الرق والغزال المطلسم من تحت رأسك وأنت نائم وترم أن تعطيه لأمك هدية وأمك إذا ملكت ذلك وأخذت الرق المطلسم ولوح عيروض معها فترسل عيروض يحملك ولا تجد ما يمنعه عنك فتعمل معك كل مكيدة فإنها شيطانة عنيدة فقال الملك سيف لوح عيروض معى فقالت طامة أين هو فقال لها فى ذراعى فقالت طامة أنت رجل قلبك سليم ومن أجل ذلك يلطف الله بك وينجيك من كل هو لعظيم لأنه رب كريم وبأحوالك يا ملك عليم ولكن يا ملك بحق دين الإسلام الذى أنت تعلمه ما معك اللوح حتى يأتيك خادمه ويعلمك بجميع

الأحوال فإنه صادق فى الأقوال ولا يقدر أن يخالف أمرك لما على اللوح مكتوب من الأقسام والاحرف العظام فعند ذلك أخرج الملك سيف ابن ذى يزن اللوح وهو متغاظ ويظن أن كلام طامة غير متعمد فمعك اللوح ثلاث مرات فلم يرد عليه احد ولا حضر له أبيض ولا أسود ولا حضر عيروض ولا غيره من الجن ولا من الإنس فعلم أنها حيلة تمت عليه وأن طامة ناصحة له وأن أمه تمكنت من المكيدة ولو لا حضور طامة لكانت فتحت له مهلك آخر تلك الشيطانة المريدة فقال لطامة إيش الخبر يا طامة أما هذا لوح عيروض فقالت لوح عيروض يا ملك الزمان مع أمك الحنونة الشفوقة التى تضع لك زخاريف البهتان عليها فى كل وقت لعنة من الله الملك الديان وأما هذا اللوح فإنها احضرت صانعا صنع لها لوحا من المعدن ومضبوط مثل لوح عيروض فإنها أخفته لوقت حاجته وها هى لما أرادت أن تدبر الاحتيال ورد الله عليها محالها ومكرها والضلال فقد هربت وطلبت البرارى والتلال فقام الملك سيف مهزولا ودخل على قصر قمرية وكان قصده أن يجازيها على فعلها ويأخذ اللوح قهرا عنها فطلبها فى قصرها فلم يجدها ولا رأى لها أثر ولا وقع لها على خبر فضاقت عليه الأرض بما حبت وكان الليل ولى وانقضى وظهر الصباح بنوره وأضاء فنزل إلى الديوان سريعا وامر باحضار الرجال والمقادم جميعا وإذا بالمقدم ميمون والمقدم دمنهور الوحش فسلموا عليه فلم يلتفت إلى حضورهم بالجلوس فجلسوا وطلب بعدهم المقدم سعدون فرآهم فسلم عليه وكذلك سابك الثلاث طلع وسلم على ميمون ودمنهور الوحش فقالوا لبعضهم ما الخبر ولأى شيء الملك مشغول البال فردوا على بعضهم سوف يظهر لاحال ولما تكامل لاديوان وحضر الحكماء والملوك والأبطال وجلس الملك سيف بن ذى يزن على كرسى مملكته ودارت به ارباب دولته فالتفت برنوخ الساحر ونظر إلى الملك سيف بن ذى يزن فرآه معبس الوجه فقال له برنوخ أيها الملك

السعيد أنت امرتنا بالحضور فحضرنا وكذلك حضرت الملوم وجميع ارباب دولتك وقد عودتنا فى القعود والقيام والحفو وعدم الانتقام فما الذى أصابك حتى نراك معبس الوجه ونحن كلنا تحت إرادتك ولا أحد منا إلا مبادر لخدمتك وقضاء حاجتك اعلمنا ولا تحمل قلبك هم ولا غم فالتفت إليه الملك سيف وهو في غاية الحيرةوقال له يا أخى يا برنوخ كيف لا أتكدر ولا أنزعج وقد قتلت ناهد والذى قتلها طامة وكان السبب فى ذلك أمى قمرية فإنها قد غدرت بى وأخذت لوح عيروض منى واعطتنى غيره وفعلت بكرها هذا الفعال وأوقعت الفتن حتى قتلت ناهد وأن طامة قتلتها وسألتها وقلت لها ما السبب الموجب لذلك فقالت إنى رأيتها أخذت الرق المطلسم وكان ذلك من تدبير اللعينة قمرية وقد معكت اللوح الذى معى فما جاوبنى فزاد لذلك همى وغمى وخرجت طالبا هذه اللعينة قمرية وقد معكت اللوح الذى معى فما جاوبنى فزاد لذلك همى وغمى وخرجت طالبا هذه اللعينة قمرية فما علمت أين ذهبت وهذا اصل الذى اعترانى واحضرتكم جميعا لتعلموا أمرى وشأنى فضحك برنوخ الساحر من ذلك الكلام وقال يا ملك الزمان اعلم أن قمرية خائنة من الخوان ولكن يا ملك ما هذه الفعال وأناقلت لك مرارا عديدة اقتلها واعطنى لوح عيروض وأنا أحفظه لم من دون العباد وأخترس عليه غاية الاحتراس وأخفيه عن جميع الناس فما سمعت منى والآن فقد تمت عليك الحيلة وأن صدقنى حذرى ولم يخطىء زجرى فإنها صارت تحتمى منك ومن سطوت؛ عند ملك من ملوك الزمان اصحاب الأقاليم والبلدان أنى اعلم أن بعد هذا مابقى لها أمان فعند ذلك اقسمت الرجال الحضارون جميعا ان كل من ملكها يقطعها بالحسام **(قال الراوى)** فبينما هم فى الكلام وعاقصة قد أقبلت من الجو وبدأتهم بالسلام ففرح بها غاية الفرح كل من كان فى هذا المقام وقالوا لها يا ملكة عاقصة والله ما أتيت إلا فى وقت الحاجة إليك فقالت عاقصة إيش الذى جرى لكم لإنى

أراكم فى حديث وكلام فقال الملك سيف بن زى يزن يا أختى اعلمى أن أمى قمرية فعلت معى كذا وكذا وحكى لها القصة التى فعلتها قمرية وهربت من أولها إلى آخرها وكيف قتلت طامة ناهدا من سبب الفتنة التى فعلتها قمرية فالتفتت عاقصة إلي الملك سيف بن ذى يزن وقالت له يا أخى أذا دورت عليها وأتيت بها تسامحنى فى قتلها جزاء علي فعلها فقال الملك سيف نعم يا أختى افعلى ما بدالك لا أحد يعارضك فى أفعالك فقالت له أشهد على نفسك هؤلاء الحاضرين واحلف يمين لى فقال الملك يا أختى إذا أتيتينى بها أفرجك على ما أفعل بها فقالت عاقصة أنا عارفة ما فى ضميرك وإنك لا تخلف ولا تشهد لى على نفسك ولكن أنا أعلم والحاضرون بأن المؤذى طبعا يقتل شرعا وأنت مرامك أننى أتعب فى حضورها ولما تحضر بين يديك وتتنهد يرق قلبك فتمنعنى عنها وأنا وحق النقش الذى على خاتم سليمان من بعد هذه النوبة ما بقيت أتركها بعد الذى مضى ،أنت يا أخى بخاطرك إن شئت تغضب وأن شئت ترضى ثم التفتت إلى الحاضرين وقالت لهم ما تقولوا يا مؤمنين فقالوا جميعا هذا هو الصواب فقالت أنا طالعة أدور عليها ولا أعوذ إلا بها لكن على هذا الشرط ثم أن عاقصة تركتهم وارتفعت إلى الجو وأوسعت فى المطار وقعد الملك سيف بن ذى يزن إلى عاقصة فى الانتظار وهو يظن أن أمه راحت عند الملك سيف أرعد وأكبر رزيه أن تأتيه عاقصة بالخبر فأقام يومين وهو بين عساكره وإذا بعاقصة نزلت من الجو عليه وقبلت الأرض بين يديه ففرح بها فقالت له يا أخى مرادى اسألك عن بنت ملك الصين ناهد ما فعل بها الزمان فقال لها وقد بكى والله يا أختى أنها قتلت وراحت مظلومة والسببَ فى ذلك أمى قمرية بلاها الله تعالى بكل رزية فقالت له ودفنتها فقال نعم وكان الملك سيف بعد موت ناهد غسلها وكفنها وصنع لها قبرا فى حوش السراية على جنب محل مخصوص ودفنها فيه ونظرت طامة إلى التراب فرأتها

فسقية واسعة مربعة فقالت له يا ملك على طول الأيام املاها لم من النساء التى تتزوج بهن اجساد مضبعة فاسرها فى قلبه وبقى يحسب لها حساب وأى حساب وقال فى نفسه لكل شيء افة من جنسه حتى الحديد يسطى عليه المبرد فقالت عاقصة يا أخى الذى تسبب فى قتل النفس ما يجوز قتلها نعم أنها تسببت لك فى الموت والله تعالى نجاك وأما هذه فهى ضربة صادقة للزعمار ماحقة فقال لها أنت أتيتينى بخبرها قالت نعم لكن بعد جهد جهيد واريد منك أن تبلغنى من قتلها ما اريد فقال الملك سيف بن ذى يزن إنى قلت لك وأسلمت أمرها إليك إذا قبضت أنا عليها فقالت عاقصة ها أنا جبت أخبارها **(قا ل الراوى)** وكان السبب فى ذلك هو أن الملكة قمرية لما رأت ناهد قتلت وابنها أفاق من منامه وشع الخبر وكانت دخلت قصرها فخافت على نفسها فمعكت اللوح الأصلى وكان فى ذراعها فطلع لها عيروض فقالت له أريد منك أن تحملنى إلى أبى ناهد فى بلاد الصين هل تعرف اسمه وبلده فقال نعم اسمه الصمصام وهو جبار لا يرام يعبد النار دون الملك الجبار فقالت له خذنى إليه فقال لها سمعا وطاعة وحملها على كاهله وطار بها فى الجو حتى أنزلها فوق قصر أبى ناهد فى مدينة الصين الأعلى وكان هذا الملك مالك جميع بلاد الصين تحت يده كما أن سيف أرعد يحكم على جميع ملوك الحبشة والسودان وأما الملعونة قمرية فإنها صاحبة قلب جسور ولو كان غيرها ما كان يتجاسر على هذه الأمور إلا أنها لما بقيت فوق قصر ذلك الملك نزلت من سلالم ولو كان غيرها ما كان يتجاسر على هذه الأمور إلا أنها لما بقيت فوق قصر ذلك الملك نزلت من سلالم السطوح بقلب أقوى من الحديد وطلبت ذلك الملك السعيد.

(قال الراوى) وكان الملك فى هذا الوقت قاعداً فى قصره ومماليكه بين يديه فى خدمته فما شعر إلا وقمرية داخلة كأنها عروسة كنز لأنها كانت

عند طلوعـها من قـصرهـا لبست أفـخر مـا عندها من الملبـوس والعقـود والحلى وأن قـمرية جـميلة كـما ذكـرنا فـرفع الملك رأسـه فـرأى تلك الذات البديعة وأن هذا الملك مـالـه دين لا إيمان وبل إنه يعبد النيران فـقال لها من أنت ومن تكونى فإنك ما أنت من سرايتى وأنت من الأنس أو من الجان فقالت يا ملك لا بأس عليك فـما أنا من الجن بل أنا إنسيـة واسـمى الملكة قـمرية وأتيت إليك يا ملك من أرض الـيـمن والسـبب فى قـدومى إليك هو أن الملك سيف بن ذى يزن الذى كان أتاك هنا عـريان وداوى ابنتك ناهد من العمى وأنت يا ملك زوجته بها وأنعمت عليه وأخـذها إلى بلاده وغدر بها وقد ابلها بكثرة الضـرائر وأخيـرا قـتلها لمـا قالـت له ما طيق الضـرر ردنى لأبى فـقتلهـا ولا حسب لك حـسـاب وأنا يامللك قلت له مـا كان جـزاء هامنك أن تقتلهـا فإن أباها أنعم عليك فكان الواجب تكرم بنته كما أكرمك فسحب على السيـف وأراد أن يقـتلنى فهـربت منه وأتيت إليك وكـانت تلك الفـعـال من مـدة ثلاث ليال فقال لها الملك صمـصام وكيف قدرت تسيرين إلى تلك الأرض والدمن من أرض الـيـمن قالت له على لوح مـرصود له خـادم اسمـه عيروض دعـكته وبحـملى أمـرته وأتـى بى إلى هذا المكان بلا تعب والـخـسـران وها أنا اتيت اعلمتك وإن أردت أن تحـارب الملك فأنا اساعدك وابلغك مـقاصدك واعطيك هذه الذخـيـرة التى مـاملك مـثلهـا احـد من ملوك الدنـيـا وهو ذلك اللوح المرصود **(قال الراوى)** أن الملك الصمـصام لما سمع من قمرية ذلك الكلام صعب عليه قتل بنته ولكن لما نظر وجه قـمرية أشغلته وبحسنها اهبلته وكانت الملعونة كما ذكرنا على قدر ما حوت من الحسن والجمال حوت من المكر والاحتيال فقال لها الملك صـمصام إذا كانتن ناهد قتلت هى الجانية على نفسها لأنها صـارت مع هذا الرجل بغير علمى وأنت يا ملكة أريد منك أن تدخلى فى دينى وتكونى اعز المحاضى فى سرايتى وتكونى أنت الحاكمة على مملكتى فـقالت له وما هو دين؛ أيها المنصـان فقال لها عـبادة النيران

فقالت له رضيت بذلك أيها الملك المهاب وأنا يا ملك هذا قصدى من قديم الزمان لأنى اعلم أن رحل ما هو معـبود وكل من عبـده صار معـبود ولكن أنا كنت اتبع عبادة ملك الحبـشة والسـودان على هذه الأديان من حـيث أتيت عندك فما بقيت اتعبد إلا معك وكل ما فـعلته أنت اتبعك ففرح الصمصام بكلامها وفى الحـال احضر مشايخ المـجوس واخبرهم بهـا وقام على حيله وسار مـعهم وقمرية أخذوها بينهم وقد سبت عـقله بحسنهـا وجمـالها ولكن خاف أن يوقعـها بغير أن يكون على قـاعدته يبقى غير مـجوسى فلما دخلوا إلى معـبد النار تقدم الـملك وسجد لإلهـه من كفره وجـهله وفعلت قمـرية مثل فـعله وسـجـدت للنار دون الملك الجبـار وبعد ذلك عـقدوا على ملتهم عقـد النكاح وصار الأمر به مبـاح ودخلوها فى ليلتها عليه وواقـعها وبات معـها وجاءت عـاقصة ورأته واسـتخبـرت من عمار الأرض على مـا جرى فأعادوا عليها القصة من اولها إلى آخرها فعادت إلى الملك سيف بن ذى يزن واعادت عليه ما جرى **(قال الراوى)** فلما سمع الملك سيف عن عاقصة ذلك الكلام اغـتاظ من فـعل أمه وقـال لها يـا عاقـصة لأى شيء مـا أتيتنى بهـا فقالت له إذا أنا احضرتهـا إليك من ذلك المكان توفى لى بالشرط والضمان فقال لها أنا لا أفعل ذلك أبدا ولو سقـتنى أمى بيدها كأس الرادى فقالت وأنا الأخرى لا أتعب نفسى ولا اجـيبها وكل من أتى بها أعيـقه وأقف فى طريقه ولا أدعه ينتـقل بها ولاخـطوة واحـدة فقال بـحيانى عليك يا أخـتى أن تأتينى بها لأشفى غليلى منها فقالت يا ملك ما يقـدر يصل إليها أحد مادام معها ذلك اللوح المرصـود وأن طول ما هو معهـا مـا يجسر احد من الجـان يقربها فقال برنوخ السـاحر أنا يا ملك امضى إلى ملك الصين مع عـاقصة لعلى أن أسرق منهـا اللح فقال برنوخ السـاحر أنا يامللك امضـى إلى ملك الصين مع عاقصة لعلى أن أسرق منها اللوح فـقال توكل على الله فأحضر الزير وركب وقال لعـاقصة سـيرى معـه وما زالوا حتى نزلوا على قـصر الملك صمـصام

وكان نزولهم فى أول الليل فصبر برنوخ حتى تنصف الليل وتحسس حتى نزل وبقى جنب شباك القصر الذى فيه الملك صمصام وقمرية فوجدهم فى سكرهم وقمرية جنب الملك وهى تقول له إلى متى تقعد ولم تأخذ ثأر بنتك فقال لها وحق النار لابد لى أن اركب وأروح إلى بلاد اليمن ولا أخلى فيها من يشرب اللبن فقالت له وأنا اساعدك على القتال وأخلى ملك الحبشة يمدك برجال تسبق رسل الآجال هذا وهم على المدام حتى يبق معهم عقل ولا نقل فما صبرت قمرية بل أنها قامت وخرجت إلى خارج القصر ومعكت اللوح فحضر عيروض فقالت له امضى إلى بلادى لأشوف إيش عمل الملك سيف بعد بعادى فقال سمعا وطاعة وراح عيروض وبعد ذلك دخلت فغلب عليها النوم وكان الملك صمصام الآخر نام فعند ذلك دخل برنوخ إلى ا لقصر بعد ما رصد على قمرية أنها لا تتحرك من منامها واندعر مثل الثعبان الأرقط وصعد على السرير الذى عليه قمرية وهو لا يغفل عن ذكر الله تعالى ومديده وفك اللوح من على ذراعها وهى مستغرقة فى منامها ولما أخذ اللوح تهيأ له أنه ملك الدنيا وطلع من الشباك إلى الزير فركبه فقالت عاقصة وكانت واقفة تنتظر إليه قضيت الحاجة يا حكيم قال لها نعم عاقصة سيرى بنا إلى الملك سيف فقالت له تأخذ معنا هذه اللعينة فقال برنوخ ا عاقصة لا نفعل شيئا إلا بأمر الملك سيف فإنه حاكمنا وطاعته فرض علينا فقالت عاقصة سر بنا فساروا إلى الحمراء وكان الملك سيف بن ذى يزن لهم فى الانتظار فلما رآهم قال لهم قضيتم حاجتكم قا نعم ببركتك وأتيناك باللوح ثم أن برنوخ ناوله اللوح المذكور ففرح فرحا شديدا والتفت الملك سيف بين ذى يزن وقا لها يا عاقصة وأين قلنسوة حام بن داود عليها السلام فقالت أنى لا آتيك بها إلا على ما تقدم بيننا من الشرط ثم أن عاقصة تركته وصعدت إلى الجو الأعلى وما غابت غير قليل وكان طلع النهار والملك سيف جلس بين الرجال ودارت به الأبطال

وإذا بعاقصة وأقبلت حاملة قمرية ووقعت بها على أعلى القصر فى الجو الأعلى وصرخت بصوت منزعج ذوى منه المكان وقالت يا ملك الزمان أعلم أن هذه قمرية وكم فعلت معك من مكايدها كل رزية وأريد أن أريحها من يدى فما تصل إلى الأرض إلا ميتة وتستريحأنت من شرها ومكرها فماذا تقول فى رميها فقال الملك يا عاقصة انزلى بها إلى عندى حتى أشفى قلبى منها فقالت هذه شيء لا أسمعه والشرط الذى بيننا لا تتبعه ولا بقيت تراها فى دار الدنيا أبدا فصاح على عاقصة انزلى بها إلى عندى فنزلت قليل حتى بقى بينهم قدر ميل ثم حذفت قمرية إلى فوق بعزمها فعلت خمسين قامة ونزلت فتلقتها عاقصة وحدفتها ثانيا وإذا بطامة جردت الحسام وأرادت أن تخرج إلى قمرية وتنظرها لتمنعها أن تصل إلى الأرض فخطفت عاقصة افلسيف وألقت قمرية عليه وهى تصيح يا للثار فحكم السيف على وسطها فانقطعت نصفين فالتفتها وحذفتها ثانيا والقت السيف تحتها فقطعها أربع قطع وكذلك ثالثًا ورابعا حتى جعلت الكبير فيها نصف رطل وتركتها فنزلت قدام النيران على هذا الشان ورمت رأسها فى حجر ولدها فقال لها شلت يداك يا ملعونة ولكن إن وقعت فى يدى جعلتك مثلها يا قطاعة الجان.

فقالت له يا أخى لابقيت ترانى ولا أراك وبعد موت هذه اللعينة ما بقيت أخاف عليك من خلق الله تعالى فهى التى كانت تشتتك من مكان إلى مكان وأنا أتعب من أجلك طول الزمان ومنى عليك السلام يا ملك الزمان وتركته وطلبت البرارى والوديان هذا ما كان من أمرها وأما الملك سيف فإنه قعد فى غاية الضرر على موت أمه وجمع لحمها بيده ودفنها فى قبر ناهد وأقام يبكى عليها مدة من الزمان فقال له الحكماء والملوك يا ملك الزمان اعلم أن الأحزان لا تكون إلا للنسوان وإيش قدو هذه الكلبة الكافرة الفاجرة الى ما لها دين ولا إيمان والله الذى تقدست أسماؤه لو كانت أ]تلك ما فعلت

هذه الفعال لكان كل منا إلى قتلها مبادر ولولا خاطرك كما أذقناها عذاب السعير فارفق على نفسك يا ملك الزمان واترك البكا والأحزان وما زالوا معه حتى ترك الأحزان وذبح على قبرها الذبائح وقد أخرج صدقات وانقضى حكم العزاء وفات وأقام فى هناء وسرور إلى يوم من الأيام فإن الملك سيف بن ذى يزن جالس وإذا ببعض القوابل أقبلن بصنية من الذهب وقالوا يا ملك هذه علامة النصر هات البشارة فإن الملكة الجيزة بنت الحكيم إخميم الطالب ولدت غلاما يفوق البدر ونريد منك أن تسميه يا فريد الدهر وملك العصر فقال اسمه نصر ثم أن الملك سيف خلع ووهب وفرق الفضة والذهب وأقام فى فرح المولدو والديوان مرفوع حتى مضى السبوع واشتهر اسم ذلك المولود وتواترت الإيام فلما كان فى بعض الإيام قال الملك آخر النهار عن الديوان وهو فرحان مأنوس وسار إلى حجرة منية النفوس وكان بعيدا عنها مدة طويلة إلى أن كانت فى هذه الليلة تمشى إلى قصرها وقد دخل عليها فلما وقعت عينها عليه قامت له وتلقته ثم قبلته ووقفت فى خدمته وبالكلام العذب نادمته وقالت له لم ذلك التلاهى والهجران يا ملك الزمان فأنت ما بقيت تسأل عنى ولا بالعيون تنظرنى فاعتذر لها مما جرى وقال لها ما عندى أحد فى مقامك ولم أجد يوما أحسن من أيامك فقالت له لو كنت تحبنى يا ملك وتعرف قدرى ما كنت بطول هذه المدة لم تذكرنى فعقد معها وطيب خاطرها فقامت وأحضرت الطعام والشراب فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وما زالوا فى حديث وكلام حتى طاب لهم المنام وجرى بينهم ما جرى من المهارشة والكلام وكل منهما نام فسبحان الملك العلام وبينما الملك سيف نائم ففتح عينه فسمع دويا من باب تلك السراية وهو كدوى النحل ورأى ضوء سيف مسلول وقد غلب على ضوء الشمع الموقود فجذب زوجته الملكة منية النفوس إلى صدره ورفع رأسه وإذا به بر سفا جنويا ثابت المسمار كأنه شعلة نار فصاح بصوت كأنه الرعد القاصف أو

الريح العاصف وقال يا طامة فقالت له لبيك يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان فقال لها لأى شيء جئت إلى هذا المكان فقالت له اعلم يا ملك إنى ما أتيت فى هذه الساعة إلا لقتل زوجتك منية النفوس كما قتلت غيرها وأنت تعلم أنى حلفت يمينا فقال لها يا طامة كل الناس إلا هذه الملكة السعيدة فما لك إليها وصول ولا على قتلها محصول فقالت له لا تطل الكلام فلابدلى من قتلها والسلام فقالت الملك سيف سألتك بالله العظيم إلا ما خليت سبيلنا وتركتينا ننام وتنصر فى عنا بسلام واتركى منية النفوس لأجل خاطرى فإن حبها حشو جلدى وضمائرى فقالت طامة ما بقى لى فى هذه حيلة لأنى حلفت أن أقتلها فى هذه الليلة.

(قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بالحكيمة عاقلة دخلت عليهم وكانت أتت على حس صياحهم وتشاجر الملك سيف بن ذى يزن وبنتها طامة فقالت الحكيمة إيش يكون الخبر فلما رآها الملك سيف اطمأن قلبه وقال لها يا حكيمة إن طامة تريد أن تقتل زوجتى منية النفوس وإيش ذنبها يا حكيمة وها أنا وأنت حضرت يا أماه فانظرى ما يكون فقالت الحكيمة عاقلة بنتى معذورة وأيضا إن النساء جمعهن اللاتى أنت متزوج بهن فما نالهن منك غير المرض ولا احد ينال منك غرض أنا تعلم ان بنتى معذورة فى حبك وقد حركت الطعام والمنام من اجلك فيجب عليك أن تداريها ولا تغيظها فأنها ما تستحق منك إلا الصفا والوداد وراحة القلب والفؤاد وأنت من قبل زواجها جامع لها ضرائر بكثرة واضداد فقال الملك سيف وحق من اورق العود وانبع الماء من الجلمود لا بدلى من علم طريقة عى إنقاذ الأيمان التى حلفتها أنا وهى ونوفى العهود وابلغ طامة كل مرادها والمقصود وإنما أنا كنت حزينا على والدتى الملكة قمرية وعاقصة على التى قتلتها وقطعتها وبالحسام جعلت لحمها قطعا واكواما فقالت طامة وإيش فى ذلك من حزن يا ملك الإسلام وحق رأسك وربنا الملك العلام أنا

التى ناولت اختك عاقصة الحسام وأمرتها أن تهرى لحمها والعظام ما علينا من هذه الكلبة دعنا من هذا الكلام إيش قلت فيها نحن عليه من المرام فقال الملك سيف يا حكيمة عاقلة خليها تصبر على للصباح وتترك سبيلنا فما بنى بيننا إلا الخير فلما سمعت طامة ذلك فرحت فرحا شديدا والتفت الحكيمة عاقلة إلى بنتها طامة وقالت لها قومى يا قليلة الأدب تدخلى وهو مختلى بزوجته ولا تختشى العيب ولا عاقبته فاستحت طامة من أمها وقامت وقد زاد بالملك سيف غرامها وبات مع زوجته الملكة منية النفوس وهم فى صفا وانشراح حتى طلع الصباح فقام ونزل إلى الديوان واجتمع ارباب الديوان من ملوك وقواد وحكماء وسحرة وارباب الدولة ولما كمل ديوانه وتكالمت دولته واعوانه وتضاحى النهار فالتفت الملك سيف بن ذي يزن إلى أرباب الدولة جميعا وقال لهم اعلموا أنى حلفت يمينا وأريد أن تكفروا إلى يمينى فقالت له الدولة يا ملك أنت مطاع وأن حلفت يمينا على شيء فما أحد يقدر أن يرد عليك يمينك فما الموجب لكفارة اليمين فقال الملك سيف بن ذى يزن اعلموا أنى لما سرت فى طلب كتاب تاريخ النيل حلوان الملكة شامة كان سبق منى نذر وحلفت أنى لا أتزوج قبلها نساء ابدا فلما سرت إلى مدينة الملك قمرون فكانت الحكيمة عاقلة هذه هناك فتعبت معى فى خلاص الكتاب وفعلت معى جمايل بكثرة إلى أن سهل الله على بأخذ الكتاب وكنت أنا جئت بقلنسوة الحكيم أفلاطون فأخذتها طامة وحلفت أنها لا تعطيها لى إلا بعد ما أتزوج بها فحلفت أنى لا أتزوجها إلا بعد ما تعطينى القلنسوة وتداولت الأيام إلى أن كان الذى كان وها أنا قصدى فى زواجها وأمها أعطتنى ذاخائر تقوم بمقام بمقام هذه القلنسوة أضعافا وأنا غنى عن القلنسوة ولكن مراءى فى الزواج بطامة حالا فإنه آن الأوان ولا بقى لى عنها صبر ولا سلوان فماذا يكون العمل حتى أبلغ من زواج طامة الأمل فقال له أرباب الدولة هذا أمر سهل وإنما تورد

مهرها وتعقد عقدة النكاح فإذا فعلت ذلك صارت زوجتك ولا تدخل عليها حتى تعطيك قلنسوتك وقد نفذت يمينها ويمينك فقال الملك سيف بن ذى يزن هذا أمر أنا مشكك فيعه وإنما أكبر الإيمان إيش يكون كفارته فقالوا له يا ملك الزمان كفارة كل يمين حلفه الإنسان يفديه ببقرتين سمان فقال الملك سيف بن ذى يزن إذا كان كذلك فقد وهبت سبع بقرات سمان فدا عما حلفت احد الأيمان وأمر الملك في وقته بذبح سبع بقرات التى تقدم ذكرها وقد أفدى اليمين فقال الملك سيف اليوم يمضى وفى غداه غد لا يكون أحد من أرباب الدولة إلا ويحضر ولك من غاب فلا يلزم رلا خلاصه منى فقالوا سمعا وطاعة وانفض المجلس ولما كان ثانى الأيام تكامل الديوان بالدولة وأخذوا مراتبهم من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس فلما راق المجلس وقال الملك سيف بن ذى يزن إنى جعلت عشرة آلاف دينار ذهب لطامة مهرها أسألوها هل هى راضية بذلك القدر فسألوها وكانت حاضرة فقالت يا ملك الزمان إذا كنت ترغبنى فأنا فيك راغبة أكثر وكل مرغوبى أن أكون جارية للخدمة فهو عين مناى واجل مطلوبى وأما من خصوص المهر فقد وصلنى بالتمام ولا بقى لى شىء منه يا ملك الإسلام وإنما أنا أطلب منك يا سيدى تمنية لا ترد طلبها عن احتياجى لها وما أنا إلا جاريتك وغرس نعمتك والسلام فقالت لها أمها وإيش تكون تمنيتك أن تطلبى منه تمنية فأنا أوفيها عنه فقال لها يا أماه أنا ما أطلب أن أتمنى على أحد غير سيدى الذى أكون له ضجيعة ولقوله سامعة ومطيعة فقال الملك سيف بن ذى يزن يا طامة ولم على تنية لا ترد وحق الواحد الاحد فعند ذلك فرحت طامة وانعقد العقد على طامة فى الحال فقال الملك متى سكون الدخول فقالت طامة فى هذه الليل فقا ل الملك سيف بن ذى برن ويكن بلا عرس يا طامة فقالت طامة أنا إيش لى فى العرس من حاجة فقالت الحكيمة عاقلة يا ملك الزمان أنا قطعت عمرى وما رزقت غيرها

وأريد أن أفرح بها فقال الحاضرون لأبد أن يكون للملكة طامة فرح حتى نأكل فيه ونشرب ونلتذ ونطرب فقال الملك سيف مرحبا بكم وتقرر الأمر بينهم على الفرح بأمر الملك سبعة أيام وقد شرعوا فى الأفراح وامر الملك بطبح البقر والجمال السمان والأغنام فكان كل يوم الصبح يذبح مائة فصيل من الأبل ومائة من البقر وخمسمائة من الغنم وذلك فى الصباح ومثلها عند المساء وجميع الرجال يرتعون فى الطعام وكذلك النساء كل عى شاكلته وكان بالاتفاق العجيب أن حريم الملك أبو تاج وحريم الملك أفراح وحريمات المقادم مثل سعدون الزنجى وسابك الثلاث ودمنهور الوحخش وميمون الهجام حريمهم مثلهم من الحبش وأما حريمات الملك سيف وهن الملكة شامة وأم الحياة والجيزة ومنية النفوس الكل مجتمعان يلعبن ويفرحن ويأكلن ويشربن مع بعضهن ويتناغشن والبعض منهن يرقص فأول من رقص أم الحياة بنت سابك الثلا وانخلعت حتى أن النساء كل من رأتها انبهلت فنظرتها الملكة منية النفوس.

وقالت لها يا أم الحياة ما أنت إلا مثل فحل الجاموس ولكن هذا رقصكم على قدر عقلكم الذى تربيتم عليه فى أفراحكم فقالت الجيزة اصبرن لما أقوم أنا وقامت بنت الحكيم إخميم الطالب ورقصت وانخلعت حتى سلبت عقو الناظرين فلما رأتها منية النفوس فقالت لهخا يا جيزة ما أنت إلا بديعة فى المحاسن وإنما فى رقصك غليظة فقعدت حياء من منية النفوس وخلعت ملابسها وقدمتها إلى منية النفوس خارقة للعادة عن الجميع فى الجمال والقد والاعتدال والبهاء والكمال والتظرف والدلال وإن الملك سيف بها عشق وبحبها رمق فلأجل ذلك يدارينها وهى من غير ذلك حسنها وجماتها معلى قدرها لأنها إن تكلمت اعدمت وإن تلفتت اتلفت وإن أسلبت قتلت وإن فتحت جرحت وإن تبسمت ملكت وإن أعرضت أهلكت سبحان من صورها من ماء مهين وجعلها فتنة للناظرين ثم أم منية

الفنوس لما كلمت الجيزة فقعدت قامت شامة ولعبت وبين أترابها رقصت وكانت شامة أيضا جميلة وهى التى تقارن الملك سيف فى العلامات وعلى خدودها شامات وبعد ما رقصت وقدعت فقالت للملكة منية النفوس إيش رأيك هلى تقولى مثل ما قلت لغيرى فقالت الملكة منية النفوس أنا ما رأيت رقصكم إلا فى بلادكم وأما نحن رقصنا خلاف ذلك إذا كنا فى بلادنا بين أترابنا فقالتل ها شامة سألتك بمن يجعلك تضعى حملك بالسلام وينقذك من كل سوء وندامة إنك تقومى وترقصى قدامنا وتفعلى مثل ما فعلنا ولا تكسرى بخاطر بنتك شامة لك ويبقى لك علينا المنة والفضل والكرامة فقالت الملكة منية النفوس والله يا ستى مالى قلب لأنى غريبة وحامل ولالى على قدر فعلكم برهان ولا دليل ولكن أقسمت على بقسم عظيم وهو لرب الكريم ثم إنها قامت على حيلها وقد فتنت النساء بميلها واعتدلها وتمايلت كما يتمايل عود الياسمين بين الزهور والرياحين واعتدلت فاطربت الناظرين وفعلت من الاهتزاز والاضطراب حتى اذهلت الكواكب والاتراب ودامت على ذلك ساعتين تماما حتى القعود سلبت عقول والقيام كل ذلك يجرى من منية النفوس وطامة جالسة بين الجلوس فتصور لطامة ان الدنيا ما فيها نظيرها ومن ينظر إليها فلم ينظر غيرها فقالت لها ياستى منية النفوس عمرنا ما رأينا مثلك ولا أحد فى الدنيا يفعل كفعلك وهكذا فى بلادكم يا ملكة تفعلون إذا كنتم مع بعضكم تفرحون وهكذا ترقصون فلما سمعت منية النفوس ذلك الكلام انفتح لها باب تبلغ به المرام فقالت لها ياستى طامة أنا لى رقص آخر إنا كنت لابسة ثوبى الذى ابلغ به قصدى ومطلوبى فإنه من الريش مصنوع بالحكمة إذا كنت لابسته فأنى أدور به كاللوب وأتمايل واتقلب ولو كان سيدى الملك يرضى أن يسلمه إلى كنت افرجكم كيف يكون اللعب والرقص والانشراح إذا كان ذلك بيننا مباح فقالت طامة وهذا الثوب عند سيدى الملك سيف قالت نعم فقالت

شامة أنا لى عنده تمنية لا ترد وأنا أطلبه منه ولا يكون إلا الخير واضمرت طامة أنها تطلب الثوب ولما فرغ النهار وانصرفت الحريم إلى مقصوراتهم فأدرك الملكة منية النفوس الطلق كما يشاء خالق الخلق فوضعت غلام كأنه البد التمام وبلغ الخبر إلى الملك سيف بن ذى يزن ودخلوا عليه المبشرين وهو فى عز وتمكين فقالوا البشارة يا ملك الزمان اعلم أن الملكة منية النفوس وضعت فنسى أفراح الملكة طامة وتعلقت آماله بتلك العلامة وزاد ضحكة وابتسامه وقام على حيله وسار عندها ونظر إلى ولدها فقالوا القوابل إيش اسم الغلام المسعود يا ملك العصر لأنك بالامس سميت ابن الملكة الجيزة نصر فقال وابن منية النفوس مصر وهو سعيد واسمه مبارك ثم أن الملك خلع على أهل الديوان خلع سنية فقالت الحكيمة عاقلة يا ملك الزمان هذا الغلام طالعه مسعود وهو يبنى مدينة كبيرة ويجعلها برسمه ويسميها على اسمه لأنه اسمه مصر وقد أتى فى أيام العز والنصر وعدن بنائها يجرى بحر النيل عندها وقال الحكيم برنوخ يا ملك الزمان اعلم أن أفراحنا بالمولود هذا زائدة فإنه ثالث فقد صار لك الملك دمر ونصر ومصر فدمر من الملكة شامة ونصر من أم الحياة وهذا المولد من الملكة منية النفوس وكل واحد له حديث إذا وصلنا إلى نحكى عليه ولعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وقد التهت الملكة منية النفوس بوضعها ولما كانت دخلت الملك سيف بن ذى يزن على طامة داخل هذا القصر قد زخرفته الحكيمة عاقلة بعلوم الأقلام وهو شىء يحير الأفهام فإنها جعلت سريرا من المرمر مصفحاً بالذهب الأحمر بفصوص مطعمة فيه من الجوهر انواره تأخذ البصر وداير السرير مائة قنديل من الجوهر نورهم يفوق عن نور الشمس والقمر فى كل قنديل فص كأنه نجمة زاهرة فرش السرير من الابر يسم والحرير الملون فطلع الملك سيف بن ذى يزن على فراش من ريش النعام والملكة طامة قامت له على الأقدام وهى

تتباهى بالمحاسن والدلال كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات:

* * *

خذوا حذركم ذا حسنها والنواظر ... بأسهمها عمدا تشق الضمائر
لقد تيمت عشاقها من جمالها؛ ... إذا ما انثنت ترنو إليها البصائر
فكم أحرقت فى حبها قلب عاشق ... وكم فتنت من طرفها وهو ساحر
فلو تفلت فى البحر والبحر مالح ... اجاج لأضحى وهو بالشهد زاخر
ولو واصلت شيخاً كبيراً على عصا ... لأصبح ذاك الشيخ وهو عذافر
ولو كلمت ميتا بلطف حديثها ... لقام يلبى قولها وهو قادر
وأستغفر الله العظيم من الخطأ ... إله تعالى غافر الذنب ساتر

* * *

(قال الراوى) فدخل الملك واغلق الباب وأراد التمتع فقالت له أين التمنية يا ملك الزمان التى وعدتنى بها فقال الملك سيف وحق الإله الذى لا إله إلا هو كل ما تمنيتيه فلا أمنعك منه مطلقاً فقالت يا ملك الزمان أنا ما أتمنى إلا سلامتك وبقاك وأصبح وأمسى وأتملى بناظرك ورؤياك وإذا حصل لك امر أكون أنا وأهلى وقبيلتى جميعا فداك وانقضى الحال وتلذذوا بالوصال وبلغوا من بعضهم الآمال ولما كان عند الصباح أراد الملك سيف ابن ذى يزن أن يطلع إلى محل جلوسه لأجل اجتماع المهنيين له فقالت له طامة بعد ما قبلت يده يا ملك أنا لى عليك تمنية وأريد منك أن تفرجنى على الثوب الريش الذى كانت تلبسه أختى الملكة منية النفوس فقال هلا الملك سيف يا طامة هذا شىء لا يكون ابدا وأنا حلفت أنى لم أطلعه من مكانه ولا يراه غيرى أحد فقالت له يا ملك الزمان أنا سزلتك بدين الإسلام أن تفرجه لى تسليم يد بيد وأنا ما قصدى غير الفرجة وإن كنت يا ملك الزمان خائف من منية النفوي أنها تلبسه فمن الذى يعطيه لها وثانيا هى مشغولة بالملك مصر ولدها وهو لابد عندها اعز من كل الدنيا ولا

يمكنهما أن تفوته أبدا وأنت يا سيدى وعدتنى بالتمنية فلا تكسر بخاطرى ثم إنها تخضعت له بالكلام فقال لها يا طامة أخاف أن تحتال عليك وتأخذه منك وتكون اشتاقت لأهلها وأنا مالى صبر عنها وثانيا صار لها هذا الغلام إن تركته فما يهون على رضاعته عن غير والدته وإن أخذته فما لى صبر على فرقة أمه وفرقته فقالت طامة لا تخف يا ملك الاسلام ولا يعقد عندى إلا بمقدار ساعة فقط فقام الملك سيف ودخل خزانته المخصوصة لذخائره وفتحها وأطلع صندوقه المخصوص لذلك الثوب واطلعها وقبل أن يسلمها أحضر أمها وقال لها يا حكيمة اعلمى أن بنتك طامة لها تمنية وخلفت أن أعطيها كل ما تريد واليوم ما لقيت لها طلب إلا الثوب لبريش الذى للملكة منية النفوس وأنا ما أرد تمنيتها بل أعطيه لها حتى تبلع أربها ولكن أخاف أن تختال عليها وتأخذه منها فقالت الحكيمة يا ملك منية النفوس كما تعلم أنها منشغلة بالمولود والله تعالى حفظه لكم وأما طامة فقصدها الفرجة على الثوب فقط فلا تخف من شيء من ذلك فعندها أعطى الثوب رلى طامة بعد ما حذرها غاية التحذير ولكن لا يمنع الحذر نزول القضاء والقدر وفى تلك الساعة ركبت الفرسان لأجل الفرح والمهرجان وكا الأفراح من جهتين أو لرح بزواج طامة والثانى فرح الملكة منية الفنوس بوضعها فأقام سبعة أيام متواليات وجميع الفرسان يركبون الخيول ويطاعنون بالرماح بلا أسنّة ولهم ضجه ورقة ولما يفرغون من الملاعب ينزلوا إلى الأكل والطعام وشرب المدام وهكذا وبعد ذلك الغلاك المأنوس وأقاموا فى لهو وطرب وحضرت عندهم حريمات الملوك والمقادم وفرحوا بتلك الأيام مثل الأعياد والمواسم وهكذا حتى إن الملكة منية النفوس يا أختى أنا تفرجت على الثوب الريش الذى عند الملك سيف وهو الذى أخذه منك عندما تزوج بك فقالت منية النفوس يا أختى ما بقى لى فيه حاجة فإنى أولاً كنت ألبسه لأجل المسير من بلادى إلى بستان النزهة

وذلك الوادى والآن ما بقيت أحتاج إليه لأننى زوجة لملك كبير وثانياً بقى لى ولد والآن أتفرج على ولدى وأتنزه فى قصرى وها هى حولى البساتين والأشجار والاثمار فما أنا محتاجة لمطار حتى ألبس ثوب الريش وأفعل ما أختار فقالت طامة أنا كنت سمعتك تقولى أنا ترقصى به رقص آخر أحسن من رقصك من غير أن يكون عليك ثانيا نتفرج عليك كيف تطيرى بذلك الثوب فإن هذا شيء ما رأيته أنا أبدا نهم رأيت أمى تركب على زير وهو بها يطير لكن هذا بلعوم الأقلام فقالت لها الملكة منية النفوس وكذلك هذا الثوب يحتكم عليه أرصاد وعلوم الأقلام وهى صناعة الحكماء وأرباب الأقلام وهذا شيأ لا يقدر عليه إلا أرباب الكهانة الكبار مع إى سميته الجسم عندما ألبسه أبقى أخف من النسيم وأنا كنت أرسلت توابعى يأتونى بغيره لما أخذه الملك سيف بن ذى يزن منى ولكن جرى القلم بما فيه المقدر حتى كنت من أزواج هذا الملك العظيم وأظن أن رفاقى أقبلوا بثوب غيره ليعطوه لى ولكن فتشوا على فلم يجدونى فعادوا إلى البلاد وتركونى.

(قال الراوى) ثم إن منية النفوس ما قالت هذا الكلام إلا لتبرى سل حتها من الملام وفى قلبها على ثوبها نار الاضرام وأما طامة فانشغل بالها ومنية النفوس قامت ولعبت وانخلعت ورقصت وتمايلت حتى إن جميع الحاضرين من النساء انذهلت وأقاموا على ماهم عليه طول يومهم وليلتهم هذا ما جرى وأماما كان من أمر الملك سيف بن ذى يزن فإنه اشتاق إلى الصيد والقنص واغتنام اللهو واللذة والفرص فركب وركبت معه الملوك الملك أفراح وأبو تاج وسعودن وميمون ودمنهور الوحش وسابك الثلاث وأقام برنوح الساحر والحكيمة عاقلة لحفظ البلد ولما علمت طامة أن الديوان خالى من الملك سيف لكونه ركب للصيد والقنص وبقى الدويان خالى من الناس أرسلت وأحضرت الملكة منية النفوس فى قصرها وأحضرت الملاهى والمغانى وآلات اللهو والطرب وأقاموا على حظ وانشراح من المساء إلى

الصباح وكذلك فى اليون الثانى والثالث حتى انهمكوا انهكوا فى اللعب والطرب إلى أن كان يوم من الأيام التفتت طامة للملكة منية النفوس وقالت لها يا أخى قصدى أتفرج عليك وأنت لابسة الثوب الريش فإنى لم أنس ذلك منذ أعيش فقالت منية النفوس يا أختى إن كان هذا بغيتك فأتينى بالثوب الريش وأنا أبلغك منيتك فقالت لها طامة يا أختى أنا أخاف أنك تلبسيه وتطيرى رلا بلادك وتركينى أتجرع غصص العذاب من أجل بعادك فقالت منية النفوس ان كان قلبك ما يطاوعك فلا تعطيه لى ولا تجعلى أنك جبتيه فقالت طامة وإنما أريد منك أن تحلفى لى إيمان واثقه أنك إذا أخطت الثوب منى تعطيه لى ثانيا فقالت منية النفوس يا أختى وحياة عينك ورأسك ورأس أمك الحكيمة عاقلة أنى إذا أخذته منك البسه وألعب معكم حتى تقنعوا واقلعوا ثانيا وأعطيه لك فقامت طامة وأحضرته وعقلها مثل المسلوب وظنت أن كلامها حقا وما قالت إلا صدقا فدخلت ا صرها وهى فى فرح وهمم ولم ندر ما خط القلم وفتحت الصندوق وأخرجت الثوب الملطسم وسلمته للملكة منية النفوس بنت الملك العبوس وكانت قاعدة وولدها نائم على حجرها ولما رأت الثوب انشرح صدرها ووضعت الملك مصر بين يديها وقعلت ما كان عليها من الملبس الثقيل وحففت وبعد ذلك لبست الثوب الريش المطلسم وتزررت ورفرفت بأجنحتها وارتفعت ودارت حول القصر من داخل جوانبه وارتفعت إلى سقف القصر مثل النسيم ورجعت ولعبت انداب واطراب حتى حيرت النساء الكواعب الأتراب وتعجبوا منها غاية الأعجاب وبعدها نزلت وقالت حتى أرضع ولدى وأخذت الملك مصر ولدها على صدرها والقمته ثديها.

وقالت هل أنا إذا كان معى ولدى أقدر أطير ثم أنها جعلت محرمة على صدرها من الحرير وجعلت ولدها من داخلها فصار محفوظات فى صدرها ورفرفت حتى علت وحامت حول القصر ثلاث مرات وحطت على شرفته وهى

بجانب ممر مكشوف إلى فوق قالت أنا خائفة على ولدى لا يقع منى ثم أنها أكدت أن تحفظ ولدها فى حضنها وصارت تنظر إليهم وتنوع منهم بالنظر وهم باهتون إليها فقالت لها طامة يا منية النفوس يا أختى انزلى عندنا حتى نؤانس بعضنا ويكمل بك حظنا فقالت لها يا أختى لا تعجلى على فإنى من زمان مالبسته وها هو قد جاءنى بلا تعب ولا مشقة ولا نصب ثم إنها ضحكت عالياً فكادت أن تتفطر مرارة طامة وقد عادت على نفسها بالملامة وعلمت أن الحيلة تمت عليها فى كذلك وإذا بالحكيمة عاقلة دخلت عليهم ونظرت إلى منية النفوس وهى مثل الطاوس فنظرت إلى بنتها بوجه عبوس وقالت لها بلسان الحال أنت التى أعطيتيها الثوب الريش المطلسم وتم الأهى علينا وتحكم فقالت طامة نعم يا أماه وما بقى لى قدرة على شيء وهى قد حلفت أنها تفرجنى كيف تطير وحلفت برأسك أنها ترده **(قا ل الراوى)** فرفعت رأسها الحكيمة عاقلة للملكة منية النفوس وقالت لها يا نور عينى ما تنزل حتى أسلم عليك فأنا ما أتيت إلا مشتاقة إلى النظر إليك فانزلى بابنتى حتى أتأنس أنا وأنت فقالت لها منية النفوس يا حكيمة والله أنا ما أريد أحداً يؤانسنى فأنا تذكرت حيرتى وإذا غبت عنكم فاذكرونى فلما يمعت الحكيمة كلامها زاد وجدها وغرامها وقد علمت أنها لا تنفع علوم أقلام فإن الثوب المطلسم يمنع عنها فصارت الحكيمة عاقلة تنشد هذه الأبيات وتقول صلوا على طه النبى الرسول:

* * *

نظرت إليها نظرة الخوف والقلق … وقلت انزلى لا تخلفى الشرط والرفق

فقالت بضحك يا حكيمة فارفقى … فقلبى لا يبغى النزول لمن رمق

فقالت لها لا تخلفى الوعدأنه … قبيح ولو للبدر فى دارة الشفق

وعودى لنا فى حاجة قد بدت لنا … ولو ترجعى فى ظلمة الليل والغسق

وأدعــوك بالـله الذى رفع السمـا   بلا عـمـد والناس من نطفـة خلق
فـلا تـحـرمـينا انسكى وودادكى   فبعدك عنا يجلب الشوق والحرق
وقومى اجبرى قلبى ولو قدر ساعة   وإذا كان مثلك بالقلقل والقلق
وإن سرت كيف الحال أو كيف فعلنا   إذا كام مثلك قال قولا وما صدق
وإن جاء سيف ذى اليزن مع رجاله   ولم يلق منيه النفوس هنا انحمق

* * *

(قال الراوى) ثم إن الحكيمة عاقلة جعلت تلاطفها فى الكلام وقالت لها يا منية النفوس يا بنتى انزلى ياقرة عينى وطاوعينى ولا تخالفينى فعند ذلك ضحكت منية النفوس على الحكيمة عاقلة وقالت لها لو كان لك مقدرة كنت سحرتينى ولزوج بنتك يا حكيمة قدمتينى وهذا شيء ما لأحد إليه وصول وما بق لكم عليه محصول وأنا لا بدى من قطع البرارى والطول وعن أرضى وبلادى لا أحول ثم أنشدت تقول هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على كثير المعجزات.

* * *

أرى البدر عاد للغرب من بعد ما شرق   وإن ضياء البدر يفضح من سرق
فلا تسألوا عنى فأنى غريبة   وقلبى بالأشواق قد ذاب واحترق
وأصل اتصالى عندكم كان حيلة   وحلى المطلسم كان سيف اليزن سبق
وأخبر أنى ملكت فؤاده   وكان قضاء الله فى جبه سرق
ولما تصافينا وأروى فؤاده   فلم يقتنع بى وإلى الغير قد رمق
فخليه يبلغ ما يشاء من صرائرى   وأما أنا فالبعد عنى به أحق
وإن جاءكم قولوا له قد توجهت   إلى أرضها والأهل والحب والرفق
فكن صابرا للحب والعشق والجوى   وإن كنت تسلوا تستريح من القلق
وإن كان ذا عزم وبأس وهمة   وكل محبا لى وفى قوله صدق
إلى حين يسعى وكل أهيله   بنان ومن جامن ذكر ربه احترق
وأزكى سلامى والتحية دائما   عليكم جميعا كلما البرق قد خفق

* * *

(قال الراوى) ولما فرغت منية النفوس من شعرها وما أبدته قالت لهم يا سادات أما أنا فما بقيت أنزل عندكم وإنما إذا حضر الملك سيف بن ذى يزن وسألكم عنى فقولوا له راحت إلى بلادها لأجل راحة قلبها وأكبادها ومعها أيضا ولدها ويعظم عليك وعلى ألف ملك أن يملك منية النفوس بنت العبوس وبنات الملوك ما تأخذ بالسرقة بل بالكتاب والمصادقة وأنت سرقتنى من البنات وبليتنى بالضرائر والهجران ولكن كان الذى كان فإن كنت صاحب همة وثبات فتأتى إلى جزائرة البنات وإن كنت إلى زوجك وولدك مشتاق فألحقهم إلى جزائر واق الواق ثم أنها نيمت ولدها فى المحرم كما ذكرنا تحت صدرها وفردت أجنحتها ورفرفت وطارت وزالت تعلو وترتفع وهم ناظرون إليها حتى غابت عن العيون **(قال الرواى)** وأنا الحكيمة عاقلة فكاد أن يعتريها الجنون فما كان لها إلا أن صارت تشتم بنتها قالت إذ جاء الملك سيف من الصيد والقنص وطلبها فمن الذى يخلصك منه فأنه يفتنك ويقول لك أنت من الأصل كان مرادك قتلها من غيرتك منها ولما يمكنك قتلها تحايلت على حتى أخذت منى الثوب وألبستيه لها وأرسلتيها إلى أهلها وهذا من غيرتك يا مجنونة يا خائنة يا مفتونة فلما سمعت طامة من أمها ذلك الكلام بكت من شدة الوجد والآلام وقالت لامها كيف العمل يا أماه فقالت إن الرأى عندى أن تكتمى هذا الحال ولا تعلمى أحدا من النساء ولا الرجال وأنا ادبر ذلك الحال ثم أن الحكيمة عاقلة أحضرت نجار وصنع ت من الخشب صورة على قدر الملكة منية النفوس وبعد ما فرغ منها دهنتها بدهان حتى بقيت كأنها لا تنقصإلا الروح فقط وبعد ذلك جعلته فى قصر منية النفوس ونيمتها على فراشها وبعد ذلك صاحت وولولت فدخلت جوارى منية النفوس فالتقوا سيدتهم الملكة منية النفوس مينة فبكوا وصاحوا وشاع الخبر فى المدينة بأن منية النفوس ماتت وابنها معها وبعد ذلك دفنوها فى القصر فى جانب من الحوش وشاع الخبر عند الدولة أن

الملكة منية النفوس كانت تسكر فشرقت بالخمر وماتت وكان هذا الكلام والمناقلة من الحكيمة عاقلة فقال لها رجال الدولة وكيف العمل يكون يا أم الحكماء فقالت إن الملك فى الصيد والقنص وإذا ارسلنا له رسول قليل إم كا يجىء أو يقول ادفنوهم وأنا دفنتهم فى التراب وواريتهم وإذا حضر الملك سيف بن ذى يزن وسأل عنهم نقول له ماتوا وإن قال لاى شىء ما أعلمنتمونى أقول له هم إلى الآن من داخل الدار فدونك وما تريد وافعل ما تختار فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب **وأماما** كان من أمر الملك سيف بن زى يزن فإنه بعد مدة أيام أقبل هو ورجاله من الصيد فرحين مستبشرين ودخلوا إلى مدينة حمراء اليمن وجلس الملك سيف فى الديوان ودارت به أرباب دولته ومازال إلى آخر النهار وانفض الديوان وطلع الملك سيف بن ذى يزن إلى القصر وسار إلى محل الحريم فوجد قصر منية النفوس مغلوق وعليه العنكبوت فحس قلبه بالمصيبة فصاح بصوت كأنه الرعد يفلق الحجر وقال ريش الخبر وأين هى زوجتى منية النفوس فقال له الخدم أيها الملك اعطينا الأمان ونحن نعلمك بالذى جرى وكان فقال لهم عليكم الأمان لكن اعلمونى بصدق البيان فقالوا له إن زوجتك طامة بنت الحكيمة عاقلة بعد مسيرك من هنا أرسلت للملكة منية النفوس فحضرت عندها وجلست معها فأكلوا وشربوا ولذوا وطاربوا وجعلوا يسكرون فشرقت منية النفوس وماتت فى شرقتها هى وولدها فجعلنا لها قبرا عندنا ودفناها فيه وهذا هو الخبر الصحيح الذى ما فيه تلويح.

(قال الراوى) فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وتأوه وتحسر وبكى وأن واشتكى ونزلت دموعه على خدوده سلسال وأيقن لركن عزه بالزوال فأنشد وقال بعد الصلاة على باهى الجمال:

* * *

تكدر عيشى بعد ما كان صافيا ... وبان الذى قد كان فى القلب خافيا
وهيج وجدا كامنا بين أضلعى ... وأرسل دمعا جارح الخد جاريا
هوى من هواه القلب والروح والحشى ... وأضنى الهوى جسمى وقد صرت باليا
فيا حسن أوقات مضت بوصاله ... ويا أسفا قد زاد بالوجه دائبا
على فقد من لولاه ماعشت معذبا ... وزاد شجونى والشحوب علانيا
فأهل الهوى أهلى وإن كنت قاصرا ... وحبى لهم قرب وإن كان قاصيا
فلا خير فيمن كان فى الحب كاذبا ... ولا خير فيمن كان فيه موازيا
فقد فارقونى أهل ودى ويمموا ... صعيدا وخلوا لى الديار خواليا
فيا حسرتى ما كان عهدى بأننى ... إذا رحلوا أبقى حزينا وباكيا
سقاهم إله العرش من غيث فضله ... سحائب مزن هاطلات هواميا

* * *

(قال الراوى) ولما فرغ الملك سيف من كلامه وشعره ونظامه تمشى وسارو وعيناه مثل شعل النار ومازال حتى دخل على طامة فقامت له وتلقته بلاسلام وهنته فقال لها يا طامة أين زوجتى منية النفوس فقالت له مثل ما قال الخدم فلما سمع هذا الكلام صاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه ولم يزل فى غشوته إلى نصف النهار فأتوا له بماء ورد ورشوا علي وجهه وزاد مصابة ووقع فلما أفاق ترغرغ وتذكر منية النفوس فلطم على وجهه ومزق ثيابه وصار مجنون ولا يدرى ما يكون وأقبل إلى القبر وقعد بجانبه على التراب وأكثر البكاء والانتحاب وترك النوم وبقى فى عذاب وامتنع عن الطعام والشراب وأقام كذلك عشرين نهارا وقد أشرف على الهلاك والدمار من بكاءه ليلا ونهارا هذا والحكيمة عاقلة توبخ بنتها بالكلام وأكثرت عليها العتب والملام وهى تقول لها فعلت يا بنتى فعل أولاد الحرام وأهلكت ملكا هو أكبر ملوك الإسلام وطامة لم تقدر أن ترد جوابا ولا تبدى خطابا وكلما تختلى بنفسها تكثر من البكاء والانتحاب **(قال الراوى)** ثم إن الحكيمة

عاقلة نزلت إلى الملك سيف فوجدته قد علاه الأصفرار وأشرف على الهلاك والدمار فقالت له ارفق بنفسك يا ملك الزمان فإن منية النفوس ماماتت بل هى على قيد الحياة كما أنت على قيد الحياة وأنا أعلمك بصدق الخبر واطلعك على جلية الزثر فقال الملك سيف بن ذى يزن وكيف ذلك يا أماه ردى لهفتى قبل أن أموت بحسرتى فعند ذلك حكت الحكيمة عاقلة ما جرى من الأول رلى الآخر وقالت فى آخر كلامها ولو كانت منية النفوس تحبك فما كانت تفارقك وهى تقول فى كلامها إن الملك ما يقدر على فراى ولا طرفة عين وإن علم بسيرى فيتشتت لأجلى ويأتى خلفى جزيرة البنات ويقاسى العذاب واللوعات وكان هذا القول من الحكيمة عاقلة إشغالا للملك سيف حتى يجتهد فى طلب زوجته ولا يفكر فى طامة ولا يعاتبها فيما فعلته فلما سمع منها ذلك الكلان تهلل وجهه بالهداية عما كان فيبه وتبسم ثم قال يا أما ولأى شيء ما أعلمتينى بذلك الذى يبرينى من السقم والآلام وقد صارى لى مدة زمانية وأنا فى كرب شديد ولا أقدر على حمل الغرام فقالت له أنا كنت خائفة عليك من الاعلام ولا أنطقنى إلا الملك العلام ففرح الملك سيف بن ذى يزن وأزال ما كان اعتلاه من تصاريف الزمن وقلع عن بدنه ثياب الحزن وغير ملبوسه بلبس الأفراح ودخل الحمام وبات ليلة عند طامة وهو فى سرور وانعام فقالت له طامة والله يا ملك أنى اخطأت فى أخذ الثوب الريش الذى لمنية النفوس وهى التى احتالت على حتى أخذته ولبسته وأخذت ولدها وسارت إلى بلدها فضحك الملك سيف وقال لها يا طامة إن منية النفوس يحق لها أن تتدلل على وأنا يجب على الاحتمال فإن من أراد النفيس فليخاطر بنفيس ومن حيث إنها على قيد الحياة ما بقيت أيأس من اجتماعى بها ولو تلفت روحى دونها فاغتاظت طامة من كلامه والليلة الثانية بات عن شامة وباسطها ولاعبها فقالت له يا ملك انظر كيف فعلت طامة حتى أعطت الحل المطلسم إلى منية

النفوس حتى راحت بلادها فقال لها مافعلت ذلك إلا خطأ وما كانت تعلم أن هذا يجرى ولما حلفت لها صدقتها لكون طامة قلبها طيب صافى النية ولا تؤاخذها بما فعلت لأن لها عندى شافع جسيم وهى أمها الحكيمة عاقلة على قضاء حاجاتى وبلوغ إرادتى فأنت عينى اليمين وطامة عينى الشمال والجيزة قلى ومنية النفوس عقلى وأسال الله أن لا يفرق بينى وبين أحد منكن ويجمع بينى وبين منية النفوس عن قريب إنه سميع مجيب والليلة الثالثة بات عند الجيزة وودعها وتودع من ولدها وقال لها يا جيزة لا تخلى أحدا ينظر ولدك حتى آتيه بأخيه مصر فإن منية النفوس أخذته وراحت بلدها فقالت له يا سيدى الله يجمعك بها عن قريب فشكر ودادها والليلة الرابة بات عند الملك أم الحياة وفى هذه المدة كل يوم يطلع الديوان ويجلس على نحن حتى أن الدولة جميعا اطمأنوا بقعوده ولما كان يوم من الأيام أمر بزينة البلد وصنع وليمة ثلاثة أيام والناس ما بقى لهم تذكار ولا حديد إلا فى منية النفوس فالبعض يقول أن طامة حنقتها والبعض يقول أن عاقلة سحرتها والبعض يقول إن أباها أرسل سحرها وجعلها حمامة وأخذها ونزل الملك مختفيا وكان لابس القلنسوة فسمع من الناس كلامهم وطلع الديوان وهو مختفى فسمع أرباب دوله يطلبون له الصبر والتدبير لأن داء العشق من نار السعير وأخيرا سار إلى قصر طامة وكانت أمها عندها وهى تقول لها بذلت المليح بالقبيح وأتعبت سر الملك بعد ما كان مستريح وجعلتيه يكابد الغرام فقالت لها يا أماه وحق دين الإسلام ما كنت أظن أنها تفعل هذه الفعال بعد ما حلفت وأكدت الأيمان وأن بعلى لو لاخوفه من الله تعالى لكان قتلنى وملمنعه عن قتلى الاكرمه وطيب أصله وفرعه لأن فعل الاحسان دائما طبعة فسمع الملك سيف ابن ذى يزن وخرج وأنتى إلى الديوان وأمر العساكر بتزيين الخيام ونصبها خارج المدينة ففعلوا ما أمرهم وانتصب العرض خارج المدينة وطلعت العساكر وقعدوا

في الخيام هذا وقد ركب الملك سيف بن ذى يزن وطلع إلى الخيام حتى تكاملت حوله الملوك والمقادم والسحرة والكهان ولاحد قادر أن يسأله عما هو عليه عازم بل جميعا سمعوا أمره وامتثلوا إليه وجلس الملك بن ذى يزن وكل الدولة حوله وهو فى شغل وما أمرهم أن ينصرزفوا إلى أماكنهم ولا عرض عليهم ولا شاورهم فى أمورهم ولا يقدرون أن يكلموه لكونه لابس ثياب الغضب فبينما هو كذلك وإذا بقعقعة كأنها الرعد القاصف وكل من سمعها بقى خائف وبعد قليل نظر لاملك سيف بن ذى يزن وهو جالس على تخته وإذا عاقصة أخته فنزلا إيه وبادأته بالسلام فرد عليها سلامها قال لها يا عاقصة أتيت تذكرينى بهمى وغمى بعدما قتلتى أمى فقالت له والله إنك أرتحت منها ومن فعلها وكيف لا أقتلها وفى كل وقت ترميك فى المهالك وهى كافرة بمالك الممالك؛ وحق مقام الخليل إبراهيم إن رجعت تذكرها ثانيا ما بقيت أعودإليك فقال لها يا عاقصة دعينا منها وإنما أنا قصدى أن أسألك عن جزيرة البنات التى للملك العبوس أبو منية النفوس فقالت عاقصة يا ملك أظن أن المكلة منية النفوس ملكت ثوبها الريش المطلسم ولبسته وطلبت بلادها فقال لها ولكن مرادى منك السؤال عن ذلك حتى أعرف إذا أردنا أن تسع بعساكرنا إلى تلك البلاد والآكام كم نقطع من الأيام فى البرارى والآكام فقالت له مسافة مائة عام فقال الملك سيف يا عاقصة وكيف البنات يقطعونها فى ثلاث أيام فقالت عاقصة يا أخى السير فى الثياب المطلسمة فإن الطلاسم تمر بالمحمول تأخذه مسيرة الشهر فى دقيقة واحدة هذه من أسرار الحكماء المجتهدين فقال لاملك سيف بن ذى يزن اتركينا من هذه السيرة وأنت يا عاقصة بينى وبينك صدق المحبة والوداد وهذه النوبة واعترض عارض ولا ينفعنى فيه غيرك لأن أهل الميت أولى بالبكاء وأنت أختى على كل حال فياهل ترى إذا قصدتك فى حاجة تقضيها فقالت نعم ولو كانت مهما كانت فأخبرنى عن حاجتك وأنا

أبلغك أمنيتك ولو تلفت مهجتى دون مهجتك فقال لها حتى تحلفى لى بالله العظيم وبنبيه الخليل إبراهيم أن الذى أقول لك عليه تقضيه لى فقالت عاقصة يا أخى كأنك ما أنت عاقل وحق النقش الذى على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن كل ما تطلبه منى اجتهد فى قضائه مادمت على قيد الحياة ولا أتأخر عن قضاء حاجتك مادام فى جارحة تخفق ولسان ينطق وهذا غاية ما يكون من الايمان يا ملك لازمان فلما سمع الملك سيف بن ذى يزن تلك الإيمان الثابتات قال لها يا عاقصة يا زختى وصلينى إلى جزيرة البنات فهى عندى أعز الحاجات فانغاظت عاقصة وصرخت صرخة عظيمة فقال الملك سيف ولأى شيء صرخت فقالت له أخى وإيش مرادك من جزيرة البنات أخبرنى عن زوجتك منية لنفوس أما هى عندك فقال لها ولو كانت عندى إيش أريد ببلادها ثم أعاد عليها القصة من أولها وقال فى آخر كلامها أنا ما قصدى إلا ولدى فقالت عاقصة يا أخى اجعله ذخيرة عند الله ولا تلقى بنفسك للهلاك لأنك إن وصلت إلى هذا الجزيرة تهلك فإنها أرض لا يسلكها سالك وإن وصلت المدينة فما تقدر تعبر من بابها لأن على بابها غماز وله ثلثمائة وستوت عون والغماز هو رصد الباب إذا رأى ذكرا على باب المدينة عبر بصحيح فتصيح معه الثلثمائه وستين يقولون ذكر دخل عليكم واسمه فلان وهو فى المحل الفلانى فإذا سمعوا أهل المدينة ذلك انطبقوا على الذى بداخلها فيقبضوه ويقطعوه بالسيوف الحديد بلا كلام ولا سلام وأهل المدينة كلهم بنات لا تعد وتحصى وهم فرسان وشجعان يركبون الخيل ويخوضون الليل ولم يكون عندهم ذكر إلا ملكهم وهو الملك العبوس أبو منية النفوس وهو الحاكم عليهم.

فقال الملك سيف يا أختى ولأى شيء هذه المدينة كلها بنات وليس فيهم ذكر وإيش أصل ولادتهم ومقامهم بغير رجال والله إن هذا عجيب فأعلمينى على هذا السبب فقالت عاقصة إن هذه الجزيرة اسمها جزيرة واق

الواق وكان بها ملك يقال له كافور وكان طاعن فى السن وخلف ولدين ذكور أحدهم يقال له قاسم والثانى عاصم فبنى مدينتين وسمى واحدة عاصم والثانية قاسم على اسم اولاده ثم ثم أنه أحضر أولاده وقال لهم اعلموا يا أولادى أنى جعلت هاتين المدينتين لكم بأسمائكم فإذا أنا مت فيأخذ كل واحد مدينته التى على أسمه وذلك لأجل عدم أختلافكم بعدى وتكونوا مثل رجل واحد ولا يدخل بينكم عدو ولا حاسد فقالوا سمعا وطاعة ولكن يا أبانا زوجنا فى حياتك فقال صدقتم وكان له وزير ومعه بنتين فأمره أن يصلح شأنهما وخطبهما وأقام لهما فرحا شهرا كاملا وأدخلهما على أواجهما فى لية واحدة فكان بالأمر المقدر حمل الزوجتين وأقاموا فى الحمل مدة ثلاث شهور فمات الملك كافور أبوهم وقضى وواروه فى التراب وعلموا الناس بموت الملك كافور وعملوا العزاء وبقى الذى يعزيهم فى أبيهم يهنيهم بالملك الذى وصل إليهم وبعد أربعين يوما انقضى مجلس العزاء فقال لهم كبراء دولة أبيهم كل واحد منكم يأخذ مدينته التى جعلها أبوه عيل اسمه لا يتعدى أحدكم على الآخر فقالوا وزير أبيهم نائب على الجزيرة وأخذ كل واخد مدينته حكم ما أمرهم أبوهم وكل منهم أخذ خدامه واحتوى على بلده وداموا كذلك حتى أن نساءهم تكامل حملها لأننا قدمنا انهم حملوا ابتداء الدخول بهم فلما أتاهم الطلق كما يشاء خالق الخلق فأول من وضعت زوجة قاسم وأتت ببنت وشعت بعدها زوجة عاصم ولد فعملوا ولائم رتع فيها القاعد والقائم وكل واحد من الاثنين حضر وليمة أخيه وقال عاصم لأخيه قاسم يا أخى لا تعاند قدرة الله تعالى فالولد ولابنت على حد سوآء وإنا كبرت بنتك وابنى يتزوجون بعضهم ونحن نجتهد فى زواجهم لأجل أن يخلفونا ويسكنوا فى تلك الأرض من بدعنا فلما سمع قاسم من أخيع ذلك الكلان انغاظ فى الباطن وقال فى نفيه إن البنت ما هى مثل الغلام ولكن أخفى الكمد وأظهر الجلد وقال لأخيه يا

أخى يكون ذلك إن شاء الله تعالى وتداولت الأيام والشهور والأعوام وكبر الأثنين فأرسل عاصم يخطب بنت أخيه قاسم لولده فلما وصلت القصاد إليه فرح بهم وأكرمهم وتركتهم فى دار الضيافة وطلع سرايته وشاور بنته فى ذلك وقال لها إن رأى أرسل لى يخطبك لابنه للزواج فقالت له أنا ما أريد زواج فاترك هذا الاحتجاج ولم أخرج من ملكى ولا أتزوج ابن عمى ولا يغره من الرجال وإن غصبتنى قتلت نفسى فلما سمع أبوها منها ذلك المقال قال لها وأنا هذا مقصودى ولا أريد بنتى تخرج من عندى أبدا وطلع من عندها وأتى للقصاد الذى أتوه من عنده أخيه وقال لهم إن بنتى قالت ما أتزوج وأنا مايهون على أن أغضبها خوفا من غضبها وضررها ما زقدر عليه ولو كانت رضيت بلازواج فما كان لها أخير من ابن عمها ثم صرفهم بلا فائدة فعادوا إلى ملكهم عاصم وأعلموا بما قال لهم أخوه قاسم فانغاظ وامتزج بالغضب وتسبب له الشيطان بكل سبب وقال وحق دينى وتربة أبى كافور لابد لى زن أغيظه فى نظير ما منع بنته عن زواجها لأبنى وكان فى تلك البلاد حكماء وكهان وأرباب أقلام بكثرة فجمعهم وقا للهم أنا قصدى منكم أن تجتهدوا لى فى بدعة لم يكن سبقنى عليها من قبلى وهو أن تجعلوا جميع البنات التى فى مدينة أخى كلهم يأتوا إلى مدينتى لا يبقى عند أخى ولا بنت ولكن عندى كل ما تطلبوه فقالوا له سمعا طواعة وخرجوا من عنده وعملوا لهم بيتا على قدرهم وأحضروا فيه كل ما يحتاجون إليه من مأكول ومشروب لأجل أن يخرجوا منه حتى يتموا أشغالهم وأقاموا فى ذلك البيت مدة أربعين يوم وخوجوا معهم بنت من الشمع الأبيض على هيئة بنى آدم ووضعوا تلك البنت فى وسط المدينة وبنوا عليها قبة عظيمة من الحجر الرخام ونقشوها بالكتابة بالأقلام وأحاطوا حولها دوائر سبعة بعلوم الأقلام وقعدوا الحكماء على كراسى من العاج وجعلوا يعزمون ويدمون إلى أن انتصف النهار وإذا باب مدينة قاسم

انفتح وخـرجت البنات منها وهن صارخـات ويقلق نعم يا حكماء الزمـان وما زلن سائرات حتى دخلن المدينة الثانية جميع البنات ووقفن بين يدى الحكام وهن مسـببات فلما رأى عاصم هذا الحلا فـرح وانعم على الحكماء إنعـاما زائداً فقالوا له يا ملك الزمان مرادنا نصنع عـملاً قوى من ذلك فقل لهم وما هو العمل فـقالوا له نعـمل رصدا على هذه المـدينة لايصل إليهـا رجال ولا يخرج منهـا النساء إلا إذا بطلت الارصـاد وهذه بدعة حسنـة وفيهـا مكيدة لأخـيك فقـال لهم افـعلوا مـا بدالكم فسـار الحكمـاء إلى أبواب المـدينة ورسمـوا عليها طلاسم بعلوم الأقلام وجـلعوا عليها أرصـاداً لمنع الذكور ان يدخلوا فيها ولا يصلوا إليهـا فقال لهم الملك عاصم أريد منكم أن تعلموا رصدا للغريب إذا أراد أن يدخل مـدينتى ليصيحوا عليه الارصـاد ويخرجوا أهل المدينة يقـبضوه وبالسـيوف يقذعـوه فقالوا له الحكمـاء يا ملك إذا كانوا سكان أهل المدينة كلهم بنات فمـن أين يكـون عندهم رجال يرديون الغريب لاسيمـا إذا كا الخصم فارس نجـيب فقال الملك عاصم صـدقتم وأنا أيضا أريد البنات يتفرسـون

انتهى المجلد الأول ويليه المجلد الثانى وأوله الجزء السادس

سيرة الملك

سَيَفْ بن ذى يزَن

* لقد عاشت هذه السيرة طوال الأزمنة الماضية و حتى الآن لأنها تحمل فى مكوناتها إمكانيات البقاء. إنها ليست مجرد وقائع و أحداث شائعة مثيرة تنجح فى تفريغ طاقة الشر عند بعض الناس، إنما هى منظومة من القيم الأخلاقية العظيمة، تزرع فى نفوس الأجيال قيم البطولة .والنبل و الفروسية، و تكرس لارتباطهم بالوطن ، وبالقوم . فهى إذن تعتبر سجلا للوجدان الثقافى الشعبى مصاغا فى أجمل صورة *



خمسة جنيهات

الأهلى للطباعة والنشر